

كتاب ميزوبوتاميا

موسوعة اللغات العراقية



خمسة آلاف عام من كلام النهرين

اللغات: السومرية - الآكدية، الآرامية - السريانية، العربية، الكردية، التركمانية، الفيلية،
الهندائية، اليهودية، العامية، اليزيدية، الشبكية، السوداء، الارمنية، الشيشانية..

عمل جماعي

سليم مطر



مركز دراسات وإمارة العراق - ميزوبوتاميا / جنيف - سويسرا
دار الخلية الحرة - بيروت

العدد 17-18

ميزوبوتاميا

عراقي
تبريز
2009
4379

موسوعة اللغات العراقية

توضيح: أصدرنا هذه الموسوعة في بغداد عام 2009 ضمن اصدارات مجلتنا الدراسية الفصلية (ميزوبوتاميا - بلاد النهرين) الخاصة بالهوية العراقية.

بالنسبة للطروحات الواردة عن الاقوام العراقية من عرب وكراد وتركمان وسريان ويهود وصابنة، وغيرهم، يمكن اكمالها بالاعتماد على كتابنا الجديد (تاريخ العراق: الارض والشعب والدولة) الصادر عام 2021، لانه اكثر انسجاما ووضوحا، لاستفادته من المعلومات التاريخية التي توفرت في الاعوام الاخيرة.



الى ابناء بلاد النهرين، العراق

عسى ان تسهم هذه الموسوعة في تعميق معرفتكم بهويتكم الوطنية والتصالح معها!

محتويات الموسوعة

ملاحظة: ارقام صفحات المواضيع تقريبية، بسبب اختلاف ترتيب الكتاب بعد تحويله الى pdf

- 9 كلمة الموسوعة: أول وأكبر موسوعة للغات العراقية
- الملف الاولي: لغت العراق والعالم**
- 15 - مدخل فكري تاريخي: الهوية العراقية وخصوصياتها الثقافية - اللغوية ((الهوية العراقية وتأثيرات الموضع والموقع، الهوية العراقية وديمومتها الثقافية - اللغوية، الهوية العراقية وثنائية دجلة والفرات، الهوية العراقية والانقسام اللغوي - القومي))
- 42 - ملحق معلوماتي: الوضع اللغوي في العالم
- ملف لغت العراق القديم**
- 59 - تاريخ السومرية والاكديّة (البابلية - الآشورية)
- 63 - وجود اللغة السومرية لا يدل على وجود السومريين!
- 67 - أطوار اللغة السومرية
- 70 - اللغة الأكديّة
- 76 - الكتابة المسمارية
- 92 - من معالم الحضارة العراقية القديمة
- ملف اللغة العربية**
- 103 - الساميون والعرب، أصلهم من العراق والشام أم من الجزيرة العربية؟
- 127 - معلومات عن تاريخ اللغة العربية
- 135 - نشأة الخط العربي في الانبار
- 143 - أشهر الخطاطين العراقيين
- 147 - المدارس النحوية في الكوفة والبصرة وبغداد
- 150 - دور الترجمة من السريانية في تطوير اللغة العربية
- ملف اللغات الكردية**
- 159 - أكراد العراق تاريخاً ولغات

- 173 - الثقافة الكردية بين التأريخ والتكوين
- 184 - اللغات الكردية وأدبها الشفاهي
- 193 - معلومات لغوية
- 200 - عبد الله كوران شاعر عراقي أصيل
- 203 - الكاكائية، مذهب علوي عراقي
- 206 - ملحق / الحزب الهورامي القومي بكردستان العراق

ملف اللغة التر كمانية

- 211 - تركمان العراق تاريخاً ولغة
- 217 - من تراث التركمان الحضاري في العراق
- 22 - معلومات لغوية وأدبية عن التركمانية
- 236 - ملحق حوار / اشكالية العلاقة بين التركمانية والتركية

ملف اللغة الآرامية - السريانية

- 249 - تاريخ الآراميين - السريان
- 262 - معلومات لغوية عن السريانية
- 266 - الكتابة بالسريانية
- 273 - وثائق عن حاضر السريانية

ملف الثقافة اليهودية:

- 279 - العقيدة اليهودية، بابلية عراقية، أم سماوية توحيدية؟!
- 294 - الدور العراقي في تأسيس اليهودية
- 300 - الخلاصة : اليهودية بين دنيوية البابلية وسماوية العرفانية
- 311 - اليهودية العراقية في العصر العباسي
- 315 - ملاحق معلوماتية عن أوضاع اليهود في العصرين العثماني والحديث
- 319 - من أدباء اليهود في العصر الحديث
- 321 - مدارس الاليانس اليهودية العالمية

ملف اللغة الفيلية:

- 327 - الفيلية، هم عراقيون شيعة ناطقون بالعربية
(الفيلية وفرضية الأصل الآرامي! // مناطقهم // دور الفيلية في النهضة العراقية //
المؤسسات الفيلية // شخصيات فيلية // سياسة الاضطهاد))
- 334 - اللغة الفيلية

340 - من الامثال الفيلية

ملف اللغة المندائية - الصابئية:

349 - الصابئة المندائيون تاريخاً ولغة

358 - اللغة المندائية تاريخها وحاضرها

((الكتابة المندائية ونصوصها // من جماليات الخط المندائي))

ملف باقي الثقافات العراقية:

((العامية واليزيدية والشبكية والسوداء والارمنية والشيشانية))

373 - العامية العراقية خصوصياتها وتفرعاتها

382 - القومية اليزيدية، عقيدتهم وثقافتهم!

389 - الشبك، لغة وعقيدة

394 - سود العراق، وثقافتهم المجهولة!

397 - أرمن العراق تاريخهم وثقافتهم

402 - الشيشان، فئة عراقية جديدة!

كلمة الموسوعة

أول وأكبر موسوعة للغات العراقية

ها نحن أخيراً نقدم أول وأكبر موسوعة، ليس فحسب للغات العراقية، بل هي أول موسوعة من هذا النوع تصدر بالعربية في كل العالم العربي والعالم الثالث.

لقد حرصنا على تقديم كل اللغات العراقية الكبيرة والصغيرة، القديمة والحالية، وكذلك التعريف الممكن بكل لغة ومكوناتها وميراثها الكتابي. وهذه اللغات هي: السومرية والأكادية، الآرامية-السريانية، العربية، الكردية (السورانية والبهدنانية)، التركمانية، الفيلية، المندائية. أما بالنسبة لليهودية، فأنا سلطنا الضوء على ثقافتها المكتوبة أساساً بالآرامية العراقية، ثم العبرية. وخصصنا الملف الأخير لباقي ثقافات الوطن: العامية، اليزيدية، الشبكية، السوداء، الارمنية، الشيشانية...

يتوجب التوضيح، إننا بتعريفنا لهذه اللغات العراقية وميراثاتها، لا نبتغي أبداً التقليل من دور (اللغة العربية). بل اننا من دعاة الاعتزاز باللغة العربية، فهي اللغة الرئيسية الرسمية لشعبنا، وفيها كتب تاريخنا وميراثنا وثقافتنا وديننا الاسلامي خلال أكثر من 14 قرن، وهي القاسم المشترك بين جميع الفئات العراقية، بالإضافة الى إنها تجمعنا مع باقي إخواننا من الشعوب العربية، بل حتى مع الشعوب الاسلامية. ونحن نفتخر ان لغتنا هي من بين اللغات العالمية الكبرى.

إن اعتزازنا بالعربية هو الذي يدفعنا للاعتزاز بلغات أسلافنا القداماء وإخواننا في الوطن. أولاً لأن هذه اللغات العراقية (وكذلك أبناء الفئات الناطقة بها) قد ساهمت بصورة فعّالة في إغناء لغتنا وثقافتنا العربية. ثم ان دراستنا وتعرفنا على لغات وميراثات أسلافنا وإخواننا، تساعد شعبنا أكثر وأكثر على التقارب والتوحد والاعتزاز بثقافتنا الوطنية التاريخية المشتركة. ان جميع اللغات والثقافات المحلية هي أنهار تصب في وادي الثقافة العراقية.

محتويات الموسوعة

حاولنا قدر الامكان أن تكون هذه الموسوعة شاملة حسب المستطاع لكل اللغات العراقية القديمة والحالية، مع التعريف بماهيتها وماهية تراثها والفئات الناطقة بها.

المدخل الفكري التاريخي ، خصصناه للتعريف العام بعموم الشعب العراقي وهويته الثقافية واللغوية وماهية تنوعه الجغرافي - السكاني. وأضفنا ملحقاتاً لأعطاء فكرة شاملة عن وضع اللغات في العالم ، ليكون القارئ على اطلاع كاف بوضع اللغات وماهيتها مما يؤهله أن يتفهم وضعية اللغات العراقية. ثم قمنا بتخصيص ملفين للتعريف باللغات العراقية القديمة السابقة للمرحلة العربية الاسلامية ، ونعني بها اللغتين السومرية والاكادية ، ثم اللغة الآرامية - السريانية. فهذه اللغات وآدابها تعتبر الاساس اللغوي والثقافي للغة العربية وحضارتها. ثم ان هذه اللغات القديمة لازالت حية روحاً ومفردات سواء في العربية أم في اللهجة العراقية. أما الملفات الباقية ، فقد جهدنا لتقديم كل ما يمكن من معلومات عن كل لغة عراقية ، خصوصيتها اللغوية والكتابية وتاريخها والناس الناطقين بها وميراثها الادبي.

تدريس اللغات والثقافات المحلية في الجامعات والمدارس

من أكثر الامور التي فوجئنا بها أثناء إعدادنا لهذه الموسوعة ، هذا التجاهل الكبير الذي تعاني منه اللغات العراقية القديمة والحالية (عدى العربية) من قبل المؤسسات الجامعية العراقية! من المعروف انه تقريباً في جميع الجامعات الكبرى في العالم وخصوصاً في الغرب ، هنالك قسم خاص لتدريس اللغات العراقية القديمة - السومرية والاكادية ، إلا في العراق ، فهذا المجال للأسف محدود جداً؟! حسب علمنا إنه من بين العدد الكبير من الجامعات العراقية ، هنالك فقط جامعتي بغداد والموصل اللتان تدرسان هذه المادة.

أما بالنسبة للغات العراقية (غير العربية) وثقافتها المحلية فهي شبه مغيبة الى حد كبير. يلاحظ إنه في جميع الجامعات العراقية هنالك أقسام لتدريس الانكليزية عادة ، وأحياناً الفرنسية والالمانية والروسية ، لكن ثمة غياب تام لأي قسم خاص بدراسة وتدريس اللغات العراقية وآدابها وميراثاتها: الكردية (السورانية والبهدنانية والخانقينية) ، والتركمانية ، والسريانية ، والفيلية ، والصابئية ، والشبكية. ربما هناك قسم لتدريس السريانية أو العبرية ، أما اللغات الكردية فهي لا تدرّس إلا في المناطق الكردية!

بل الاكثر غرابة ، انه حتى التاريخ العراقي (القديم والحديث) ، شبه مغيب من التدريس في مناهج التاريخ الجامعية ، ففي قسم التاريخ في جامعة الموصل مثلاً ، يتم تدريس تاريخ اليمن ، نعم تاريخ اليمن قبل تاريخ العراق!؟؟؟!

كذلك يلاحظ ان الوسط الجامعي العراقي لا يزال بغالبيته يحمل موقفاً (عروبياً) إزاء (اللهجة العراقية والثقافة الشعبية) ، وينظر اليها باحتقار ويعتبرها عدواً لدوداً للغة العربية الفصحى. علماً بأنه حتى (مجمع اللغة العربية في القاهرة) له لجنة متخصصة بدراسة اللهجات العربية. إننا أبدأ لسنا مع إحلال اللهجة العراقية محل لغتنا العربية ، بل ندعو فقط الى دراسة (وليس تدريس) اللهجة باعتبارها مجالاً معرفياً مهماً وحيماً وموجوداً في حياتنا اليومية. بل ان اللهجة متداولة حتى في المجال الابداعي مثل الغناء والشعر الشعبي والمسرح ، بل حتى الاساتذة أنفسهم يلقون محاضراتهم بهذه اللهجة ، فلماذا إذن لا تستحق البحث والدراسة؟!

أقل ما يقال عن هذا الوضع ، إنه محزن بالنسبة لوطن يعتز بكرامته وثقافته ، وبحاجة ماسة الى تعزيز هويته الوطنية ووحدة شعبه.

تغيير اسم الوطن لا يعني الغاء كيانه وتاريخه !

إننا نسمح لأنفسنا باستخدام تسمية (عراق وعراقي) في الحقبة القديمة السابقة للأسلام ، رغم عدم شيوعها في تلك الحقبة. وهذا أمر مقبول عند الحديث عن التواريخ القديمة للبلدان حتى لو كانت أسمائها متأخرة. فهذا هو أسم (مصر والمصريين) شائع أستخدامه في الحديث عن تاريخ مصر القديم ، رغم إن أسم (مصر) ليس أقدم تاريخاً من أسم (العراق) ، إذ شاع استخدامه قبل الاسلام ببضعة قرون. وينطبق نفس الأمر على تسميتي إيران - فارس.

الملف الاولي

لغات العراق والعالم

◆ مدخل فكري تاريخي : الهوية العراقية وخصوصياتها الثقافية - اللغوية

- الهوية العراقية وتأثيرت الموضع والموقع
- الهوية العراقية ود يومتها الثقافية - اللغوية
- الهوية العراقية وثنائية دجلة والفرات

• الهوية العراقية والانقسام اللغوي- القومي

❖ ملحق معلوماتي: الوضع اللغوي في العالم

مدخل فكري تاريخي

الهوية العراقية

وخصوصياتها الثقافية - اللغوية

ان هوية أي شعب وخصوصياته الثقافية وميوله النفسية هي نتاج تراكم تاريخ طويل من التجارب الحياتية والميراثات والمؤثرات الخفية والعلنية. ان معظم أوطان العالم الحالي، وخصوصاً تلك التي تمتلك ميراثاً تاريخياً طويلاً، تتمتع بشروط طبيعية جغرافية لعبت دوراً حاسماً وثابتاً في تكوينها وديمومتها.

ان الخصوصية البيئية (الجغرافية) تؤثر على الانسان من كل النواحي، المعيشية والنفسية والعقلية والذوقية، وهذه بمجموعها تشكل (الثقافة). ان ساكني الجبال يختلفون حياتياً وثقافياً عن ساكني سواحل البحار، عن ساكني البوادي، عن ساكني الجزر، عن ساكني الاهوار. حتى أشكال الناس وألوان البشرة وحجم الجسم، تتأثر بنوعية البيئة. وهذا التنوع البيئي لا ينطبق فقط على صعيد البلد الواحد، بل كذلك على صعيد مناطق العالم. فمثلاً، هنالك (ثقافة البحر المتوسط) و(ثقافة أفريقيا السوداء) و(ثقافة أفريقيا الشمالية) و(ثقافة جنوب آسيا) و(ثقافة اوريا الشرقية) و(ثقافة اوريا الشمالية).. الخ.

أما في داخل الوطن الواحد فيمكن الحديث عن (ثقافات محلية) متنوعة تبعاً للتنوع البيئي الداخلي، رغم ان هذه الثقافات المحلية تجتمع بقواسم مشتركة عديدة تجعلها تستحق تسمية (ثقافة وطنية). فمثلاً ان الثقافة المحلية الكردية العراقية رغم خصوصيتها الجبلية، إلا أنه بسبب التجاور الجغرافي والاختلاط السكاني طيلة التاريخ مع سكان سهول النهرين، خلق تقاربات وتداخلات ثقافية مع باقي العراق. مهما اختلفت البيئات المحلية العراقية إلا أنها تجتمع في بيئة عراقية كبرى، هي بيئة (وادي النهرين)، التي حتمت تمازجاً وتداخلاً سكانياً وثقافياً طيلة آلاف السنين.

إننا ندرك بأن البيئة تؤثر حتى على أسلوب النطق وتخلق لهجات متميزة حتى في داخل اللغة الواحدة. مثلاً يمكن الافتراض ان طريقة نطق العراقيين وكيفية لفظ مخارج الحروف وارتفاع الصوت وانخفاضه حسب الكلمة ومعناها، لا يختلف عن أسلافهم منذ آلاف السنين رغم اختلاف اللغات..

إن مفهوم (الثقافة) في هذا البحث، يشمل كل النتاجات المادية (طرق العيش والسكن والحرفيات، وغيرها) وكذلك النتاجات المعنوية (الاديان والمعتقدات واللغات وباقي النتاجات الفنية والادبية وغيرها..). أملين أن يلقي هذا البحث ضوءاً كاشفاً على هذا التنوع الثقافي المحلي العراقي تبعاً للتنوع الجغرافي.

من أجل التناول الواضح للخصوصيات الثقافية للهوية العراقية، فإننا قسّمناها الى الموضوعات التالية :

- الهوية العراقية وتأثيرات الموضع والموقع
- الهوية العراقية وديمومتها الثقافية - اللغوية
- الهوية العراقية وثنائية دجلة والفرات
- الهوية العراقية والانقسام اللغوي - القومي

* * *

الهوية العراقية وتأثيرات الموضع والموقع

إن غالبية أوطان العالم، وخصوصاً ذات الجذور الممتدة في أعماق التاريخ، هي نتاج تأثير عاملين جغرافيين طبيعيين، داخلي وخارجي، أي ما يسمى بـ (الموضع) و (الموقع). المقصود بـ (الموضع) هو المكونات الجغرافية والبيئية داخل الوطن. والمقصود بـ (الموقع)، فهو المكونات الجغرافية والبيئية المحيطة بالوطن. بالنسبة للعراق (بلاد النهرين)، فيمكن شرح العاملين المذكورين كالتالي:

أولاً، الجغرافية الداخلية (الموضع)

من المعروف ان وجود نهري دجلة والفرات في العراق، كما النيل بالنسبة لمصر، قد لعب دوراً حاسماً في تكوين أولى الحضارات البشرية في التاريخ.

ان الطبيعة الجغرافية والمناخية للعراق ظلت العامل الاول والاكبر ليس في تاريخه بل حتى بتكوينه كوطن وبشر. كما يقال عن مصر إنها (هبة النيل) فإن العراق (هبة النهرين) فلولا دجلة والفرات لما وجد وطن اسمه العراق. بل كان من المؤكد أن يصبح جزءاً تابعاً الى أحد الاوطان المجاورة.

ان تنوع الطبيعة في داخل البلد الواحد يمكن ان تلعب دوراً بتنوع المجتمع الواحد. مثلاً ان الجماعات التركمانية منذ الفتح الاسلامي بدأت تستوطن في العراق وفي البصرة وبغداد وسامراء، لكنها ذابت في السكان ولم يبق لها أي أثر إلا في مناطق شمال العراق إذ تمكنا فيها من الحفاظ على تمايزهم بسبب طبيعة المنطقة شبه الجبلية المشابه لمناطقهم التركمانية الأصلية. لكن حفاظهم على لغتهم واسمهم لم يمنع من حملهم الكثير الكثير من الخصوصيات العراقية التي تجمعهم مع باقي العراقيين.

ليس بالصدفة ان العراق في كل العصور وحتى في ظل سيطرة الدول الاجنبية ظل دائماً كما هو حالياً، ممتد من شمال نينوى حتى مصب النهرين في الخليج، مع تقلبات طفيفة بالحدود مثل جميع بلدان الارض. كل الحضارات التي قامت في العراق والجيوش التي غزته والاقوام التي استقرت فيه، كلها كانت بسبب النهرين. بالاضافة لعطائهما وخلقهما الخصب والحياة المعطاء، فأنهما كانا أيضاً سبباً للدمار وخراب الحضارات وسقوط الدول وتبدل السلالات والثقافات.

ان وجود (دولة موحدة) هو الأمر الأكبر الذي انتجه هذين النهرين. من أجل أن يستوطن الناس ويحافظوا على حياتهم وديمومة إنتاج غذائهم وثروتهم، توجب عليهم قبل كل شيء تنظيم المصدر الأول لحياتهم ولإقتصادهم، أي النهرين العملاقين. مشكلة هذين النهرين إنَّ تقلباتهما الحادة وفيضاناتهما الغدّارة جعلت من الصعوبة التحكم بهما من منطقة محددة، بل يتوجب الأمر إدارة منظمة وحازمة للتحكم بالنهرين من الشمال حتى الجنوب. هذه الإدارة طبعاً هي الدولة الموحدة الواحدة. لهذا فإنه حتى الدول الأجنبية، مثل الفرس والاغريق والأتراك، عندما تحتل العراق فإنها تفعل المستحيل لأن تحتله كله أو تتنازل عنه كله، لأن التحكم بالنهرين كان يحتم ذلك. لهذا ان تاريخ العراق خلال أكثر من سبعة آلاف عام، أي منذ فجر الحضارة وحتى الآن، يشهد على الحقيقة التالية:

ان العراق من نينوى حتى خليج البصرة ظل دائماً (نعم دائماً) موحداً حضارياً وسياسياً واجتماعياً، حتى في ظل الإحتلالات الأجنبية. طيلة تاريخه المعروف ظلَّ العراق موحداً أرضاً وبشراً من الناحيتين الحضارية والسياسية. ان هذه الوحدة السياسية الحضارية لم تكن نتيجة ارادة معينة، قدر ما هي نتيجة الشروط التوحيدية التي فرضتها ظروف الموقع. النهران الخالدان قد حتمَّتا وحدة بشرية وحضارية بحكم امتزاج الناس بالمعيشة حول النهرين. لقد ظل العراق الحالي من نينوى حتى الخليج دائماً أما خاضعاً لدولة وطنية واحدة، أو لدولة أجنبية واحدة. وظل شعبه أيضاً موحداً من الناحية اللغوية والثقافية والدينية، نقول الاغلبية الساحقة من شعبه. حتى السلالات الأجنبية كانت تتبنى الحضارة العراقية. ليس هنالك شعوب عراقية بل شعب واحد بسلاسل مختلفة.

ان أي ضعف أو انقسام في الدولة يعني ضعف وخراب نظام الري وموت الزراعة وتهديد الفيضانات ومعها الطواغين وقبائل الرعاة والبدو. ان الدولة العراقية ظلت دائماً بإدارة مركزية موحدة تسيطر على شريان الحياة بسبب سيطرتها على النهرين وما يتبعهما من ثروات، حتى صار الملك مقدساً يستمد شرّاعه من الرب كما تصوره شريعة حمورابي وكذلك الخلافة العباسية.

ثانياً، الجغرافية المحيطة (الموقع)

ان الموقع الجغرافي للعراق كوادي خصيب ومفتوح الحدود في وسط قوى حضارية متنوعة وحتى متصارعة تعيش في هضاب شاسعة وسلاسل جبلية ظلت تدفع بالهجرات والغزاة على مر التاريخ وتؤثر بشكل حاسم في التكوين السكاني والثقافي للعراقيين وتؤثر على تكوين الدولة العراقية ووجودها وممارستها.

ان خصوصية العراق جعلته منذ فجر التاريخ موطن استقبال الهجرات والاجتياحات الخارجية التي سرعان ما تذوب به وتمتزج بسكانه وتتبنى حضارته وتغنيها. من ناحية هنالك النهران الكبيران (دجلة والفرات) اللذان يشقان البلاد من الشمال حتى الجنوب مانحاه الخصب والحياة، ومن ناحية ثانية ان هذا الوادي الخصيب محاط من كل النواحي بأعظم الهضاب الجبلية والبوادي شبه الصحراوية التي ظلت طيلة التاريخ تبعث بالقبائل الرحل الجائعة وجيوشها الغازية. من الشمال جبال طوروس وبلاد أرمينيا والقفقاس وهضبة الاناضول، من الشرق جبال زاغاروس وهضبة ايران الممتدة حتى هضاب افغانستان وتركستان. من الغرب بادية الشام حتى ضفاف البحر المتوسط ومن الجنوب صحراء نجد وسواحل الخليج. عبر هضاب وجبال الشمال والشرق ظلت تنحدر الجماعات الآسيوية (القفقاسية والاناضولية والايرانية والكردية والتركستانية) ومن بوادي وصحاري الغرب والجنوب ظلت تأتي الجماعات السامية - العربية. طيلة ستة آلاف عام لم

تتوقف الموجات الآسيوية والسامية عن القدوم الى بلاد النهرين ، سلماً وحرباً. كل موجة تأتي جالبة معها الجوع والحرب لتساهم مع (العامل الداخلي - الموضع) الطوفانات والطواعين بالقضاء على ما تبقى من حضارة محتضرة. بعد أن يستقر هؤلاء الغزاة الرحل على ضفاف النهرين ويمتزون بالسكان ويكتسبون تدريجياً المدنية ، يشرعون بالمساهمة ببناء حضارة جديدة تكمل ما بدأته الحضارة السابقة. بعد قرن أو قرون من الشموخ والازدهار يبدأ الذبول والاحتضار يعم بالتدريج حتى تحل النهاية على يد موجة جديدة من القبائل الآسيوية والسامية التي تشرع كالجراد بنهش القرى والمدن وقطع الطرق بانتظار الطوفان والطاعون للانقضاض على ما تبقى من الدولة. هكذا هو تاريخ العراق طيلة سبعة آلاف عام ، دورة أزلية من البناء والهدم!

ان هذا الموقع الإستثنائي الذي جعل من العراق أشبه بواحة مفتوحة وسط بوادي وهضاب تعج بمختلف الشعوب المتنافسة ، جعله منذ فجر التاريخ موطن استقبال الهجرات والاجتياحات الخارجية التي سرعان ماتذوب فيه وتمتزج بسكانه وتبنى حضارته وتغنيها. لهذا صَحَّتْ عن العراق تماماً تلك المقولة التي وصفته بـ ((مقبرة البدو)) ليس بمعنى موتهم البدني ، بل موتهم الإجتماعي الثقافي إذ ما أن يبلغوا العراق حتى يتحول هؤلاء الرعاة الرحل الى أناس مستقرين أما كمزارعين أو كمدنيين. وقد عبرت (أسطورة كلكامش) عن هذه الحالة بصورة بارعة من خلال شخصية (انكيديو) المتوحش والذي يرمز الى الشعوب البدوية التي ينجذب بمفانن الحضارة (البغي!) ويتذوق الجعة (البيرة) والخبز فيتخلى عن وحشيته وحريته ويصبح صديقاً وتابِعاً لـ (كلكامش) ذلك الطاغية العراقي المتحضر الذي نصفه اله ونصف انسان. مع الزمن ينزلق انكيديو الطيب البريء في متاهات الحضارة وأسئلتها الدينية العصبية ومغامراتها الأخلاقية المهلكة حتى ينتهي الأمر بمقتله وندبه من قبل صديقه الوفي كلكامش. وهناك العديد من الاساطير العراقية والمشرقية التي تعبر عن الألم والحنين لذكريات الأسلاف البدو الذين قتلتهم الحضارة ، مثل اسطورة تموز وقايل وهاويل وغيرها. بل حتى السنين القريبة كنا نسمع في المجتمع العراقي تتردد مثل هذه الحكايات التي تتأسف على فقدان شيم البدوة وقِيمُهَا الفروسية النبيلة التي قتلتها الحضارة المغرية الغدارة!

لكي لا يفهم من كلامنا نوعاً من التأكيد لنظرية علي الوردي الشهيرة عن صراع البدوة والحضارة في الشخصية العراقية ، فإننا نشير الى اختلافنا الكبير عنه بأهم نقطة : إنه يفهم البدوة بمعنى العرب والساميين أي قبائل بادية الشام والجزيرة العربية من الجنوب والغرب ، بينما هو يتجاهل تماماً البدوة الآسيوية من الشرق والشمال التي اثرت بمقدار متساوي على المجتمع العراقي ثقافياً وعرقياً وسياسياً. ثم الاسوء من هذا إنه خَلَطَ بين ما هو (ريفي) و(بشري طبيعي) وما هو (بدوي) ، فأعتبر كل الصفات السلبية الموجودة عادة لدى كل الشعوب ، مثل التعصب والعنف والسلب ، كصفات (بدوية سلبية) خاصة بالعراقيين وحدهم!

ان أي دارس لخريطة العراق الحدودية ولتاريخه الطويل يلاحظ ان العراق لم يكن فقط عرضة مؤثرات البداوة القادمة من الحدود الغربية (بادية الشام والجزيرة العربية)، هنالك أيضاً مقابلها المؤثرات القادمة من الحدود الشرقية أولاً ثم الشمالية، ثم الجنوبية بدرجة أقل. ان الحدود الشرقية قد لعبت دوراً قد يفوق بتأثيره دور البداوة الغربية، خصوصاً من النواحي السياسية والعسكرية وكذلك الأقوامية. على طول الحدود الشرقية تمتد سلسلة جبال زاغاروس المرتبطة بالهضبة الإيرانية المتصلة بجبال وهضاب افغانستان وآسيا الوسطى التركستانية حتى حدود الصين والهند.

من هذه الجبال (زاغاروس) ظلت الجماعات (أسلاف الاكراد) تهبط الى سهول العراق وتشارك بتكوينه الأقوامي والحضاري منذ فجر التاريخ وحتى الوقت الحاضر. يكفي التذكير بـ (الغوتيين / 2211 - 2120 ق.م) ثم (الكيشيون / 1595 - 1157 ق.م) الذين شكّلوا سلالة بابلية لأربعة قرون ثم ذابوا وأصبحوا جزءاً من سكان العراق. أما في العصر العباسي فإن الاكراد شاركوا بصورة فعالة في تكوين الجيوش العباسية وتكوين الامارات (الاتابكية) وحتى تقديم القادة المعروفين مثل (صلاح الدين الايوبي). أما في العصور الاخيرة فيمكن ملاحظة وجود الكثير من العراقيين الذين يعودون الى أصول كردية مستعربة في النخب العراقية المثقفة والعسكرية والحكومية، منذ تكوين الدولة العراقية عام 1921 وحتى الآن.

ومن الحدود الشرقية أيضاً ظلت الاقوام الإيرانية تمارس تأثيراً كبيراً على العراق، خصوصاً من الناحية السياسية العسكرية. ان أي نظرة سريعة لتاريخ العراق تكشف عن الحقب الطويلة التي ظل فيها العراق محتلاً من قبل الدول الإيرانية، ابتداءً بالميديين ثم الفرث ثم الاخمينيين ثم الساسانيين، حيث يتجاوز مجموع فترات الاحتلال هذه الالف عام. وفي العصر العباسي بدأ الإيرانيون يمارسون تأثيرات عسكرية سياسية مثل البويهيون وغيرهم. وفي الفترة العثمانية استمر الإيرانيون الصفويون وبعدهم القاجاريون، حتى العصر الحالي حيث تأثيرات نظام الشاه ثم النظام الاسلامي الحالي.

من هذه الجهات الشرقية ظلت تأثيرات الاقوام التركستانية القادمة من آسيا الوسطى بالاضافة الى الهجرات التجارية والفردية من السند والهند. فبعد ثلاثة قرون فقط من تكوين الدولة العباسية بدأت الجماعات التركستانية والآسيوية تمارس نفوذها السياسي والعسكري والاجتماعي على العراق : اترك، سلاجقة، ثم مغول ثم تركمان، حتى السيطرة العثمانية التي رغم وجودها في الاناضول إلا أنها تعود بأصولها أيضاً الى آسيا الوسطى.

أما من الشمال فإن حدود العراق تمس منطقة القفقاس حيث منبع دجلة والفرات وهي الآن بلاد أرمينيا وأذربيجان وجورجيا والشيشان وداغستان، بالاضافة الى جنوب تركيا المقطون الآن بغالبية كردية، بعد المذابح والتهجير الذي حصل ضد الغالبية السابقة، الارمن والسريان، قبل وأثناء الحرب العالمية الاولى. ان منطقة القفقاس هذه وبفسيفساء شعوبها مارست طيلة تاريخ العراق تأثيراً إثنياً سكانياً من خلال الهجرات المسالمة والانحدار مع مجاري دجلة والفرات حتى الوادي الخصيب.

ان هذا الموقع الوسطي الحساس لـ (وادي النهرين) وسط هضاب وسلاسل جبال شاسعة وشبه قاحلة جعلته محطة لجذب الشعوب والجماعات الباحثة عن الخصب، سلماً وحرباً. يبدو ان كل تاريخ الحضارات في العالم عاش الدورة

التالية: جماعات بدائية محاربة تهدم الحضارة، ثم بعد الاستقرار تبني حضارة جديدة مستفيداً من الحضارة السابقة، ثم بعد فترة تأتي جماعات بدائية جديدة تقضي عليها وتكرر ما قامت به الجماعات السابقة..
ان العراق عاش هذه الدورة بصورة متكررة ومكثفة الى درجة قصوى ومتطرفة بحيث يمكن الجزم بكل علمية وثقة بأن تاريخ العراق يكاد أن يكون الوحيد في العالم الذي احتوى على هذه العدد من الفترات والتناجات والعواصم الحضارية: سومر وبابل ونيوى، نتاج حضاري كثيف و متميز خلال ما يقرب من ثلاثة آلاف عام، ثم بعد شبه انقطاع حضاري دام أكثر من ألف عام، انفجرت نهضة حضارية جديدة مركزها العاصمة (بغداد) دامت ما يقرب الستة قرون.
* * *

الهوية العراقية وديمومتها الثقافية - اللغوية



ان الهوية العراقية تتمتع بخاصيتي الهوية الأساسيتين:
(الوحدة المكانية - الجغرافية) و (الديمومة الزمانية - التاريخية).
هاتان الخاصيتان يمكن التأكد منهما من خلال مراجعة تاريخ العراق. فلو تخطينا المرحلة السابقة للحضارة، فإنه من المتفق عليه ان العراق يعد من أول الأوطان الحضارية في التاريخ، مع مصر. منذ الالف الرابع قبل الميلاد بدأ يقدم للحضارة الانسانية أولى النصوص الكتابية والدول والقوانين والأساطير والمكتشفات الفلكية والرياضية وغيرها الكثير. ان الديمومة (الحضارية - اللغوية - الدينية) لدى العراقيين متأتية من طبيعة أرض النهرين وقدرتها على هضم الاقوام الجديدة واستيعاب ثقافتها المختلفة وصهرها في روح ومياه النهرين الخالدين وحضارتها الأصيلة.
جميع أوطان الارض مرّت بحالة تغيير لغتها الى لغة أخرى. ويعتمد هذا أيضاً على عمق تاريخ هذه الاوطان. فاللغة الفرنسية الحالية تختلف تماماً كلاماً وكتابة عن فرنسية القرن العاشر الميلادي، وتختلف أيضاً عن اللغة (الغالية) التي كانت سائدة زمن الرومان. نفس الامر ينطبق على ايطاليا، حيث انتقلت من اللغة الاتروسكية الى اللاتينية ثم أخيراً الى

الاطيالية. كذلك مصر انتقلت من مصرية السلالات الاولى الى مصرية السلالات الاخيرة، الى المصرية القبطية، ثم أخيراً الى العربية. طبعاً إن تغيير هذه اللغات لا يشترط أبداً تغيير الشعوب نفسها. لأن انقراض لغة يمكن أن يتم مع بقاء الشعب نفسه الناطق بها، لكن يتخلى عنها لأسباب سياسية وحضارية تجبره على تبني لغة جديدة فرضت عليه عموماً من خلال جماعة مهيمنة على الدولة والمجتمع.

بما ان العراق يعد من أقدم الاوطان التي ظهرت فيها الحضارة والكتابة، فإنه من الطبيعي أن يكون قد تعرّض الى تغيير لغته الرسمية مرات عديدة:

- 1- اللغة السومرية مع الخط المسماري، للفترة من 3000 ق.م الى 2000 ق.م
- 2- اللغة الاكدية (بلهجتها البابلية والآشورية) مع الخط المسماري، للفترة من 2000 ق.م الى القرون الاخيرة ق.م
- 3- اللغة الآرامية (السريانية) مع الخط الابجدي السرياني، للفترة من قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي.
- 4- اللغة العربية مع الخط الابجدي العربي، للفترة من القرن السابع الميلادي حتى الآن..

المراحل التاريخية الخمس

يمكن تقسيم تاريخ العراق وتاريخ لغاته، الى المراحل الخمسة التالية :

- 1- مرحلة العراق القديم (الكتابة المسمارية واللغتين السومرية والأكدية): (3000 ق.م - 539 ق.م):
إنها تستحق تسميتها بالمرحلة (المسمارية) بدلاً من التسميات التقسيمية العديدة (سومرية، أكديّة، بابلية، آشورية، كلدانية) التي لم يتفق عليها المؤرخون حتى الآن. ان الكتابة المسمارية الصورية هي الخاصية الجامعة لتاريخ العراق القديم حتى سقوط بابل في القرن السادس قبل الميلاد وانتشار اللغة الآرامية سليلة الاكدية السابقة مع انتشار الكتابة الابجدية الفينيقية (الحروفية) بدل المسمارية (الصورية). دامت هذه المرحلة المسمارية ما يقرب الثلاثة آلاف عام، حيث بدأت بإنشاق الحضارة السومرية في الجنوب في الالف الرابع قبل الميلاد وانتهت في القرن السادس ق.م بسقوط العاصمة (بابل) على يد الفرث (الاييرانيين) ومعها آخر دولة وطنية عراقية في العصر القديم.

اتخذت هذه الحضارة الاولى شكلها السياسي والثقافي المتكامل مع قيام الملك (سرجون الاكدي) الذي مثل بداية سيادة اللغة السامية الاكدية وتوحيد الدويلات العراقية وتكوين أول دولة موحدة (2350 ق.م) على أرض النهرين. مدينة بابل في وسط العراق لعبت دوراً أساسياً كعاصمة حضارية كبرى لفترة الفي عام تعاقبت عليها الكثير من السلالات والدول. كذلك مدينة نينوى في الشمال التي قادتها السلالة الآشورية وقدمت الملك الشهير(آشور بانيبال)، ولعبت نينوى دوراً حضارياً وسياسياً مكملاً ومنافساً لبابل. تخللت هذه الثلاثة آلاف عام الكثير من الحروب والمتغيرات السياسية وظلت كالعادة الجماعات الآسيوية والسامية دائمة الهجرة الى النهرين سلماً وحرماً: من الشرق حيث جبال زاغاروس ظل أسلاف الاكراد يهبطون، أولهم الغوتيون الذين اجتاحوا سومر، ثم الكاشيون الذين سيطروا على بابل لسته قرون وتبنوا حضارتها ولغتها. ومن الشمال الأرمني القفقاسي المنحدر الحوريون والحيشيون والاوراريتيون.

أما من الغرب حيث هضبة الشام الممتدة حتى البحر المتوسط انحدرت الكثير من القبائل السامية السورية مثل العموريون الذين كونوا بابل وقدموا الملك الشهير (حمورابي) ثم الآراميون الذين كونوا السلالة الكلدانية وملكها الشهير (نبوخذ نصر).

رغم هذه المتغيرات السياسية واجتياحات القبائل الرعوية (الآشورية الجبلية والسامية البدوية) المختلفة إلا أن الوحدة اللغوية والدينية للعراقيين ظلت سائدة طيلة هذه القرون العديدة. لقد سادت اللغة الأكديّة وهي من أول وأقدم اللغات السامية المعروفة. لقد اتخذت هذه اللغة تكوينها الثقافي والكتابي من خلال استيعابها اللغة السومرية بما فيها من ثقافة ومعتقدات دينية والخط المسماري السومري. أصبحت الأكديّة (بلهجتها البابلية والآشورية) لغة العراقيين الرسمية لما يزيد على الألفي عام، وخلفت لنا الآلاف المؤلفة من النصوص والوثائق الطينية التي سمحت لنا من معرفة كل شيء عن حياة العراقيين. وكما يعبر عن ذلك المؤرخ والعالم الفرنسي المعروف (جان بوتيرو)، اننا نعرف عن حياة العراقيين في تلك الفترة أكثر من معرفتنا عن حياة الاوربيين خلال العصور الوسطى!! وهذا دليل على مدى تعلق العراقيين بالكتابة والكتاب، وهي خاصية أبدية يحملها العراقي حتى في فترات الكوارث والتشرد. بالإضافة الى اللغة الموحدة فإن هذه المرحلة تميزت أيضاً بالدين الموحد السائد في الشمال والجنوب طيلة عشرات القرون. وهذا الدين العراقي قائم على أساس (عبادة الكواكب) وما تتضمنه من معتقدات وأساطير والهة متعددة ممثلة للكواكب ومسؤولة عن حياة الانسان والطبيعة. وهذا الدين العراقي شكّل أساس (نظام الأبراج وعلم التنجيم).

هنالك صورة خاطئة فرضها المؤرخون التوراتيون على التاريخ العراقي (وكذلك التاريخ الشامي) توهم بوجود شعوب عديدة متلاحقة: أكديّة وآشورية وكلدانية.. بينما الحقيقة إنها لم تكن شعوب قدر ما كانت سلالات. هل يصح الحديث عن الشعب (الأموي والعباسي) نعم ان الأكديين والآشوريين والكلدان سلالات، أما انها حملت أسماء عشائر مثل (الأكديين والكلدان)، أو حملت تسمية طائفية مثل السلالة الآشورية تيمناً بالاله (آشور- عاشور) اله الحرب والفحولة والقوة، وهو مذكر عشتار الهة الإنوثة.

أما بالنسبة للسومريين فإن وجودهم لم يكن فقط في جنوب العراق كما يتصور الكثيرون. انهم في الجنوب من الناحية السياسية لأنهم تمكنوا هناك من بناء دويلاتهم. لكن كانوا سكانياً وحضارياً في كل أنحاء العراق، حيث أثبتت الحفريات ذلك. ونحن نميل الى الفرضية التي تعتقد ان السومريون ليسوا شعباً مستقلاً عن الساميين، وان اللغة السومرية لم تكن لغة شعب بل لغة مصطنعة مقدسة خاصة بطبقة الكهنوت. ومن المعروف ان الكثير من الطوائف الدينية المغلقة يصطنع رجال الكهنوت لغة خاصة بهم من أجل الحفاظ على أسرار الديانة. ان الذي يؤكد بأن السومرية لغة دينية مصطنعة وليست لغة شعب متميز، بأنها بقيت طيلة ألفي عام بعد نهاية ما يسمى بالحكم السومري، لغة مقدسة في بابل ونيوى رغم سيادة اللغة الأكديّة كلغة رسمية وشعبية.

ان اللغة الأكديّة والكتابة المسمارية لم تكن سائدة بين العراقيين وحدهم، بل هي الوسيلة الرسمية للتعبير والاتصال بين جميع شعوب الشرق الاوسط، مثلما هي الانكليزية الآن على الصعيد العالمي. وبالذات الكتابة المسمارية كانت الكتابة الوحيدة التي تبنتها جميع لغات المنطقة.

يقيناً قد كانت هنالك لغات أخرى في العراق بجانب اللغة (الأكادية) الرسمية السائدة. لكن ليس لدينا أية اشارات أو آثار تبين ماهية هذه اللغات. بالنسبة للكاشيين القادمين من جبال زاغاروس (أسلاف الاكراد) والذين أسسوا سلالة بابلية لخمسة قرون (1595-1157 ق.م)، لم يتركوا لنا أي أثر يبين لغتهم، فهم تبنا اللغة والحضارة والديانة البابلية، ولم نميزهم إلا من خلال أسماء ملوكهم.

2- المرحلة الآرامية - المسيحية (الكتابة الابجدية واللغة الآرامية - السريانية) :

بعد سقوط بابل عام (539 ق.م) انتهت آخر الدول العراقية الوطنية وأصبح النهرين ساحة صراع القوى العظمى : الايرانيون والاغريق والرومان، حتى تمكن أخيراً الفرس الساسانيون من فرض سيطرتهم إبتداءً من القرن الثالث حتى القرن السابع حيث الفتح العربي الاسلامي. طيلة أكثر من (11) قرن ظل العراق محكوماً من دول تختلف عنه دينياً ولغوياً، ورغم محاولات الايرانيون خلال قرون السيطرة من فرض لغتهم الفارسية وديانتهم الزرادشتية إلا أن العراقيين ظلوا على ديانتهم البابلية ولغتهم الآرامية. منذ فترة ما قبل الميلاد تمكنت اللغة الآرامية أن تصبح لغة العراقيين السائدة وكذلك لغة سوريا، والآرامية هذه بالحقيقة هي لغة سامية تكونت من التقاء اللغتين الاكادية العراقية والكنعانية السورية (سوريا التاريخية تعني حالياً لبنان وفلسطين والاردن وسوريا). ويكمن السبب الحقيقي لتبني اللغة الآرامية في أنحاء العراق وبلدان الشام، انها منذ البداية تبنت (نظام الابجدية) بدلاً من نظام الكتابة المسمارية السابق. وكما نعلم ان نظام الابجدية، يعتبر قفزة عظمى في التطور الثقافي الانساني، لأنه سهل كثيراً من عملية الكتابة حسب نطق الحروف بدلاً من الرموز الثابتة الذي لا زالت بقاياها في النظام الصيني. علماً أن (الابجدية) تعتبر اختراعاً سورياً حيث نشأ على سواحل الشام بتطوير النظامين العراقي المسماري والهيروغليفي المصري. وقد نشر الفينيقيون (اللبنانيون) هذا النظام في أنحاء البحر المتوسط، وهو أساس كل الابجديات في العالم أجمع.

بعد القرن الاول الميلادي بدأت المسيحية السورية الفلسطينية تنتشر في شمال النهرين وباقي العراق حتى أصبحت في القرن الثالث الميلادي ديانة الاغلبية الساحقة من السكان، وانتشرت الكنائس والاديرة النسطورية من نينوى حتى الاحواز والبحرين وقطرايا (امارة قطر الحالية).

هكذا إذن، ان هذه اللغة الآرامية المدعومة بنظام الابجدية وبالكنيسة المسيحية، سرعان ما انتشرت بين العراقيين بصيغتها (السريانية) حيث أصبحت اللغة الفصحى لجميع الكنائس المنتشرة على ضفاف النهرين، وحتى في البوادي مثل (عين تمر) وفي البلدات الجبلية في دهوك وأربيل.

وكانت هذه اللغة والثقافة السريانية العراقية من القوة، بحيث ان الدولة الساسانية الفارسية الحاكمة قد اضطرت أن تجعلها لغة الثقافة الاولى في جميع أنحاء الامبراطورية، وتحولت اللغة البهلوية الى لغة ادراية محصورة بالبلاط الملكي وبعض أجهزة الدولة.

علماً بأن هذه اللغة الآرامية (السريانية)، بعد أن انتقل تراثها الثقافي الجبار الى اللغة العربية، لا زالت أيضاً موجودة في الكنائس المسيحية في العراق والشام، وكذلك تعتبر (المنداية - الصابئية) بالاصل لهجة آرامية.

3- المرحلة العربية - الاسلامية (الكتابة واللغة العربية) :

في أواسط القرن السابع خرجت الجيوش العربية الاسلامية من الجزيرة العربية وأسقطت الامبراطورية الفارسية التي كانت تهيمن على العراق وايران وأجزاء من افغانستان وآسيا التركستانية الوسطى. وتم كذلك طرد الدولة البيزنطية من سوريا ومصر ثم بلغت الجيوش الاسلامية شمال افريقيا وعبرت حتى اسبانيا. بالنسبة للعراق عندما دخلت الجيوش الاسلامية وجدت أمامها حوالي سبعة ملايين من السكان العراقيين بأغليبيتهم الساحقة من المسيحيين مع أقليات من الصابئة واليهود والمناوية، بالإضافة الى بعض المجوس من الاداريين والعسكريين الأيرانيين. وكانت لغة هؤلاء جميعهم هي اللغة السريانية العراقية، التي سبق وإن سادت في الامبراطورية الفارسية وأصبحت لغة الثقافة الاولى جاعلة من اللغة الفارسية البهلوية محصورة في البلاط ورجال الدين المجوس. لقد دخل الاسلام العراق على أنه منقذ للناس من السيطرة الايرانية والاضطهاد الذين مارسه رجال الدين المجوس ضد الكنيسة العراقية والذي راح ضحيته مئات الآلاف من المسيحيين العراقيين.

بعد أقل من قرن من الفتح وما إن سقطت الدولة الاموية في دمشق حتى فقد العنصر القبائلي العربي الفاتح تمايزه العنصري والسياسي بعد ذوبان الاغلبية الساحقة من هؤلاء الفاتحين في أبناء الشعوب الاصلية من خلال التزاوج والاستقرار. هكذا تمكن المصريون والبربر والسوريون والعراقيون والايروانيون والتركستان والهنود والاسبان، من تبني الاسلام والمشاركة الفعالة في صنع الحضارة الجديدة التي كان دينها هو الإسلام ولغتها هي العربية. بل حتى الجماعات التي لم تعتق الاسلام وبقيت على يهوديتها ومسيحياتها تمكنت من لعب أدواراً حضارية وإدارية وسياسية معروفة. العراقيون والسوريون كانوا أكثر الشعوب التي تبنت العربية واستعربت أسرع من غيرها بسبب التجاور الجغرافي مع عرب الجزيرة العربية والاتصالات السكانية والحضارية المتواصلة منذ فجر التاريخ وانتفاء الجميع الى عائلة اللغة السامية، والتقارب الكبير بين اللغتين السريانية والعربية. ان سهولة الاستعراب لدى العراقيين سمحت لهم منذ بداية الفتح أن يشاركوا بصورة فعالة في صنع الحضارة العربية الاسلامية، بل ان العراقيين هم من منح اللغة العربية نحوها وبلاغتها وتنقيطها وحركاتها من خلال ميراث لغتهم السريانية، وبرزت في هذا المجال مدرستي الكوفة والبصرة. ومنذ القرن الثامن الهجري وبعد ثورات وتمردات لا تحصى تمكن العراقيون من تكوين الدولة العباسية وجعل عاصمتها في بغداد وسط العراق قرب (بابل) عاصمتهم التاريخية التي لم ينسوها رغم خرابها قبل ألف عام وبقيت حية في حكاياتهم وأساطيرهم التي أدخلوها الى المسيحية ثم الى الإسلام. في بغداد قاد العراقيون أكبر وأطول نهضة حضارية عالمية مازجين كعادتهم ما ورثوه من أسلافهم مع ميراثات الشعوب الاخرى من اغريقية وفارسية وهندية وشامية ومصرية وغيرها، حتى أصبحت بغداد مثل سالفاتها بابل، عاصمة الارض التي تتفاعل فيها اللغات والاديان والافكار وتتزوج بها جميع الاجناس البيضاء والصفراء والسوداء من تجار وعبيد ومرترقة وطالبي علم ومغامرين حاملين.

4- المرحلة الآسيوية (الكتابة واللغة العربية والعثمانية):

لقد تجنبتنا استخدام التسمية السائدة (المرحلة المظلمة) لأنها تسمية حكمية وسياسية جداً خالية من الصفة الجوهرية التي تحملها هذه الحقبة، أي صفتها الثقافية اللغوية. فمن السائد عادة أن تطلق المسميات الاقوامية الحضارية على الحقب التاريخية (رومانية، يونانية، عربية، عثمانية، الخ)، فلم لا نطبق هذه القاعدة على هذه الحقبة من تاريخ العراق التي

دامت حوالي سبعة قرون (13م - 20م). لو تمنعنا جيداً بهذه القرون السبعة ، لوجدنا ان جميع السلالات التي تعاقبت على حكم العراق أثنائها (المغول ، التركمان ، الصفويين ، العثمانيين) جميعها (آسيوية) ، بل تكاد أن تكون جميعها (تركستانية) ، فالمغول هم من آسيا الوسطى ولغتهم محسوبة على العائلة (التركية - الألطية) ، كذلك الصفويين ، هم إيرانيين ولكنهم ليسوا (فرس) بل تركستان آذريون. وفي كل الاحوال فإن جميع هذه السلالات أصلها من آسيا (آسيا الوسطى ، وأيران ، وتركيا). لهذا فإن تسمية (المرحلة الآسيوية) تبدو أكثر موضوعية وتعبيرية.

كالعادة تكررت دورة التاريخ ، وبدأت الجماعات الرعوية الآسيوية والسامية (العربية) تمارس دورها التخريبي مستغلة الانحطاط السياسي والروحي الذي بدأ يتغلغل في أوصال الدولة والمجتمع. تمكن الآسيويون التركستان خصوصاً من لعب دور مميز لأنهم أكثر من باقي الشعوب ظلوا محافظين على طبيعتهم الرعوية المحاربة وسط سهول وهضاب آسيا الوسطى. يتوجب التنبيه الى أن هذه الجماعات التركستانية لم تلعب دوراً تخريبياً أول الأمر بل دوراً دفاعياً عن الدولة العباسية إزاء المخاطر الخارجية والداخلية. وقد ساهمت العناصر التركستانية بالنهضة الحضارية الاسلامية (العباسية) وبرزت أسماء كثيرة مثل الوزير المصلح الشهير (نظام الملك) بالإضافة الى أعلام تركستانية عديدة مثل (البخاري والفارابي والبيروني وابن سينا والسرخسي) وغيرهم الكثيرين. من المعروف ان العباسيين هم الذين جلبوا الجماعات التركستانية المحاربة واستعانوا بهم بعد ان فقد العنصر العربي روحه البدوية المحاربة وذاب كعادة من سبقه ، في رفاية حضارة النهرين. وحتى هذه الموجات التركستانية كانت تواجه بنفس المصير المحتم ، فما إن تستقر سرعان ما تفقد روحها البدوية الحربية وتذوب في تلافيف الحضارة العراقية ، لتفسح المجال لموجة آسيوية جديدة ، تركستانية أو كردية أو إيرانية ، حتى بلغ هذا الاجتياح الآسيوي ذروته بالموجة المغولية التي سيطرت على آسيا وأسقطت بغداد في القرن الثالث عشر على يد هولاكو. استمر الآسيويون يسيطرون على العراق حيث قام تيمورلنك مرة أخرى بتدمير بغداد في القرن الخامس عشر. واستمرت القبائل التركمانية بالسيطرة على العراق حتى تمكن العثمانيون (تركيا الحالية) من فرض سيطرتهم في القرن السادس عشر. إبتداءً من القرن السادس عشر تحول العراق الى ساحة صراع دامية بين الدولة العثمانية (السنية) والدولة الايرانية الصفوية (الشيعية) ، حتى تم طرد العثمانيين على يد الانكليز بعد الحرب العالمية الاولى.

أهم ما يلاحظ في هذه المرحلة ، ان اللغة العربية في العراق قد فقدت بعض من قوتها وهيمنتها بعد أن فقدت الاساس الحضاري والسياسي الذي كانت تستند عليه في الفترة العباسية. وبدأت بعض التركية العثمانية تفرض نفسها في الحياة الادارية وكذلك في بعض النتاجات الثقافية لدى بعض الشعراء وبعض المطبوعات وخصوصاً في الصحافة التي بدأت تظهر في حواضر العراق عند القرن التاسع عشر. كذلك استمرت السريانية متداولة خصوصاً في الكنائس المسيحية. أما المندائية فلم تعد متداولة لدى أبناء الطائفة بعد ان تبنا العربية. أما اللغات الكردية (البهديانية والسورانية) فقد ظلت متداولة خصوصاً كنتاجات شفوية حكاية ، مع ظهور البدايات الاولى لبعض الكتابات الشعرية الشعبية المكتوبة بنوع من الكردية الممزوجة بالتركية والفارسية والعربية.

5- المرحلة الحديثة (الكتابة واللغة العربية مع عدة لغات محلية) :

وتبدأ مع سقوط الدولة العثمانية وتأسيس الدولة العراقية الحديثة عام (1921) التي جمعت الولايات العثمانية الثلاثة : بغداد والبصرة والموصل. وهذه الولايات الثلاثة تمثل بلاد النهرين كما انوجدت في التاريخ منذ القدم. علماً بأن الجمع

لم يكن عملية مصطنعة قام بها الانكليز كما يشيع القوميون بمختلف تنوعاتهم العروبية والكردية، وكذلك الأحميون والإسلاميون، لكي يبرروا فكرة تقسيم العراق وضم كل جزء منه الى الأمبراطوريات القومية والدينية والأهمية التي يحملون بتكوينها!

ان الانكليز خضعوا لواقع مفروض ومعترف به قبل قرون طويلة، ففي زمن الدولة العثمانية مثلاً كان ولاية بغداد دائماً هم المتحكمين رسمياً وواقعياً بولايتي البصرة والموصل، وان محاولة (داوود باشا - 1832) الشهيرة بتكوين دولة عراقية مستقلة عن العثمانيين لأكبر دليل على هذا. علماً بأن حدود العراق في هذه المرحلة قد خضعت لحالة تقلص كبيرة من جميع حدوده. فلو قارنا الحدود الحالية للعراق مع الحدود التاريخية لبلاد النهرين في جميع مراحل التاريخ للاحظنا ان الكثير من مناطقه الشرقية (أجزاء من الاحواز وحلوان - شرق الكوت) قد ضمت الى ايران، كذلك في الشمال مثل ماردين وغيرها قد ضمت الى تركيا بالاضافة الى جهة الغرب أي منطقة الجزيرة السورية. ان هذه المناطق المعنية واضحة الارتباط بالعراق في الخارطة وفي التاريخ وكذلك في طبيعة السكان وثقافتهم التي تعتبر امتداد للطبيعة العراقية. وفي هذه المرحلة، بدأ العراق والعراقيون ينهضون من سباتهم الذي دام قرون، وتنهض معهم من جديد اللغة العربية بعد أن عادت من جديد لتكون اللغة الرسمية للدولة والتعليم وكذلك لغة الثقافة الكبرى حيث عادت اليها التتجات الادبية والعلمية والدينية.

كذلك بدأت الكردية السورانية تظهر لأول مرة كلغة مكتوبة وتظهر بها التتجات الابداعية والصحفية. أما الكردية البهدنانية (الكرمانجية) فقد سبقت السورانية منذ القرن التاسع عشر حيث بدأ الكتابة بها أكراد تركيا وبعض أكراد سوريا. كذلك بدأت السريانية تعود الى الحياة وتخرج من الكنائس الى بعض الصحف (الآشورية) وبعض التتجات الدينية والادبية. أما التركمانية فقد كانت نشيطة أيضاً في المجال الصحفي وبعض التتجات الادبية. وأخيراً استعادت (المنداثية / الصابثية) حيويتها في الاعوام الاخيرة بعد ترجمة كتابهم المقدس الى العربية، وظهور أجيال جديدة من المنداثيين الراغبين بإحياء لغتهم الدينية المنسية.

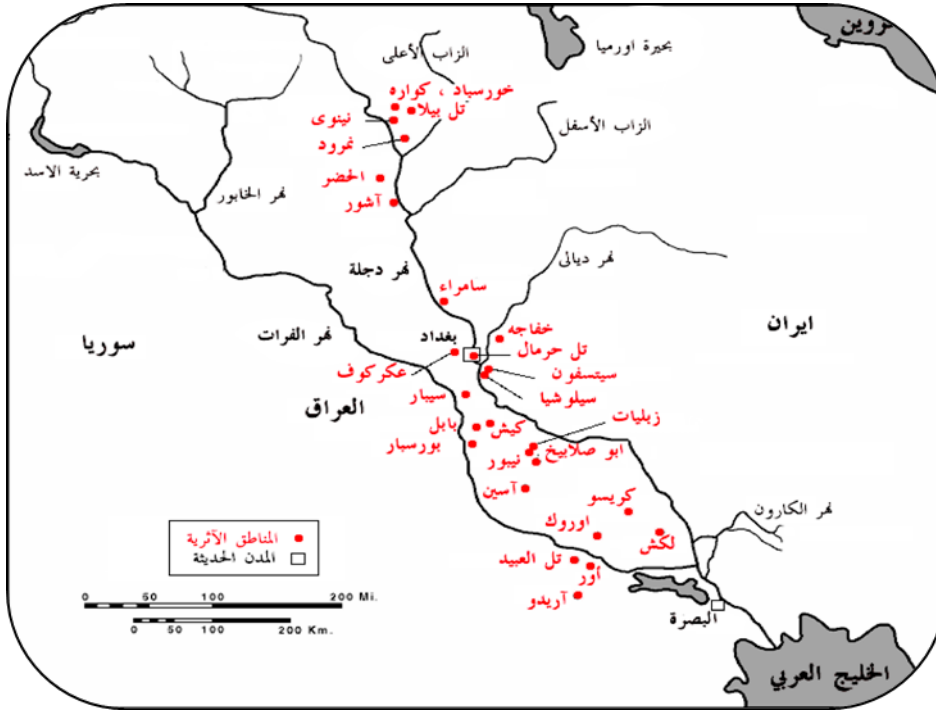
* * *

الهوية العراقية وثنائية دجلة والفرات!

ثمة خاصية واضحة في هوية العراق، موجودة أساساً في تكوينه وتفاصيل حياته بكل تجلياتها المادية السكانية والمعنوية الثقافية الحضارية، ألا وهي (الثنائية)!

يبدو أن هنالك ظروف بيئية داخلية وجغرافية خارجية حتمت هذه الثنائية العراقية. أول هذه الظروف وأكبرها تتمثل بثنائية (دجلة والفرات). لو قارنا العراق مع مصر، فأن تمركز مصر حول (النيل) جعلها متوحدة ومنطوية على ذاتها، سكانياً وحضارياً. أما العراق، فأن هذين النهرين الخالدين جعلاه ثنائياً ومنقسماً على ذاته سكانياً وحضارياً. وهذا الانقسام الثنائي، تناقضي وتكاملي بنفس الوقت أو حسب الظروف. فإن التناقض يستفحل في فترات الضعف والانحطاط، أما التكامل فيشتد في فترات الاستقرار والازدهار.

ان هذه الثنائية الداخلية النهرينية، قد تعززت بثنائية الموقع الجغرافي للعراق، بين عالمين مختلفين كثيراً:



- عالم شرق نهر دجلة :
 الآسيوي - الآري -
 التركستاني - الهندي -
 القفقاسي، حيث جبال
 زاغاروس والهضبة
 الايرانية الممتدة عبر هضاب
 افغانستان وآسيا الوسطى
 حتى الهند والصين. وأيضاً
 عبر سواحل الخليج حيث
 العلاقات البحرية مع
 العالم الهندي. كذلك عبر
 أعالي دجلة حيث
 الاناضول وجبال القفقاس.

- عالم غرب نهر الفرات: العربي - السامي - البحر متوسطي، حيث بادية الشام المرتبطة بيوادي الجزيرة العربية، وكذلك أعالي الفرات الممتدة غرباً داخل الشام وسواحل البحر المتوسط. وهذا الانقسام الجغرافي في المحيط له امتداده في داخل العراق، فإنه منقسم أيضاً الى شمال وشرق جبلي وشبه جبلي، ثم جنوب وغرب سهلي وشبه صحراوي.

حضور الثنائية

هذه الثنائية (السامية - الآسيوية) ملحوظة في التكوين العرقي والثقافي للعراقيين. فهناك العرب والسريان والصابئة (ساميون)، وهنالك الاكراد والتركمان بالاضافة الى الارمن والشركس (آسيويون). أما الفيلية والشبك واليزيدية فإنهم مزيج ثقافي وعرقي بين الطرفين ثم هناك الثنائية الدينية - المذهبية، بين الشيعة والسنة. يمكن ملاحظة الناحية الثقافية الحضارية، حيث جمع العراقيون على مدى التاريخ وبعقرية بين الروحين الآسيوية والسامية. يكفي أن ننظر الى الغناء العراقي، فإنه يجمع بين الصوتين الآسيوي والسامي. حتى الطبخ العراقي فإنه يجمع بين هاتين الثقافتين. حتى أشكال العراقيين فإنها تجمع هذه الخواص البيئية المختلفة. على هذا المنوال يمكننا أن نشاهد كل الجوانب المادية والثقافية والبشرية والحضارية في الماضي والحاضر.

أما في التاريخ الحضاري فان هذه الثنائية الحضارية تكاد أن تكون ملحوظة حتى في العراق القديم، بين الآشوريين في الشمال، والبابليين في الوسط والجنوب. فرغم وجود الثقافة واللغة الواحدة والديانة الواحدة، إلا أن الآشوريين كانوا

يقدسون أيضاً ألهمهم الخاص (آشور - الثور) رمز القوة والفحولة ، بما يخالف البابليين الذين كانوا يميلون أكثر الى (تموز) رمز التضحية والفداء من أجل الخصوبة والحياة.

وبعد أن اعتنق العراقيون المسيحية ، انقسموا أيضاً بين (نساطرة) في الوسط والجنوب و(يعاقبة) في الشمال وبعض الوسط.

على هذا الاساس التنوعي في الجغرافية الخارجية والموضع الداخلي ، فإن البيئة (الاقوامية - الثقافية) العراقية قد انقسمت الى نوعين مختلفين أكثر وضوحاً ، تجمع ما بين (الموضع والموقع) ، ألا وهي ثنائية (دجلة والفرات). آخذين بنظر الاعتبار ان هذا الانقسام البيئي الثنائي مصحوب أيضاً بأنقسام ثقافي - لغوي.

بيئة دجلة

وتشتمل على كل المحافظات الواقعة مباشرة على نهر دجلة (نينوى وصلاح الدين وبغداد وواسط وميسان) ، كذلك المحافظات الواقعة شرق دجلة (دهوك وأربيل والسليمانية وكركوك وديالى) ، وتتميز هذه البيئة جغرافياً وطبيعياً وسكانياً بالخصوصيات التالية :

- من الناحية الجغرافية الخارجية فإنها منفتحة على أكبر الهضاب الجبلية في المنطقة : من الشرق حيث الهضبة الإيرانية الممتدة حتى هضاب افغانستان وآسيا الوسطى. أما من الشمال فأن دجلة يصب من جبال (طوروس) المرتبطة بجبال القفقاس.

- من ناحية الطبيعة الداخلية فإنها متنوعة التضاريس ، حيث تكثر الجبال والمرتفعات في شمالها وشرقها وخصوصاً في المناطق المحاذية لأيران (جبال زاغاروس) وتركيا (جبال طوروس). وتحاذي الجبال بمسافات قريبة امتداد دجلة حتى مصبه في شط العرب. وتتكاثر الاهوار الكبرى والانهار (مثل الكارون) في الجنوب.

- أما من الناحية السكانية ، فأن الخصوصية الكبرى الملحوظة ، هي التنوع السكاني الكبير جداً من النواحي اللغوية والدينية والمذهبية. بل يمكن القول ان جميع الفئات العراقية المختلفة لغوياً ودينياً تعيش على أو شرق دجلة : ((عرب ، أكراد ، تركمان ، سريان (كلدان وأثوريين) ، يزيدية ، شبك ، فيلية ، أرمن.. الخ)). بينما الفرات يجلب الانتباه بأنه جميع سكانه ، بما فيه القسم السوري ، هم (عرب مسلمين)!

ان موقع نهر دجلة المحاذي لأكبر السلاسل الجبلية في الشرق الاوسط ، وكذلك موقعه المنفتح على أكبر هضاب آسيا ، جعله مكاناً دائماً لاستقبال الموجات الاقوامية التالية :

- الموجات الكردية ، وهي أكبر الموجات الدائمة القريبة لأنها تأتي من جبال زاغاروس المحاذية.

- الموجات الآرية القادمة خصوصاً من الهضبة الإيرانية.

- الموجات التركستانية القادمة من هضاب آسيا الوسطى.

- الموجات القفقاسية والاناضولية القادمة من جبال طوروس والقفقاس.

كل هذا جعل بيئة دجلة متنوعة بشكل كبير من الناحية الاقوامية واللغوية ، وخصوصاً في المنطقة الواقعة شمال شرق دجلة (دهوك وأربيل وكركوك والسليمانية وديالى) وهي المحاذية مباشرة للجبال والهضاب المذكورة. وهي متنوعة لغوياً حيث تسود اللغات الكردية (السورانية والبهدنانية والخانقينية) وكذلك التركمانية والسريانية بالاضافة الى العربية. أما مناطق ضفاف دجلة (نينوى وتكريت وسامراء وبغداد والكوت والعمارة) فأن موقعها البعيد نسبياً عن الحدود الجبلية وموضعها السهلي ، جعلها أكثر قدرة على الامتزاج السكاني والثقافي وسيطرة لغة واحدة طيلة التاريخ : الاكدية ، ثم الآرامية ثم العربية. لكن هذا الانسجام الاقوامي اللغوي لا ينفي حقيقة ان الاصول السكانية لهؤلاء السكان بما فيهم سكان الاهوار متأثرة كثيراً بالعناصر القفقاسية والكردية والآرية والتركستانية..

ان أهم ميزة ثقافية - لغوية لهذه البيئة هي (التنوع) حتى في داخل المجموعة الثقافية والمدينة الواحدة. فلو أخذنا الاكرد مثلاً ، فهناك اللغات السورانية والبهدنانية والخانقينية. لو أخذنا (مدينة اربيل) فأنها كانت تاريخياً بغالبية (سريانية) ثم في القرون الاخيرة أصبحت مركزاً لوجود تركماني كثيف ، ثم أخيراً منذ بضعة أجيال أصبحت بغالبية كردية. ان محافظة (كركوك) تعتبر أيضاً أفضل نموذج لهذا التنوع الكبير في (بيئة شمال شرق دجلة) ، حيث التعايش التركماني - الكردي - العربي - السرياني - الارمني. كذلك العاصمة (بغداد) فأن تنوعها الكبير لا يعود فقط لأنها عاصمة الوطن ، بل أيضاً لأنها تقع على دجلة.

من الناحية التاريخية الحضارية فأن (نينوى) تعتبر مركزاً حضارياً عراقياً بخصوصية (دجلوية) ، حيث شكّلت مركزاً جامعاً لكل التنوعات الاقوامية والثقافية لبيئة شمال دجلة ، مع سيادة الثقافة السامية (الاكدية بلهجاتها الآشورية). خلال آلاف الاعوام ظلت (نينوى) الآشورية ، في حالة تنافس سياسي وتكامل حضاري مع (بابل) التي مثلت الحضارة العراقية بخصوصيتها (الفراتية).

ليس صدفة ان شمال العراق أجمعه ، بقي في ظل الدولة العثمانية تابعاً ادارياً وثقافياً واقتصادياً الى الموصل. ان مركزية الموصل بقيت بالنسبة الى شمال دجلة حيث أهميتها الاقتصادية والتجارية ودورها الكبير والمؤثر على أصقاع شرق دجلة المتنوعة والمختلطة لأقوام عربية ريفية وشبكية ويزيدية وكلدانية وسريانية وكردية بهدينانية وتركمانية ، وما يتفرع من كل هذه الاصول من ثقافات تجدد ألوانها شاخصة في الموصل التي تعتبر متحفاً لثقافات لا حصر لها أبداً.

بيئة الفرات

وتشتمل على المحافظات الواقعة على نهر الفرات أو قربه : (الانبار ، كربلاء ، النجف ، بابل ، القادسية ، المثنى ، ذي قار). وهي بيئة مختلفة تماماً عن بيئة دجلة ، من حيث طبيعة الموقع والموضع ، وبالتالي من حيث التكوين السكاني واللغوي.

من ناحية الموضع ، فأن بيئة الفرات شبه صحراوية وسهلية منفتحة. وهي من ناحية الموقع ، فأنها متصلة من الجنوب الغربي ببادية الشام الممتدة جنوباً الى بوادي الجزيرة العربية ، أما من الشمال الغربي فأنها تتصل في نواحي سوريا حتى ضفاف البحر المتوسط.

لهذا فإن بيئة الفرات ظلت دائماً من الناحية الاقوامية والثقافية، بيئة (سامية بحر متوسطة)، تسودها دائماً وحدة لغوية سامية (أكدية ثم آرامية ثم عربية)، مع تأثير واضح بالقبائل الرعوية وكذلك ثقافة الشام والبحر المتوسط والجزيرة العربية.

من الناحية التاريخية الحضارية فإن (بابل) تعتبر مركزاً حضارياً عراقياً بخصوبة (فراتية)، حيث شكلت مركزاً جامعاً لكل التنوعات الاقوامية والثقافية لبيئة الفرات، حيث سادت الثقافة السامية (الأكدية بلهجتها البابلية). خلال آلاف الاعوام ظلت (بابل) في حالة تنافس سياسي وتكامل حضاري مع (نينوى) التي مثلت الحضارة العراقية بخصوبتها (الدجلية).

الثقافة (النهرانية) الجامعة

ان الثقافة العراقية منذ فجر التاريخ وحتى الآن، هي ملتقى هاتين البيئتين المختلفتين المتكاملتين، أقوامياً ولغوياً. ان هذه (الثنائية) هي نوع من (القدر) الجغرافي التاريخي الذي يميز العراق منذ الازل:

- بيئة دجلة الآسيوية الجبلية

- بيئة الفرات السهلية شبه الصحراوية البحر متوسطة

هنالك ثلاث مدن رئيسية جمعت بين هاتين البيئتين المتناقضتين المتكاملتين: نينوى وبغداد والبصرة.

ان (بغداد) تعتبر أفضل مثال على هذه الثقافة النهرانية الجامعة لبيئتي دجلة والفرات. رغم ان بغداد تقع على نهر دجلة، إلا أنها تتميز بناحيتين:

1- انها تقع في أقرب نقطة يقترب فيها النهران، وهذا ما جعلها فعلاً ملتقى لهذين البيئتين.

2- انها تقع في وسط بلاد النهرين، بين الشمال والجنوب.

ان العبقرية العراقية (العباسية) هي التي اختارت (بغداد) في هذا الموقع الوسطي الجامع بين الشمال والجنوب، ودجلة والفرات، من أجل تجنب الخطأ الكبير الذي وقع فيه أسلافهم، عندما ظلوا مشتتين بين مركزين متنافسين (نينوى) و(بابل).

ان بغداد منذ تأسيسها وحتى الآن، ظلت تعبر بصورة مكثفة عن التكوين الاقوامي والثقافي لبيئة دجلة، حيث يمتزج فيها العربي مع الكردي مع التركماني مع السرياني مع الارمني مع الصابئي، كذلك هي ملتقى جميع الاديان والمذاهب العراقية.

رغم ان ثقافات عالم ما بين النهرين دجلة والفرات متنوعة وشاملة للبيئتين، إلا أنها ظلت عموماً (سامية - عربية) لكونها أرض سهلية (تسهل) عملية التمازج وتفرض على الجماعات الجبلية أن تفقد قوتها الثقافية وتمتزج بالثقافة السهلية (السامية - العربية).

أما (البصرة) فإنها لها خصوصيتها العراقية الشمولية من النواحي السكانية والثقافية. فهي جامعة للنهرين في نهر عراقي عظيم ثالث هو شط العرب. ثم ان البصرة من دون المدن العراقية جمعت في موقعها بين مختلف المؤثرات الجغرافية

المحيطة : بيئة البادية الممتدة ناحية الغرب حيث الشام والجنوب حيث الجزيرة العربية. أما من الشرق فيبئة ايران وجبال زاغاروس القريبة ناحية الاحواز. يضاف الى هذا جغرافية جديدة خاصة بالبصرة ، ألا وهو الخليج العربي الممتد حتى المحيط الهندي وجنوب آسيا. ومن هذا الخليج ارتبطت البصرة بالسواحل العربية والسواحل الايرانية والهندية ، بل حتى مع السواحل الافريقية. كل التنوع الجغرافي البيئي جعل البصرة مركزاً حضارياً وسكانياً كبيراً ومتميزاً له خصوصيته الجامعة الشمولية التي تجتمع فيها المؤثرات السامية - العربية والايرائية والهندية والافريقية.

لماذا بقي العراق دائماً سامياً عربياً؟

منذ فجر التاريخ وحتى الآن ، رغم كل الفترات التي سيطرت فيها الدول والسلالات الآسيوية (الايرائية - التركستانية - القفقاسية) على العراق ، ورغم الحضور الفعلي للجماعات الآسيوية في ثنايا الشعب العراقي ، إلا أنه ظل دائماً (سامياً - عربياً) من النواحي الحضارية واللغوية. يجب التوضيح ، اننا مع القائلين بأن (اللغة السومرية) لا تمثل شعباً ، بل هي لغة اصطنعها الكهنة الاكديون (راجع تفاصيل هذه الفرضية في ملف اللغات العراقية القديمة). هذه الهيمنة الثقافية السامية لا تعود كما يظن للوهلة الاولى الى كثرتهم العددية ، بل الى السبب التالي المختلف نوعاً ما :

- ان الجماعات الآسيوية لم تكن متجانسة وموحدة حضارياً ولغوياً ، مثلما هي الجماعات السامية. نعم ان الجماعات الآسيوية ظلت دائماً مختلفة الاصول والثقافات ، آريون ، أكراد ، أتراك ، قفقاس (أرمن وشركس وغيرهم). بينما الجماعات السامية ، على الاقل خلال كل حقبة طويلة من الزمن ، موحدة ثقافياً : الاكديّة ، ثم الآرامية ، ثم العربية. بالاضافة الى أن هذه اللغات مكملّة لبعضها البعض.

* * *

الهوية العراقية والانقسام اللغوي - القومي



ان هذا التاريخ الطويل الحافل بالحضارات والانحطاطات والذي ساهمت بصنعه ما لا يحصى من الجماعات المختلفة الاديان واللغات والأصول والتي كانت ما أن تحط الرحال على ضفاف النهرين تذب في (عبقرية المكان) وتنصهر في المياه والاطيان وتمتزج مع بعضها البعض لتصنع حضارة موحدة جديدة تمضي على نفس الخط الذي صنعه الاسلاف. لقد ورثت الأمة العراقية من هذا التاريخ الطويل المتطرف بتحضره وعنفه، الصفة المهمة التالية:

- انقسام المجتمع لغوياً ودينياً (مذهبياً)..

ان هذا التاريخ الطويل وطبيعة التنوع البيئي الداخلي والخارجي، كلها خلقت في المجتمع العراقي تنوعاً لغوياً (أقوامياً، ودينياً مذهبياً).

من الناحية اللغوية الأقوامية، هناك الأغلبية الناطقة بالعربية التي تشكل حوالي ثلاثة أرباع السكان، أما الربع المتبقي فأغلبه ناطق بالكردية، ثم الناطقون بالتركمانية والناطقون بالسريانية.

من الناحية الدينية المذهبية هنالك الغالبية الساحقة من المسلمين، مع فئات مهمة من المسيحيين الناطقين أغلبهم بالسريانية والمنقسمين بدورهم الى كاثوليك ونساطرة ويعاقبة وبروتستانت، ثم أتباع الديانة اليزيدية والديانة الصابئية، أما اليهود كما هو معلوم قد رحلوا كلهم تقريباً. أما الناحية المذهبية فأن الغالبية المسلمة منقسمة الى أكثر من النصف من الشيعة معظمهم ناطقين بالعربية مع الفيلية ثم نصف التركمان، أما الاقل من النصف المتبقي فهم من السنة المنقسمين بنفس النسبة تقريباً بين ناطقين بالعربية وناطقين بالكردية وكذلك التركمانية.

القومية العرقية

ان هذه الحالة الانقسامية (الأقوامية - الطائفية) مستمرة بسيطرتها على الأمة العراقية منذ تأسيس الدولة عام 1921. يكمن السر في قدرة هذه الحالة الاستثنائية على الديمومة لأنها تستمد قوتها وشرعيتها من (منظومة أيديولوجية) كبيرة ومعقدة وضخمة جداً بميراثها الثقافي، بحيث ان الغالبية الساحقة من العراقيين بمختلف أصولهم اللغوية والمذهبية وجميع التيارات الفكرية والحزبية تشترك بصورة تلقائية وعلنية بتكوين هذه المنظومة والدفاع عن طروحاتها (القومية الطائفية)! يمكن اختصار هذه (المنظومة الأيديولوجية) بتسمية واحدة هي (القومية العرقية) أو ((العروبة وأمثالها القومية الكردية والتركية والآشورية)).

من أجل فهم حقيقة هذه المنظومة الفكرية، يتوجب العودة الى الجذور النظرية التي اعتمدت عليها. في القرنين الاخيرين ظهر في اوربا مفهومان مختلفان للقومية، أحدهما فرنسي والآخر ألماني. المفهوم الفرنسي منبثق من طبيعة تاريخ فرنسا حيث لعبت الدولة الوطنية دوراً أساسياً منذ قرون بتوحيد الشعب الفرنسي وخلق الوحدة السياسية واللغوية وجعل فرنسا أمة متكاملة. لهذا فأن المفهوم القومي الفرنسي قام على فكرة (الدولة الامة) والانتماء للأرض وتاريخها وشعبها، ومنح الجنسية على أساس (حق الارض) وليس على (حق العرق أو اللغة أو الدين). لم يفكر أحد من الفرنسيين بطرح فكرة (الامة الفرانكفونية) التي تجمع شمل الدول والمناطق الناطقة بالفرنسية في بلجيكا وسويسرا ولوكسمبورغ وكندا، لأن الأمة الفرنسية هي الدولة الفرنسية والارض الفرنسية. بل ان الأمة الفرنسية قامت أصلاً على أساس التنوع اللغوي لأن الجزء الأكبر من الفرنسيين لم تكن اللغة الفرنسية لغتهم الأم. فملك فرنسا قبل الثورة كان مجرد

خروجه من باريس يحتاج الى مترجمين ليتحدث مع شعبه الناطق بالبروتانية والالزاسية والكورسية والباسكية والكتلانية! ومع الزمن وإزالة الحواجز الإقطاعية وتعميق التوحد السياسي والثقافي أصبحت الفرنسية الآن اللغة الأم للغالبية الساحقة مع بقاء اللغات الاصلية بدرجات مختلفة.

أما المفهوم القومي الالماني فإنه على العكس ، منبثق من طبيعة تاريخ الالمان الذين كانوا مشتتين بين امارات ودول أجنبية ، ولهذا فإن مفهومهم القومي استند على أساس (اللغة والعرق) والاعتقاد بأن (الامة الالمانية) قائمة أينما يوجد من يتكلم الالمانية وينتمي الى (العرق الالماني الآري) المزعوم! وقد بلغ هذا المفهوم ذروته في الحركة النازية ونسخته الفاشية الايطالية. وقد ظل سائداً في المانيا قانون (حق العرق) الذي يمنح حق المواطنة والجنسية الالمانية لكل ناطق بالالمانية في جميع أنحاء العالم. ولم يبلغ هذا القانون إلا منذ فترة! على هذا الأساس العرقي اللغوي لا زال سائداً حتى الآن في اسرائيل ما يسمى بـ (حق العودة) ومنح المواطنة الإسرائيلية لكل يهودي في أنحاء العالم ، بالوقت الذي يتم فيه نفي حق المواطنة للفلسطينيين أبناء الأرض الأصليين لعدم إنتمائهم (للعرق اليهودي) المزعوم!

لسوء الحظ ان هذا الفهم العرقي القومي الجرمانى هو الذي ساد في منطقة الشرق الأوسط وعلى أساسه تكون الحركات القومية ، الطورانية التركية والعروبية والكردوية والآشورية والأرمنية وغيرها. من الناحية التاريخية يبدو ان البداية تعود الى أواخر الدولة العثمانية. هنالك عوامل عديدة من الصعب تفصيلها ، دفعت النخب التركية لتبني الفهم القومي الالماني في نهاية القرن التاسع عشر وراحت تدعو الى نقاء (العرق التركي) وتترك الجماعات الغير تركية. يبدو ان هنالك أسباب عديدة أهمها تشجيع القوى الأوربية والحركة الماسونية لهذه الميول القومية العرقية لدى النخب العثمانية من أجل الإسراع بتدمير الدولة العثمانية ، وهذا ما حصل فعلاً. وربما العامل الآخر يعود الى العلاقات المتميزة بين المانيا والعثمانيين والتأثير الثقافي الالماني على النخبة التركية.

القومية والوطنية

على اساس هذا الفهم القومي العرقي السائد قامت النخبة العراقية والشامية بتكوين الحركة القومية العربية (العروبية) التي هي استنساخ حرفي للطروحات العرقية والإمبراطورية الطورانية والجرمانية والصهيونية. على أساس هذه العروبية ساد الاعتقاد بأن جميع الناطقين بالعربية بأنهم (عرقياً) عرب أقياء منحدرين من قبائل الجزيرة العربية التي نشرت العربية والإسلام بعد الفتح الإسلامي. والحقيقة ان هذا التيار العروبي لم ينتشر هكذا لأن هنالك حاجة شعبية له ، بل يعود الفضل أساساً الى دور المستشرقين الغربيين الذين بدأوا بإعادة كتابة تاريخ الشعوب الناطقة بالعربية. طبعاً ان المصالح الغربية المعروفة والمبطننة حتمت دعم وتبني هذا الطرح العروبي. يكفي القول ان هذه العروبية ساهمت بصورة غير واعية بتبرير الطروحات الصهيونية بأن شعب فلسطين هو عرقياً عربي قادم من الجزيرة العربية وإن يهود العالم هم الأحفاد (العرقين) لسكان فلسطين.

منذ نهاية القرن الماضي بدأ المؤرخون العرب والاوربيون بكتابة تاريخ البلدان العربية على أساس القطيعة التامة ، عرقياً وحضارياً ودينياً ولغوياً ، بين تاريخ الشعوب العربية بعد الفتح العربي وتاريخها السابق. المصري الحالي ، بما أنه ناطق بالعربية ومسلم فهو بكل يقين ينحدر عرقياً وقبائلياً من عرب الجزيرة العربية وليس له أية علاقة مع المصريين

القدماء الذين لم يتبقى منهم غير الاقباط المسيحيين! نفس الشيء بالنسبة للعراقي والشامي والمغربي.. كل الناطقين بالعربية قادمين من الجزيرة العربية! من أجل تبرير هذه الفكرة الجوهرية اصطنع المؤرخون الاوربيون والعرب، مفهوم (انقراض الشعوب) أي القول بأن الشعوب الاصلية التي ظلت مستوطنة في هذه البلدان خلال عشرات الآلاف من السنين، قد انقرضت فجأة قبل الفتح العربي! وقد أتى الفاتحون العرب الى هذه البلدان (شبه القاحلة)! التي لم تكن مقطونة إلا ببعض الاقليات البيزنطية والفارسية الحاكمة وبقايا من السريان والقبط والبربر! والغريب ان مفهوم (انقراض الشعوب) هذا لم يطبق إلا على البلدان العربية من دون غيرها. مثلاً لأزال الفرنسيون يفتخرون بانحدارهم من (الغاليين) ومن قبلهم من السكان الذين توطنوا فرنسا منذ عصر الكهوف. حتى الشعوب المسلمة، بما انها لم تتبنى اللغة العربية فإنه قد تم اعفائها من فكرة (انقراض الشعب الأصلي)، فالإيرانيون والباكستانيون رغم ايمانهم الشديد بالاسلام فأنتهم لا زالوا يفتخرون بانحدارهم من السكان الأصليين السابقين للفتح الإسلامي بميراثهم الهندوسي والمجوسي! هكذا فإن هذا الفهم العرقي القومي (العروبي - الكردي - التركي - الآشوري)، قد فصم العراقيين عن جذورهم التاريخية واتمائمهم الوطني الاصيل وخلق الصراع بين الناطقين باللغات المختلفة. ومما زاد في حدة المشكلة، ان الناطقين بالعربية الذين يشكلون أكثر من ثلاثة أرباع سكان الوطن، منقسمون طائفيًا فيما بينهم. ان وعي هذا الانقسام اللغوي - الطائفي ومعالجته هي المهمة الكبرى الملقاة على عاتق النخب الوطنية من أجل إحياء الهوية الموحدة التي فيها خلاص العراقيين من أزمته التاريخية المستعصية.

* * *

إحصائيات تقريبية للناطقين باللغات العراقية

بسبب غياب أية احصائيات رسمية، فإن هذه الارقام تقريبية وتعتمد على احصائيات وتقديرات سابقة جرت في أوائل القرن الماضي:

حوالي 73% ناطقين بالعربية

حوالي 15% ناطقين باللغات الكردية (السورانية، البهذانية، الخانقينية، الهورمانية)

حوالي 5% ناطقين بالتركمانية

حوالي 3% ناطقين بالسريانية

حوالي 1% ناطقين بالفيلية

حوالي 1% ناطقين باليزيدية

حوالي 1% ناطقين بالمندائية (الصابئية)

حوالي 1% ناطقين بالشبكية

نؤكد ان هذه أرقام تقريبية بسبب غياب الاحصائيات الرسمية.

علماء بأن غالبية العراقيين من مختلف (الفئات اللغوية) يتقنون العربية كلغة أولى أو على الأقل كلغة ثانية.

المصادر

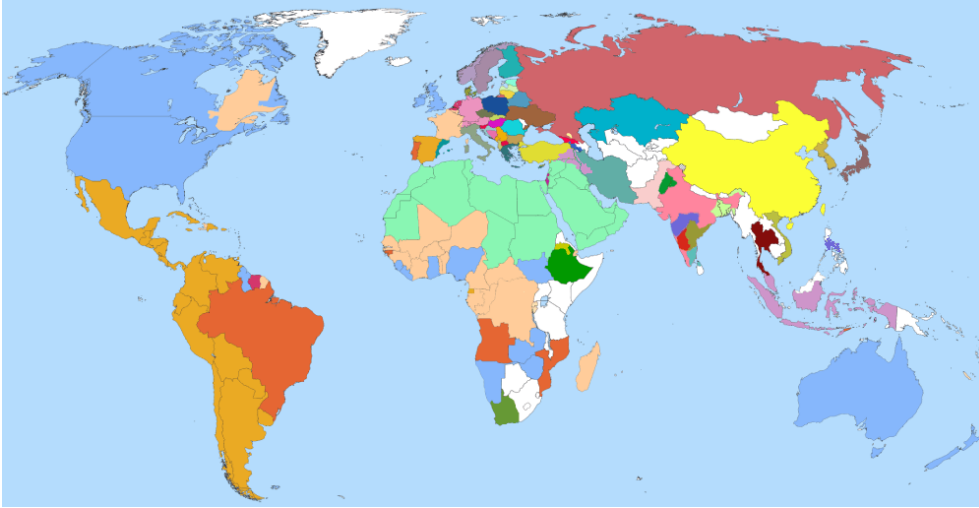
- فيليب فارح/ المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي/ الفصل الأول/ دار ابن سينا / القاهرة 1944.
- شارل عيساوي/ تأملات في التاريخ العربي/ الفصل الثاني/ مركز دراسات الوحدة / بيروت 1991.
- الأب البيير، أبونا / تاريخ الكنيسة السريانية/ 3 أجزاء / دار المشرق/ بيروت 1986.
- نينا بيغوليفسكايا / ثقافة السريان في القرون الوسطى/ دار الحصاد/ دمشق 1990.
- فيليب حتي/ خمسة آلاف عام من تاريخ الشرق الأدنى/ مجلدان/ الدار المتحدة / بيروت 1983.
- برهان الدين دلو/ حضارة مصر والعراق/ الفارابي/ بيروت 1989.
- علي الوردي/ لمحات اجتماعية / ثمانية أجزاء / دار كوفان / لندن 1992.
- عن التكوين البدني (العرقى) لسكان العراق ، راجع (الموسوعة الاسلامية) باللغة الفرنسية أو الانكليزية / قسم العراق - السكان.
- أيوب ، ابراهيم/ التاريخ العباسي/ الشركة العالمية/ بيروت 1989 / ص 216.
- عبد الباقي، أحمد/ معالم الحضارة العربية/ مركز دراسات الوحدة / بيروت 1991.
- فتواتي، جورج / المسيحية والحضارة العربية / المؤسسة العربية / بيروت.
- حتي، فيليب / تاريخ سوريا / دار الثقافة / بيروت 1972.
- بيغوليفسكا، نينا / ثقافة السريان/ دار الحصاد/ دمشق 1990.
- أبونا، الأب البيير/ تاريخ الكنيسة السريانية 3 أجزاء / دار المشرق/ بيروت 1992.
- الزيات، أحمد/ تاريخ الأدب العربي/ دار الثقافة/ بيروت 1978 - ص 234.
- الريحاني، أمين/ ملوك العرب/ مجلد 4.
- فريجة، أنيس/ دراسات في التاريخ/ منشورات جروس/ طرابلس 1991.
- الوردي، علي/ تاريخ العراق الحديث/ 8 أجزاء/ كوفان للنشر/ لندن 1991.
- زين، نورالدين زين/ نشوء القومية العربية/ دار النهار/ بيروت 1979.
- الخليلي، جعفر/ موسوعة العتبات المقدسة / قسم المدينة المنورة/ دار التعارف/ بغداد 1970.
- بطاطو، حنا / العراق / الكتاب الأول / مؤسسة الأبحاث / بيروت 1990.
- حول نظريات أصل الأكراد، راجع مثلاً :
- الحاج، عزيز/ القضية الكردية في العشرينات/ المؤسسة العربية/ بيروت 1984 - ملحق تعريفي.
- الموسوعة الاسلامية باللغة الفرنسية أو الانكليزية/ مادة (KURDE).
- داريوس شايفان/ أوهام الهوية/ دار الساقى/ بيروت 1993/ ترجمة محمد علي مقاد.
- نديم البيطار/ حدود الهوية القومية/ نقد عام/ بيروت 1982/ دار الوحدة.

- BABKAHAN AL-IRAK (1970-1990).
- Jean-Paul Rocchi (dir.), Dissidences et identités plurielles, Presses - Universitaires de Nancy, coll. « Regards croisés sur le monde anglophone », Nancy, 2008, 362 p. (ISBN 978-2-86480-899-2).
- BOTTERO Jean-Initiation aL Orient ancien-Seuil-Paris 1992
- GEORGES ROUX - LA MESOPOTAMIE-SEUIL - PARIS – 1985
, Le spectre du communautarisme (2005)- Laurent Lévy.
- Kate Glazer et Brian Holmes, « Mobiliser l'identité ? Les contradictions américaines », Politiques, n°7, 1994, éd. Quai Voltaire.
- Laurent Lévy, Le Spectre du communautarisme, Paris, Editions Amsterdam, coll. Démocritique, 2005.
- Alain de Benoist, Nous et les autres : problématique de l'identité, éditions Krisis, 2006.



ملحق معلوماتي

الوضع اللغوي في العالم



قبل الدخول في موضوع اللغات العراقية، من الأفضل أن نمتلك فكرة عامة عن وضع اللغات في العالم والاطلاع على بعض المعلومات الأساسية بهذا الخصوص.

لغة وكتابة، أنوثة وذكرورة

حسب المفهوم الصيني (التاوي) الذي يقسم جميع الموجودات الى (أنثوية) و(ذكورية)، فيمكننا القول ان (اللغة) حالة أنثوية، و(الكتابة) حالة ذكورية.. لماذا؟
- ان اللغة، أصوات اشارية شبه غريزية، فحتى الحيوانات لها أصواتها التعبيرية، أي انها نابعة من الدواخل، من النفس والحاجة الطبيعية. بينما الكتابة ابداع تفكيري خاص بالانسان ومرتبط بتطوره الحضاري ونمو مؤسساته الدينية والحكومية. ان الكتابة فعل ذكوري نابع من العقل والارادة والسلطة.
- ان فعل اللغة يتم بواسطة الفم، وهو رمز تعري استيعابي انثوي، بينما فعل الكتابة يتم بواسطة اليد والقلم، وهما رمزان اختراقيان ذكوريان.
لهذا فإن تاريخ الشعوب يكشف عن ان اللغات ظلت تنتشر بين الناس مع الحياة (المعيشة والمبادلات والعلاقات اليومية)، أي انها (فعل ثقافي) طبيعي، بينما الكتابة ظلت بحاجة الى قرار ومؤسسات ومتابعة واستعداد، أي انها فعل حضاري سياسي، لهذا فأنها بقيت تاريخياً تحت رعاية السلطة والصفوة الدينية والحكومية.
هنا نسجل جردة سريعة بماهية لغات العالم، ثم كتاباتها..

* * *

تحديد لغات العالم

من الصعب على الباحثين ومؤسساتهم حتى الآن تحديد عدد لغات العالم، وذلك لأن اللغات مجال متحرك ومتغير ومتجدد بصورة دائمة. فهناك لغات تموت ولغات تندمج مع لغات ولغات جديدة تولد. حتى يومنا الحاضر لانزال

نكتشف شعباً جديدة ولغات جديدة في مناطق مختلفة من العالم ، وخاصة في حوض نهر الأمازون ووسط أفريقيا وغينيا الجديدة. ومع ذلك فمن غير المتوقع اكتشاف لغات كثيرة بهذه الطريقة. والعادة هي أننا نعرف الشعوب في مناطق معينة في حين أننا لا نعرف اللغات التي تتكلمها. والحقيقة هي انه في دول كثيرة لم يكتمل المسح اللغوي وفي بعض الدول لم يجر مسح لغوي على الإطلاق. وغالباً ما يفترض أن شعباً من شعوب منطقة من المناطق يتكلم لغة معينة ، ولكن عند البحث نجد ان هذا الشعب يتكلم لهجات من لغة واحدة. ولكن هذه اللهجات من الاختلاف بحيث يمكن اعتبار كل واحدة منها لغة بحد ذاتها.

ولكن هناك عوامل تحد من عدد اللغات. فمن أجل أن تكون لغة معينة لغة حية فلا بد أن يكون هناك عدد من الأشخاص يتكلمونها كلغة أولى. ولكن في كثير من بقاع العالم ليس من السهل التعرف على ما إذا كان الناطقون بلغة من اللغات لا يزالون على قيد الحياة ، وإذا كانوا على قيد الحياة ما إذا كانوا يستعملون لغتهم في اتصالهم اليومي. وسرعة انقراض لغة تنطق بها جماعة صغيرة قد تكون مثاراً لكثير من الدهشة. وقد أدت الاكتشافات التي تمت في حوض الأمازون إلى اكتشاف لغات كثيرة جداً. ولكن هذه الاكتشافات نفسها أدت إلى انقراض عدد كبير من اللغات بسبب ابتلاع الثقافة الغربية للثقافة الهندية. وفي جيل واحد يمكن أن تندثر لغة إندثاراً كاملاً. يضاف إلى ذلك أن التحولات السياسية تحدث انقسامات في قبيلة من القبائل أو ترغم أفراد القبيلة على الرحيل. كما ان الأوضاع الاقتصادية تضطر أفراد القبيلة الواحدة إلى الرحيل طلباً للقمّة العيش. وكذلك انتشار الأوبئة والأمراض قد يسهم في اندثار لغة من اللغات. ويعرف ان انتشار الأنفلونزا في إحدى القرى الواقعة على نهر كليون في فنزويلا أدى إلى خفض الناطقين بلغة (تروماي) إلى أقل من عشرة أشخاص. وفي القرن التاسع عشر كان يعتقد ان اللغات الهندية في البرازيل تزيد على ألف لغة. أما اليوم فهذه اللغات لا تزيد على مئتين.

في معظم اللغات ليس هناك فرق كبير بين اللغة الواحدة واللهجات المتفرعة عنها. فإذا أخذنا اللغة الإنكليزية مثلاً فإننا نجد منها لهجات أمريكية وكندية واسترالية وهندية ونيوزيلندية. وفي كل لهجة من هذه اللهجات مفردات مختلفة وفروق محلية في طريقة اللفظ قد تجعل التفاهم صعباً في بعض الأحوال. ولكن بالرغم من وجود هذه اللهجات لا نجد من يشكك في وجود وحدة لغوية أساسية في جميع هذه اللهجات المتفرعة عن اللغة الإنكليزية. وهذه الوحدة يؤكدتها وجود لغة إنكليزية قياسية في الكتابة ووجود تراث أدبي مشترك. ولكن ليس الأمر كذلك في كثير من اللغات الأخرى.

اشكالية اللغة واللهجة

هناك عاملان من عوامل الخلاف في تحديد اللغة ولهجاتها هما الهوية القومية وإمكانية التفاهم بين الناطقين بهذه اللهجات. وقد يكون من الممكن التفاهم بين الناطقين بلهجتين مختلفتين ولكن لأسباب سياسية أو تاريخية يشار إلى كل لهجة من اللهجتين بأنها لغة قائمة بذاتها. يستطيع السويديون والدانماركيون والنرويجيون فهم لهجات بعضهم بعضاً إلى حد يزداد أو ينقص ، ولكننا اذا طبقنا مقاييس غير لغوية فإن علينا أن نعترف بوجود خمس لغات على الأقل. فإذا كنت نرويجياً فأنت تتكلم النرويجية ، وإذا كنت سويدياً فأنت تتكلم السويدية ، وإذا كنت دانماركياً فأنت تتكلم الدانماركية ،

وهكذا. وفي حالات كهذه تندمج الهوية السياسية بالهوية اللغوية. وهناك لغات كثيرة تتدخل العوامل السياسية والدينية والعرقية فتحدث انقسامات فيها في حين انه ليس هناك فروق لغوية. مثال ذلك الهندية والاوردية، والبنغالية والآسامية، والصربية والكرواتية.

والحالة المعاكسة حالة شائعة أيضاً. فقد نجد حالات من المتعذر فيها التفاهم بين الناطقين بلهجات معينة، ولكن لأسباب سياسية أو تاريخية أو ثقافية تعتبر هذه اللهجات لغة واحدة. نأخذ مثلاً على ذلك اللغة الصينية. فمن وجهة نظر اللغة المنطوقة يمكن تصنيف مئات من اللهجات في الصين في ثماني مجموعات رئيسية الناطقون بإحداها لا يفهمون اللهجات الأخرى. ولكن هذه اللهجات جميعاً تشترك بتقليد لغوي مكتوب واحد. وأولئك الذين يتعلمون نظام الحروف الصينية قادرون على التفاهم به فيما بينهم. وبالرغم من الفروق اللغوية تعتبر اللغة الصينية لغة واحدة.

ولكن الانكليزية والصينية (في المثالين السابقين) لغتان رئيسيتان: كثرت دراستهما، كما ان عدد الناطقين بهما عدد كبير. ولكن هناك لغات لا ينطق بها إلا أعداد صغيرة مما يجعل العوامل ذات العلاقة بها صعبة التفسير على اللغويين. فمثلاً عندما تكون لغتان قريبتان الواحدة من الأخرى جغرافياً، تستعير الواحدة من الأخرى كلمات وتستعير أصواتاً وقواعد نحوية. ولذلك تبدو وجوه الشبه بين اللغتين لأول وهلة أكبر من وجوه الاختلاف، وربما يفترض المحللون ان اللغتين هما مجرد لهجتين للغة واحدة. لقد أوجد ذلك مشكلة حقيقية في مناطق عديدة من العالم كما في أمريكا الجنوبية وأفريقيا وجنوب شرق آسيا. وفي هذه المناطق تأثرت مجموعات لغوية بأكملها بهذه الطريقة. وهذا كله من العوامل التي تتدخل في تحديد عدد لغات العالم. ومن المشكلات الكبيرة التي تواجه المحللين في اللغات الأقل انتشاراً هي مدى الأهمية التي يجب أن تعطى لاسم اللغة. وهذا الموضوع لا يثار في اللغات الرئيسية العالمية التي يعطى لكل منها أسم واحد يميزها تمييزاً واضحاً عن اللغات الأخرى كالهولندية والألمانية والعربية والروسية. ولكن في معظم الحالات ليس الأمر بهذه السهولة. هنالك كذلك مشكلات أخرى في تحديد عدد لغات العالم. فأحياناً يطلق الاسم الواحد على لغتين مختلفتين. فكلمة (ماكسيكانو) في المكسيك تطلق على اللغة الأسبانية وعلى اللغة الهندية الرئيسية في المناطق المعروفة بأسم (ناهواتل). وأحياناً قد يختلف الناطقون بلغة من اللغات في انتساب لغتهم إلى لغة أخرى. فالناطقون بلغة (لوري) في جنوب غربي إيران يقولون إن لغتهم لهجة من لهجات اللغة الفارسية. ولكن الناطقون بالفارسية لا يوافقون على ذلك. وعلى هذا تتعذر الاستفادة من الناطقين باللغة في تحديد هوية لغتهم لأن إجاباتهم تتلون باعتبارات غير لغوية كالأعتبارات الدينية والقومية والاقتصادية والاجتماعية.

إذا أخذنا هذه العوامل جميعاً فإننا لن نتوصل إلى إجابة واحدة للسؤال الذي بدأنا به حديثنا: كم عدد لغات العالم؟ ففي بعض المناطق في العالم هناك ميل للمغالاة في عدد اللغات إذ يعتمد المحللون على المعنى الحرفي لاسم اللغة، ولا يربطون ما بين اللهجات القريبة من بعضها بعضاً. وفي مناطق أخرى هناك ميل إلى التقليل المتعمد من عدد اللغات. في كتاب (تصنيف لغات العالم) الصادر عام 1977 نجد عشرين ألف لغة ولهجة. وصنفت هذه اللغات واللهجات بحيث تشكل أربعة آلاف وخمسمائة لغة. ولا شك انه منذ نشر الكتاب انخفض عدد اللغات. ولكن من غير المحتمل أن يصل العدد الإجمالي إلى أقل من أربعة آلاف لغة.

تنوع اللغات

تنقسم لغات العالم إلى عوائل أو مجاميع لغوية كبيرة. وكما بيّنا في مواضع عديدة، إن العوائل اللغوية لا تعني أبداً إن الناطقين بها على علاقة عرقية، بل تشابه ناتج عن الاختلاط والتأثير المتبادل. ومن أهم هذه المجاميع اللغوية في العالم:

- اللغات (السامية - الحامية) أو (اللغات الافرو - آسيوية) ومنها اللغات السامية (العربية والعبرية والامهرية والآرامية والاكادية وغيرها)، أما الحامية فهي: (اللغات المصرية القديمة والقبطية، واللغات البربرية - الامازيغية والطوارقية والنوبية وبعض لغات السودان والسنغال ونيجيريا).

- اللغات الهندو- اوربية (آرية)، وهي تنتشر في آسيا واوربا، ومنها الإنكليزية والفرنسية والروسية والهندية والفارسية وغيرها...

- اللغات (التركو - الطية)، ومنها اللغات التركستانية والمغولية، وربما أيضاً الفنلندية والهنغارية، بل حتى اليابانية والكورية تنتسب إليها أيضاً.

- لغات اورالية ومنها المجرية. ويبدو أن لغة يوكاغير منها.

- لغات بينيسي

- لغات شوكشية - كامشاتكية

- لغات دارفيدة في جنوب الهند

- لغات القفقاز، ومنها لغة الشركس والشيشان

- اللغة الباسكية في شمال اسبانيا

- لغة بوروشاسكي في كشمير

- اللغة الآينوية لشعب الآينو في شمال اليابان

- لغة نيفخ أو نيفخ أو غيلياك، في جزيرة ساخالين في سيبيريا

- في شرق آسيا والمحيط الهادئ :

- لغات صينو - تيبية وأشهرها الصينية

- لغات اوسترو - آسيوية ومنها الفيتنامية

- لغات اوسترونيزية وأشهرها باهاسا اندونيسيا

- لغات تاي - كاداي وأشهرها التايلاندية

- لغات جزر اندامان في الهند

- في غينيا الجديدة وأستراليا :

- لغات غينيا الجديدة وهذا ليس مقبول إلاّ عند قليل من العلماء، ويقول الآخرون أنها تنقسم إلى عائلات عديدة.

- لغات أستراليا وهذا أيضاً ليس مقبول إلاّ عند قليل من العلماء، ويقول الآخرون أنها تنقسم إلى عائلات عديدة.

- في قارة أمريكا :

- لغات ايسكيمو - اليوت.
- لغات نا - ديني ومنها لغة نافاهو.
- لغات هندي أمريكي وهذا ليس مقبول إلا عند قليل من العلماء ، ويقول الآخرون أنها تنقسم إلى عائلات عديدة.

مجموعة اللغات السامية

اللغات السامية هي لغات تتبع العائلة الشمالية الشرقية للغات الأفروآسيوية. وهذه التسمية أتت من افتراض مفتعل وغير صحيح ينسب الساميون ، إلى سام بن نوح الذي هو أبو الشعوب التي تتحدثها حسب المعتقدات الدينية. يتحدث باللغات السامية حالياً حوالي 467 مليون شخص ، ويتركز متحدثوها حالياً في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وشرق أفريقيا . أكثر اللغات السامية انتشاراً هذه الأيام هي العربية إذ يفوق متحدثيها 422 مليون متحدث ، تليها الأمهرية بـ 27 مليون متحدث ثم العبرية بـ 5 ملايين متحدث ثم التيغرينية بحوالي 6.7 ملايين متحدث. تعتبر اللغة الاكديّة العراقية أقدم لغة سامية مكتوبة ومتداولة ثقافياً ودينيّاً وشعبياً ، إذ تعود أقدم نصوصها الى أواسط الألفية الثالثة قبل الميلاد وقد كتبت بالخط المسماري الذي ابتدعه السومريون العراقيون. وقد ظلت الاكديّة بلهجتها (الشمالية الآشورية والبابلية الجنوبية) لغة العراق والشرق الاوسط لحوالي ألفي عام ، أي حتى القرون الاخيرة قبل الميلاد ، حيث بدأت اللغة الآرامية تحل محلها. أوجد اللغويون عدة تصنيفات للغات السامية ، إلا أن أحدث التصنيفات تقسم اللغات السامية إلى مجموعتين كبيرتين :

- شرقية عراقية وهي الاكديّة ، ثم الآرامية الشرقية (السريانية).
- غربية (شامية) وهي الاوغارتية والكنعانية ، ومنها العبرية القديمة ، والفينيقية ، ثم الآرامية الغربية (السريانية) ، ومنها المالطية.
- لغات الجزيرة العربية الشمالية (من غير اليمن) ، وهي لغات ولهجات الجزيرة العربية ومنها اللغة العربية الفصحى.
- لغات جنوب الجزيرة العربية : تضم اللغات العربية الجنوبية باليمن وعمان ، وكذلك لغات الحبشة الجزعية والامهرية وغيرها.

لغات اوربا

- تنقسم لغات الشعوب الاوربية الى عدة مجموعات لغوية متقاربة ، وتنقسم الى مجموعتين :
- مجموعة اللغات الهندو- اوربية (الآرية) ، والتي تنقسم بدورها الى عدة مجاميع فرعية :
- اللغات الجرمانية : هي اللغات التي يتحدث بها في أجزاء أوروبا الشمالية الغربية وبعض أجزاء أوروبا الوسطى. تشمل منطقة اللغات الجرمانية في أوروبا كلاً من المملكة المتحدة (بعض أجزائها كانت تتحدث باللغات الكلتية) وإيرلندا وآيسلندا وألمانيا والنمسا وهولندا والدنمارك والسويد والنرويج واللوكسمبورغ وليكسنشتاين وجزر فارو والجزء المتحدث

بالألمانية من سويسرا ومنطقة الفلاندر في بلجيكا والمناطق المتحدثة بالسويدية في فنلندا ومنطقة الترايول الشمالي في إيطاليا.

- اللغات الرومانية (اللاتينية): هي اللغات التي يتحدث بها في الأجزاء الجنوبية الغربية من أوروبا بالإضافة إلى دولتي رومانيا ومولدوفيا الواقعتين في أوروبا الشرقية. الدول والمناطق المتحدثة باللغات اللاتينية تشمل: أسبانيا وإيطاليا وفرنسا ورومانيا ومولدوفا والبرتغال والمناطق المتحدثة بالرومانشية والإيطالية في سويسرا ومنطقتي والونيا في بلجيكا وروماندي الجزء المتحدث بالفرنسية في سويسرا.

- اللغات السلافية: هي اللغات التي يتحدث بها في أجزاء أوروبا الوسطى والشرقية. تضم هذه المنطقة كلاً من: روسيا البيضاء والبوسنة والهرسك وبلغاريا وكرواتيا وجمهورية التشيك ومقدونيا وبولندا وروسيا وصربيا والجبل الأسود وسلوفاكيا وسلوفينيا وأوكرانيا.

- اللغات الكلتية (السلتية) وهي لغة هندو أوروبية، وكانت معظم أوروبا تتكلم اللغات السلتية قبل انتشار اللغات الجرمانية واللاتينية، وقد بقيت آثارها في هذه اللغات. لكن هنالك بعض اللغات التي مازالت تحتفظ بأصلها الكلتي، مثل لغات أسكتلندا وويلز وكورنوال (في المملكة المتحدة) و(جزيرة مان) تتبع التاج البريطاني (وبريتانيا) في فرنسا، بالإضافة إلى اللغة الأيرلندية.

- اللغة اليونانية: وهي لغة هندو-أوروبية، ويتحدث بها في اليونان وقبرص اليونانية.

- اللغة الألبانية: وهي لغة هندو أوروبية ويتحدث بها الألبان.

- اللغات البلطيقية: وهي لغات دول البلطيق ويتحدث بها في لتوانيا ولاتفيا.

• مجموعة اللغات الأوربية المختلفة:

وهي اللغات التي لا تنتمي إلى مجموعة اللغات الهندو-أوروبية التي تسود غالبية أوروبا، وهي:

- لغة الباسك: وهي لغة منفصلة وحيدة، يتحدث بها أهل الباسك في فرنسا وإسبانيا.

- اللغات الأورالية: هي عائلة لغوية تضم اللغات الفينية البرمية ويتحدث بها في فنلندا وإستونيا، بالإضافة إلى اللغة

الهنغارية.

- اللغات التركو-الألطية: وهي اللغات التي يتحدث بها في تركيا وقبرص والبلقان، بالإضافة إلى الكثير من مناطق

آسيا.

لغات العالم وتقسيم الدول

بسبب الصعوبات الإحصائية، فإن المصادر لا تتفق حول عدد لغات العالم، وتتراوح بين حوالي ثلاثة آلاف وعشرة

آلاف. ولكن لو نظرنا على الأقل للغات الكبيرة المعروفة في أنحاء العالم، فأنا سوف نتوصل إلى القناعة التالية:

إن اللغة ليست لها أية علاقة بالدول والامم والحدود. فمن السذاجة ومن المستحيل توحيد الدول على أساس

الوحدات اللغوية. إن حدود الدول تصنع بواسطة التاريخ والجغرافيا والمصالح المشتركة، أما عامل اللغة فهو ثانوي. فلو

أردنا أن نأخذ هذا بنظر الاعتبار فيعني ان الغالبية الساحقة من دول العالم سوف يتم تقسيمها وتلغى حدودها، مما سيؤدي الى حروب وحروب لا تنتهي!

هنا أمثلة عن اللغات المعروفة والدول التي تنتشر فيها(ارقام حوالي عام 2000):

الإنكليزية / 2 مليار : 65 دولة تعتبر لغة رسمية فيها.
المندرين (البوتخوا) / 1 مليار: الصين، روسيا، منغوليا.
الإسبانية / 495 مليون: اسبانيا مع 25 دولة في أمريكا الجنوبية والوسطى ماعدا البرازيل.
العربية / 470 مليون : 25 دولة في الشرق الأوسط.
الروسية / 250 مليون : روسيا، مع 9 دول في آسيا وأوروبا.
البرتغالية / 220 مليون: البرتغال والبرازيل، مع 9 دول في إفريقيا وأمريكا الوسطى.
الفرنسية / 190 مليون : فرنسا، 34 دولة في إفريقيا وأمريكا وأوقيانوسيا.
الألمانية / 150 مليون : ألمانيا، سويسرا، النمسا، اللشنتشتاين، هولندا، اللوكسمبورغ.
الإيطالية / 120 مليون: إيطاليا، كندا، الولايات المتحدة، الفاتيكان، سان مارينو، اللشنتشتاين، فرنسا، مالطا.
التركية / 100 مليون : تركيا، بلغاريا، اليونان، شمال العراق، تراقيا، أذربيجان.
البولندية / 60 مليون : بولندا، ليتوانيا، اوكرانيا، تشيكيا، سلوفاكية.
الإسكندنافية / 50 مليون : فنلندا، السويد، النرويج، الدانمارك، آيسلندا، غرينلاند، فاروي، جان ماين، سفالبارد.
الأوكرانية / 50 مليون : أوكرانيا، روسيا، بيلاروسيا، بولندا، ليتوانيا، مولدوفا.
الهولندية / 40 مليون : هولندا، بلجيكا، اللوكسمبورغ، سورينام.
اليونانية / 30 مليون : اليونان، قبرص، تراقيا، ألبانيا، بلغاريا.
اليابانية / 160 مليون : اليابان.
الكورية / 90 مليون : كوريا، تايوان.
المالوية / 100 مليون : تايلاند، أندونيسيا، ماليزيا، بروناي، بابوا نيو غينيا.
التاميل / 100 مليون : الهند، سريلانكا، بورما، بوتان.
البنغالية / 220 مليون : الهند، بنغلادش.
الفارسية / 50 مليون : ايران، وطاجكستان.
الهندية / 400 مليون : الهند.

نماذج لتنوع اللغات في البلد الواحد

لغات اسبانيا :

اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية في جميع أنحاء البلاد، بينما تعد اللغات الكاتالانية، الغاليزية والباسكية لغات رسمية في بعض المناطق. اللغات الأراغونية والآرانية هي أقل انتشاراً وتستعمل فقط ضمن عدد محدود من الإسبان.

لغات انكلترا :

الإنكليزية هي اللغة الأولى في البلاد. هناك لغات محلية أخرى: الويلزية (Welsh)، الغاليلية (Gaelic) في إسكتلندا، الأيرلندية (Irish) والعديد من اللهجات الاسكتلندية (Scots).

لغات فرنسا :

الفرنسية هي اللغة الرسمية، كذلك هنالك لغات محلية عديدة: البروتانية، الباسكية، الكورسية، الاوكسيتان، الالزاسيان.

لغات افغانستان :

يتكون سكان أفغانستان من عدة مجموعات عرقية تتكلم بعدة لغات مختلفة، هي:

- فارسي (آداري) % 50 لغة كل المناطق في أفغانستان. والأغلب من المناطق المركزية والمناطق الشمالية والغربية وتعتبر لغة الوحدة الوطنية.
- پشتو (قريبة للفرسي) % 30 وتعتبر اللغة الثانية الرسمية بعد اللغة الفارسية.
- اللغة الأوزبكية (تركستانية) ويمثلون % 20 من الشعب.
- اللغة العربية (من أصول عراقية) وهم قلة يعيشون في مدينة مزار شريف.

لغات ايران وقومياتها

هذه الارقام التقريبية حسب العديد من المصادر المتداولة:

- الناطقون بالفارسية % 45

- الناطقون بالأذرية (التركية) : % 33 - % 35

- الناطقون بالتركمانية : % 3

- الناطقون بالكردية : % 7

- الناطقون بالعربية : % 7

- الناطقون بالبلوشية : % 3

لغات الهند

اللغة الهندية هي اللغة الرسمية طبقاً لما جاء في الدستور، حيث يتحدث بها حوالي % 40 من السكان. ويوجد حوالي 1000 لغة ولهجة مستخدمة في الهند، منها حوالي 24 لغة لا يقل عدد المتحدثين بكل منها عن مليون نسمة، مثل اللغة البنغالية التي يتحدث بها حوالي % 8 من السكان، والتلجو، والمارثية، والتاميلية، والأوردية، والكانادية، وماليالم،

والسنسكريتية، والسندية، والكشميرية، والبنجابية، والأسامية، والنيبالية، والأورايا، هذا بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية التي لا زالت هي لغة الثقافة وشبه رسمية.

* * *

أبجديات العالم (الالف باء)

الأبجدية الأوغاريتية	الحروف اللاتينية	الحروف العربية	الأبجدية الأوغاريتية	الحروف اللاتينية	الحروف العربية	الأبجدية الأوغاريتية	الحروف اللاتينية	الحروف العربية
	A	ا		Y	ي		P	ف
	B	ب		K	ك		S	ص
	G	ج		Š	ش		Q	ق
	H	خ		L	ل		R	ر
	D	د		M	م		T	ث
	H	ه		D	ذ		G	غ
	W	و		N	ن		T	ت
	Z	ز		Z	ظ		I	إ
	H	ح		S	س		OU	ؤ
	T	ط		C	ع		(S)	(س)

((أبجدية أوغاريت السورية، هي أول أبجدية في التاريخ وجذر جميع أبجديات العالم))

الابجدية هي مجموعة من الرموز أي الحروف التي تكتب بها لغة ما. وهناك نوعان من الكتابة :
1- الصورية، وهي تعتمد على إيجاد رمز صوري لكلمة كلمة. ومن أقدم الكتابات الصورية المنقرضة: المسماية والهيروغليفية، وحاليا توجد الصينية واليابانية.

2- الابجدية، أي الالف باء، وهي الكتابة التي تعتمد على كتابة الاصوات التي تتكون منها كل كلمة، أي الحروف.

الابجدية الكنعانية (الاوغاريتية - الفينيقية)

ان أول وأقدم نظام للابجدية في العالم أجمع، قد اخترعه الكنعانيون أولاً في الساحل السوري في (اوغاريت - اللاذقية)، ثم طوّره وأشاعه الفينيقيون في الساحل اللبناني. وقد تكونت هذه الابجدية على عدد محدود من الحروف يمثل كل حرف منها صوتاً بسيطاً. وكان ذلك حوالي سنة 1400 قبل الميلاد. وعن الفينيقيين أخذ الإغريق أبجديتهم (حوالي القرن الثامن قبل الميلاد). وعن الإغريق أخذ الرومان بدورهم أبجديتهم اللاتينية، ومن ثم أنتشرت هذه الأبجدية، الكنعانية الشامية في أوروبا الغربية فكتبت بها الإنكليزية والفرنسية وغيرهم في باقي العالم. جميع أبجديات العالم تعود في أصلها الى الابجدية الكنعانية، التي هي أم الابجدية العربية والعبرية والسريانية.

وقد كتبت هذه الابجدية أولاً على قوالب الحجر بالطريقة المسماية. كانت تتألف من اثنين وثلاثين حرفاً. ثلاثة منها صائتة، وكانت تكتب من اليسار إلى اليمين. وقد كشفت الحفريات التي أجريت في رأس شمرا، ابتداء من عام 1929 عن ألواح فخارية تحمل كتابات بهذه الأبجدية ترقى إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ومعظم هذه الكتابات دينية، وهي تضم ملحمة تدور حول النزاع السنوي بين إله الخصب (عليان، بعل) وخصمه الهة القحط (موت).

الابجدية الفينيقية

يعتبر الفينيقيون (في الساحل اللبناني) أول من طوّر وأشاع الأبجدية الاوغاريتية، لذلك سميت الكتابات الكنعانية اللاحقة بالأحرف الفينيقية. وبسبب تنقل الفينيقيون وتجارتهم في أنحاء البحر المتوسط، انتشرت هذه الأبجدية لدى شعوب المتوسط كله، ابتداءً باليونانيين. وقد اتخذت هذه الابجدية الفينيقية شكلين من أصل واحد: شرقي (كنعاني - آرامي) وغربي (لاتيني - يوناني)، وهما أساس كل الأبجديات وجذر أبجديات العالم..

وكانت الكتابة الفينيقية تعتمد على أشكال يرمز كل شكل منها إلى مخرج صوتي. وتسمى هذه الأشكال حروفاً. وكان هناك 22 حرفاً في اللغة الفينيقية (الكنعانية). وكان كل حرف يبدأ بحرف ساكن يسمى به وينفس الوقت كان يرمز إلى الصوت الذي يشكله. فمثلاً، الصوت (به) والذي يصدر بالنفخ والشفوتين مغلقتين يسمى (باء) ويرمز إلى حرف (ب) بالفينيقية. ومن الجدير ذكره، أن أول 4 حروف كانت تمثل الاصوات (ء) ثم (به) ثم (جه) ثم (ده)، لذا سميت بالابجدية. واستعمل الفينيقيون خطأً أفقياً للفصل بين الكلمات في البداية ثم تطورت وأستعملت مساحة فراغ بدلاً منها.

الابجدية اليونانية

بحلول القرن الثامن الميلادي، استعار الإغريق الأحرف الفينيقية في كتاباتهم. وكانت الأحرف الإغريقية هي نفس الأحرف الفينيقية وحتى ترتيب الأحرف كان نفسه. إلا أن غياب حروف العلة قد جعل من الصعب كتابة كل الكلمات

المستعملة. لذلك، حوّل الإغريق بعض الأحرف الفينيقية التي لا يلفظوها إلى أحرف علة لتحريك الكلمات. فمثلاً، لم يستطع الإغريق لفظ الأحرف الحلقية مثل الهمزة (وبالفينيقية سميت ألف) لذلك حولوا رمز الهمزة إلى حرف علة وسموه (الفا) ليستعمل كحرف علة. وبهذه الطريقة، استطاع الإغريق كتابة ستة من أحرف علتهم الـ 12 مستعملين حروفاً فينيقية. ولتعويض بقية أحرف العلة دمجوا حرفين معاً ليشكلا حرف علة واحداً مثلاً، دمجوا الـ O مع - ليخلقوا حرف O الذي أصبح Ω (أوميغا) الحالية. وفي بعض الحالات، فقد أهملوا بعض لفظاتهم (مثل الألف الممدودة). من الاغريقية، تطورت العديد من الأبجديات مثل أبجدية الإغريق الغربية وعرفت بلغة (الكوماي) واستعملت بغرب أئينا وجنوب إيطاليا. وأخرى سميت بالاغريقية الشرقية وهي الأحرف المستعملة في المناطق الشرقية (أي تركية الحالية) وشرقي أئينا. والابجدية الثانية هي التي تطورت إلى الابجديات الغربية الحالية. في البداية كتب الاغريق من اليمين إلى اليسار مثل الفينيقيين إلا أنهم تحولوا إلى الكتابة من اليسار إلى اليمين.

الابجدية اللاتينية

وهي أبجدية من أصل فينيقي، وتكتب بها من اليسار إلى اليمين. مثل اللغة الإنكليزية ولغات معظم البلدان الأوروبية والأقطار التي استوطنها الأوروبيون. وتعتبر أوسع أبجديات العالم انتشاراً. وقد نشأت في وقت سابق للعام 600 قبل الميلاد بقليل؛ وأقدم نقش دون بها إلى القرن السابع قبل الميلاد. ولقد كانت الأبجدية اللاتينية الكلاسيكية تتألف من 23 حرفاً. ولكن حرف I طور - خلال القرون الوسطى - فأصبح حرفين هما I و J في حين طور حرف V فأصبح ثلاثة أحرف هي U و V و W وهكذا أمسى عدد حروفها ستة وعشرين.

الابجدية العربية

وهي أوسع الأبجديات العالمية انتشاراً بعد الأبجدية اللاتينية. وضعت في الأصل للكتابة العربية ثم انتشرت مع الفتح الإسلامي في كثير من أقطار نصف الكرة الشرقي، فتبناها الفرس والأتراك وغيرهم. نشأت تقريباً في القرن السادس الميلادي (قبل الإسلام بقليل) عن الأبجدية النبطية (الآرامية العراقية). والأبجدية العربية تتألف من 28 حرفاً؛ وهي تكتب من اليمين إلى اليسار. وكانت في الأصل غير معجمة (أي غير منقوطة) وغير مشكولة. ولكنها سرعان ما أعجمت وشكلت في صدر الإسلام في العراق. أما أقدم نص وصل إلينا مدوناً بحروف بين العربية والآرامية، فيعود إلى عام 512 للميلاد.

أبجديات آسيا

عدى الكتابة الصينية واليابانية، وهي صورية (مثل المسمارية والهيروغليفية)، فإن جميع أبجديات آسيا، كما أوروبا، تعود إلى أصول فينيقية، وهي:

- الأبجدية الجورجية: لا يوجد أي توثيق للغة الجورجية إلا أن لها خصائص من الفارسية الآرامية وبعض ملامح الإغريقية.

- أبجدية البراهمة : وجذورها تعود إلى الآرامية وهي تستعمل في شبه القارة الهندية ومنها انتشرت إلى التبت ومنغوليا والهند الصينية وأرخييل الملايو مع انتشار الديانة البوذية. ولم تصل إلى الصين أو اليابان على أساس انهم كانوا يستعملون أبجدية تصويرية متطورة .
- أبجدية الهانغول : هي الأبجدية المستعملة في كوريا. لقد استنبطت في القرن الخامس عشر الميلادي. يعتبر الكثيرون انها اخترعت من دون أي تأثير من خطوط سبقتها. لكن يعتقد أن أكثر من ستة أحرف من أحرفها الصوتية اعتمد على أحرف تيبية مستمدة من الأحرف البراهمية. أما بقية الأحرف فلها خاصيتها الفريدة.

لغة الاسبرنتو

وهي لغة دولية مصطنعة بنيت على أساس الكلمات المشتركة في اللغات الأوروبية الرئيسية. اخترعها عام 1887 العالم اللغوي البولندي الدكتور زامنهوف الذي إتخذ لنفسه إسماً مستعاراً هو الدكتور أسبيرانتو (أي المفعم بالأمل)، وعلى أمل أن تصبح اللغة المتبادلة بين جميع شعوب العالم، لكن المشروع لم ينجح. ويزيد عدد الناطقين بالأسبيرانتو اليوم على مئة ألف شخص. وهناك أكثر من مئة مجلة تنشر بهذه اللغة. وقد صدر بها حتى الآن ما ينوف على 30.000 كتاب. معظمها مترجم.

المصادر

- المدخل الى قصة الكتابة في الشرق العربي القديم / د. عدنان البني / دمشق 2001 م.
- تاريخ اللغات السامية / إسرائيل والفرنسون / طبعة أولى / مطبعة الاعتماد 1929 م.
- الأبجدية الفينيقية والخط العربي / د. ألباس بيطار / الطبعة الأولى / 1997 م / دار المجد للطباعة والنشر.
- كتبوا على الطين : ادوارد كيبيرا / رقم الطين البابلية تتحدث اليوم / ترجمة محمود حسين الأمين / بغداد 1964 م.
- الأبجدية / نشأة الكتابة وإشكالها عند الشعوب / أحمد هبو / دار الحوار للنشر / ط 1 1984 م .
- Atlas des langues du monde - Roland Breton – Autrement – 2003
- Les langages de l'humanité - Une encyclopédie des 3000 langues parlées dans le monde.
- Michel Malherbe – Seghers
- Sacks, paris 2008 - Une histoire de l'alphabet : La vie secrète des lettres de A à Z par David Marie - Josée Chrétien, et Louise Chrétien / Relié /
- La grande encyclopédie de l'écriture par Renzo Rossi, Patricia Silva, Andrea Dué, et Josette Gontier (Broché 2006)

ملف لغت العراق القديم



- ❖ تاريخ السومرية والا كدية (البابلية- الآشورية)
- ❖ وجود اللغة السومرية لا يدل على وجود السومريين!
- ❖ أطوار اللغة السومرية
- ❖ اللغة الأ كدية
- ❖ الكتابة المسمارية
- ❖ من معالم الحضارة العراقية القديمة

تاريخ السومرية والاكديّة

(البابلية - الآشورية)



ان برج بابل اعثبر رمزاً اسطورياً عالمياً انطلقت و(تبلبت) منه جميع لغات العالم

جميع كتب التاريخ تتفق على ان العراق (بلاد النهرين) منبت أول حضارة على الارض ، الى جانب الحضارتين المصرية والسورية. ابتداء النشاط البشري الملموس في حدود (100 - 60) ألف سنة ق.م ، حيث ظهرت آثار الجماعات الأولى من انسان (نياندرتال) في منطقة الرطبة وحوض الموصل وكهف شنيدر. وعبر العصور الثلاثة التي اصطلح عليها المؤرخون (العصر الحجري القديم ، والأوسط ، والحديث) تطور نشاط الانسان الأول في العراق وبدأ انتقاله التاريخي من الالتقاط والصيد إلى الزراعة والتدجين وتطوير بعض الادوات الضرورية. وفي العقدين الأخيرين من الألف العاشر ظهرت القرى الزراعية التي كشفت طبقاتها الأولى عن نشاط زراعي حيواني منظم وكشفت عن استقرار اجتماعي.

يعتبر (الفخار) من أبرز المبتكرات التي لها أهميتها. وشاع استخدام المعادن وتطور النمط العمراني بتطور المباني وتطور تلوين الخزف وتطورت المعابد وتطور الفن واتسع انتشار مراكز الاستقرار الاجتماعي في وسط العراق ونموها السريع. ثم ظهر الدولاب الذي يصنع به الفخار وبدأت الحضارة العراقية تأخذ طريقها إلى خارج العراق.

وفي فجر التاريخ (3000 ق.م) تعززت مكانة المعبد ودوره الاجتماعي والاقتصادي الذي ارتبط بتطور القرى الزراعية. وقد توج هذا التطور بابتكار الكتابة إذ عثر على أول نموذج لها بهيئة صورية تعود إلى سنة 3000 ق.م في الطبقة الرابعة من موقع مدينة الوركاء. وقد وجدت الكثير من هذه الاختام الاسطوانية في سوريا ومصر وعيلام وأواسط أنضوليا، وهذا يدل على مدى تأثير الحضارة العراقية ومنذ وقت مبكر، على عموم الشرق الاوسط.

الاساس الحضاري

إن (مرحلة الحضارة العراقية القديمة) قد دامت حوالي 3000 عام، أي بين (3000) قبل الميلاد، حتى سقوط بابل (آخر دولة عراقية قديمة) في القرن السادس ق.م وعرفت بـ (حضارة بلاد النهرين). ومقر هذه الحضارة هو العراق الحالي، بالإضافة إلى أجزاء أخرى تابعة له جغرافياً وحضارياً ((في سوريا - منطقة الجزيرة - كذلك في إيران (الاحواز)، ثم في جنوب تركيا - أعالي النهرين)). ولكن هذه الحضارة النهرينية كانت من القوة والتأثير انها شملت كل الشرق الاوسط وأصبحت اللغة الاكدية والكتابة المسمارية هي المتداولة بين دول العالم القديم، مثلما حال الانكليزية في العصر الحالي. منذ الربع الاخير من الالف الرابع ق.م برزت جماعتان رئيسيتان هما (السومريون)، بالإضافة إلى من اطلق عليهم (الأكديون) في عهود لاحقة. وعلى الرغم من تركيز السومريين في المدن الجنوبية مثل أريدو وأور في محافظة ذي قار والوركاء في محافظة المثنى، وتركز الأكديين في كيش في محافظة بابل وسبار في محافظة بغداد وبعض المواقع في محافظة الانبار فقد امتزجت كلتا الجماعتين وتفاعلتا في كل المدن العراقية القديمة. وربما كانت القيادة السياسية للاكديين ثم للسومريين ومن بعدهم للاكديين والسومريين مرة أخرى.

إن العراقيين قدموا الكثير من الانجازات الحضارية للإنسانية وتعد (الكتابة المسمارية) من أعظمها، ثم المدرسة ونظام التعليم، كذلك تكوين أسس النظام السياسي ومجلس الشورى وسن اولى القوانين والشرائع الطامحة لتحقيق العدالة. فمنذ عهد الحاكم السومري (أوروكاجتيا) الذي كثف خطابه الإنساني في القانون بعبارة (جئت لأخلص الضعيف من القوي ولن أدع أحد ينام وهو جائع). وصنع العراقيون الاساطير و(ديانة الكواكب) التي شكلت أساس الاديان السماوية. أما في مجال الادب فإن ملحمة كلكماش وتموز وعشتار والطوفان تعد من اولى الابداعات الادبية الكبرى. كذلك قاموا بجمع اللوائح وأبدعوا أول أسس الترجمة والقواميس ذلك إن مكتبة الملك الآشوري (آشوربانيبال) تشير إلى استنساخ ألواح المعرفة القديمة وتأسيس نظم الفهارس المكتبية. أما في مجالات الفكر والعلوم، فقد وضع العراقيون قوانين ومكتشفات مهمة في مجال علوم الكيمياء والطب والفلك.

السومريون، أصلهم وحضارتهم

ظهر اسم سومر في بداية الألفية الثالثة ق.م. لكن جذور السومريين تعود الى الألفية السادسة ق.م. حيث ظهرت اولى معالم الحضارة العراقية التي اطلق عليها الآثاريون (الحضارة العبيدية) نسبة الى (تل العبيد - جنوب العراق قرب الناصرية)، ثم تطورت الى الحضارة السومرية.

أما الجدل الحامي منذ قرنين حول (أصل السومريين) و(من أين أتوا) فهو جدل مصطنع لأنه لا معنى له ، فهو يتعلق بكل شعوب العالم. لهذا فأن الميل العام أصبح لصالح الفرضية القائلة بأن السومريون هم سكان العراق الاصليون منذ سحيق التاريخ. والادلة المعقولة على هذا انه لم يعثر حتى الآن على أي أصل لغوي أو تقارب واضح مع أية لغة في العالم. رغم كل الفرضيات القائلة بأن اللغة السومرية ، بما انها لغة مقطعية غير تصنيفية ، فأنها تشبه في بعض النواحي اللغات (الاطو- تركية) مثل التركية والفنلندية والهنغارية..

((لمزيد من المعلومات حول هذه الاشكالية نحيل للنص المنشور في نهاية هذا الموضوع عن كتاب الباحث العراقي نائل حنون الذي يدافع فيه عن نظرية ان اللغة السومرية لا تمثل شعب بل هي لغة مصطنعة خاصة بالصفوة الدينية لتمييزهم عن السكان الناطقين بالاكديية))..

ان آثار السومريين تدل على انهم كانوا يعيشون في كل أنحاء العراق ، لكن مدنهم ودويلاتهم قامت أولاً في السهل الجنوبي العراقي ، لأن خصوبته وغناه البيئي سمحت بهذا الانجاز الحضاري التاريخي. في هذا السهل قامت المدن الاولى مثل أور وأوروك ونيبور ولارسا ولجش وكولاب وكيش وإيزين وأريكو وأدب. في هذه المدن كانت بدايات التخطيط للسيطرة على الفيضانات وانشاء السدود وحفر القنوات والجداول. في هذا السهل كانت شبكة القنوات معجزة من معجزات الري مما جعل السومريين بناء أقدم حضارة في التاريخ.

لقد عاش السومريون في جميع أنحاء بلاد النهرين ، وقد ظهرت معالمهم في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد. لكن حضارتهم تركزت في جنوب العراق (أرض شنعار) أي (جنة عدن) كما يسميها الكتاب المقدس ، حيث يتفرع نهر دجلة والفرات وجدولهما العديدة ، إضافة الى ما يخلفانه جراء فيضانهما في أهوار أو مستنقعات جنوب العراق ، حيث تزدهر حولها الزراعة وتنمو في ربوعها الأشجار والنباتات. يعتبر السومريون ، أو(ذوي الرؤوس السود) كما يسمون انفسهم ، أول صنّاع الحضارة على الارض حيث أقاموا المدن ونظموها لأول مرة ، وبنوا المعابد وأنشأوا المدارس والمكتبات ، بعد ان أبدعوا في اختراع الكتابة المسمارية واللغة السومرية التي سرعان ما انتشرت في جميع حواضر الشرق الأدنى القديم والتي أوصلتهم الى أسباب الحضارة والمعرفة.

وقد أنتج السومريون أدباً رائعاً وشعراً جميلاً امتاز بالعمق والرقّة والتعبير الصادق. وقد دونوا هذا الأدب الإنساني على الرقم الطينية التي صنعوها من الطين النظيف المتوفر على شواطئ الأنهار وفروعها الوفيرة.

ان أول حاكم سومري قدرّ لأخباره أن تجد سبيلها الى التدوين ووصلتنا ، كان الملك (ايتانا) أمير(مدينة لكش) في مطلع الألفية الثالثة قبل الميلاد ، وخلف لنا بعد ذلك أسطورة (ايتانا والنسر). كما يذكر ملكاً سومرياً آخر وهو(كلكامش) صاحب الأسطورة البديعة التي عرفت بأسمه ، وكانت حياته وكفاحه من أجل مدينته اوروك ، قد سجلت في قصيدة أخرى مطولة تصور صراع كلكامش مع ملك كيش (أكا) الذي انتهى بانسحاب جيش ملك كيش عن أرض أوروك عام

(2700 ق.م) تقريباً. وأعطت ألينا حضارة سومر أيضاً قصة طوفان نوح (زيو سودرا) وقصائد أخرى بعضها سجلت قديماً في زمانها والبعض الآخر دُونَ بعد قرن من الزمن تقريباً. ومن حسن الحظ ان التراث السومري وجد معظمه بفضل (مدينة سيبار) التي ضمت مكتبة ضخمة لا تقل عن مئتي ألف رقيم ، وجد فيها ما يقارب من مئة وثلاثين ألف رقيم.

المصادر

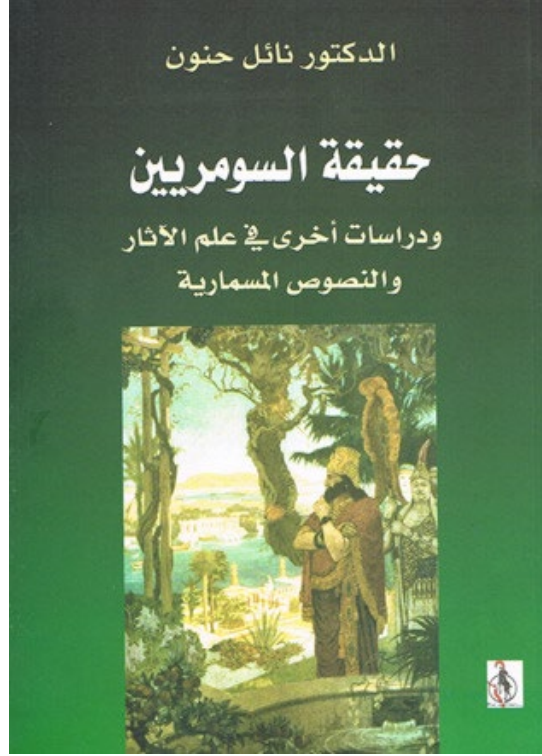
. Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne/JOANNES Dicoland / PARIS 2001

- فراس السواح / مغامرة العقل الأولى / دار الحكمة / بيروت / ط 1 - 1981 .
- ليواوبنهايم / بلاد ما بين النهرين / ت: سعد فيضي عبد الرزاق / ط 1 / دار الحرية للطباعة / بغداد 1981 .
- فاضل عبد الواحد / الأدب / حضارة العراق / ج 1 / بغداد 1985 .
- فرانكفورت / مجموعة باحثين / ما قبل الفلسفة - الانسان في مغامرات الفكر الاولى / ت: جبر ابراهيم جبرا / ط 2 المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت 1980.



وجود اللغة السومرية

لا يدل على وجود السومريين !



كتاب الباحث العراقي (نائل حنون) الذي أثار الضجة

من المعلوم انه منذ القرن التاسع عشر والكشف عن الحضارة العراقية اختلف العلماء حول حقيقة السومريين وانقسموا إلى فريقين، أحدهم يعتقد بوجود الشعب السومري، بدليل وجود اللغة السومرية. أما الفريق الآخر فقد رأى أنه لا يوجد دليل واضح على وجود السومريين كشعب، وأن اللغة السومرية كانت لغة سرية من ابتكار البابليين أنفسهم وكانت هذه اللغة تستخدم لأغراض دينية وشعائرية.

وهاهو الباحث والمؤرخ العراقي (نائل حنون) يقدم لنا الادلة على صحة الفرضية القائلة بعدم وجود السومريين! ان دراسته العلمية الأثرية هذه استغرقت أكثر من خمس سنوات، درس خلالها أكثر من خمسة عشر ألفاً من المفردات السومرية والأكادية. وتبين بصورة واضحة ان السومريين ما وجدوا كشعب وكمجموعة أئنية مستقلة أو ذات خصوصية، بل ان (السومرية) هي ظاهرة كتابية لا أكثر. وعلى الأرجح ان السومريين هم أنفسهم أسلاف الأكاديين مخترعي هذه اللغة التدوينية. يلخص الباحث فرضيته :

((من خلال ما تقدم يتضح لنا إن الافتراض بوجود شعب سومري، يستدل على وجوده من وجود اللغة التي أطلق عليها اسم اللغة السومرية ومن أسماء الأعلام المصاغة بهذه اللغة، يثير من الأسئلة والإشكالات أكثر مما يجيب عليه. ويتضح لنا أيضاً انه لا توجد أدلة سوى اللغة على وجود السومريين باعتبارهم قوماً عاشوا مع الأكاديين أو سبقوهم على أرض جنوب بلاد النهرين. وحتى في مجال الكتابة أصبح جلياً إن الدراسات العلمية الرصينة لا تميل إلى قبول الرأي القائل أنها من اختراع السومريين. ومن هنا فأنا نميل بدليل ما تقدم، إلى الاعتقاد بعدم وجود شعب يختلف قومياً عن

الأكاديين بهذا الاسم. وأما اللغة السومرية فلدينا ما يكفي من الأسباب التي تجعلنا نذهب إلى أنها لغة وضعت من قبل الأكاديين لغرض التدوين قبل أن يتمكنوا من ابتكار وسيلة لتدوين اللغة الأكادية نفسها. ونرى أن اللغة السومرية بالشكل التي وضعت فيه لم تكن قابلة للتحدث بها، كما سنوضح لاحقاً ولكنها ساعدت الأكاديين على التوصل إلى المقطعية، بعد المرحلتين الصورية والرمزية)) ص32

الكتاب يورد العديد العديد من الأدلة والشروحات التي تؤكد هذه الفكرة، منها:

- الدليل الوحيد على الوجود المفترض للسومريين هو وجود اللغة السومرية ولكن هل يمكن أن نستدل على وجود شعب من لغة خاصة بالتدوين فقط ولا تستعمل في التخاطب. ان الاختلافات بين السومرية والأكادية ليست كافية لنفي ارتباط اللغتين. ان السومرية هي البداية لما طُوِّر لاحقاً على يد الأكاديين ..((بدأ الناس بكتابة ما ينطقون به بشكل رموز بدائية ثم طوروا تلك الرموز .. أي أنه طبيعي أن تتم تلك النقلة بغض النظر عن صاحبها)).
- هذه ليست المرة الأولى التي يقوم بها العلماء الغربيين بالتلاعب بالحقائق المتصلة بمعطيات تاريخية وأثرية، ولا هي المرة الأولى التي يحاولون فيها نسب المنجزات التي قدمها العرب أو الساميون إلى غيرهم من الشعوب: من الأدلة الواضحة على هذا التلاعب المقصود، عندما اضيف زوراً أسم السومريون في كثير من الرقم حيث ورد أحياناً (الشعب السومري) وأحياناً (أرض سومر)، في تراجم العلماء الغربيين الذين نقلوا الكتابة من المسمارية إلى اللاتينية، ثم منها أخذ كل العلماء والباحثون في أصل اللغة والحضارة.
- ولكن عندما عاد الباحث إلى الرقم الأولى التي تناولتها الترجمة، حتى اكتشف فيها خديعة كبرى هي أن هؤلاء العلماء، وأهمهم (كريمير) قاموا بزيادة صغيرة، فقط أضافوا (كلمة سومر وسومري) حيث ناسب ذلك. انه كلام مثير ولكن الرقم موجودة ويمكن التأكد منه. أن الرقم تذكر مثلاً عبارة: (خمس جرار إلى الأرض).. لكن ترجمة (كريمير) تقول: (خمس جرار إلى أرض سومر).. وهكذا...
- أن ما سمي بالأدب السومري لم يدون قبل العصر البابلي القديم أي أن السومريين قد تم ذكرهم بعد اختفاء وجودهم المفترض بأكثر من خمسمائة عام! أي إن علم اللغة السومرية يقع بالأساس خارج العصر السومري حيث استمر التدوين بها من قبل العراقيين لأكثر من ألف عام بعد انتهاء السومريين.
- يبقى ان نشير الى أن (كريمير) هذا الذي أخذنا كلامه وصدقناه وتحولنا معه من البحث في تطور اللغة والحضارة إلى السؤال المحير والساذج عن (أصل السومريين)، هو إسرائيلي الهوية ويحضر المؤتمرات الدولية باسم إسرائيل!.
- حتى الآن لم يتم العثور على أية أصول يقينية أو علاقة واضحة ومؤكدة مع أي لغة أخرى. إن اللغة السومرية لغة منعزلة ولا تعود إلى أي عائلة لغوية قديمة أو حديثة معروفة. وهذا يؤكد انها مصطنعة وليست طبيعية.
- ان العقيدة الدينية لسكان بلاد النهرين لا تدل على وجود شعبين مختلفين (سومري واكدي) بل شعب واحد بعقيدة دينية واحدة. ولا يتناقض ذلك أنه أطلق أسماء سومرية أو أكادية على عدد من الآلهة التي عبدها. كذلك كانت مجالات الأدب باللغتين متطابقة ما يدل على تماثلها، وفي أحيان كثيرة يكون النص الأدبي نفسه مدوناً بكلتا اللغتين. ولم تكن هناك عملية نقل بين أبواب الأدب التسعة المتطابقة في النصوص السومرية والأكادية هي: قصص الآلهة والأبطال،

الترانيم، المراثي، الرسائل الأدبية، المناظرات والحوارات، أدب الحكمة، أدب السحر، الهزل والهجاء، ونصوص متفرقة.

• كانت بناية كل معبد تشيد في العصور التاريخية ويتوجب أن تحمل إسماء باللغة السومرية واستمر هذا العرف الى أواخر عصور تلك الحضارة. ونظراً لما لأبنية المعابد من أهمية وقدسية فلم يكن ممكناً أن يستمر الأكاديون في تسمية معابدهم بأسماء سومرية إذا كانت هذه لغة شعب آخر.

• ثم هنالك المقاطع الرمزية التي وجدت في السومرية من دون أن تكون لها قيم صوتية وهذا ما يثبت أنها قد دخلت الى السومرية من اللغة الأصلية وهي الأكادية كما نعتقد على يد أصحابها الذين ابتكروا اللغة السومرية لغرض التدوين.

• ظهرت في نصوص السومرية أسماء للهجات متعددة أو تفرعات للغة السومرية، وبعد التدقيق تبين إنها ليست لهجات وإنما طرق استعمال مختلفة للغة السومرية. وبذلك يمكن التأكيد على أن السومرية لغة ابتكرت لترسم على الألواح أكثر من كونها لغة محكية أمكن اختراع الكتابة لها. ص 36

• ذكرت النصوص المسمارية أسماء الأقوام القديمة ولكنها لم تشر للسومريين، ونجد فيها ذكراً للأكاديين / الأموريين / الآشوريين / العيلاميين / الكاشيين / الأراميين / العرب / المصريين، وحتى أقوام بعيدة مثل الهنود وحين ترد كلمة سومري في النصوص السومرية فإنها تدل على معنى (كاتب اللغة السومرية) وليس سومري القومية!

• لاحظ الباحث ان أسماء الاشخاص باللغة السومرية والتي تعني انها أسماء سومرية، لكنها استعملت لأشخاص أكديين. فمثلا ان (أخذو - أنا) الأدبية التي كتبت باللغة السومرية والأكدية وهي تحمل هذا الاسم السومري، وهي ابنة سرجون الأكادي. فهل يعقل أن ينجب الأب الأكدي ابنة سومرية؟ مثال آخر من سلالة أور الثالثة التي تألفت من خمسة ملوك خلف كل منهم أباه في الحكم. أن اسمي الملكين الأولين من هذه السلالة (أور - نمو وشلجي) كانا سومريين أما ابن شلجي أمار - سين أو بور رسين فقد حمل إسماء أكادياً ولكن حفيده (شو - سين) حمل إسماء سومرياً، بينما ابن الأخير (ابي - سين) حمل إسماء أكادياً. وليس من المعقول أن يكون الملوك من قوميتين مختلفتين وهم من نسل واحد.

كل هذه الأدلة تؤكد على أن السومرية هي لغة كتابة اخترعها الأكاديون لغرض التدوين، كلغة مقدسة ومرحلة أولية حتى توصلوا فيما بعد الى تدوين لغتهم الأصلية.

المصدر / حقيقة السومريين، ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية / الدكتور نانل حنون / دار الزمان - دمشق 2007 / عدد الصفحات

أطوار اللغة السومرية

𐎶	𐎵	𐎴	𐎳	𐎲	𐎱	𐎰	𐎯	𐎮	𐎭
ص	ف	ع	س	ه	د	خ	ج	ب	أ
𐎬	𐎫	𐎪	𐎩	𐎨	𐎧	𐎦	𐎥	𐎤	𐎣
غ	ث	ر	ق	ك	ي	ط	ح	ز	و
𐎡	𐎠	𐎟	𐎞	𐎝	𐎜	𐎛	𐎚	𐎙	𐎘
س ²	ؤ	ئ	ت	ظ	ن	ذ	م	ل	ش

وهي إحدى اللغات العازلة (أي التي تعتمد على استعمال الصيغ المبنية بدل التصريف في الدلالات النحوية)، وأقدم لغة باقية بشكلها الكتابي. وقد ثبت أنها كانت قيد الاستعمال في بلاد ما بين النهرين عند حوالي 3100 قبل الميلاد، وازدهرت خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد. وعند حوالي 2000 قبل الميلاد استُبدلت السومرية بصفتها لغة دارجة باللغة الأكادية (أي الآشورية - البابلية)، وهي إحدى اللغات السامية، بيد أنها (أي السومرية) بقيت قيد الاستعمال بشكلها المكتوب حتى نهاية عمر اللغة الأكادية تقريباً عند حوالي بداية العهد المسيحي. ولم تتوسع اللغة السومرية كثيراً إلى ما وراء حدودها الأصلية في جنوب بلاد ما بين النهرين؛ وكان كل العدد القليل من متكلميها الأصليين لا يقاس إذا ما قورن بالأهمية والتأثير اللذين أبدتهما تلك اللغة في تطوير حضارات بلاد ما بين النهرين والحضارات القديمة الأخرى خلال كل مراحل تطور تلك اللغات.

تاريخها

يمكن تمييز أربعة أدوار مرت بها اللغة السومرية: اللغة السومرية المماثلة **archaic Sumerian** ، واللغة السومرية القديمة أو الكلاسيكية (الفصحى) **Old or Classical** ، واللغة السومرية المحدثثة **New Sumerian** ، واللغة السومرية المتأخرة **Post-Sumerian**.

مواصفاتها

لم يكن بالإمكان معرفة أصل اللغة السومرية بصورة أكيدة. فقد قورنت مجموعة اللغات الأورالية - الألتية (التي تشتمل على اللغة التركية)، واللغة الدرافيدية **Dravidian** والبراهيو والبانتو وعدد آخر من المجموعات اللغوية باللغة السومرية، ولكن ما من نظرية من النظريات التي اعتمدت على هذه المقارنات حازت على القبول العام. فالسومرية على ما يبدو لغة إلصاقية **agglutinative** ، وذلك يعني أنها تحتفظ بجذر الكلمة على حاله بينما تعبر عن التغييرات النحوية المختلفة من خلال إضافة البودئ **prefixes** والدواخل (أي الإضافات الوسطية) **infixes** واللواحق **suffixes**. أما

الفرق بين الأسماء والأفعال ، كما هو موجود حالياً في اللغات الهندية – الأوربية أو اللغات السامية مثلاً ، فهو غير معروف في اللغة السومرية. فعلى سبيل المثال كلمة دك dug حين تكون مستقلة في السومرية فهي تعني (الكلام) speech إسماً ، و(يتكلم) to speak فعلاً ، وهذا يبين الفرق بين الاسم والفعل من خلال النحو وإضافة اللواحق affixes المختلفة ؟؟؟؟

وتشتمل الأصوات المميزة (أي الفونيمات أو الأصوات phonemes) في اللغة السومرية على أربعة حروف (أصوات) علة vowels هي : a و i و e و u ، مع 16 حرفاً (صوتاً) صحيحاً وهي : b و d و g و n و h و k و l و m و n و p و r و s و s و t و z. ففي اللغة السومرية الكلاسيكية ، لم يكن التقابل بين الأصوات الصحيحة b و d و g و z وبين الأصوات الصحيحة p و t و k و s بين أصوات صائتة (أي تتذبذب الأوتار الصوتية عند نطقها) ، ولكن بين أصوات صائتة لا تختلف في الإصاات وبين أصوات مشفوعة بنفحة هواء (أي مصحوبة بنفحة هواء عند نطقها). كما أن الصوتين شبه اللينين (شبه الحركتين غير تامتين) y و w كانا يعملان كصوتي علة منزلقين.

وفي الأسماء لا يجري التعبير عن الجنوسة gender . أما العدد فيشار إليه باستخدام إحدى الإضافات : (مي) me و (مي+أش) me +esh ، و(هيا) hia ، أو بالتكرار ، كما في كلمة (كوركور) kur+kur التي تعني (جبال). وتشتمل الصيغ المتعلقة بالاسم التي تتطابق تقريباً مع حالات تصريف الأسماء في اللغة اللاتينية على : (أ) e للفاعل (حالة الرفع) و(أ) أو(أك) أي (of) وتعني (ل) للإضافة (حالة الجر) و(را) ra و (ش) she أي (to) و(for) ومعناها (ل) في إحدى حالات النصب عندما تكون الكلمة مفعولاً به غير مباشر و(أ) a ومعناها (في) (حالة الظرفية) و(ta) ومعناها (من) (from) (إحدى حالات الجر) و(da) da ومعناها (مع) (with) (التي تدل على المعية).

أما الفعل في اللغة السومرية ، وما يرتبط به من سلسلة من البوائى والدواخل واللواحق فهو يقدم صورة غاية في التعقيد. وتتبع العناصر المرتبطة بالفعل نظاماً ثابتاً ، أي على الترتيب التالي : العناصر المساعدة والعناصر التي تدل على الزمن وعناصر النسبة والعناصر السببية وعناصر المفعول به أو المجرور(النصب والجر) وجذر الفعل وعناصر الفاعل وعناصر الفعل اللازم الدال على المضارع والمستقبل. وفي صيغة الماضي البسيط المتعدي المبني للمعلوم يكون ترتيب عناصر المفعول به والمجرور والفاعل بشكل معكوس. ويمكن للفعل أن يميز التعدية واللاتعدية والبناء للمعلوم والمجهول والزمنين ، أي ما يدل على المضارع والمستقبل والماضي البسيط إضافة إلى الشخص والعدد.

وكانت هنالك بضع لهجات سومرية معروفة. ومن بين تلك اللهجات المهمة لهجة أم- كير ، وهي اللهجة السومرية الرسمية ، وكذلك لهجة أم- سال وهي اللهجة التي غالباً ما كانت تستخدم في صياغة الترانيم (التراتيل) والرقى (التعاويد).

ترجمة د. حميد حسون بجية (عن دائرة المعارف البريطانية 2006)

اللغة الأكادية



اللغة الأكادية (لشائتم أكديتيم) هي لغة سامية قديمة، ظهرت في بلاد النهرين، منذ 3000 سنة قبل الميلاد وانتشرت لتصبح لغة المراسلات الرسمية في الهلال الخصيب وعموم بلدان الشرق الاوسط. وهي تصنف ضمن مجموعة اللغات السامية الشرقية. تأثرت اللغة الأكادية باللغة السومرية، وهي لغة غير سامية والتي كانت مستعملة إلى جانب الأكادية، ثم حلت الأكادية محلها في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. وبقيت اللغة الأكادية (بلهجاتها البابلية والآشورية) سائدة في العراق لثلاثة آلاف عام، حيث حلت الآرامية محلها في القرون الأخيرة السابقة للميلاد. يقسم المؤرخون تاريخ اللغة الأكادية إلى ثلاث مراحل:

- المرحلة الأكادية (من حوالي 2800 حتى 2000 قبل الميلاد)

- المرحلة البابلية (من حوالي 2000 حتى 1000 قبل الميلاد)

- المرحلة الآشورية (من حوالي 1000 حتى سقوط الدولة الآشورية في القرن الخامس قبل الميلاد).

الأكادية تدون بالخط المسماري الذي ورثته من السومرية، فوق ألواح الطين. وهي اللغة الوحيدة التي حفظت كتابات ترجع إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، دُوِّنت بالخط المسماري على ألواح من الفخار، ومن أهم هذه الكتابات: قوانين مدينة **إيشنونا** (إشنونا) من بداية الألف الثاني ق.م، وقوانين حمورابي من القرن السابع عشر ق.م، ملحمة جلجامش من القرن السادس عشر ق.م ورسائل تل العمارنة من القرن الرابع عشر ق.م وغيرها. وصلت اللغة الأكادية إلى قمة انتشارها في القرن السابع عندما أصبحت المملكة الآشورية في ذروة قوتها، واستخدمتها (اللغة الأكادية) مناطق كثيرة في الشرق الأدنى. حتى فيما بعد، عندما فقدنا آشور وبابل قوتها، وأفسحت اللغة الأكادية كلغة حديث، الساحة للغة اليونانية، أصبحت لغة الكتابة في المراسلات والمعاملات المالية وغيرها.

أن الأكاديين هم أول من مارس فن الترجمة في تاريخ البشرية، فلقد حفظ لنا الدهر من أديهم ترجمات قاموا بها من اللغة السومرية إلى لغتهم الأكادية، كما حفظ لنا مجموعة من القوائم اللغوية المحتوية على شرح أكادي للكلمات السومرية النادرة أو الصعبة، فكانوا بذلك أول من مارس (علم صناعة المعجم) ولكن بصورة محدودة لأن القوائم التي عثر عليها تقتصر على طائفة معينة من الأسماء. أما في الفترة البابلية، فقد وضعت قوائم لغوية مزدوجة أطول من القوائم الأكادية لطول عهد البابليين بالحقبة السومرية.

مميزات الأكادية

احتفظت اللغة الأكادية بحكم قدمها بالكثير من خصائص اللغة السامية الأم وهي اللغة التي تفرعت اللغات السامية عنها. فاحتفظت بالإعراب الذي لم تحتفظ به كاملاً إلا الأكادية والعربية مع فارق أن الإعراب في الأكادية يكون بالميم وليس بالنون (التنوين) كما هو في العربية، والإعراب بالميم (تَمِيم) هو الأصل في الساميات. ويشار إليه بوضع ميم صغيرة في نهاية الكلم. مثال: مُشْكِينُم (muškīnum) مسكين، والكلمة من السومرية.

عموماً تتميز اللغة الأكادية بلهجتيها الرئيسيتين بالسمات اللغوية والنحوية التالية:

1- جذور الكلمات تتكون في الغالب من ثلاثة حروف وفي بعض الحالات أربعة حروف.
2- اشتقاق الكلمة تكون من خلال تغيير الحركات في جذر الكلمة ومن خلال سوابق ولواحق خاصة وكذلك من خلال إضافة بعض الصوامت (الحروف).

3- في اللغة الأكادية أربع حركات أساسية طويلة وقصيرة u, i, a, e

4- اختفت الحروف الحلقيّة والتي تعتبر من سمات اللغات السامية، في معظم الحالات وتحولت إلى حركات مثل: **imru** , **nāru** , **imru** , **bēlu** وغيرها.

5- تضاف علامة الجمع في نهاية الكلمة، مثل اللغة العبرية.

6- تشبه الأعداد أعداد باقي اللغات السامية.

- 7 - يجل حرف الشين في بعض الحالات ، محل حرف الهاء في العبرية مثل: $\text{š}i \text{ } \aleph$ ، $\text{š}u\aleph$
- 8 - للفعل 12 وزناً وللأزمان (الماضى ، المستقبل ، المضارع....) تتبع الأكادية طريقة مختلفة تماماً عن باقى اللغات السامية.
- 9 - لا توجد علامة خاصة للتعريف لكن يضاف للأسماء المنكرة حرف (m) مثل amtum جارية ، أمة.
- 10 - يختلف تركيب الجملة الأكادية عن تركيب جُمل بقية اللغات السامية. فيكون الفعل فى اللغة الأكادية فى نهاية الجملة مع إضافة حركات ā أو ū .

الأكادية والعربية

- ألفاظ الأكادية لا تختلف كثيراً عن ألفاظ العربية ، ولكنها أقرب الى ألفاظ اللهجات الحالية السائدة فى العراق والشام ، مثل : ز = ذ ، س = ث ، ص = ظ ض ، 1 = غ وع وح و 5 ، ش = س .

وهذه بعض الامثلة :

أزئم = أذن / شورم = نور / صلّم = ضل / رصئم = أرض / بيلم = بعل / ديشم = حديث (أصل الكلمة الأكادية حدات) / كرشم = كرش (أصلا ب س 2) / ريشم = رأس / شراقم = سراق / يشرق = يسرق / يدق = يقتل
ان إعراب الأكادية شبيه جداً بإعراب العربية ، مثلاً :

يشم = يئ / يئم = يئتا

يئم = يئ

يئان = يئان

يئين = يئين

يئم = يئ

يئاتم = يئوت

يئاتم = يئوت ، يئوتا

لكن فى حال الإضافة يستعمل صيغة بلا إعراب :

بيت أويلم = يئ الرجل

الضمائر تختلف أكثر عن العربية :

أنا = أت / أنت = أنت / شو = هو / شي = هي / زن = نحن / أئن = أنتم / أئن = أنتن / شن = هم /

شين = هن

الصفة الأخرى إن الأكادية خالية من صوت الهاء حيث استعيض عنه فى الأغلب بصوت الشين ، فتحول ضمير

المؤنث : (هي) إلى (شي).

الفعل الأكادي يختلف كثيراً عن الفعل العربي ، ففي الأكادي الفعل له صيغ كثيرة جداً. أهمها :

الماضي (يشبه المضارع العربي)، مثلاً إِرْفُدْ = ركض / المضارع: إِرْفُدْ = يركض / الماضي البعيد: إِرْتَفُدْ = كان قد ركض / الحال: رَفُدْ = هو ركض.

بعض الحروف الأكادية تشبه حروف العبرية، مثلاً و=و، كيم=ك. لكن الكثير منها تختلف، مثلاً: أن=ل، إن=في أي ي، إشت=من.

الأكادية والعبرية

يعتقد كثير من الباحثين أن العبريين الاوائل إتصلوا بالأكديين وأثرت اللغة الأكادية على بداية نشأة اللغة العبرية. ويقول البعض أن هناك أكثر من ألف كلمة دخلت اللغة العبرية من اللغة الأكادية، مثل: **אגרת**, **אחי**, **אם**, **אניה**, **אנכי**, **הלך**, **אלף**, **ירח**, **אויב**, **אור**, **היכל**, **כסא**, **סוכן**, **ספר**....

ويبدو أن ذلك التأثير لم يكن في الكلمات فقط بل يوجد تقارب بين اللغة العبرية والأكادية في الصور النحوية مثل: يستخدم وزن **נפעל** في الأكادية للتعبير عن المبني للمجهول مثل اللغة العبرية وكذلك بعض التعبيرات المألوفة في العهد القديم مثل **שנה את טעמו** (صموئيل الأول 14: 21)، **כמים לים מכסים** (إشعياء 9: 11)، **לטה של שפם** (حزقيال 17: 25)، وهذه التعبيرات لها نظير في اللغة الأكادية.

طريقة قراءة النصوص الأكادية

دونت النصوص الأكادية والبابلية والآشورية بالكتابة المسمارية وهي كتابة بدأت صورية وانتهت مقطعية. والكتابة المسمارية المقطعية هي كتابة تدون (المسامير) فيها مقاطع صوتية مكونة من حرف وصوت مثل (م، م، م) الخ؟ وتتم عملية القراءة بمراحل ثلاث هي:

- 1- قراءة النص الأكادي ونقل المقاطع الصوتية المسمارية إلى العربية.
- 2- تجميع المقاطع الصوتية وتكوين الكلمات.
- 3- القراءة والترجمة.

مثال :

- بع.عل.ش.م.اي وإر.ص.تم
- بَعْل شَعِي وإرصِتم
- ربُّ / سيِّدُ السماوات والأرض.

وإليكم هذا النص الأكادي (البابلي) من القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، الذي يُعرف في علم الآشوريات بـ (أخذة كِش) لأنه عُثر على رقيمه في مدينة كِش. والأخذة هي تعويذة يستكتبها الرجلُ الكاهنُ أو الساحرُ لاستمالة قلب امرأة يهواها... ولا يزال هذا التقليد معمولاً به في العالم العربي كما هو معروف! وهذه الأخذة استكتبها رجل من كِش أحد الكهان لاستمالة قلب امرأة يتعشقها كانت فيما يبدو تصده.

ولحسن الحظ وُجدَ قبل أعوام من الآن كتاباً في العربية عالج فيه كاتبه هذا النص معالجة علمية جيدة جداً وقدّمه شارحين إياه شرحاً مسهباً بمقارنته مع العربية مقارنة عميقة لأنهما متخصصين في علم الآشوريات. وأنصح الزملاء المهتمين بالنصوص القديمة للشرق باقتنائه وقراءته خصوصاً وأن المصادر العربية التي تقدم النصوص السامية والشرقية القديمة من اللغات الأصلية (وليس نقلاً عن اللغات الأوربية) نادرة جداً. والكتاب هو:

أخذه كيش، أقدم نص أدبي في العالم، تقديم وتحقيق: ألبير فريد هنري نقاش وحسني زينة، مكتبة لسان المشرق، ديوان النصوص الأصلية، بيروت 1989.

نص الأخذة وترجمتها :

إِلْ حِيَا إِرْحَمَ (م) يِرَّءَمْ
 إِرْحَمَ (م) مَرَّءَ إِلْتُ عَشْتَرُ إِنْ زَجَّ (م) يَثْبُ
 إِنْ رُغْتِ كَنْكَتِ (م) يَدَرَّءُ
 وَرَدَّتَا دَمِقْتَا تُحْتِنَّا (م)
 كِرِيَشُ (م) تُرْدَا تُرْدَامُ (م)
 أَنْ كِرِي رُغْتِ كَنْكَتِ (م) طَيْبُ دَاذَكْ
 أَخْذُ فَالِكْ شُ رُقَّتْ (م)، أَخْذُ بُرْمَاتِ عَيْنِيكَ، أَخْذُ عُرْكَ شُ تُنْتَتِ (م)
 * * *

أَشْحَطُ كِرِيَشُ إِلْسِينُ أَيْتُكَ جِشْ صَرَّتِ (م)
 يَوْمِيَشُ دُورِي تَنْتُ (م) نَزَكْرِينِي
 لُ رَعِي يَطُورُ صَانُ (م) عَنَزِ (م) جَلْمَشَ لَحْرُ (م) فُخْسُ أَتَانُ (م) مُهْرَشُ
 شِرْكُوا يِدَاشُ شَمْنُ (م) طَيْبُوتُ (م) شَفْتَاشُ
 أَسَامُ شَمْنُ (م) إِنْ قَاتِيَشُ أَسَامُ إِرِنْ (م) إِنْ فُودِيَشُ
 إِرْحَمُ (م) يِدْبَبُشُ (م) وَيَشْكُنْشُ أَنْ مُخُوتِ (م)
 * * *

أَخْذُ فَالِكْ شُ دَدُ
 إِلْتُ عَشْتَرُ وَ إِلْتُ إِشْحَرَ أَيْمِيكَ
 قَدِ زَوْرَشُ وَ زَوْرُكَ لَا إِعْتَمَدَا لَا تَفْسَحِينُ
 ترجمة حرفية :
 الإله حيا يرأم اليرحم
 اليرحم ابن الإلهة عشتار في المحراب
 بالبخور المر يتطيب

البُتُولتان الحَسَنانِ اسْتَرْضَيْتَا
وَرَدَّتَا الكَرَمَ وَصَدَّرَتَا
في كَرَمِ بَحُورِ المرطِيبِ وَدَكِّ
أَخَذْتُ فَالِكُ ذَا الرُّقَّةِ، أَخَذْتُ عَيْنِيكَ الزَّرْقَاوِينَ، أَخَذْتُ حِرْكَ ذَا الثُّنْيَةِ!
* * *

أَسْرَعْتُ إِلَى كَرَمِ الإِلهِ سَيْنِ، وَقَطَعْتُ مِنْ غَرْبَةِ الفُرَاتِ
ذَكَرْتَنِي إِحْسَانًا طَوَّلَ عُمُرِي، يَوْمًا تَلَوُ الآخِرِ
كَالرَاعِي يَطُورُ الصَّانَ، وَالْعَنْزَةَ جَدِيهَا، وَالشَّاةَ حَمَلَهَا، وَالْأَتَانِ مَهْرَهَا
نِعْمَتَانِ يَدَاهُ، دُهْنٌ وَطِيبٌ شَفَقْتَاهُ
دُهْنُ الأَرزِ العَطِرِ فِي كَفِّيهِ، دُهْنُ الأَرزِ العَطِرِ فِي فُودِيهِ
زَمَزَمَ اليَرْحَمُ عَلَيْهَا ... ثُمَّ فَتَّنَهَا!
* * *

أَخَذْتُ فَالِكُ الحَيِّبِ!
أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِالإِلهَةِ عَشْتَارَ وَالِإِلهَةِ إِشْخَرَ
أَلَا تَذْهَبِي قَبْلَمَا زَوَّرُهُ وَزَوَّرُكَ ... يَتَّصِلَانِ

المصادر:

- بالتعاون مع الباحثة د. زاهية النجفي
- اللغة الاكديّة / د. عبدالرحمن السليمان / باحث سوري / موقع جمعية المترجمين العرب.
- اللغات السامية / ابراهيم بار يوسف / ترجمة: عمرو زكريا / موقع جمعية المترجمين العرب.
- الاكديّة / موسوعة وكيبيديا.

الكتابة المسمارية



في حدود سنة 3200 ق.م. ابتكر العراقيون الكتابة (المسمارية - Cuneiform) حيث كتبت بها اللغة السومرية، ونشروها في أنحاء الشرق الاوسط حيث أصبحت هذه الكتابة هي الوحيدة المتداولة، واستعملتها شعوب ايران والاناضول والشام، بل حتى في مصر أحياناً حسب بعض الوثائق الأثرية.

في عام 2400 ق.م تم اعتماد هذا الخط المسماري لكتابة اللغة الأكديّة بلهجتها الآشورية الشمالية والبابلية الجنوبية. ورغم إحلال الاكديّة بدل السومرية، إلا أن العراقيين حافظوا على اللغة السومرية كلغة مقدسة خاصة برجال الدين. دام استعمال هذه الكتابة حوالي 3000 عام، أي حتى قبل الميلاد ببضعة قرون إذ بدأت الكتابة الابجدية القادمة من الشام تنتشر مع انتشار اللغة الأرامية خصوصاً أثناء حكم السلالة الأخيرة (الكلدانية الجنوبية).

لقد دون العراقيون بالمسمارية السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والشؤون الدينية والعبادات. وأيام حكم الملك حمورابي (1728-1686 ق.م.) وضع شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء مملكة بابل. وهذه الشريعة عرفت بقانون حمورابي الذي كان يضم القانون المدني والأحوال الشخصية وقانون العقوبات. وفي عصره دوت العلوم. وكان الملك آشوربانيبال (668 - 626 ق.م.) من أكثر ملوك السلالة الآشورية ثقافة. فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب قومية خاصة شيدها في عاصمته نينوى بالعراق. وجمع فيها كل الألواح الطينية التي دوت فوقها العلوم والمعارف. يشكل اختراع الكتابة وإدخالها في الاستعمال العام أهم حدث في التاريخ الفكري للبشر، فهو الحد الذي يفصل بين مرحلة ما قبل التاريخ والمراحل التاريخية اللاحقة. سميت الكتابة السومرية بالكتابة المسمارية لأن شكلها يشبه المسامير. والسبب في ذلك عائد إلى طبيعة المواد التي استعملوها في الكتابة: ألواح من طين تغمس الكتابة فيها غمساً بواسطة قلم من قصب فيشكل الغمس في الرقيم الطيني مثلثاً يشبه رأس المسمار. ثم تحط خطوط عمودية وأخرى أفقية فيحصل على شكل مشابه للمسمار. بعد ذلك كانت الألواح الطينية الرطبة توضع في تنور وتطبخ بالنار وتصلب تمهيداً للاحتفاظ بها.

الكتابة المسمارية في طورها الأول كتابة صورية (كذلك المصرية الهيروغليفية)، ولكن السومريين سرعان ما طوروها لتصبح كتابة مقطعية، وبهذا تم اختزال الرموز المستعملة فيها إلى أصوات المقاطع في اللغة السومرية البالغة حوالي 598 مقطعاً صوتياً.

وتم فك رموز الخط المسماري في القرن التاسع عشر وبذلك تسنى للعلماء قراءة النصوص الإدارية والرياضية والتاريخية والفلكية والمدرسية والطلاسم والملاحم والرسائل والقواميس المسمارية. ويوجد حوالي 130000 لوح طيني من بلاد النهرين في المتحف البريطاني.

وفي هذا السياق يتوجب علينا أن نشير إلى أن الكتابة المسمارية هي أقدم كتابة في تاريخ البشرية إلى جانب الكتابة المصرية (الهيروغليفية hieroglyphs) التي ظهرت تقريباً في نفس الفترة. وقد اطلق الاغريق هذه التسمية الاغريقية على الكتابة الفرعونية وتعني (النقش المقدس). وهي أيضاً كتابة صورية (ليست حروفية) مثل السومرية. وقد انتهى استعمال هذه الكتابة أيضاً في نفس الفترة التي انتهت فيها المسمارية أي في القرن السابع ق.م، حيث بدأت الكتابة الحروفية (الابجدية) القادمة من سواحل الشام والتي تعد أول أبجدية في التاريخ.

مراحل تطور المسمارية^(*)

وقد مرت العلامات الكتابية بمراحل ثلاثة متداخلة اكتمل في أثنائها نظام التدوين وأصبحت منذ مطلع العصور التاريخية في حدود 3000 قبل الميلاد وهذه المراحل هي :

• المرحلة الصورية Pictographic stage

وهي أولى مراحل جميع الكتابات المعروفة في بلاد النهرين واكتشف أكثر من خمسة

(*) هذا القسم مقتبس نصاً من : الكاتب في بلاد النهرين القديمة - عامر عبد الله الجميلي - منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2005.

آلاف رقيم طيني من دور الوركاء (الطبقة الرابعة) عثر على معظمها في حرم معبد أي انا في الوركاء وعثر على قسم منها في كل من تل العقير وجمدة نصر - وخفاجي وأور وشروباك وكيش وذلك منذ مطلع القرن العشرين. وتمثل هذه الرقم أقدم الرقم المكتشفة حتى الآن لذا عرفت بالرقم القديمة، أو الأقدم archaic tablets، أي الرقم الأركائية. وعرفت أيضاً برقم ما قبل المسمارية proto cuneiform إذ كانت العلامات الكتابية مرسومة عليها بقلم مدبب الرأس يتم تحريكه على الطين الطري لرسم الشيء المادي المراد التعبير عنه رسماً تقريبياً.

وعرفت العلامات المدونة على هذه الرقم بالعلامات التصويرية Pictographic لأنها تصور بشكل تقريبي الأشياء المادية، وعرفت المرحلة التي استخدمت فيها تلك العلامات بالمرحلة التصويرية المبكرة من تاريخ الكتابة. كانت صورية إلا أن قسماً منها استخدم أحياناً وفق الأسلوب الرمزي أيضاً ideographic، إذ كانت العلامة الواحدة تعبر عن كلمة معينة أو فكرة معينة. والمعروف أنه لا يمكن تحديد اللغة التي استخدمها الكاتب عند استخدام علامات صورية ورمزية فقط إذ يمكن قراءة مثل هذه العلامات المجردة من السوابق واللواحق بأية لغة كانت دون التقيد بلغة الكاتب الذي كتبها طالما لا تعبر مثل هذه العلامات عن اللغة أو الكلام المحكي ولا تضم الأدوات النحوية اللازمة

لتكوين الجمل والعبارات بل إنها عبارة عن رسوم تقريبية لأشياء مادية فحسب وإلى جانبها أرقام تشير إلى أعدادها أو كميتها.

إن حقيقة أن قسماً من العلامات المرسومة في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الكتابة لا تمثل تماماً الشيء المادي الذي تعبر عنه يشير إلى أن تلك العلامات كانت قد مرت بمرحلة من التطور سابقة عندما كانت العلامات المرسومة تطابق من حيث الشكل الأشياء المادية التي تعبر عنها. إلى جانب ذلك فإن هناك قسماً من العلامات تعبر عن أشياء أو حيوانات لم يكن لها وجود في دور الوركاء / الطبقة الرابعة مما يشير إلى أنها استخدمت أول مرة في زمن سابق عندما كانت الأشياء والحيوانات موجودة في المنطقة أو في غيرها من جنوبي بلاد النهرين وربما ستكشف لنا تنقيبات مقبلة عن ألواح الوركاء (الطبقة الرابعة) في مدن أخرى، أو أن محاولات الكتابة الأولى كانت قد تمت على مواد سريعة التلف، كالجلود مثلاً حالت تربة السهل الرسوبي الرطبة دون بقائها.

أما مضامين النصوص المكتشفة فغالبها كانت اقتصادية وتقدر نسبة النصوص الاقتصادية إلى مجموع الرقم المكتشفة بأكثر من 85%. أما الرقم الأخرى الباقية فكانت لغوية مدرسية. إذ ضمت قوائم بأسماء مختلفة مثل أسماء الحرف والأسماك والطيور والمعادن والمدن.. الخ. أما الرقم الاقتصادية فتضم قوائم توزيع الجرايات ووصولات تسلم الحيوانات والمنسوجات والأطعمة والمعادن وخزنها.

وضمت الرقم ذات المضامين الاقتصادية غالباً علامات تمثل الأشياء المراد الإشارة إليها وإلى جانبها علامات تدل على الأعداد أو الكميات وغدت الرقم وكأنها سجلات تثبت ما يدخل المعبد أو يخرج منه إذ وجدت غالبية الرقم في حرم المعبد. وتشير دراسة الأرقام المكتوبة على هذه الرقم أن الكتبة استخدموا كلا النظامين العشري والسبيني في الحساب. ويرى بعض الباحثين أن هذه الرقم تمثل طوراً منطقياً لعدد من وسائل التذكر التي سبقت الإشارة إليها فبعد أن كان يرفق بالأشياء والحيوانات المقدمة إلى المعبد، مثلاً، دلالات (بطاقات) طينية tokens مثقوبة من إحدى الزوايا لغرض ربطها أو تعليقها بالشيء أو الحيوان الذي تعود له وقد تظهر عليها طبعة ختم أسطواني تشير إلى هوية صاحب الشيء وعليها علامات خاصة بالأرقام، استعيض عنها برسم الأشياء أو الحيوانات المقدمة على لوح من طين وأشير بجانبها إلى أعدادها أو كميتها وطبع عليها الختم الأسطواني كي تبقى تذكر وتخبّر بما دخل المعبد أو خرج منه بشكل أوضح وليس كالدلالات الطينية التي إذا ما فصلت عن الشيء أو الحيوان الذي تعود له فقدت أهميتها ولم تعد وسيلة للتذكر أو الإخبار.

كانت أشكال العلامات التصويرية المبكرة واضحة المعالم غالباً ويمكن معرفة الشيء المادي الذي تعبر عنه، وقد تمثل العلامة رسماً للشيء المادي بكامله، كالعلامات التي استخدمت للدلالة على السمكة والمحراث والسفينة وغيرها، وقد تمثل العلامة جزءاً من الشيء المراد التعبير عنه فقط. مثل العلامات التي تمثل رأس ثور للدلالة على الثور ومع ذلك تجردت طائفة من العلامات وابتعدت تدريجياً عن الأصل الذي تمثله وفقدت أحياناً أية صلة بالأصل، وقد استعان الباحثون في تتبع أصول مثل هذه العلامات بالمشاهد المنقوشة على الأختام وحاولوا تعيين أشكال العلامات.

وظلت طائفة من العلامات غامضة ولم يتمكن الباحثون من تتبع أصولها كالعلامات التي تمثل الثور مثلاً فإنه يصعب مطابقتها مع شكل الثور في رقم الوركاء / الطبقة الرابعة ويستحيل ذلك في رقم جمدة نصره في حين يمكن التعرف على أصل العلامة التي تعبر عن الخنزير في رقم الوركاء. ويبدو أن العلامات التي تصور أشياء أو حيوانات شائعة وواسعة الانتشار أو الاستخدام، كالثور والشاة والرجل وغيرها، رسمت بسرعة وعناية قليلة فكانت بعيدة عن الشيء الذي تمثله في حين رسمت العلامات التي تدل على أشياء أو حيوانات نادرة نسبياً بعناية أكثر ودقة فجاء رسمها بشكل واضح، فاختلقت أساليب الرسم باختلاف الكتبه وابتعدت الرسوم تدريجياً عن الأصل الذي تمثله.




أسلوب كتابة العلامات


سبقت الإشارة إلى أن أقدم الألواح التي تحمل علامات كتابية بطريقة تحريك قلم مدبب الرأس على الطين الطري ورسمت رسماً تقريبياً الأشياء المادية المراد التعبير عنها. ومنذ أواخر دور الوركاء (الطبقة الرابعة)، وفي رقم الوركاء من الطبقة الثالثة وما بعدها ورقم جمدة نصر، حدث تغيير مهم في أسلوب كتابة العلامات على الطين. فبعد أن كان الكاتب يرسم العلامة بقلم مدبب الرأس غدا يطبع العلامة على الطين الطري وذلك بضغط نهاية القلم ذي المقطع قائم الزوايا وبشكل مائل تاركاً في كل مرة طبعة غائرة تتألف من خط مستقيم يمثل ضلع مقطع القلم قائم الزوايا، ومثلثاً غائراً يمثل طبعة زاوية مقطع القلم عندما يمسك القلم بشكل مائل ويضغط بزوايته على الطين. ويتكرر عملية طبع القلم تتألف على الطين وفق شكل العلامة المراد رسمها، تتشكل العلامة وتظهر مؤلفة من مجموعة من الخطوط الأفقية والعمودية والمائلة، ينتهي كل خط منها بمثلث صغير غائر ويظهر شكلها وكأنها مؤلفة من طبعة مجموعة من الأسافين أو المسامير. ويلاحظ أن الكاتب حاول اختزال رسم العلامة وتجاوز رسم المنحنيات والتفاصيل الدقيقة التي كان من السهل رسمها بأسلوب تحريك القلم كما فعل الآن عند الكتابة بقلم الحبر أو الرصاص.

أما بالنسبة لعدد العلامات الكلبي المستخدم فيبدو أنه كان كبيراً في بدايات الكتابة ثم بدأ بالتقلص حتى استقر العدد في الحقب المتأخرة نسبياً على ما يقرب من 550 علامة. فكثرة المواد والأشياء التي كان الكتبه يرغبون بالتعبير عنها كتابة واختلاف أساليبهم في التعبير وفي رسم تلك الأشياء زاد في عدد العلامات المستخدمة. وقد أمكن حصر ما لا يقل عن 2000 علامة في رقم حرم أي انا في الوركاء من الطبقة الرابعة، ويظن أن عددها كان ضعف هذا الرقم. وفي رقم شروباك كان عدد العلامات المستخدمة 800 علامة، أما رقم جمدة نصر وأور، فقد أمكن احتساب 400 علامة فقط.

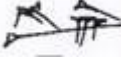
إن اختزال استخدام العلامات شمل العدد كما شمل الشكل أيضاً. وكان ذلك في محاولة لتسهيل أسلوب الكتابة، فمثلاً كان هناك أكثر من ثلاثين علامة مستخدمة للدلالة على الشاة في رقم الوركاء، في حين أصبح عددها ثلاث علامات فقط في رقم الطبقة الثالثة وتقلص إلى شكلين فقط في رقم الطبقة الثانية وهكذا بالنسبة للعديد من العلامات. وربما كان الغرض من تعدد العلامات الدالة على شيء مادي واحد، كالشياه أو الثيران هو بيان جنس ذلك الشيء أو لونه أو حجمه ثم استعاض الكتبه عن ذلك بإلحاق صفة من الصفات إلى العلامات بدلاً من كتابتها بشكل خاص. وكان من وسائل تقلص عدد العلامات أيضاً دمج علامتين أو أكثر بعلامة واحدة مركبة وإهمال استخدام العلامات التي تكونت منها. وكان من نتائج هذا التقليص في عدد العلامات ولاسيما عن طريق الدمج أن أضيف إلى معاني العلامة الواحدة معان جديدة وزادت قيمتها الصوتية.

ومما يلاحظ أنه رافق عدد العلامات المستخدمة واختزال أشكالها بتجاوز التفاصيل الدقيقة اتجاه مضاىء يعمل على زيادة عدد العلامات. فقد تتطور العلامة الواحدة إلى علامتين مختلفتين من أجل شرح الأفكار المختلفة المرتبطة بمعنى العلامة، وقد تدمج علامتان أو أكثر لتكون علامة جديدة ثالثة تستخدم إلى جانب العلامتين السابقة، فمثلاً العلامة التي تدل على الرأس زيد عليها عدد من الخطوط والتفاصيل الأفقية فتكون علامة جديدة تشير إلى الفم، وإذا زيد عليها علامة صغيرة تدل على الخبز أو الأكل أصبح معنى العلامة الجديدة المركبة الفعل أكل وهكذا.


 = ka =  +  = ninda = خبز

 = ku = akālu = مصدر العنفل أكل

أما بالنسبة لدمج علامتين مستقلتين بعلامة واحدة تحمل معنى جديداً، فلعل خير مثال على ذلك هو دمج العلامة لُ lu التي تعني رجل والعلامة كال gal التي تعني عظيم، لتكوين علامة جديدة لوكال lugal التي تعني (ملك) أو (رجل عظيم).

 = lū = رجل

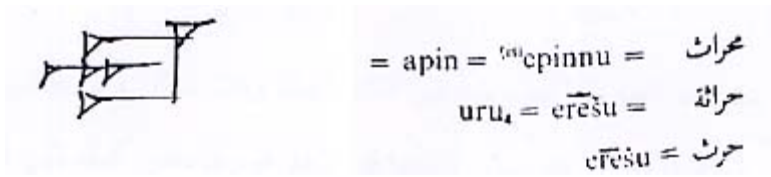
 = gal = عظيم

 = lugal = ملك

• المرحلة الرمزية Ideographic stage

ومهما زاد عدد العلامات الصورية أو قل، فإنه لا يمكن بوساطة هذه العلامات التعبير عن كل ما يجول في ذهن الكاتب من أفكار وأفعال وأحداث بل اقتصر التعبير على الأشياء المادية التي يمكن رسمها ولو بشكل تقريبي وبيان عددها أو كميتها وربما الإشارة إلى صاحبها. وإن مثل هذه الطريقة الصورية لا تفصح بالطبع عن اللغة التي كتب بها الكتابة تلك العلامات شأنها في ذلك شأن جميع العلامات والإشارات الصورية المستخدمة حتى الوقت الحاضر، مثل إشارات المرور، التي يمكن قراءتها بأية لغة وبغض النظر عن لغة كاتبها، وقد حفزت هذه الحقيقة الكتابة الأوائل إلى ابتكار طريقة جديدة للتعبير عما يجول في خاطرهم فابتكروا الطريقة الرمزية Ideographic، أي الرمز إلى بعض الأفعال والصفات والأفكار بكتابة أو رسم علامات صورية لأشياء مادية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الأفعال والصفات والأفكار، ولم تعد العلامة الصورية المستخدمة تدل على الشيء المادي الذي تمثله فقط بل غدت ترمز إلى كل الأسماء والأفعال والصفات التي ترتبط بذلك الشيء. فمثلاً العلامة الصورية التي تدل على القدم كشيء مادي غدت تستخدم

للمرئ إلى كل الأفعال المرربطة بالأفعال بالقدم مثل المشي والوقوف والذهب والحمل والجري ، والعلامة التي تدل على النجمة أصبحت تستخدم للإشارة إلى الإله الذي هو في السماء وإلى السماء نفسها وإلى صفة عال ، والعلامة التي تدل على المحراث الخشبي أصبحت تستخدم للدلالة على المحراث وعلى الحارث وعلى الحراثة وعلى فعل حرث وهكذا. كما أدجت بعض العلامات الصورية مع بعضها الآخر للدلالة على معان جديدة. كما ألمنا ، فمثلاً أدجت العلامة التي تدل على الجبل وتلك التي على المرأة لتركيب علامة جديدة تعني (أمة) أي (امرأة من الجبل) وهو مصدر الإماء في العصور القديمة وهكذا بالنسبة لبقية العلامات المركبة. وبهذه الطريقة المعنوية التي لا يمكن التعبير عنها بالطريقة الصورية المجردة وظلت الطريقتان تستخدمان في آن واحد منذ وقت مبكر جداً. إذ يشير قسم من رقم الوركاء من الطبقة الرابعة أيضاً أنها ضمت علامات استخدمت استخداماً رمزياً على نحو ما ألمنا..



an = dingir = ilu إله = إله

šamū = شَمُو = أسماء

Anu = آنو = آله

eliš = إيش = عال



UD = ūmu = أوم = يوم

pisū = پيسو = أبيض

Šamaš = شَمَش = إله الشمس

šamšu = شَمْسُ



= nag = šaqû = فم + ماء = سقي / شرب








= kú = akālu = فم + خبز = اكل




• المرحلة الصوتية (المقطعية) phonetic stage

وهي أهم المراحل التي مرت بها الكتابة المسمارية وأكثرها تعقيداً وتطوراً ، فعلى الرغم من استخدام العلامات المسمارية بالطريقتين الصورية والرمزية للدلالة على الشيء المادي الذي يريد الكاتب أن يعبر عنه أو يرمز له ، ظلت هذه

العلامات قاصرة على التعبير عن الكلام المحكي ، أي اللغة ، تعبيراً دقيقاً بل ظلت عاجزة عن بيان اللغة التي تكلم بها الكاتب وأسلوب لفظ العلامات التي رسمها أو طبعها على الطين ، كما أن الكتابة وفق الطريقتين الصورية والرمزية لا تساعد على كتابة أسماء الأعلام والأدوات النحوية ولا يمكن بواسطتها توضيح صيغ الأفعال والأسماء وبيان علاقة المفردات اللغوية المستخدمة في الجملة الواحدة بعضها ببعض الآخر. لذا كانت الحاجة ملحة لابتكار طريقة جديدة في استخدام العلامات المسمارية تهتم بالصوت الذي تقرأ به العلامة دون المعنى الصوري أو الرمزي الذي تدل عليه ، فكانت الخطوة المهمة في ابتكار الطريقة الصوتية في الكتابة **phonetic stage** التي تمثل آخر مرحلة من مراحل تطور الكتابة المسمارية إذ إن العراقيين القدماء لم يطوروا كتابتهم إلى الطريقة الأبجدية التي انتشرت فيما بعد في أنحاء العالم كافة لسهولة تعلمها وكتابتها.

لقد بدأ استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة منذ وقت مبكر ولا يمكن تحديد بدء استخدامها على وجه الدقة إلا أنه يمكن تتبعها في رقم الوركاء من الطبقتين الثالثة والثانية وفي رقم جمدة نصر ، وتمثل هذه الرقم أقدم الرقم التي تمكن الباحثون من قراءتها ومعرفة لغتها السومرية. ويبدو أن أول خطوة نحو استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة تمثلت في كتابة الكلمات المتشابهة لفظاً في المعنى بعلامة واحدة كانت تستخدم أول الأمر للتعبير عن معنى إحدى هذه الكلمات. فمثلاً كانت هناك علامة تستخدم للدلالة على الثوم. وهي العلامة  التي كانت تقرأ **سُم** **sum** بالسومرية وتعني (ثوم). ولما كان الفعل (ذهب) بالسومرية يلفظ (سُم) أيضاً فقد استخدم الكاتب السومري العلامة نفسها للدلالة مرة على الثوم ومرة أخرى للدلالة على الفعل ذهب وذلك حسب مضمون النص. أي أن الكاتب هنا استخدم القيمة الصورية للعلامة  ، وهي تلفظ **sum** ، ولكتابة كلمة جديدة لا علاقة لها بمعنى العلامة الصورية ، وهو (ثوم) إلا أنها كانت تلفظ **sum** أيضاً. وقد نجد ما يشابه ذلك في الكتابة العربية من حيث الشكل فقط ، فقد نكتب الكلمة (ذهب) ، مجردة من الحركات ونعني بها معدن الذهب ، وقد نكتب الكلمة نفسها في جملة أخرى ونعني بها الفعل (ذهب) وتحدد الجملة ومضمون النص المعنى الذي قصده الكاتب ، وكذلك الكلمة حية التي تعني مرة الثعبان ومرة على قيد الحياة حسب مضمون النص ولعل أقدم الأمثلة على استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة هو ما ورد في أحد ألواح جمدة نصر وهي أقدم الألواح التي تمكن الباحثون من قراءتها ومعرفة لغتها. فقد ورد في اللوح ثلاث علامات مسمارية هي 


ويمكن قراءة هذه العلامات الثلاث على النحو الآتي : إن. لل. ت **ti.en. Lil** وكما هو معروف فإن العلامتين الأولى والثانية من اليسار تؤلفان اسم الإله انليل ، إله الجو وأحد الآلهة السومرية الرئيسية ، في حين تعني العلامة الثالثة ، التي تلفظ ت **TI** ، (سهم). وأن هذا المعنى لا يستقيم مع معنى العلامتين الأخريين ، إذ لا معنى للعلامات الثلاث إذا ترجمنا العلامة الثالثة على أنها تعني (سهم). لذا حاول الباحثون أن يجدوا معنى آخر للعلامة ت **TI** فوجدوا أن الفعل (يحب) أو (يهب الحياة) يلفظ بالسومرية ت **TI** أيضاً وأن الكاتب السومري قد قصد هذا الفعل عندما كتب العلامة  بعد اسم الإله انليل إذ إنه أراد القول إن (الإله أنه انليل يهب الحياة) ، وبعبارة أخرى ، فإنه استخدم القيمة الصوتية للعلامة  التي تعني سهم ، وهي ت **ti** ، دون الالتفات إلى معناها حسب الطريقة الصورية. ولم يتوقف الكتبة عند هذا

الحد بل إنهم استخدموا العلامة  بوصفها مقطعاً صوتياً في كتابة أية كلمة أخرى يدخل في تركيبها هذا المقطع سواء أكانت الكلمة اسماً أو فعلاً أو أداة نحوية أو غيرها. وما يقال عن العلامة  ينطبق على العلامة  التي كانت تلفظ خَ ha وتعني بالسومرية حسب الطريقة الصورية (سمكة) ثم غدت تستخدم وفق الطريقة الصوتية المذكورة آنفاً، مقطعاً صوتياً لكتابة أية كلمة يدخل في تركيبها المقطع الصوتي خَ ha. مثل اسم الملك حمورابي أو أي اسم أو فعل آخر يدخل في تركيبه المقطع خَ ha. وبعبارة أخرى، غدت العلامات المسماة بالصوتية الرمزية تستخدم من أجل قيمها الصوتية فقط بغض النظر عن معانيها الصورية أو الرمزية وأصبحت أشبه بالحروف الأبجدية التي نستخدمها الآن في كتابة أية كلمة والاختلاف بين الحروف الأبجدية وقيم العلامات الصوتية أن الحرف الأبجدي يمثل صوتاً منفرداً consonant، مثل صوت م m و د d و ب b وغيرها في حين يمثل المقطع الصوتي صوتاً صامتاً مع حرف علة، قبله أو بعده مثل مَ ma ومِ mi ومُ mu وأمَّ am وإمَّ im وأمَّ um.. الخ، وقد يكون مؤلفاً من حرفين صامتين بينها حرف علة نحو: ليل lil ودَم dam، وننَّ nan... الخ. أو من حرفين من حروف العلة بينها حرف صامت نحو: أبَّ aba وأدَّ udu وأرَّ uru وغيرها. فإذا أراد الكاتب أن يكتب اسم الملك حمورابي مثلاً، وبالطبع لا يمكن كتابة أسماء الأعلام بالطريقة الصورية والرمزية، كان عليه أن يكتب بالطريقة الصوتية أي المقطعية وذلك بأن يجزئ الاسم أولاً إلى عدد من المقاطع الصوتية، وبالنسبة لاسم حمورابي يمكن تجزئته إلى المقاطع خَ ومُ ورَ وبِ ha.mu.ra.bi. ثم يبدأ بالبحث عن العلامات الصورية أو الرمزية التي تلفظ مثل لفظ هذه المقاطع دون الالتفات إلى معانيها، ويضع بعضها إلى جانب بعضها الآخر ويقصد منها قيمها الصوتية فقط لكتابة الاسم حمورابي لذا يمكن كتابة الاسم بالعلامات الآتية:



التي يمكن قراءتها = خَ - مُ - رَ - بَ . habi. mu.r`a.

ولو أننا دققنا النظر في معاني هذه العلامات الصورية الرمزية لوجدنا أنها تعني سمكة (خَ ha) + اسم (مُ mu) + ضرب (رَ ra) + شراب (بِ bi)، إلا أن الكاتب لم يقصد هذه المعاني من العلامات من أجل قيمها الصوتية فقط ليعبر بوساطتها عن اسم حمورابي. ولكي يمنع الالتباس على القارئ السومري أو الأكدي استخدم بعض وسائل الإيضاح ليوضح للقارئ أن المقصود من كتابة هذه العلامات هو كتابة أسم شخص مذكر فوضع علامة خاصة تعني رجلاً قبل مجموعة العلامات التي تمثل الاسم وسيأتي شرح ذلك فيما بعد مما أطلقنا عليه اسم العلامات الدالة .determinatives.

وقد أفاد الكتبة من طبيعة اللغة السومرية في الكتابة المقطعية كثيراً إذ إن معظم المفردات اللغوية السومرية تتألف من مقاطع أحادية، أي أن الأسماء والأفعال فيها يتألف كل منها من مقطع صوتي واحد، وكان الكتبة قد خصصوا لكل مفردة سومرية تقريباً علامة خاصة استخدموها أول الأمر بالطريقة الصورية أو الرمزية، ثم استخدموا قيم تلك العلامات الصورية لكتابة كلمات جديدة يدخل في تركيبها تلك المقاطع الصوتية كما أشرنا سابقاً عند كتابة السومريين منذ البدء علامات تدل على معان معينة وتلفظ كما تلفظ حروف العلة، فهناك علامة تلفظ أ a وهي العلامة  وتدل

على الماء وأخرى تلفظ إ = I وتعني (رمي) وثالثة تلفظ إ = e وتعني وحدة قياس ورابعة تلفظ أ = u وتعني نباتاً فاستخدمت هذه العلامات لتعبر عن حروف العلة في اللغتين السومرية والأكدية وكتبت بها الكلمات التي تدخل في تركيبها هذه المقاطع الصوتية دون الالتفات إلى معانيها الصورية أو الرمزية. فمثلاً إذا أراد الكاتب أن يكتب مصدر الفعل الأكدى أكالُ akalu بمعنى (اكل) فإنه يجزئ الاسم إلى ثلاثة مقاطع أولاً، وهي أ + ك + ل + u ومن ثم يكتب العلامات المسمارية التي تلفظ مثل هذه المقاطع وهي فاستخدم هنا المقطع أ ، الذي يعني ماء ، كمقطع صوتي فقط. وكذلك بالنسبة للمقطعين الآخرين.

تدوين اللغة الأكدية(*)

إلا أن الصعوبة في استخدام الطريقة الصوتية (المقطعية) في الكتابة بدأت عندما حاول الكتبة تدوين اللغة الأكدية التي أصبحت منذ عهد الدولة الأكدية (2371 - 2230 ق.م) لغة البلاد إلى جانب اللغة السومرية، واستمرت بالتداول باللهجتين البابلية والآشورية طيلة أكثر من ألفي عام. لكن الأكدية لغة (سامية) تختلف عن اللغة السومرية من جوانب عدة فهي تضم أصواتاً صامتة، كالأصوات الحلقية والمفخمة التي لا توجد في اللغة السومرية كما أن تركيبها النحوي وصياغة الاسم والفعل فيها بتغيير بنية الكلمة وحركاتها وذلك بزيادة حركات أو حروف على جذر الكلمة في بدايته أو نهايته أو بين أحرفه الأصلية أو حذف حركات أو حروف منها بذلك يتغير المعنى ويحدد تحديداً دقيقاً وأن كل ذلك لا يمكن التعبير عنه بوساطة العلامات الصورية أو الرمزية الموجودة في الكتابة المسمارية السومرية المنشأ، لذا كان على الكتبة أن يجدوا طرائق ووسائل جديدة تساعد على استخدام الكتابة المسمارية لتدوين اللغة الأكدية بأفضل صيغة ممكنة فمنها:

- الطريقة الصوتية بالدرجة الأساس حيث استخدموا قيم العلامات الصوتية مقاطع لتدوين المفردات الأكدية، فكان الكاتب يجزئ الكلمة الأكدية إلى عدد من المقاطع الصوتية ويحاول أن يجد علامات مسمارية فيها قيم صوتية مشابهة لأسلوب لفظ المقاطع الخاصة بالمفردة الأكدية، وقد يدمج الكاتب مقطعين في مقطع واحد، حسب رغبة الكاتب والأسلوب الذي اعتاده في الكتابة ولا توجد قاعدة عامة لذلك.
- استخدم العلامات المسمارية بمعانيها الصورية أو الرمزية وبخاصة في الحقب المبكرة - عصر الدولة الأكدية وحتى بداية العصر البابلي القديم - فإذا أراد الكاتب أن يكتب كلمة رجل أو يلم = awilum أو كلمة بيت، بيتم = bitum، بكتابة العلامة المسمارية التي تعني، وفق الطريقة الرمزية والصورية، (رجل) أو (بيت) أو غيرها من المفردات التي توجد لها علامة مسمارية خاصة تعبر عنها.

(*) المصدر: الموسوعة الكونية / الكتابة المسمارية

▪ وقد يستخدم الكاتب الطريقة الرمزية نفسها في التعبير عن عدد من المفردات اللغوية الأكدية أو الطريقة الصوتية (المقطعية) حسب رغبته دون قيود معينة، وبمرور الوقت تزايد استخدام الطريقة الصوتية في الكتابة وتقلص استخدام العلامات الرمزية إلا في العلامات التي تدل على أشياء مادية، أي حسب الطريقة الصورية.

▪ استخدم المقاطع الصوتية التي تضم أصواتاً مخففة لتدوين الأصوات الأكدية المفخمة أيضاً مثل استخدام المقطع الذي يضم صوت (س) المخفف لتدوين المقطع الأكدى الذي يضم صوت (س) وصوت (ص) وصوت (ز) وعبروا عن صوت الحاء (ح) أو العين (ع) بأحد حروف العلة بـ (e) أو يـ (I) ، أو الحركة القصيرة المماثلة لهذين الحرفين (ا و I)

▪ خصص الكتبة علامات مسمارية معينة كانت موجودة في الكتابة المسمارية أصلاً لتدوين مقاطع أكدية معينة ، أو أنهم ابتكروا علامات جديدة لتدوين الأصوات الأكدية التي لا توجد علامات مسمارية تعبر عنها.
▪ أضاف الكتبة قيمةً صوتية للعلامات الرمزية التي كانت تلفظ بالسومرية وهذه القيم الصوتية الجديدة تمثل أسلوب لفظ العلامة الرمزية بالأكدية ، وبذلك زاد عدد قيم العلامة الرمزية الصوتية وكما في الأمثلة الآتية :
العلامة الرمزية السومرية (I = e) والتي تعني بيت ، غدت تقرأ بالأكدية بيتُم (bitum) بمعنى بيت أيضاً وغدت تستخدم للتعبير عن المقاطع الصوتية المشتقة من قراءتها الأكدية وقد زاد عدد معاني العلامة المسمارية الواحدة عن عشر معان كما زادت قيمها الصوتية أكثر من ذلك.

وهي علامات توضع غالباً قبل العلامات المسمارية التي تدل على الأسماء وأحياناً بعدها لتحديد صنف أو ماهية الاسم الذي تعود له والمعنى المقصود منه ، إن كان للعلامة أو العلامات المسمارية التي تمثله أكثر من معنى واحد. فالعلامة التي تدل على الخشب ، (وهي العلامة التي كانت تقرأ بالسومرية GIS وبالأكدية إصُ is.u وتعني شجرة) إذا وضعت أمام أية علامة مسمارية أو مجموعة علامات عرف أن تلك العلامة أو العلامات تدل على اسم شيء مصنوع من الخشب. وهكذا بالنسبة لأسماء المدن والبلدان والأنهار والأشخاص والمجموعات البشرية.

ويظن أن هذه العلامات كانت تكتب فقط ولا تقرأ لما كانت الغاية منها توجيه القارئ إلى المعنى المقصود من العلامات فحسب. وهي علامات تمثل مقاطع صوتية كانت تكتب بعد العلامات الرمزية من معنى واحد أو قراءة واحدة تهدف إلى تحديد المعنى أو القراءة المقصودة من العلامات الرمزية وذلك بكتابة علامة إضافية بعدها تشير إلى المقطع الصوتي الأخير من المعنى أو القراءة المطلوبة واستخدمت النهايات الصوتية على نطاق واسع لبيان حالة الاسم الإعرابية ، فالعلامة الرمزية لا تعبر عن حركة الاسم الإعرابية ، فإذا وضع الكاتب بعد العلامة الرمزية المقطع الصوتي الذي يشير إلى حركة الإعراب مع التمييز أو بدونه عرف القارئ موقع الكلمة من الإعراب وهكذا نجد أن أكثر العلامات الرمزية المستخدمة للدلالة على الأسماء يعقبها أحد المقاطع الثلاثة الرئيسة التي تدل على حركة الإعراب والتمييز وهي أم um وأم am وإم im. وكما هي الحالة بالنسبة للعلامات الدالة ، يظن أن النهايات الصوتية كانت تكتب للإرشاد فقط إذ إن العلامة الرمزية كانت تقرأ كاملة مع حركة الإعراب ، كما تشير إليها النهاية الصوتية.

الكتابة المسمارية وطريقة قراءة نصوصها وترجمتها(*)

الكتابة المسمارية المقطعية هي كتابة تدون (المسامير) فيها مقاطع صوتية مكونة من حرف وصوت مثل (م، م، م) الخ. وتتم عملية قراءة النصوص المسمارية وترجمتها بأربع مراحل هي :

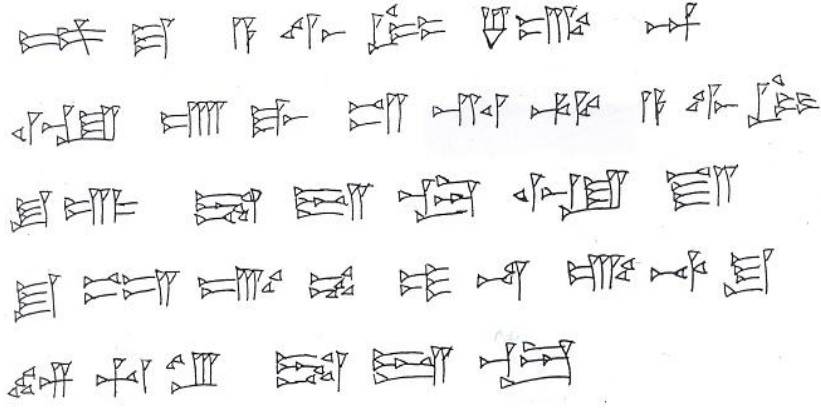
- 1- قراءة النص الأكادي ونقحرفته مقطعاً مقطعاً.
- 2- تجميع المقاطع الصوتية وتكوين الكلمات.

3- الترجمة.

4- شرح اللغة.

مثال / المادة السادسة من قانون حمورابي :

(نقلت النص المسماري بخط اليد لعدم وجود برنامج طباعة لكتابته)



(*) المصدر: - الاكديّة د.عبدالرحمن السليمان/ باحث سوري / موقع جمعية المترجمين العرب

1- القراءة والنقحرة :

شُم - مَ أ - وَي - لُ نَج 2 - جا (= نَمُكُور) دنجير (= إل) أو - إي - جَل يَش - رِ - ق، أ - وَي - لُ شُ - يذ - دَ - ق، وش شُ - رَق - إ - نَ قَا - ت - شُ يَم - خ - رُ يذ - دَ - ق

2- جميع المقاطع الصوتية وتكوين الكلمات :

شُم أو يَلُ نَمُكُور إل وإيكلُ يَشُرُق، أو يَلُ شُ يَدُق، أو شَ شُرُقُ إن قَاتِشُ يَمخُرُ يَدُق.

3- الترجمة :

(إذا سرق رجلٌ ملكاً لإله أو من هيكلٍ، يُقتل ذلك الرجل، ويُقتل كلُّ مَنْ استلم من يده (الملك المسروق)).

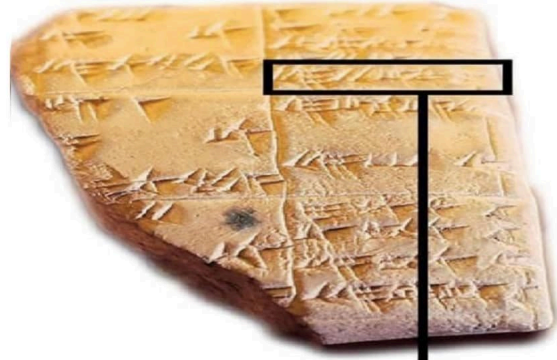
4- شرح اللغة :

الكلمة	شرحها
شُم	حرف شرط
أو يَلُ	(رجل)، اسم نكرة مرفوع، مشتق من الجذر (أول). وكان في

<p>المجتمع البابلي ثلاث طبقات : طبقة الأحرار (أويل^١)، طبقة الفلاحين (مُشكين^٢)، وطبقة العبيد (ورْد^٣ من الجذر "ورد")</p>	
<p>(رزق، مال، متاع). اسم منصوب مضاف، وتحذف الحركة في المضاف في الأكادية</p>	<p>تَمْكُور</p>
<p>(إله)، ويجانس في العربية (إل^١) بنفس المعنى. اسم نكرة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره! ولهذه الكلمة في اللغات السامية جذران اثنان هما :</p> <p>الجذر الأول: إل^١ (Bill-um) الأكادية : إل^١ (=Bill-um)، العبرية : אֵל (=Pīl)، الفينيقية والأوغاريتية : إل^١، السريانية : ܐܠܗ (=Pēlā)، العربية : إل^١. (انظر معنى "إل^١" في الآية الكريمة :</p>	<p>إِل^١</p>
<p>((لا يرقبون في مؤمن إلا ولا زمة)). (10:9) وكذلك معنى قول أبي بكر الصديق (رض) عندما تُلِّي عليه بعض من (وحي) مسيلمة الكذاب : (إن هذا لشيء ما جاء به من إل^١)، ويؤنث هذا اللفظ في العربية على : إلة^١ (=Billat-un) ومنه جاء اسم الصنم (اللات). ومنه اسم مدينة (بابل) بالأكادية : (باب إليم) (= Bāb Pīl- Tīm أي (باب الآلهة). ويرد الاسم في العبرية كثيراً في أواخر الأسماء مثل إسماعيل وميكائيل وإسرائيل، وورد في العربية في أسماء مثل (ياليل) و(شرحيل). الجذر الثاني : (إله) (بإضافة الهاء) العبرية : אלה (=Pelōah)، وانحراف اللفظ في العبرية مصدره انقلاب ألف المد قبل حروف الحلق إلى (ōa). وهذا اللفظ نادر الوجود في التوراة بالمفرد وكثير الوجود فيها بصيغة الجمع هكذا : אלהים (=Pelōhīm) = إلهيم.</p>	

ويرى علماء التوراة في جمع اسم الإله فيها مشكلة لاهوتية عويصة ويرى بعضهم أن ذلك (جمع جلاله) أو (majestatis pluralis). الآرامية القديمة: ܡܠܚܐ (Pelāh=)، السريانية: ܡܠܚܐ (Pelāhā=) (الإله) والألف نهاية الكلمة للتعريف، العربية: إله / إلاه.	
الواو حرف عطف وإيكل: (هيكل)، من السومرية أيضاً (من: إي (بيت) و: جل (كبير)، والكلمة نكرة مجرورة لأنها مضاف إليه	وإيكل؟
يسرق (الجزر (سرق)): فعل تام	يشرق؟
اسم إشارة (ذلك) / اسم موصول (الذي)	ش / شَ
يقتل (الجزر دقق)	يدق؟
اسم نكرة منصوب (المسروق)، (الشيء المسروق)	شُرِقْ؟
من	إن
اسم مجرور بحرف الجر / إن / (من)، مضاف إلى ضمير. (يدوه).	قَاتِشُ
قات: (يد)، ش: ضمير الملك للغائب المفرد	
استلم (الجزر مخر): فعل تام	يمخُرُ

من معالم الحضارة العراقية القديمة



علم الفلك البابلي

سجلت ظاهرة الكسوف لأول مرة في التاريخ بمدينة بابل حينما رصد علماء الفلك البابليون كسوفاً كلياً عام (720 ق.م) ، حيث دوّنت في لوح مسماري (شمس ، سماء ، ظلام ، حجب)

إن دولة (بابل) لم تكن تعني فقط مدينة (بابل) التي كانت هي العاصمة، أما الدولة فكانت حسب الفترات، تشمل كل بلاد النهرين، وأحياناً تتوسع نحو البلدان المجاورة. لهذا فإن الحديث عن حضارة بابل يعني الحديث عن الحضارة العراقية القديمة كلها.

اشتهرت بابل عند الناس ببرجها وحدائقها المعلقة وقليل منهم من كان يعرف عن حضارتها وتراثها. وعلى الرغم من أن الكثير من أثارها مازال حياً تحت الأرض حيث هناك الآلاف من المواقع الأثرية تنتظر كشف ما فيها إلا أن ما استخرجه الآثاريون حتى العصر الحاضر ليس قليلاً. حتى قال أحد الباحثين الأوربيين وهو يتحدث عن بلاد ما بين النهرين ((إنه يمكننا القول ومن دون مبالغة أن ليس هناك بلد في العالم خلفَ نصوصاً قديمة بهذه الكثرة ووصلت إلينا كما كتبت⁽¹⁾). وهذه النصوص تعطي صورة عن تميز حضارة بابل بتعدد جوانبها وتأثيرها على التطور المعرفي في تاريخ الإنسان. وكان من الأمور المهمة التي لعبت دوراً في بقاء هذه الحضارة هو اهتمام البابليين بالكتابة والتدوين واعطائهما أهمية كبيرة حتى أنهم جعلوا للكتابة إلهة أسموها (نيسابا) (التي تحمل في يدها القلم) والتي كانت مهمتها الإشراف على الكتابة وفنها. وقد قام الكتبة الذين أيضاً كانوا علماء وأصحاب منزلة رفيعة عند الملوك وبين المجتمع بدور حضاري في منتهى الأهمية خصوصاً في المرحلة الأولى من المملكة البابلية القديمة (في بداية الألف الثاني قبل الميلاد) حيث تمكنوا من اتقان اللغة السومرية (التي هي غير سامية) وحفظ العدد الهائل من رموزها بأسمائها وطريقة نطقها واعطاء معانيها باللغة

الأكدية (السامية) ثم تأليف القواميس بهاتين اللغتين حيث وصلتنا نماذج منها. فكان هؤلاء مترجمين من الدرجة الأولى (وقد ورث العرب والأورييون كلمة ترجمانو من البابليين). ولولاهم (كما قيل) لما كانت حضارة بلاد ما بين النهرين. وكان الكتبة يتدربون في مدرسة خاصة بهم تسمى (أدوبا) وتعني حرفياً (بيت الألواح). وما اكتشف من هذه المدرسة يعطينا فكرة واضحة عنها وطبيعة المواضيع التي تدرّس فيها. وكان على رأس المدرسة شخص يطلق عليه (أوميا) وهي كلمة سومرية تعني (الخبير/ العارف) ويليه في الرتبة مسؤول الفصول الذي يطلق عليه (أدا أدوبا) ثم هناك المختصون مثل (طوبشارنشد) خبير/ استاذ الرياضيات و(طوبشار أشاكا) خبير/ استاذ الهندسة والمساحة. وكان أهم موضوع يدرس في هذه المدرسة هو اللغة السومرية ويطلق على الأستاذ الذي يدرسها (طوبشار كنيكيرا) المختص باللغة السومرية وأستاذها والذي كان له موقع خاص في هذه المدرسة. وجهود هؤلاء الكتبة - العلماء تثير اليوم الكثير من الإعجاب. ولولا هذه الجهود التي بذلها هؤلاء لما تمكن العلماء المختصون من معرفة اللغة السومرية وفك أسرارها وفهم معانيها. وتعتبر القواميس اللغوية التي ألفها هؤلاء الكتاب عملاً جديداً ومن أولى المحاولات في تاريخ المعرفة الإنسانية. وكان عمل البابليين مستقلاً عما كان قد عمل في حضارة إيبلا في سوريا. ولم يؤلف مثل هذه القواميس بعد ذلك لقرون طويلة، إذ أن الإغريق لم يكونوا يهتمون بلغات الشعوب الأخرى. وأصبحت هذه القواميس مفيدة لبقية الشعوب بعد أن أصبحت الأكدية لغة الدبلوماسية والتجارة في الشرق الأدنى. ويتقدم الزمن اهتم البابليون بتأليف قواميس خاصة كقواميس أسماء الأحجار والنباتات والحيوانات والمعادن بل ألفوا قواميس لمعاني الأفعال وقواميس لغوية للأضداد والمترادف، بل وللجذور واشتقاقاتها واستعمالاتها وكذلك قواميس للكلمات النادرة التي تستعمل في الأدب. كما لم تخل هذه القواميس من توضيحات وتعليقات خاصة من فترة الألف الأول قبل الميلاد.⁽²⁾ ويرى باحثون أن تطور الكتابة عند البابليين لم يستغرق وقتاً طويلاً على الرغم من القواعد الدقيقة التي وضعوها لها والأدب المتميز الذي أنتجوه.⁽³⁾ ومن المهم الإشارة هنا إلى أن مهنة الكتابة عند البابليين لم تقتصر على الرجال وحدهم وإنما كانت هناك أيضاً نساء كاتبات منذ وقت مبكر من الحضارة البابلية كما تدل على ذلك المكتشفات من مدينة (سبار)⁽⁴⁾ التي تقع شمال بابل وهو شيء له أكثر من دلالة. كما أن معرفة القراءة والكتابة لم تكن مقتصرة على طبقة معينة من الناس كالكتاب والكهنة. بل إن الكثير من النصوص الأدبية التي عثر عليها جاءت من بيوت الناس العاديين⁽⁵⁾ وربما كان بعضهم يملك مكتبات خاصة. وهذا يعطينا فكرة عن أن البابلي كان له اهتمامات أدبية أيضاً.

وكان أحد المكتشفات الأولى التي عثر عليه الأثاريون والذي أثار إعجاب الناس هو ما عرف بشريعة حمورابي التي تعتبر من أقدم القوانين في الحضارات القديمة وأكثرها شمولاً وتفصيلاً. إذ تحتوي على أكثر من مئتين وثمانين فقرة شملت الكثير من مناحي الحياة. كما تميزت بشريعة حمورابي خاصة بجمال اللغة ودقتها وصفائها. وقد جاء في بعض ديباجتها التي تعطي بعض أسباب تشريعها ((إنه من أجل أن يسود العدل في البلد ويقضى على الشر والظلم وكى لا يضطهد القوي الضعيف)). وقد وضعت نماذج منها في أماكن عامة كالمعابد كما كان التلاميذ يتعلمونها لمضمونها وجمال لغتها وأصبحت نصوص هذه القوانين نموذجاً لما يسمى اللغة البابلية القديمة.

وكما برز البابليون في تشريع الشرائع فقد اشتهروا أيضاً في مجالات أخرى كالطب وكان للطبيب الذي يسمى (أسو) (وهو آسي في العربية وآسيا / اسأ في السريانية) موقع مهم في المجتمع وكان يعد من أبناء الطبقة العليا وكانت مهنته متميزة لاعلاقة لها بالدين أو السحر إذ من كان يمارس علاج الناس بواسطة هذين كان يسمى (أشيفو). بينما كان الطبيب الذي كان يتميز بين الناس بحمل أدواته معه وطريقة حلاقة شعره يتعلم مهنته بالدراسة أولاً. وبعد الانتهاء من الدراسة كان يقوم بممارستها مع من هم أقدم وأكثر خبرة منه. وقد وصلنا عدد كبير من الألواح التي تضم قوائم بالأعراض والأمراض والوصفات الطبية التي كتبها أطباء. وهي تحتوي على تشخيص لأسباب طبيعية للأمراض. (ويعتقد أن أقدم وصفة طبية هي تلك التي وصلتنا من بلاد النهرين من سلالة أور الثالثة). ويتبين من بعض هذه الوصفات التي اكتشفت أن العناصر المكونة للدواء مازالت مستعملة اليوم لنفس المرض. ومن النصوص في مجال الطب مؤلف مهم اعتبره الباحثون تحفة علمية راقية يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد على الأقل وعنوانه (رسالة في التشخيصات الطبية والتكهنات). ويعتقد بعض الباحثين أن هذا المؤلف ربما كان يحتوي على خمسة آلاف إلى ستة آلاف فقرة وقد عثر على أربعين لوحاً منها تمثل نصفها تقريباً⁽⁶⁾ كما أن هؤلاء الأطباء عرفوا العدوى وشخصوها كما عثر على رسائل مرسلتها إلى أطباء فيها الكثير من التفاصيل لحالات مرضية وبعضها احتوى على بعض أسماء الأطباء أيضاً. وكان بعض هؤلاء الأطباء قد أرسل من بابل لمعالجة ملوك معاصرين للبابليين مثل الملك الحثي (حتوسيلس الثالث) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد⁽⁷⁾. وقد استعمل الأطباء في علاج هذه الأمراض ليس الأدوية فحسب وإنما استعملوا الأدوات للعمليات الجراحية. ومما يدل على انتشار الطب هو وجود سبع مواد على الأقل في شريعة حمورابي تتعلق بعمليات جراحية. ويرى بعض الباحثين أن البابليين قد مارسوا العلاج النفسي أيضاً الذي يعتقد أنه من نتاج العصر الحديث.

واهتم البابليون بالرياضيات وقد عثر على آلاف الرقم والألواح التي تضم أعداداً رتبت بطرق مختلفة وعمليات طرح وجمع ومسائل حسابية تتعلق بالعمارة ومساحة الأرض والسقي. كما عثر على ألواح كثيرة تحوي تمارين رياضية بعضها مع حلول لها والبعض الآخر بدون ذلك وبعض هذه التمارين بمستوى متقدم. وإن ما وصلنا منهم من قضايا رياضية يؤكد قدرتهم النظرية التي قل أن وجد مثلها قبل العصر الكلاسيكي⁽⁸⁾. وكان تصنيع المعادن شائعاً وأعطوا لمن يمتحن ذلك اسماً عاماً يدل على اختصاصه وهو (نفاخو) (بالأرامية نفاخا وبالعربية نفاخ). ثم خصصوا ذلك بإضافة اسم المعدن إليه فسمي الحداد (نفاخ فرزيلو) والذي يعمل بالذهب (نفاخ خورصي). (ومن هذه الكلمة أخذت الكلمة اليونانية خورسس للذهب). ويقول جورج روكس في كتابه العراق القديم ((ليس من شك في إن البابليين (والآشوريين) كانوا يعرفون أكثر مما عثر عليه في كتاباتهم فنقل الصخور الهائلة ونصبها مثلاً أو إنشاء ممرات مائة طويلة يدل على معرفة متقدمة بقوانين الفيزياء. وكذلك معرفتهم ببعض مبادئ الكيمياء التي كانت قد طبقت بشكل ناجح في الأدوية والأصبغ وعمل الزجاج الملون وتزيين الآجر بالمينا))⁽⁹⁾.

واهتموا كذلك بعلم الفلك وكانوا يراقبون القمر والشمس والنجوم بشكل دقيق وكانوا يقومون بهذه المراقبة من على المعابد الدينية وأبراج خاصة في بعض المدن. كما تنبأوا بحسوف القمر وكسوف الشمس وراقبوا الرياح والسحب أيضاً. وفي ضوء علم الفلك قسموا السنة إلى اثني عشر شهراً (ومازالت أسماء الأشهر البابلية تستعمل عند اليهود وكذلك

النظام الشمسي - القمري). وقسموا الشهر إلى ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً وقسموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة والساعة إلى ستين دقيقة. وقد وردت أسماء علماء فلكيين في بعض الرسائل البابلية التي عثر عليها وسجل هؤلاء حالات كسوف وخسوف بشكل دقيق كما يقول بطليموس. وظل الناس يستفيدون من خبرة البابليين في هذا المجال بعد زوال دولتهم خاصة. إذ نقرأ أن نابو - ريماني (القرن الخامس ق.م) وكدينو والكاهن بل آشور (القرن الثالث ق.م) كانوا من العلماء الذين استفاد منهم الإغريق في علم الفلك وأطلقوا عليهم أسماء إغريقية. فالأول سمي نابوريانوس والثاني سديناس والثالث بيرسوس. ولذلك اختلط على بعض الباحثين أصلهم وظنوه من الإغريق فنسبوهم إليهم خطأ ومن الضروري إعادة هويتهم إليهم. وعرف عن الكاهن (بل آشور) أنه كان له حلقة دراسية يدرس فيه طلاباً في بلاد الإغريق بطلب منهم. وبل آشور هو نفسه الذي كتب تاريخاً باللغة اليونانية لموطنه بابل وملكها ولم يصل لنا من هذا الكتاب (مع الأسف) إلا أجزاء قليلة. وما ذكره في هذا الكتاب أن نبوخذ نصر بنى الحدائق المعلقة لزوجته أميتس. وقد ذكر مؤرخون أن الإسكندر الأكبر كان معجباً بخبرة البابليين في علم الفلك وحكمتهم⁽¹⁰⁾ ويرى بعض الباحثين أن تعاون علماء الفلك البابليين والإغريق قد ساهم في تطور هذا العلم إلى درجة لا يمكن تجاهلها. كما إن بعض علماء الفلك من القرن السادس الميلادي قد اعتمدوا على ملاحظات البابليين في التنبؤ بكسوف الشمس. ومعروف أن رموز الأبراج المستعملة اليوم ترجع في أصلها إلى البابليين (وهناك لوح أثري من بابل في المتحف البريطاني يؤكد ذلك). وقد قيل إن شعب ما بين النهرين قدم أعظم إنجازاته في حقل الرياضيات والفلك.

كما ابتكر البابليون الساعة الشمسية وقال المؤرخ هيردوتس (القرن الخامس قبل الميلاد) عن ذلك (إن علم المساحة والساعة الشمسية وتقسيم اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة لم تأت من اليونان أو مصر ولكن من بابل). واهتم البابليون كذلك بالجغرافيا وقد عثر على نصوص تتضمن قوائم لأسماء البلدان والجبال والأنهار والمدن بل وحتى للمسافات بين المدن وهي قضية مفيدة جداً للمؤرخين في العصر الحديث. وقد عثر على بعض المخططات (وليست خرائط بالمعنى الحديث) لبعض المدن وقد اكتشف مخطط لمدينة نيور كان قد وضعه البابليون لها يتفق مع ما اكتشفه الآثاريون لواقع هذه المدينة. بل عثر على خريطة للعالم كذلك تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد. وكتب على أقصى الشمال منها (الأرض التي لا ترى فيها الشمس أبداً). كما اكتشفت نصوص تشير إلى اهتمامهم بالجغرافيا التاريخية من عصر مبكر.

واهتموا أيضاً بالتاريخ فعدا عن تدوين ما أنجزه الملوك أثناء حكمهم وما كتب على الأبنية من معلومات تاريخية فقد عثر على قوائم تضم أسماء السلالات الملكية وأسماء الملوك وشخصيات معروفة وقوائم بأحداث متزامنة إلى جانب تسجيل الحملات العسكرية التي أفادت الباحثين كثيراً ليس في تأريخ الحدث حسب ولكن أيضاً في معرفة أسماء الملوك والبلدان الأخرى. وكانت قوائم الملوك تذكر أحياناً الأحداث المهمة لكل سنة في فترة حكم هؤلاء الملوك. ومن القوائم المفيدة التي اكتشفت قوائم بأسماء الآلهة. ومن الأمور المهمة التي عثر عليها قوائم طويلة بالطوالع (طوالع الخير والشر) يصل عددها إلى الآلاف. وكان لهذه الطوالع مختصون بها يدرسونها ويتدربون على معرفتها لفترة طويلة يسمى الواحد منهم (الرائي أو الناظر). وهي مفيدة جداً لدراسة العادات والتقاليد والمعتقدات للمجتمع البابلي. وقد تأثرت بعض

الشعوب (بهذا العلم) (كما أطلق عليه بعض الباحثين) كالحثيين فجمعوا قوائم لها مماثلة أيضاً. واهتموا بالوثائق والحفاظ عليها والإعتناء بها فقد كانت بعض الرسائل المهمة والوثائق توضع في ظروف من الطين وتختتم حتى لا يعثب بها أو تقرأ من قبل أناس غير مخولين. وكانت تكتب بعض الكلمات على الظرف تشير إلى مابداخل الوثيقة أو الرسالة. وقد عثر على عدد كبير من هذه وهي مازالت مغلفة⁽¹¹⁾. ويبدو أن ختم الرسائل الشخصية بختم خاص من الحجر كان معروفاً بين البابليين حتى ان هيرودتس ذكر أن كل بابلي كان له ختمه الخاص⁽¹²⁾. كما ترك لنا البابليون تراثاً أدبياً مهماً شعراً ونثراً من أدب وحكمة وفكاهة وغيرهما ويأتي على رأس هذا الأدب قصة الخلق وعشتار في العالم السفلي وملحمة جلجامش. وهذه الملحمة هي واحدة من أهم الملاحم في العصور القديمة. وقد كان من إعجاب الشعوب الأخرى بها وتأثرهم بروعتها أنهم ترجموها إلى لغاتهم وقد عثر على ترجمتها إلى اللغة الحورية واللغة الحثية⁽¹³⁾ وفي العصر الحديث ترجمت الملحمة إلى أكثر من لغة على رأسها الإنجليزية كما هو معروف.

وقد قيل عن البابليين انهم فاقوا في العلوم معاصريهم من الشعوب الأخرى.

وقد أعجب الباحثون والآثاريون بدرجة حب البابليين للبحث الخالص وحبهم للإستكشاف والإستطلاع أما عن بابل في عصرها المتأخر فقد وصفها المؤرخ هيرودتس وصف معجب بها ومنبهر ببنائها وبتخطيطها وبيوالاتها فقال عنها (لا توجد مدينة تشبهها في روعتها في العالم الذي نعرفه). وكان أشهر هذه البوابات بوابة عشتار التي زينت واجهتها باللون الأزرق وزينت بعدد من الثنائين (رمز للإله مردوخ) وكذلك بعدد من الثيران (رمز للإله أدد). وقد بلغ عدد هذه الرموز 575 رمزاً⁽¹⁴⁾. وكانت البوابة موصولة بشارع سماه الباحثون (طريق المواكب) وأطلق عليه البابليون إبور شابو (الطريق الذي لن يجتازه العدو). وتوجد بوابة عشتار اليوم في متحف برلين وهي تبهر الإنسان بشكلها وبنائها وروعة تصميمها. وذكر أن بابل ضمت أكثر من ألف معبد من مختلف المقاسات⁽¹⁵⁾. وذكر بعض المؤرخين أن الإسكندر الأكبر (الذي كان في بلاد ما بين النهرين ومات فيها) قد أبدى إعجابه بها وأراد أن يجعلها عاصمته العالمية بل ذكر بعض هؤلاء أنه جعلها فعلاً عاصمته واستقبل السفراء فيها⁽¹⁶⁾.

- (♦) كتبت هذه الدراسة بالتعاون مع (الباحث جعفر هادي حسن)

الهوامش :

1 - (Ancient Iraq,pp29-30(England,1980.Roux, G

2- (pp149-50(Michigan ,The Ancient Orient,1994 .,von Soden,W

3- Roux,G .,المصدر أعلاه p76

4- Von SodenW.,op.cit. p.106 المصدر أعلاه

5- (Greatness that was Babylon p.389 (London The,1988.Saggs,H.W

6- (Mesopotamia,p.177(Edinburgh Everyday Life in Ancient,2001.Bottero,J

368 المصدر أعلاه ص 368 op.cit.,Roux,G -7

pp.358-9,Ibid -8 المصدر نفسه

pp.360-1,Ibid -9 المصدر نفسه

(Assyria,p497(London n.d. Myths of Babylonia and.,Mackenzie,D -10

The Ancient Orient,p 139 - 1994.,Soden, W Von -11

op.cit.p.434.H.W,Saggs -12 المصدر أعلاه

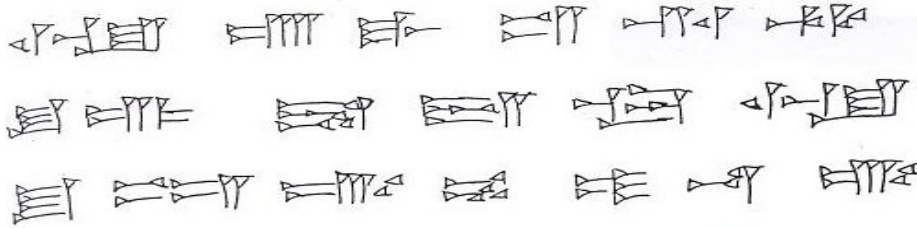
op.cit p.234.,Bottero,J -13 المصدر أعلاه

Georegs,Roux -14 المصدر أعلاه, pp.392-3

المصدر نفسه ص 390 -15

p.,Mackanzie,D -16 المصدر أعلاه ص 497

برنامج طباعي للكتابة المسمارية



ان الكتابة المسمارية العراقية التي كُتِبَ بها كل التراث العراقي القديم، السومري والاكدي، وكذلك التراث السوري - الشامي القديم (بالإضافة الى كل التراث القديم لبلدان الشرق الاوسط، مثل ايران والاحواز وتركيا والخليج، باستثناء مصر)، وطيلة ثلاثة آلاف عام. وهذه الكتابة تُدرّس خصوصاً في الجامعات العراقية والسورية، مع الكثير من جامعات العالم. إن هذه الكتابة المهمة وطنياً وعالمياً، ظلت محرومة من إمكانية الطباعة الرقمية (الكومبيوتر)!

لقد بادرت استاذة بلجيكية في جامعة بروكسل الحرة في مركز اللغات القديمة، إسمها (سيلفي فانسفرن - Sylvie Vanséveren) وأبدعت برنامج للكتابة في الحاسوب بالخط المسماري. وهذا البرنامج يمكن تسجيله مجاناً، في الرابط التالي :

www.hethport.uni-wuerzburg.de/cuneifont

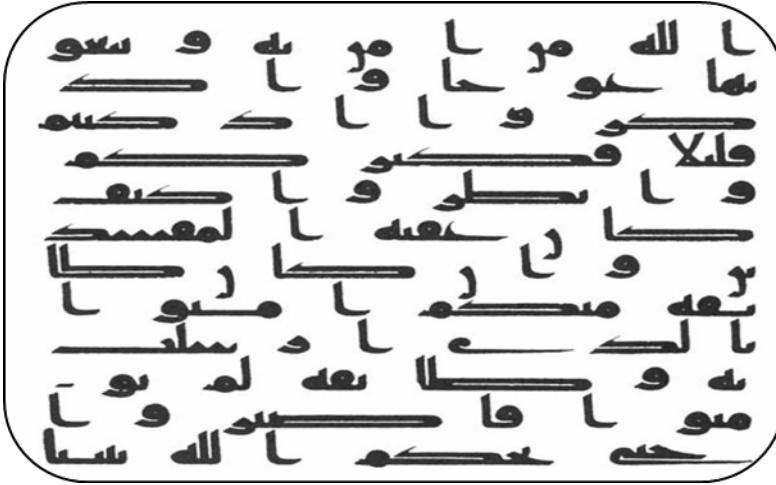
ملف اللغة العربية



(لوحة للفنانة العراقية وسماء الاغا)

- ◆ معلومت عن تاريخ اللغة العربية
- ◆ نشأة الخط العربي في الانبار
- ◆ أشهر الخطاطين العراقيين
- ◆ المدارس النحوية في الكوفة والبصرة وبغداد
- ◆ دور الترجمة من السريانية في تطوير اللغة العربية

معلومات عن تاريخ اللغة العربية



الآيات 86 و87 من سورة الأعراف كتبت بخط كوفي مبكر (أوائل القرن السابع الميلادي)، لاحظ غياب التقطيط والتشكيل

الأصل الأكدي لـ «ال» التعريف

إن اللغة العربية وريثة الغنى التاريخي والحضاري للغات السامية في العراق وسوريا. وكانت اللغة الأكديّة هي الرائدة الأولى والأكبر لهذه اللغات، والتي ظلت مستعملة في العراق والمنطقة حتى بضعة قرون قبل الميلاد حيث ورثتها اللغة الآرامية - السريانية. والأكديّة بدورها كانت قد استوعبت كل ميراث اللغة السومرية وحضارتها.. إذن العربية وريثة جميع اللغات السامية بالإضافة إلى السومرية، وهنا مثال على صحة هذا الأمر :

◆ المبدأ اللاهوتي لـ «ال» التعريف العربية، كمبدأ فكري ونظام ذهني تطورت معه علائق الانسان بالعالم حوله لم يبق الإله «إيل» حساً متعالياً بعيداً منفصلاً عن يوميات الانسان، بل نجده فرض تعالیه كعلاقة ذهنية، تتجلى لنا خلال استعمال اللغة بوجه خاص. فنحن حين نستعرض طريقة التصنيف السومرية للمفردات هذه الطريقة التي لجأ إليها السومريون للتمييز بين الأشياء التي تحمل تسمياتها تجانساً في اللفظ، حين نستعرض هذه الطريقة نجد «إيل» بلفظه السومري «آن» كان يعني نوعاً من الوجود المبدئي الكامن في الأشياء.

لقد كان السومريون يرفقون كل لفظة بإشارة تحدد صنف مدلولها، وذلك لكثرة الألفاظ المتجانسة لديهم وضيق لغتهم التي يغلب على ألفاظها المقطع الواحد. وبهذه الاشارة التي تكون غالباً كبادئة للكلمة كانوا يحددون صنف الكلمة، إذا ما كانت إسماً لإله أو لشجرة أو لطائر أو لإنسان أو لمعدن، أو لأي شيء آخر. وحيث ورث الأكاديون الذهنية السومرية بثقافتها، ورثوا عنهم هذه الطريقة في التصنيف. وكما كانوا يضعون اشارة أرض «كي» الى جانب تسمية أحد الأقطار كذلك كانوا يضعون اشارة «ال» الى جانب تسمية أحد الآلهة لتمييز وصفه.

أما الأسماء التي رافقتها صفة «ال» فقد بلغت الآلاف، بحيث وجدت في مكتبة «أشور بانبيال» الشهيرة قائمة تضم أكثر من الفين وخمسمائة اسم إله بابلي الأصل. كما جمع «د. ديميل» ثلاثة آلاف وثلاثمائة أسم بلقب إله. عدد «ك. تولكفيست» ألفين وأربعمائة منها.

وإذا استعرضنا امكانات اللغات السامية، وفي رأسها الأكادية التي ورثت أسلوب التصنيف السومري هذا، نجد أن هذه اللغات واسعة المفردات وتحمل قابلية ذاتية لخلق تسميات بطريق الاشتقاق، أولاً، لانتشارها وتعدد لهجاتها وخبرات أبنائها، وثانياً، لكون مفرداتها الأساسية ثلاثية المقاطع، بعكس اللغة السومرية التي يغلب عليها المقطع الواحد للكلمة الواحدة.

وبنتيجة هذه الميزة للغات السامية راحت اللغة الأكادية تستغني عن طريقة التصنيف القديمة لعدم الحاجة لها بسبب قابليتها لتتبع اللفظ. وهو ما لم يكن في قابليات اللغة السومرية. ولكن ما لم يحدث الاستغناء عنه هو بادئة «ال» اللاهوتية. فهذه بقيت ترافق المطلق في كل تسمية. وقد وصلتنا، كما يبدو، الى اللغة العربية وفق المبدأ اللاهوتي القديم فعرفناها بوظيفة «ال» التعريف للأسماء، إذ هذه، على تنوع استعمالها تجدها لا تزال تحمل المبادئ اللاهوتية ذاتها التي كانت تدل إليها في الذهنية القديمة.

وما يشجع على هذا الافتراض هو التأثير الأكادي الواسع الذي نلاحظه في قواعد اللغة العربية وأدواتها ومفرداتها، بحيث نستطيع القول باطمئنان أنها الوارثة الشرعية لقواعد اللغة الأكادية، وحركات إعرابها، الى جانب الكثير من مفرداتها التي لا تزال حية في أسماء النباتات المختلفة المستعملة اليوم، وغيرها من اللهجات العامية بوجه خاص. وهكذا تكون قد سقطت بواديء التصنيف السومرية جميعاً مع التطور اللغوي على أيدي الساميين، وبقيت بادئة «ال» وحدها في اللغة العربية شاهداً على المبدء التصنيفي اللاهوتي الذي تعامل به انسان حضارة الشرق المتوسطي الآسيوي طوال ما يقارب ثلاثة آلاف سنة.

وحين نبحث عن حلقة تصل بين «ال» اللغوية و «أل» اللاهوتية نجد معالم هذه الحلقة في البادية السورية، المكان الطبيعي الصالح لمثل هذا التطور الذهني والتفاعل اللغوي بين الأكاديين والساميين الغربيين الذين تحدر منهم العرب بسلاطهم وتراثهم الثقافي.

لقد عرف الإله «مارتو» في النصوص الأكادية بأنه إله البادية السورية وهو يدعى كذلك «رمانو» (أي رحمان). وهذا الإله كان يأتي اسمه غالباً مسبقاً بإشارتين لاهوتيتين، «أل أل» أي «الاله» الذي أصبح فيما بعد «الله»، بالإدغام. وهنا نفترض أن الإشارة الأولى للألوهة كانت أصبحت «أل» التعريف، التي غدت توضع بعد ذلك قبل إشارة الألوهة الثانية لتفديد الألوهة المطلقة. وإذا استعملنا هذا التعريف قبل الاسم الثاني للإله «مارتو» أي الرحمان تصبح موافقة للترادف العربي، «الله رحمن» ومن المعروف أن حرفي الحاء والهاء لا وجود لهما في الأكادية، ولهذا فإن «رمانو» هو ذاته رحمان، كما أن هناك ملاحظة هامة لا بد من ذكرها حول إله البادية هذا «مارتو» أو «أمورو». فهذا الإله يرد على الأختام مرفقاً بإله آخر، وكأنه صفة له. فهل يعني هذا أنه كان إلهاً مطلقاً يوصف به الآخرون؟ إن افتراض كلمة «الله» كصفة تعريف له تقتضي أن يكون ذلك. لأن هذه الكلمة بطبيعتها تركيبها تتضمن معنى التوحد للمطلق، إذ هي ادغام في كلمة «الاله»..

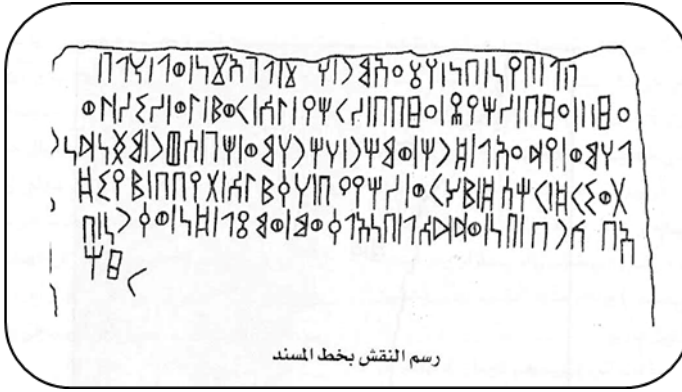
من كتاب «البنية الذهنية الحضارية - يوسف الحوراني - ص 173-178».

* * *

نقوش اللغات ما قبل العربية

يبدو ان (اللغة العربية) كما نعرفها الآن، قد تكونت بصورة فعلية في الحقبة الاسلامية أو قبلها بقليل. فبالنسبة لما يسمى بـ (العربية الجنوبية) أي (لغة اليمن) فأنها بعيدة عن العربية بعد العبرية والسريانية. وقد كان علماء المسلمين يدركون ذلك حتى قال أبو عمرو بن العلاء (770م) : (ما لسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا).

هذا نموذج لنقش سبئي مكتوب بالخط اليمني (المسند) :



إعادة كتابته بالحروف العربية :

- 1 - كرب إل بين / بن / يثع أمر / هـ جز / لجأزن / ول / خلب
- 2 - ول / نشن / ول / مور / آل / يحرن / بيضع / صيحن / بضع
يليه السطر الثالث ثم الرابع وهذه ترجمة الخامس
- 5- أب / كرب / بن / ودد إل / بن / إل قوم / ومثل / ذن / وقرن / ب
الترجمة التقريبية بالعربي :
- 1- كرب إيل بين بن يثع أمر ينهي بهذا ما رسمه يدع إل ذريح على أودية جأزان (وادي جيزان) وخب
- 2- ونشان ومور (أسماء وديان معروفة) من ضرائب
مستحقة على مقاطعة صيحان. ورسم
- 5- أب كرب بن وداد إل بن إل قوم،

<http://www.yafea1.com/vb/showthread.php?t=69008>

نقش النمارة



Dussaud's tracing of al-Namārah Nabataean inscription

١٩٢٢ م
١٩٢٢ م
١٩٢٢ م
١٩٢٢ م
١٩٢٢ م

Dussaud's letter-by-letter Arabic transcription and reading

قِي نَفْسُ امْرِئِ الْقَيْسِ بَرَّ عَرَبٍ مَلِكُ الْعَرَبِ كَلْدُ ذُو أَسْرٍ اَنْتَاجِ
وَمَلِكُ الْاَسْدِيْنَ وَنَزَارُو وَمُلُوكِهِمْ وَهَرَبَ يَجْعُو عَكْدِي وَجَاءَ
بِرِجَالِي فِي حَتِّجِ نَجْرَانِ مَدِينَتِ شَمْرٍ وَمَلِكُ مَعْدُو وَيَتَيْنَ بَعِيهِ
الشعوب ووكلتهم فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه
عكدي ملكك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولدته

لقد تم العثور على الكثير من النقوش الكتابية في أنحاء الهلال الخصيب والحجاز: المسندية / الحسائية / اللحيانية / الصفائية / الديدانية / الثمودية ، لكن جميع هذه الكتابات السابقة للإسلام لم تحتو إلا على (بصيص) من العربية الفصحى كما عرفناها في القرآن الكريم.

يعتبر (نقش النمارة) من أشهر هذه النقوش ، لأنه احتوى على لغة لها علاقة ما بالعربية الفصحى. اكتشف في عام 1901م بالقرب من دمشق منقوشاً على قبر (امرؤ القيس) الذي وصف نفسه بـ (ملك العرب). هذا النقش مكتوب بنوع من الخط النبطي (الآرامي) القريب من الخط العربي الحالي. مكتوب بلغة هي آرامية مزوجة بمفردات عربية. ويوجد الآن في متحف اللوفر في باريس.

النقش بلغته الاصلية :

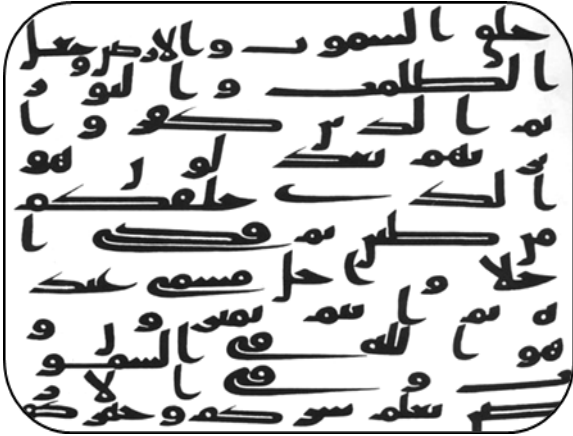
- 1 - تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كلّه ذو أسر التج .
- 2 - وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب محجو عكدي وجاء .
- 3 - بزجي في حيج نجرن مدينة شمر وملك معدو وبين بنيه .
- 4 - الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك ميلغه .
- 5 - عكدي. هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده.

ترجمة النقش الى العربية :

- 1- هذا قبر امرئ القيس بن عمرو، ملك العرب جميعاً، الذي عقد التاج .
- 2 - وملك قبيلتي أسد ونزار وملوكهم، وأخضع (قبيلة) محج!! حتى اليوم وحقق.
- 3 - نجاحاً في حصار نجران عاصمة شمر، وملك (قبيلة) معد، وقسم على أبنائه .
- 4 - أرض الشعوب وجعلها فرساناً للروم، فلم يبلغ ملك ميلغه .
- 5 - حتى اليوم. مات سنة 223 في اليوم السابع من شهر كسلول (كانون الاول) لتتعم ذريته بالسعادة.

الخط الكوفي

هذا نموذج من أولى الكتابات العربية في أول الاسلام وبالخط الكوفي، وهو نص من المصحف العثماني الأصلي الذي كتب في عهد عثمان بن عفان .. من سورة الأنعام :



خلق السموات والارض وجعل / الظلمت
والنور / ثم الذين كفروا / بربهم يعدلون هو /
الذي خلقكم / من طين ثم قضى / اجلاً وأجل
مسمى عند / ه ثم أنتم تمترون و / هو الله في
السموات و في الارض يعلم سركم و جهركم

* * *

العربية بين البداوة والحضارة

إن مشكلة أصل المفردات العربية وارجاعها دوماً الى أصلها في الصحارى العربية يبدو أمراً خاطئاً، لأن أصل المفردات العربية وخصوصاً الحضارية يجب إرجاعه الى اللغات السامية في العراق وسوريا. هنا رأي في هذا المجال :
(ولكن مما يؤسف له أشد الأسف أن جميع علماء اللغة من المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئاً من اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة فنشأ عن ذلك أنهم لم يوفقوا الى بيان المعاني الدقيقة التي يؤديها كثير من الكلمات العربية في أصل وضعها ونشأ عن ذلك أيضاً وقوعهم في أغلاط فاحشة فيما يتعلق بفهم اشتقاق الكلمات لأنه ليس من

الممكن في كل الأحوال أن يهتدي الباحث الى أصل اشتقاق الكلمة اذا اقتصر في بحثه على لغة سامية واحدة. لكنه اذا وازن بين اللغات السامية التي تشترك في كلمة من الكلمات استطاع أن يهتدي بسهولة الى الحقيقة الواضحة في أصل اشتقاقها.

ونشأ من حرص العلماء على أن يجمعوا من الأعراب كل ما يمكن جمعه من الكلمات ان جاؤوا بكلمات عربية غير مألوفة عند العرب ولا متداولة بين فريق منهم وذلك لأن هؤلاء العلماء كانوا يلحون بشدة على الأعراب أن يأتوا لهم بجديد من الكلمات وكان بين هؤلاء الأعراب بطبيعة الحال من هو صادق ومن هو كاذب ومن الكاذبين من كان يقصد التلفيق واختلاق الكلمات. ولكن هذه الكلمات المختلفة لم تستطع أن تندمج في اللغة العربية اندماجاً تاماً بل بقيت غير واضحة المعنى وكثير منها ظل غير موثوق بصحة استعماله. وكذلك نشأ من كثرة استعمال المجاز في الأدب العربي وجود كثير من الألفاظ غير واضحة المعنى ولا مفهومة الدلالة من ناحية مادتها اللغوية.

ولما حاول العلماء أن يشرحوا معناها ويوضحوا دلالتها لم يجدوا من الألفاظ ما يوصلهم الى ذلك بمعناه الحقيقي فاستعملوا الفاظاً أخرى في معانٍ مجازية أيضاً كان من شأنه أن زادت عدد الألفاظ المهمة المعنى فكان هؤلاء العلماء بمحاولتهم تعليل الإبهام والغموض في المادة اللغوية قد أرادوا مضاعفته وزيادة فيه. وقد استغل هذا النوع من الألفاظ بعض الشعراء الذين كانوا يميلون الى الإبهام والإغراب فحشوا شعرهم بالألفاظ النادرة الاستعمال أو المشكوك في صحتها)).

من كتاب (تاريخ اللغات السامية - ولفنسون ص 217 - 218).

* * *

حالة اللغة العربية اليوم

تتكلم الشعوب العربية اليوم اللغة العربية،. ويطلق عليها لغة الضاد لتفرد بها هذا الحرف، وهي مكونة من 28 حرفاً. وتعد من أقدم اللغات الحية حالياً. وتنقسم اللغة الفصحى إلى سبع أو عشر لهجات فصحي يقرأ بها القرآن الكريم. ويتكلم العرب المعاصرون العربية الفصحى ولهجات عامية متنوعة إلا أنها متقاربة. العربية لغة رسمية في كل دول العالم العربي إضافة إلى كونها لغة رسمية في دول السنغال، ومالي، وتشاد، وإريتريا. وقد اعتمدت العربية كإحدى لغات منظمة الأمم المتحدة الرسمية الستة.

(لغة الضاد) هو الاسم الذي يطلقه العرب لاعتقادهم بأنها الوحيدة بين لغات العالم التي تحتوي على حرف الضاد. تنتمي العربية إلى أسرة اللغات السامية المتفرعة من مجموعة اللغات الأفرو-آسيوية. وتضم مجموعة اللغات السامية لغات حضارة الهلال الخصيب القديمة (الأكدية) والكنعانية والآرامية واللغات العربية الجنوبية وبعض لغات القرن الإفريقي كالأمهرية. وعلى وجه التحديد، يضع اللغويون اللغة العربية في المجموعة السامية الوسطى من اللغات السامية الغربية، فتكون بذلك اللغات السامية الشمالية الغربية (أي الآرامية والعبرية والكنعانية) هي أقرب اللغات السامية إلى العربية.

تعتبر العربية من أكبر لغات المجموعة السامية من حيث عدد المتحدثين، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم، يتحدثها أكثر من 422 مليون نسمة، ويتوزع متحدثوها في المنطقة المعروفة بأسم العالم العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كالأحواز وجنوب تركيا وتشاد ومالي والسنغال وأرتيريا. وللغة العربية أهمية قصوى لدى المسلمين فهي لغة مصدري التشريع الأساسيين في الإسلام: القرآن الكريم، والأحاديث النبوية المروية عن النبي محمد (ص)، ولا تتم الصلاة (وعبادات أخرى) في الإسلام إلا بإتقان بعض من كلمات هذه اللغة. والعربية هي أيضاً لغة طقسية رئيسية لدى عدد من الكنائس المسيحية في العالم العربي، كما كتبت بها الكثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصر الإسلامي. وأثر انتشار الإسلام وتأسيسه دولاً، أرتفعت مكانة اللغة العربية وأصبحت لغة السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون، وأثرت العربية تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي، كالتركية والفارسية والأوردية والالبانية واللغات الأفريقية الأخرى واللغات الأوروبية كالروسية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية والإيطالية والألمانية. كما انها تدرس بشكل رسمي أو غير رسمي في الدول الإسلامية والدول الأفريقية المحاذية للعالم العربي. علماً بأن الخط العربي مستعمل لكتابة الكثير من لغات الشعوب الإسلامية: الأردو والفارسية والكشميرية والبشتونية والطاجيكية والتركستانية (زنجيانغ) والكردية السورانية والبهمنانية وبهاسا (بروناي وآتشه وجاوي ماليزيا).

نشأة الخط العربي في الانبار

	Aramaic	Nabataean	Arabic		Aramaic	Nabataean	Arabic
ʾ	Ⲁ	Ⲁ	ا*	l	Ⲍ	Ⲍ	ل
b	Ⲃ	Ⲃ	ب	m	Ⲅ	Ⲅ	م
g	Ⲅ	Ⲅ	ج**	n	Ⲇ	Ⲇ	ن
d	Ⲇ	Ⲇ	د	s	Ⲉ	Ⲉ	س
h	Ⲉ	Ⲉ	ه	ʿ	Ⲋ	Ⲋ	ع**
w	Ⲋ	Ⲋ	و	p	Ⲍ	Ⲍ	ف
z	Ⲍ	Ⲍ	ز	ṣ	Ⲏ	Ⲏ	ص
ḥ	Ⲏ	Ⲏ	ح**	q	Ⲑ	Ⲑ	ق
ṭ	Ⲑ	Ⲑ	ط	r	Ⲓ	Ⲓ	ر
y	Ⲓ	Ⲓ	ي	ṣ̣	Ⲕ	Ⲕ	س
k	Ⲕ	Ⲕ	ك	t	Ⲗ	Ⲗ	ت

All Arabic letters are isolated forms, except * denotes final form, and ** denotes initial form

إن نظرية نشأة الخط العربي ، شغلت المؤرخين القدماء والباحثين المحدثين ، لذلك فإن موضوع نشأة الخط العربي في الانبار من بين المواضيع الهامة التي ينبغي تسليط الاضواء عليها ، كونها توضح اسهام أبناء العراق في الثقافة العربية على مر التاريخ.

البحث تناول مسألة نشأة الخط العربي في العراق ، وكيفية انتقاله إلى شمال الجزيرة العربية (دومة الجندل) ، ثم إلى الحجاز ، وبالتالي سيتضح للقارئ مدى اصالة الحضارة العربية ، ومدى اسهام ابناء العراق في بناء التراث العلمي والفكري العربي.

اعتمد البحث على المصادر العربية الأولية، مثل ما كتبه ابن قتيبة (ت 276 هـ) في الشعر والشعراء، وكتابه (عيون الأخبار)، وما كتبه البلاذري (ت 279 هـ) في كتابه (فتوح البلدان)، وغيرهم ممن أوردوا روايات نشأة الخط العربي في الأنبار من قبل قبيلة اياد.

وخلاصة الآراء التي توصل إليها الباحث تتلخص من أن جملة من الأدلة المنطقية تقف وراء تأييد نظرية نشوء الخط العربي في العراق، منها أدلة ثقافية، كون العراق كان موطناً لحضارات قديمة سومرية، وأكديّة وبابلية.. الخ، وأدلة لغوية وروايات تاريخية قديمة، ثم أدلة وبراهين من واقع سير الاحداث التاريخية المتمثلة بعمق التأثير الحضاري والفكري والروحي العراقي على شبه جزيرة العرب قبل الإسلام.

وقد اعتمد الباحث في منهجية بحثه تناول الروايات التاريخية بصدد نشأة الخط العربي وحاول الجمع بين تلك الروايات مع مفردات القواميس العربية والمعاجم السريانية والتي تؤكد في غالبيتها ما ذهب إليه الباحث من ان الخط العربي نشأ في الانبار وقد نقل إلى الحيرة التي بدورها نشرته في شبه الجزيرة العربية.

نشأة الخط العربي في الأنبار

شهد العراق عبر العصور التاريخية القديمة قيام حضارات كالسومرية والآشورية والبابلية والكلدانية، لذلك انصرف أبناءه لمعرفة أصل الكتابة والفنون الخطية والزخرفية⁽¹⁾. وقد وضعت هذه الحضارات بما لا يقبل الشك أسبقية العراق عن بقية أصقاع الجزيرة العربية بالمعرفة المتراكمة في علوم الكتابة، لا سيما الكتابة المسمارية والارامية، بدليل ما شهدته أراضي العراق من لقى آثارية في الحضر والحيرة (كتابات آرامية)، وكتابات سريانية وعربية في وسط وجنوب العراق.

شهد العراق في عصر ما قبل الإسلام قيام دولة المناذرة التي اعتنقت النصرانية، وتبنى ملوكها نشر الديانة النصرانية في شبه الجزيرة العربية لذلك ارتبط العراق بصلات روحية وثقافية وتجارية مع شبه الجزيرة العربية، وخاصة أبناء الحجاز الذين ارتبطوا بالعراق في رحلتي الشتاء والصيف، لذلك نقل الخط العربي إلى الحجاز، ومن ثم تعايش الخط الحميري الجنوبي مع الخط (الحيري) و(الانباري) و(الحجازي)⁽²⁾. ونحن نرجح ما يسمى بالخط الانباري وذلك لنشأة هذا الخط في (بقة) بالانبار على الخط الحيري ذلك للاسبقية الزمنية، وأسهمت فيما بعد الحيرة في إيصال الخط إلى شبه الجزيرة العربية (إلى الحجاز على وجه الخصوص).

وكان أبناء العراق في الانبار والحيرة ممن أخذوا على عاتقهم تعليم الخط العربي قبل ظهور الإسلام⁽³⁾، وبهذا الصدد يرى (Abbott) ن ثلاثة من بولان طي قاموا بوضع هجاء العربية على هجاء السريانية وعملوا الكتابة في الأنبار، وعن هؤلاء النفر تعلمها أهل الحيرة ثم انتقلت إلى مكة والطائف قبل ظهور الإسلام⁽⁴⁾.

وبشأن رأي المستشرق المذكور أعلاه نرى انه كان مصيباً في جمع شتات هجاء العربية بين النفر الثلاثة وقد تجرد هذا المستشرق من النظرة المحدودة تجاه اللغة العربية ذلك ان منطقة الانبار قبل الإسلام كانت تقطن من قبل قبائل عربية كقبيلة أياد ومجاميع من الاراميين أو السريانيين.

وجاء عند الرواة العرب ان الخط العربي ظهر لأول مرة في قبيلة (أياد)⁽⁵⁾ التي سكنت العراق (الأنبار)، حيث تعلم أهل الانبار الكتابة، وعنهم أخذته بقية العرب⁽⁶⁾. والظاهر ان هذه القبيلة جاءت من الحجاز في عصر مبكر قد سبق القرن الثالث الميلادي، إذ تفيد المعلومات التاريخية التي بين أيدينا ان تلك القبيلة تعرضت لطغيان الملك الفارسي سابور الثاني (

309-379م) الملقب بـ (ذي الاكتاف) في أوائل حكمه⁽⁷⁾. ودليلنا على قبيلة (أياد) كان أول من استعمل الكتابة العربية ان شاعرها لقيط الايادي⁽⁸⁾، كان مترجماً في بلاط فارس، وكان يكتب بالعربية، وكانت قصة تحذيره لقبيلته من بطش سابور وارساله الكتب لقبيلته خير دليل على ذلك⁽⁹⁾.

ونفهم مما تقدم ان لقبيلة أياد العربية التي كانت تسكن في الأنبار دوراً كبيراً في نشأة الخط العربي في العراق ولا يخفى ارتباطاتها الاجتماعية مع شبه الجزيرة العربية قد أضافت إليها سمة أخرى وهي سرعة نشر هذا الخط في الحجاز أي مواطن معظم القبائل العربية.

والجدير بالذكر ان ابن خلدون (ت 808 هـ) شكك في صحة هذه الرواية لاعتقاده ان قبيلة (أياد) كانت من القبائل البدوية⁽¹⁰⁾. ونحن لا نتفق مع رأي ابن خلدون لكونه تحامل على بعض القبائل العربية سيما وانه عاش في فترة تمزق الكيانات العربية في الاندلس وشمال افريقيا مما أكسب رأيه ذلك بعض التحامل على بعض القبائل العربية.

ومن الاراء الأخرى في أصل الخط العربي التي تؤيد نشأة الخط العربي في الأنبار ماورد في الروايات التاريخية من ثلاثة نفر كانوا بيقية⁽¹¹⁾ بالانبار، وهم مرار بن مرة، واسلم بن سدره، وعامر بن جدرة، فقيل انهم وضعوا الخط وقاسوه على هجاء السريانية فتعلمه معظم قوم الانبار ثم تعلمه اهل الحيرة⁽¹²⁾ نتيجة لذلك⁽¹³⁾. ويضيف ابن النديم (ت 385 هـ) ان أول من وضع صور الحروف هو مرار بن مرة، وقد أوصلها اسلم بن سدره، ووضع عامر بن جدرة الاعجام⁽¹⁴⁾. ونستخلص من الروايات أعلاه انصهرت عدة مهارات لوضع شكل الكتابة العربية في الانبار لكونها كانت بودقة صهرت المعرفة اللغوية العربية والسريانية والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة المنطقة التي حوت قبائل عربية وسريانية. وينفرد ابن قتيبة (ت 276 هـ) الذي يعد من أقدم المؤرخين العرب الذين تطرقوا إلى موضوع الخط العربي برأي مفاده ان أصل الخط العربي ينسب إلى واحد من هؤلاء النفر وهو مرار بن مرة⁽¹⁵⁾، ونسبه آخرون إلى اثنين فقط هما مرار بن مرة واسلم بن سدره من أهل الانبار⁽¹⁶⁾.

وهذه الرواية هي اسناد للروايات التاريخية التي ذكرناه آنفاً تشير بما لا يقبل الشك إلى اتفاق معظم الرواة والمؤرخين العرب المسلمين من ان بداية نشأة الخط العربي كان في الانبار. ولم يتفق مع هذه الرواية بعض (المستشرقين) المحدثين، وخلاصة رأيهم: من الصعوبة أن يجتمع أشخاص ثلاثة ويقرروا اختراع كتابة ما وتقسيم واجبات مثل ذلك الاختراع بينهم، كذلك غرابة أسماءهم وبعدها عن العربية، كما انها حسب رأيهم ليست أسماء سريانية بالمعنى الصحيح⁽¹⁷⁾. ولعل سبب عدم الاتفاق حول هذه الروايات من قبل هؤلاء المستشرقين نابعة من كون الاخيرين حاولوا التشكيك في كثير من أحداث التاريخ العربي الاسلامي بما في ذلك نشأة الخط العربي في الانبار، وعلى ما يبدو انهم لم يؤيدوا تقليد هذه الروايات إلى أسس منطقية ذات شرعية تاريخية. واطلالة بسيطة على مسميات الأفراد الذين اجتمعوا حول صهر مهاراتهم اللغوية والفنية تشير إلى معرفتهم بأصول اللغة السريانية وارتباطهم مع القبائل العربية في الموطن (الانبار) أكسبهم أهمية في التفكير لوضع أسس الخط العربي.

ويرى الباحث المحدث علي الشرقي: بأن تلك الاسماء كانت ألقاباً (تشير إلى أصلهم ومهنتهم..)⁽¹⁸⁾. وان أسم مرار بن مرة يعني (سيد السيادة، شيخ الشيوخ العلم، أو حامل لواء العلم)⁽¹⁹⁾. ومعنى أسم أسلم بن سدره (التام العلم الخطاط في السريانية)⁽²⁰⁾، ومعنى عامر بن جدرة (العماد الحاذق)⁽²¹⁾.

وقد أيدَ معاني تلك الاسماء الاب مارزكا مطران بغداد والبصرة وسريان الارثوذكس وعضو مجمع اللغة السريانية؛ ما ذهب إليه الباحث العراقي علي الشرقي، ولم نجد ما يناقض هذا الرأي بالاستعانة بالمعجم اللغوية السريانية⁽²²⁾. ونفهم من النصوص أعلاه إن أحد هؤلاء كان ضليعاً في اللغة والشخص الآخر متبحراً في شؤون الخط السرياني وشخص ثالث لربما يكون أحد أبناء قبيلة أياد وهو عامر بن جدرة الذي يبدو إنه كان أحد الاقطاب الثلاثة الذين أخرجوا رسم الحروف العربية في شكلها النهائي.

انتقل الخط العربي بشكل تلقائي إلى مدينة الحيرة التي كانت تمثل العاصمة السياسية والدينية لملوك المناذرة في تاريخ العراق قبل الإسلام؛ وشاركت الحيرة في نقل هذا الخط إلى شبه الجزيرة العربية⁽²³⁾، وكانت مدينة (دومة الجندل) هي المحطة الأولى التي استقبلت الخط العربي من الحيرة⁽²⁴⁾. ولعل أبرز الأدلة التي نسوقها بشأن هيمنة ملوك المناذرة على مدن الحجاز بما فيها يثرب ففي عهد النعمان بن المنذر تروي المصادر التاريخية انه عين موظفين لاستيفاء الضرائب من أهالي يثرب المذكورة وهذا يشير بما لا يقبل الشك إلى تبعية يثرب للحيرة من الناحية السياسية والادارة وما تبعها من تبعية ثقافية تتسم بانتقال أسس الخط العربي إلى الحجاز⁽²⁵⁾.

إذن ان الأدلة اللغوية والروايات التاريخية وغيرها تشير بما لا يقبل الشك من أن أصل نشأة الخط العربي كان في العراق، في الأنبار ثم الحيرة وبعدها انتقل إلى دومة الجندل المدينة التجارية، وعن طريق التجارة والتبشير بالديانة النصرانية انتقل إلى الحجاز (يثرب ومكة) وبذلك نتوصل إلى منطقية النظرية القائلة من ان أصل الخط العربي جاء من العراق (الأنبار)، وبهذا الشأن لدينا رواية مفادها ان أحد أبناء الجزيرة العربية وهو (بشر بن عبد الملك)⁽²⁶⁾ كان قد تعلم الخط في الأنبار فتزوج (الصهباء بنت حرب اخت أبو سفيان)⁽²⁷⁾ فعلم أبوها (حرب الكتابة وجماعة من قريش)⁽²⁸⁾، وبذلك فتح عصر الكتابة في الحجاز⁽²⁹⁾.

الخلاصة :

- 1- أسهمت الحضارات العراقية القديمة في وضع أسس الكتابة العربية سيما وان العراق هو موطن تلك الحضارات.
- 2- اتفقت معظم المصادر العربية الإسلامية والمعجم اللغوية السريانية من أن الخط العربي كانت نشأته في الأنبار.
- 3- أسهمت الحيرة في إيصال الخط إلى شبه الجزيرة العربية فليس من المعقول أن ينتقل الخط العربي من المناطق الغير متحضرة (مدن ومناطق شبه الجزيرة) إلى العراق والعكس هو الصحيح.
- 4- من الاخطاء الشائعة في بداية عصر الرسالة والخلافة الراشدة تسمية (الخط الكوفي) والاصح هو (الخط الحيري) الذي نشأ في الأنبار، ذلك ان الحيرة استخدمت هذا الخط قبل الكوفة ومعروف أن هناك فروق بين الحيرة المدينة النصرانية العربية العراقية وبين الكوفة المدينة العربية الإسلامية العراقية التي نشأت في العصر الراشدي، فالحيرة العاصمة السياسية والدينية لمدن العراق قبل الاسلام احتوت الخط الأنباري ونشرته في مدن الجزيرة العربية، ومن العوامل المساعدة لذلك كون التركيبة الاجتماعية في الحيرة هي نفس التركيبة الاجتماعية في الأنبار (قبائل عربية) وأراميين وسريان، ولعل الدليل الذي لا يقبل أدنى ريبه قول أهل الحيرة أنهم أخذوا الخط من أهل الأنبار⁽³⁰⁾.

دراسة د. ليث شاكر محمود رشيد

الهوامش :

- (1) المصروف/ ناجي زين الدين / بدائع الخط العربي / تحقيق عبد الرزاق عبد الواحد / (بغداد، بلا)
- (2) المصدر نفسه
- (3) جمعة / إبراهيم / دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الاحجاز في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة / ط1 / القاهرة / 1967م
- 4 - Abbott , Nabia, The Rise of the North Arabic Script with Description of Quran Manuscripts in the Oriental institute university, (Chicago, 1939), PP
- (5) اباد بن نزار بن معد بن عدنان قبيلة عربية أصلها من الحجاز/ ينظر: ابن الكلبي / أبو المنذر هشام بن محمد ابن السائب (ت 204هـ) / نسب معد واليمن / تحقيق د. ناجي حسن / عالم الكتب / ط1 / بيروت / 1988م / ج 1 : 122.
- ابن هشام ابو محمد عبد الملك (ت 218هـ). السيرة النبوية / تحقيق مصطفى السقا / مصر / 1963م / ج 1 : 48. ابن الأثير/ عز الدين أبو الحسن بن علي الجزري (ت 630 هـ). الكامل في التاريخ/ دار الكتب العربي/ بيروت / 1967م، ج 1: 229. كذلك ينظر كحالة عمر رضا/ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة / المطبعة الهاشمية/ دمشق/ 1949م، ج 1: 52 - 53
- (6) الجبوري/ سهيلة ياسين/ أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي/ رسالة ماجستير/ ساعدت جامعة بغداد على نشره / بغداد / 1977م
- (7) كرستنسن / آرثر/ ايران في عهد الساسانيين القاهرة/ 1957م
- (8) لقيط بن يعمر الايادي كان شاعراً تخلف في الحيرة عن قبيلته التي ارتحلت إلى الجزيرة/ ابن قتيبة/ ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت 267 هـ) ، الشعر والشعراء/ دار الثقافة / بيروت/ 1964م / ج 1
- (9) الأسد/ ناصر الدين/ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية/ دار المعارف/ مصر/ 1962م
- (10) ابن خلدون/ عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ)/ العبر (المقدمة)/ دار الكتب العربي/ بيروت/ 1956 / ج 1.
- (11) بقية : موضع قريب من الحيرة على فرسخين من هيت في الأنبار / وهي من محاضر العرب القديمة في العراق / الهمداني / الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ج 20 هـ)/ صفة جزيرة العرب/ تحقيق محمد بن علي الاركوع / بغداد / 1989م / الحمودي/ ياقوت بن عبد الله / (ت 626هـ) / معجم البلدان/ دار صادر/ بيروت / 1957م / ج 1.
- (12) البلاذري/ أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ) / فتوح البلدان/ مطبعة لجنة البيان/ مصر/ 1937م / ق 3
- (13) المصدر نفسه/ ق 3 / ابن عبد ربه/ أبو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت 328 هـ)/ العقد الفريد/ مطبعة لجنة التأليف / مصر/ 1946م، ج 4
- (14) ابن نديم/ محمد بن اسحاق (ت 385 هـ)/ الفهرست/ مطبعة مكتبة خياط / بيروت / 1964م.
- (15) ابن قتيبة/ عيون الاخبار/ المؤسسة المصرية/ القاهرة/ 1963م، ج 1
- (16) المصدر نفسه/ ج 1
- (17) (Adolf, Arabish Palaographic, (Vien, 1971 /Grohmann)
- (18) الشرقي / علي / الكتابة في العراق / مجلة اللغة العرب / السنة الثانية / 1913م / ج 10
- (19) برصوم / اغناطوس / افرام الاول / اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والاداب السريانية / مطبعة السلامة / حمص / 1943م
- (20) منا / يعقوب / قاموس سرياني انكليزي / بيروت / بلا
- (21) كوستاز / لويس / قاموس سرياني انكليزي / بيروت / بلا
- (22) اودو / توما / قاموس كنز اللغة السريانية / ط1 / الموصل / 1897م
- (23) ينظر : العسلي / خالد / المناذرة في الحيرة دراسة في علاقاتها السياسية والحضارية/ تاريخ العرب قبل الإسلام / ط1 / دار الشؤون الثقافية/ بغداد / 2002م، ج 1.

(24) عن علاقة دول الجند بالحيرة ينظر :

- الهمداني / صفة جزيرة العرب: 350 / لكستر، م ج / الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية / ترجمة يحيى الجبوري / بغداد / 1976

(25) ينظر:

.Vol. III, P.113-114. (M.K.Kister, «Mecca and Tamim aspects of their relations», (JESH, 1865

(26) بشر بن عبد الملك: هو الذي تعلم الخط عند أهل الأنبار، وأقام البحيرة ثم شخص إلى مكة، وأنتقل إلى الطائف فعلم أهلها الخط، تزوج الصهباء بنت حرب ابن الكلبي،

نسب معد واليمن، ج 1: 190 – 191

(27) الصهباء بنت الحرب، هي أخت أبو سفيان، تزوجها بشر بن عبد الملك، وعلم الأخير أبا سفيان الخط / المصدر نفسه / ج 1: 191

(28) ابن هشام / السيرة النبوية / ج 1: 49 – 50 / ابن بكار / الزبير / (ت 257 هـ) / جمهرة نسب قريش وأخبارها / تحقيق محمود محمد شاكر / القاهرة / 1381 م / ج 1:

550 البلاذري / فتوح البلدان: 456 – 457

(29) يوسف / احمد / الخط الكوفي / مطبعة حجازي / القاهرة / 1933 م

(30) ابن الكلبي / نسب معد واليمن / ج 1: 191 / ابن النديم / الفهرست: 12 / ابن خلدون / المقدمة / ج 3: 368

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأولية

- ابن الأثير / عز الدين أبو الحسن بن علي الجزري (ت 630 هـ) / الكامل في التاريخ / دار الكتاب العربي / بيروت / 1967 م.
- ابن بكار / الزبير (ت 257 هـ) / جمهرة نسب قريش وأخبارها / دمشق / محمود محمد شاكر / القاهرة / 1381 م.
- البلاذري / احمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ) / فتوح البلدان / مطبعة لجنة البيان / مصر / 1937
- الحموي / ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ) / معجم البلدان / دار صادر / بيروت / 1957 م.
- ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ) / المقدمة (العبر) / دار الكتاب العربي / بيروت / 1956 م.
- ابن دريد / أبو بكر محمد ابن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321 هـ) / جمهرة اللغة / ط 1 / دائرة المعارف العثمانية / حيدرآباد / 1962 م.
- ابن عبد ربه / أبو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت 328 هـ) / العقد الفريد / مطبعة لجنة التأليف / مصر / 1946 م.
- ابن قتيبة / أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) / الشعر والشعراء / دار الثقافة / بيروت / 1964 م / ج 1: 129.
- ابن الكلبي / أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 24 هـ) / نسب معد واليمن / تحقيق دناجي حسن / عالم الكتب / ط 1 / بيروت / 1988 م.
- ابن قتيبة / عيون الاخبار / المؤسسة المصرية / القاهرة / 1963 م.
- ابن النديم / محمد ابن اسحاق (ت 385 هـ) / الفهرست / مطبعة مكتبة خياط / بيروت / 1964 م.
- ابن هشام / أبو محمد عبد الملك (ت 218 هـ) / السيرة النبوية / تحقيق مصطفى السقا / مصر / 1963 م.
- الهمداني / الحسن بن أحمد بن يعقوب / صفة جزيرة العرب / تحقيق محمد بن علي الأركوع / دار الشؤون الثقافية / بغداد / 1989 م.

ثانياً: المصادر الثانوية

- الأسد / ناصر الدين / مصادر الشعر الجاهلية وقيمتها التاريخية / دار المعارف / مصر / 1962 م.
- اودو / توما / قاموس كنز اللغة السريانية / ط 1 / الموصل / 1897.
- برسوم / اغناطوس / افرام الاول / اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والأدب السريانية / مطبعة السلامة / حمص / 1943 م.
- الجبوري / سهيلة ياسين / أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي / رسالة ماجستير / ساعدت جامعة بغداد على نشره / بغداد / 1977 م.
- جمعة / إبراهيم / دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الاحجاز في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة / ط 1 / القاهرة / 1967 م.
- الشرقي / علي / الكتابة في العراق / مجلة لغة العرب / السنة الثانية / 1913 م.
- العسلي / جواد / المناذرة في الحيرة دراسة في علاقاتها السياسية والحضارية / تاريخ العرب قبل الإسلام / دار الشؤون الثقافية / ط 1 / بغداد / 2002 م.

- علي / جواد / تاريخ العرب قبل الإسلام / مطبعة العلمي العراقي / بغداد / 1951م.
- كحالة عمر رضا / معجم قبائل العرب القديمة والحديثة / المطبعة الهاشمية / دمشق / 1949م.
- كرستنس / آرثر / إيران في عهد الساسانيين / القاهرة / 1957م.
- لكستر / م.ج / الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية / ترجمة يحيى الجبوري / بغداد / 1976م.
- منا / يعقوب / قاموس دليل الراغبين طبعة الموصل / 1900م.
- المصرف / ناجي زين الدين / بدائع الخط العربي / تحقيق عبد الرزاق عبد الواحد / بغداد / بلا.
- يوسف / أحمد / الخط الكوفي / مطبعة حجازي / القاهرة / 1933م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية الحديثة

- The Rise of the North Arabic Script with dwscription of Quran Manuscripts in ,Abbott, Nabia
Oriental institute university, (Chicago, 1939 - the
- Kister, M.K. (- relations», (HESHO, 1865) - (Palaographic, (Vien, 1971 Grohmann, Adolf, Arabish
«Mecca and Tamim: aspects of their

أشهر الخطاطين العراقيين



((الفنان الراحل هاشم الخطاط مع مجموعة من الخطاطين في مصر))

من ارشيف الفنان السعودي عبدالإله الفرج

www.alfaraj9.com

(ولد الخط ومات في بغداد)!! هذه العبارة الشهيرة قد قالها الخطاط التركي الشهير (حامد الأمدي) بمناسبة وفاة الخطاط العراقي الكبير (هاشم الخطاط). وكان يقصد بالولادة الخطاط العراقي العباسي (ابن البواب)، أما الموت فهو موت (هاشم الخطاط) عام 1973. وقد استمد العراقيون براعتهم في الخط العربي من ميراثهم العريق في إبداعهم لأول خط في تاريخ البشرية، الخط المسماري، ثم بعده الخط (الآرامي السرياني) الذي منه اشتق الخط العربي، وبالذات شكله الكوفي. منذ الخط الكوفي الأول الذي كتب به القرآن الكريم وحتى يومنا هذا كان للخطاطين العراقيين السبق في الإبداع. هذا البحث أضمامة لترجمة يسيرة لأشهر الخطاطين العراقيين الذين سطوروا إبداعهم بالحبر والورق ليقى مدى الأيام يشير لسبقهم وإبداعهم المتميز في مختلف الفنون.

الوزير أبو علي ابن مقله:

أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقله، المولود ببغداد سنة 272 هـ، وهو الذي وضع القواعد المهمة في تطوير الخط العربي، وقياس أبعاده، وأوضاعه، ويعد المؤسس الأول لقاعدتي خطي الثلث والنسخ. وعلى طريقته سار

الخطاطون من بعده. ومن نكبات الدهر أن تقطع يده اليمنى ، فما كان منه إلا أن يشدّ القلم على ساعده ، ويكتب ، وكان يكتب بيسراه أيضاً كتابة جيدة ، توفي سنة 328 هـ.

علي بن هلال البغدادي (ابن البواب):

أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز المشهور بابن البواب البغدادي ، كان في شبابه مزوّفا يشتغل بتصوير الدور والكتب والدواوين ، ثم تعشق فن الخط ، والتمع نبوغه ، أتقن قاعدة ابن مقلة ثم جودها وحسّنها ، وأبدع في أوضاع الحروف العربية وأبعادها ، توفي سنة 413 هـ.

ياقوت المستعصي:

أبو الدر جمال الدين ياقوت المستعصي الرومي الأصل ، الكاتب ، برع في الخط ، وأظهر من المهارة ما جعله في مصاف عظماء الخطاطين ، وبقي ياقوت يتملى خطوط الأئمة المجودين ممن سبقه في هذا المضمار حتى بلغ الغاية في حسن الخط وضبط قواعده وأصوله ، وفاق ابن البواب الخطاط في جمال الخط وحسن تنسيقه والإبداع في تراكيبه فلقب بـ (قبلة الكتاب) ، توفي ببغداد سنة 698 هـ.

الملا علي الفضلي:

ملا علي بن دروش بن شلال الفضلي البغدادي الزبيدي ، ولد بمحلة الفضل ببغداد سنة 1879 م ، أخذ عن الشيخ أحمد لوري أفندي الخط ، ومن أشهر من تتلمذ عليه الخطاط هاشم البغدادي المعروف. توفي سنة 1948 م.

الحاج محمد علي صابر الكردي:

محمد علي بن سعودي الملقب بـ (صابر) ، ولد سنة 1863 م ، ببغداد كان الخطاط الأول في بغداد آنذاك ، وآثاره الفنية التي خلفها ما تزال شاخصة للعيان ، توفي سنة 1941 م.

محمد أمين يميني الكردي:

أبو عبد القادر محمد أمين بن محمد مصطفى بن مولود بن خمان ، ينتمي إلى قبيلة (خوشناد) الكردية ، ولد في قضاء (كويسنجق) سنة 1888 م ، اعتمد على نفسه في تعلم الخط ، واهتم بخط الفارسي فبرع فيه غاية البراعة ، تأثر بالخطاط التركي المشهور (يميني) ، وكان يقلده في خطوطه ، لا تعرف سنة وفاته.

محمد صالح الموصللي:

أبو عبد الهادي محمد صالح الخطاط بن الشيخ علي بن الشيخ سليم بن ذنون بن ملا طالب الطائي ، ولد في الموصل سنة 1891 م ، اعتمد على نفسه في تعلم الخط ، أجازته الخطاط التركي حامد الأمدي.

عبد الكريم رفعت (التركي):

أبو رفعت عبد الكريم بن الحاج محمد رفعت باش كاتب زاده ، تركي الأصل ، ولد في محلة الحيدر خانة ببغداد سنة 1913 م ، أخذ الخط عن أبيه ، وأجاده إجادة تامة وبرع فيه غاية البراعة.

هاشم البغدادي:

هاشم بن محمد بن الحاج درباس القيسي البغدادي، ولد ببغداد سنة 1917 م، أخذ الخط عن المرحوم ملا عارف الشبخلي، أجازته الخطاط التركي حامد الأمدي مرتين، صاحب أرقى مجموعة للخطوط العربية لحد الآن، تدرس في العراق ومصر والشام وتركيا وإيران، توفي عام 1973 م.

الحاج مهدي الجبوري:

مهدي بن محمد بن صالح الجبوري، ولد في مدينة الرميثة سنة 1928 م، تتلمذ على يد الخطاط هاشم البغدادي، له آثار فنية رائعة على بعض الأضرحة والجوامع، وكتب الكثير من عناوين الكتب والصحف والمجلات.

الحاج محمد حسن البلداوي:

ولد في الكاظمية المقدسة، وتلمذ على يد الخطاط هاشم البغدادي، المؤسس الأول لجمعية الخطاطين العراقيين، بارع في فن التصوير أيضاً، صاحب أسلوب مميز في كتابة الخطوط الممتزجة بالتشكيل، أستاذ في الزخرفة الإسلامية، بارع في خط الديواني الجلي خصوصاً، له خبرة حرفية في صناعة الأحبار.

عبد الغني عبد العزيز العاني:

ولد ببغداد سنة 1937 م، تتلمذ على يد الخطاط هاشم البغدادي، فمُنحه إجازة في الخط، وهو الوحيد الذي حصل على إجازة منه، نسب مدرساً للخط العربي في السوربون.

صادق الدوري:

صادق بن علي بن جمعة بن محمد الدوري، ولد في ناحية الدور سنة 1940 م، تتلمذ على يد الخطاط هاشم البغدادي، له آثار راقية على واجهات الجوامع، وكتب الكثير من عناوين الكتب، له لوحات بتراكيب بديعة.

صلاح شيرزاد الكركوكلي:

ولد في كركوك عام 1947 م، تتلمذ على يد الخطاط هاشم البغدادي، درس الزخرفة على يد الأستاذ محمد البلداوي، من آثاره الفنية كتابة بوابة جامع الحيدر خانة الشهير.

جاسم النجفي:

جاسم بن حمود بن حسين النجفي، ولد في النجف الأشرف سنة 1950 م، اعتمد على نفسه في تعلم الخط، حصل على شهادة في الخط من كبار خطاطي تركيا، أمثال داود بكتاش، يتميز بالسرعة والإتقان في الخط، له آثار رائعة في المشهد الحيدري المقدس.

الحاج خليل الزهاوي الكردي:

ولد في مدينة خانقين سنة 1946 م، اعتمد على نفسه في ممارسة الخطوط العربية، برع في الخط الفارسي، وهو الأستاذ المقدم فيه، أقيم له 16 معرضاً للخط داخل العراق وخارجه، حصل على إجازة في الخط الفارسي من الخطاط الإيراني الكبير زرين خط عام 1975 م، يميل للأسلوب التشكيلي في كتابة ألواحه.

الدكتور سلمان إبراهيم:

ولد عام 1930م، تخرج من معهد الفنون الجميلة ببغداد سنة 1958 م، نال الدكتوراه فرع الرسم، قسم الصيانة الأثرية، أقام العديد من معارض الخط العربي.

عبد الكريم الرمضان:

عبد الكريم بن حسن الرمضان، ولد في مدينة البصرة سنة 1939م، حصل على الإجازة في الخط من الخطاط التركي الشهير حامد الأمدي، له مساهمات خطية في الكثير من المعارض الفنية، يعمل رئيساً لقسم الخط العربي والزخرفة، في معهد الفنون الجميلة – البصرة.

الدكتور روضان بهية:

ولد الدكتور عبد الرضا بهية سنة 1952م، تتلمذ على يد الدكتور سلمان إبراهيم، وحصل على الإجازة في الخط من الحاج مهدي الجبوري، نال شهادة الدكتوراه في التصميم من كلية الفنون الجميلة سنة 1976م، يعمل رئيساً لقسم الخط العربي والزخرفة فيها حالياً.

بالتعاون مع نادي القصة السورية

www.syrianstory.com/comment6-6.htm

المدارس النحوية

في الكوفة والبصرة وبغداد



نصب الفراهيدي البصري في البصرة

ان النحو العربي قد تأسس في العراق بتأثير النحو السرياني ، الذي بدوره كان قد تأثر بالطريقة المنطقية للنحو اليوناني. كانت المدارس النحوية مصطلح يشير إلى اتجاهات ظهرت في دراسة النحو العربي ، اختلفت في مناهجها في بعض المسائل النحوية الفرعية ، وارتبط كل اتجاه منها بمحاضرة عراقية معينة ، فكانت هناك مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، ومدرسة بغداد وهكذا. وقيل عنها أيضاً: مذهب البصريين ، ومذهب الكوفيين ، ومذهب البغداديين..

في الفهرست لابن النديم نجد باباً يفرد للكلام في النحو وأخبار النحويين واللغويين من البصريين ، وباباً آخر لأخبار النحويين واللغويين الكوفيين ، ثم باباً ثالثاً لأخبار جماعة من علماء النحو واللغويين ممن خلط المذهبين ، وقد عرف هؤلاء الأخيرون عند الدارسين بالبغداديين. على أن أبا سعيد السيرافي أفرد كتاباً لأخبار النحويين البصريين بدءاً بأبي الأسود الدؤلي ، وانتهاءً بأبي بكر محمد بن السري المعروف بأبن السراج ، وأبي بكر محمد بن علي المعروف بمبرمان اللذين أخذ السيرافي عنهما النحو ، وعليهما قرأ كتاب سيبويه ، ونص على أن في طبقة أستاذه هذين ممن خلط علم البصريين بعلم الكوفيين ، أبو بكر بن شقير ، وأبو بكر بن الخياط.

وعندما ألف أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي (ت351هـ) كتابه في مراتب النحويين ، عرض لعلماء الخواضر الثلاثة ممن اشتغلوا باللغة والنحو ، بدءاً من أبي الأسود ، ومن أخذ عنه ، وبعض اللغويين والنحويين من البصريين ، دون أن يعقد لذلك عنواناً ، حتى إذا فرغ من البصريين عقد باباً لعلماء الكوفة ، لكن الناظر فيمن سلكهم ضمن الكوفيين

يرى بعض العلماء البصريين يسلكون خلال هذه المجموعة ، وعلى سبيل المثال ترى الجرمي وأبا عثمان المازني وأبا العباس المبرد ، ولعله لم يُرد ذلك ، فعقد بعد ذلك باباً لعلماء الكوفة بعد الكسائي ، حتى إذا فرغ من ذكرهم خصص الباب الأخير لعلماء بغداد.

أما الزبيدي ، فقد وضع النحويين واللغويين في طبقات ، فابتدأها بطبقات النحويين البصريين ، وصنفهم إلى عشر طبقات ، وانتقل بعدها إلى طبقات النحويين الكوفيين فكانوا ست طبقات ، ثم عاد للغويي البصرة فكانوا سبع طبقات ، فلغويي الكوفة وهم خمس طبقات ، بعد ذلك خصص أبواباً لطبقات النحويين واللغويين المصريين ، فالنحويين واللغويين القرويين ، ثم النحويين واللغويين الأندلسيين.

❖ المدرسة البصرية ، هي الرائدة في النحو والادب والفكر ، لأن أهلها ولعوا بالجدل والكلام. وفيها ظهر المعتزلة وأصحاب الجدل والكلام. أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية ، ولعلم النحو العربي بمعناه الدقيق ، ثم تلاه سيبويه فالأخفش الذي أقرأ النحو لتلاميذ من البصرة والكوفة ، ثم جاء بعده المازني ، فتلميذه المبرد وهو آخر أئمة المدرسة البصرية الناهيين. وهذه المدرسة البصرية شددت أشد التشدد في رواية الأشعار والأمثال والخطب ضمن الدائرة المشار إليها ، واشترطوا في الشواهد المعتمدة لوضع القواعد أن تكون جارية على السنة العرب وكثيرة الاستعمال في كلامهم بحيث تمثل اللغة الفصحى خير تمثيل ، وحينما يواجهون بعض النصوص التي تخالف قواعدهم ، كانوا يرمونها بالشذوذ أو يتأولونها حتى تنطبق عليها قواعدهم. المدرسة البصرية تعتبر هي الأكثر انجذاباً للعلماء في اللغة والأدب وأيضاً الشعراء ، منهم : أبو عمرو بن العلاء والأصمعي ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد الفراهيدي. كذلك خلف الأحمر ، أبو عبيدة ، الجاحظ ، وحامد الراوية ، وأبونؤاس وغيرهم. ومن العلماء المتقدمين فيها أيضاً: سيبويه ، والأخفش ، قطرب ، واليزيدي ، ابن سلام ، وأبو حاتم السجستاني. ثم غيرهم من العلماء المتأخرين ، مثل : المبرد ، وأبو عثمان المازني ، الزجاج ، ابن السراج ، ابن دريد. وكانت البصرة تفاخر الكوفة بأربع كتب : ((كتاب الحيوان للجاحظ / كتاب البيان والتبيين للجاحظ / كتاب العين للخليل بن أحمد / كتاب الكتاب لسيبويه)).

❖ مدرسة الكوفة ، فقد كانت مدينة الحديث والعلماء والفقهاء ، منهم أبو حنيفة والمذهب الحنفي. أن نشاطها بدأ متأخراً عند الكسائي الذي استطاع هو وتلميذه الفراء أن يستحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستقل بطوابع خاصة من حيث الاتساع في الرواية ، وبسط القياس وقبضه ، ووضع بعض المصطلحات الجديدة ، والتوسع في تخطيط بعض العرب ، وإنكار بعض القراءات. وقد توسعت في الرواية عن جميع العرب بدواً وحضراً ، واعتدوا بأقوال وأشعار المتحضرين من العرب ممن سكنوا حواضر العراق ، واعتمدوا الأشعار والأقوال الشاذة التي سمعوها من الفصحاء العرب والتي وصفها البصريون بالشذوذ. وكان أبرز علماء الكوفة :

الكسائي ، أبو عمرو الشيباني ، علي بن المبارك ، والفراء ، وغيرهم. ومن المتأخرين : أبو العباس بن ثعلب... ابن الأعرابي... ابن السكيت... أبو جعفر الكوفي... نبطويه... وأبو بكر الأنباري. وكانت الكوفة تفاخر البصرة بسبع وعشرين ألف مسألة لمحمد بن الحسن تلميذ أبو حنيفة في القياس والكلام. وكان علماء الكوفة يندمجون مع علماء بغداد لتقارب المدرستين.

❖ المدرسة البغدادية، قد قامت على الانتخاب من آراء المدرستين (البصرية والكوفية) مع فتح الأبواب للاجتهد، والوصول إلى الآراء المبتكرة. ولم يتخلص علماء هذه المدرسة من نزعتهم إلى إحدى المدرستين السابقتين، أو ميلهم إلى مناهجها أكثر من ميلهم إلى المذاهب الأخرى، أو إلى الاستقلال عنهما.

وقد توسع بعض أعلام هذه المدرسة في الأخذ والاستشهاد بأشعار الطبقة الرابعة، فقد استشهد الزمخشري بشعر أبي تمام ت 231 هـ وقال : هو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، واستشهد الرضوي الأسترآبادي شارح أبيات كافية ابن الحاجب بشعر أبي تمام أيضاً في عدة مواضع من شرحه. (نقلا عن كتاب الانباري الانصاف). أن أشهر علماء هذه المدرسة: ابن قتيبة الدينوري... أبو بكر الصولي... ابن البهلول... الزمخشري... أبو اسحاق الموصلي... أبو هفان... النحاس... أبو سعيد السيرافي... أبو القاسم الزجاجي... أبو الحسن الرازي... الرماني... وعلي بن عيسى الربيعي... الخطيب التبريزي، وغيرهم من العلماء.

ثم ظهرت بعد ذلك المدرسة الأندلسية بدءاً من القرن الخامس الهجري، ومثلها المدرسة المصرية، إلا أن علماءهما لم يكونوا إلا تابعين لعلماء البصرة أو الكوفة أو بغداد، ولم يتجاوزوا الاجتهاد في الفروع.

هذه الدراسة بالتعاون مع الباحثة ليلى حنا

المصادر:

- الموسوعة العربية العالمية
- دروس في المذاهب النحوية / عبده الراجحي / دار النهضة العربية / بيروت
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة / محمد طنطاوي
- المدارس النحوية / شوقي ضيف



دور الترجمة من السريانية

في تطوير اللغة العربية



ان تاريخ اللغة العربية يكشف لنا بأنها في كل مراحلها ظلت تنمو في أحضان اللغة الآرامية (السريانية) الام. فبالإضافة الى أنها قد ولدت في أحضان السريانية ، كذلك تراها قد ترعرعت وأصبحت لغة علوم وآداب وفلسفة في أحضان السريانية ، سواء في دمشق الاموية أو بغداد العباسية. هنا نسجل هذا المقطع الذي يتحدث عن تأثير حركة الترجمة في العصر العباسي التي قامت بها نخبة من سريان العراق :

((كان لحركة الترجمة - التي أولاها الخلفاء في بغداد وسامراء رعاية خاصة وشجعها رجال الدولة العربية وأعيانها ، فنشطت وازدهرت في خلال القرن الثالث - أهمية خطيرة في مسيرة الحضارة العربية. فقد ساعدت العلماء والدارسين على أن يتعرفوا على ثقافة الأمم السابقة وعلومها ، في حقول الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وأحكام النجوم وغيرها ، وأن يلموا بها وينهلوا منها مما وسّع آفاق تفكيرهم العلمي بما يناسب المستوى الحضاري الذي وصلوا اليه.. فأفادوا منها كثيراً في مختلف العلوم وبخاصة في الطب والفلسفة وعلم الفلك. فقد استفاد الأطباء مما اطلعوا عليه من كتب التشريح العديدة مما ترجم لأبقراط وجالينوس وغيرهما ، لأن الدين الاسلامي لا يبيح المثلة بالانسان حياً أو ميتاً. فكانت هذه الترجمات خيراً ما وضح لهم مبهمات هذا الموضوع. كما أخذت مصنفاتهم الطبية تعكس جوانب عديدة من الطب اليوناني. فإن ما صنّفه يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، وأبو بكر الرازي ، وغيرهم من علماء الأطباء ، كان متأثراً بما جاء في كتب جالينوس الى حد كبير. كذلك انتفع رجال الدين وبخاصة علماء الكلام منهم ، بكتب الفلسفة والمنطق والجدل. وقد ظهرت آثار ذلك على عدد غير قليل منهم. وكان علماء المعتزلة أكثر استفادة من غيرهم فصاروا أقدر على الجدل والمناظرة. وغدا تأثير الفلسفة اليونانية ومنهجها واضحاً في تفكير رجال مختلف المذاهب الاسلامية وأعمالهم. وكان الكندي فيلسوف العرب يحذو حذو أرسطو في منهجه الفلسفي وفي تصانيفه الفلسفية.

ومن النتائج المهمة الأخرى لحركة الترجمة أن ظهرت حركة تأليف في بعض فنون المعرفة. فقد بدأ المترجمون يضعون الرسائل والكتب ليستعملها الطلاب ، وهي بشكل ملخصات في شتى أنواع العلوم وبخاصة الطبية منها. ثم ما لبثت هذه الحركة أن توسعت بين العلماء العرب الذين أخذوا يكتبون على أسس متينة من المعرفة. فقد ظهرت في الطب والفقهاء والتاريخ واللغة مثلاً ، كتب كثيرة وبعضها بعدة أجزاء بحيث كان بعضها أشبه بالموسوعات. كما كان المؤلف الواحد يصنف

عشرات الكتب في مختلف المواضيع مدلاً على سعة معرفته وتفننه بمختلف العلوم. فقد صنف الكندي ما يزيد على 250 كتاباً في الفلسفة والجدل والمنطق والرياضيات والفلك والطب والسياسة وغيرها. وقد دلت في أكثرها على اطلاع واسع ومعرفة عميقة. وصنف محمد بن زكريا الرازي عميد الأطباء ما يزيد على 230 كتاباً في الطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة والرياضيات والفلك وأحكام النجوم وغيرها. وهي أيضاً تدل على سعة علمه وعمق تفكيره. وصنف ثابت بن قرة الرياضي الفيلسوف ما ينيف على السبعين كتاباً في فنون مختلفة.

ولم تقتصر حركة التأليف ووفرة ما صنف من الكتب على المواضيع التي عاجلها الفلاسفة والأطباء والرياضيون فحسب، بل تناولت العلوم القرآنية من تفسير وقراءات، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه والكلام. إضافة إلى ما صنف في التاريخ والجغرافية وأحوال البلدان. أما في ميدان اللغة والشعر والأدب عامة فقد نبغ شعراء مفكرون مجددون إلى جانب أساتذة الأدب واللغة المتقدمين. فإن ما صنّفه الطبري وابن قتيبة والجاحظ وأبو حنيفة الدينوري، وغيرهم من علماء هذا القرن وأدبائه لجدير بالاعجاب سواء من حيث كميته أو نوعيته. ولكن مما يؤسف له أن هذا العدد العظيم من الكتب المصنفة والمترجمة لم يصلنا منه سوى النزر اليسير، إذ ضاع القسم الأعظم بفعل عوادي الزمن المختلفة، ولم يبق من تلك الكتب سوى عناوينها وأسماء مصنفاتها بفضل محمد بن اسحاق المعروف بأبن النديم المتوفى سنة 380 في كتابه القيم (الفهرست).

من كتاب (معالم الحضارة العربية - أحمد عبد الباقي -

مركز دراسات الوحدة - بيروت 1991 - ص 286-287)

المغالطات بالحديث عن الترجمة من الفارسية

رغم العناوين الكبرى عن دور (الفرس) في صنع الحضارة الإسلامية، إلا أن تفاصيل التاريخ تكشف لنا مدى المبالغة والطنين المفتعل عن دور الفرس، على حساب التجاهل لدور المشاركة السريان من عراقيين وشاميين. هنا نورد مقارنة سريعة عن دور الفرس والهنود مع دور السريان في إحداث النقلة الحضارية الكبرى من خلال حركة الترجمة التي تمت في بغداد العباسية :

الترجمة من اللغتين الفارسية والهندية

هناك ظاهرتان بارزتان في موضوع حركة الترجمة تستحقان الوقوف عندهما قليلاً لمعرفة أسبابهما. الأولى عدم الاهتمام بكتب تاريخ أمة اليونان وأدبها، والثانية عدم النقل من التراث الفارسي والهندي إلا ما ندر. إن سبب عدم نقل شيء يستحق الذكر من كتب تاريخ اليونان وأدبها واضح، وهو أن ما يحتويه هذان الموضوعان من الأساطير بعيد عن العقلية العربية، وما يشوبهما من الوثنية وتعدد الآلهة يعتبر كفراً يخالف روح الإسلام.

أما النقل من اللغة الفارسية فقد كان ضئيلاً جداً قليل الأثر. وسبب ذلك كما نرى، أن الفرس لم يكن لهم تراث طبي يستحق النقل لغلبة الطب اليوناني عليه. وان تراثهم الأدبي والتاريخي محشو بالأغاليط والخرافات والمبالغة مما لا يستسيغه العقل. يقول المؤرخ اليعقوبي: (فارس تدّعي للموكها أموراً كثيرة مما لا

يقبل مثلها، من الزيادة في الخلقة حتى يكون للواحد عدة أفواه وعيون، ويكون للآخر وجه من نحاس، ويكون على كتفي آخر حيطان تطعمان أدمغة الرجال، وطول المدة في العمر، ودفع الموت عن الناس، وأشياء ذلك مما تدفعه العقول ويُجري فيه مجرى اللعاب والهزل، ومما لا حقيقة له). أما تراثهم الروحي فقد كان ثوباً يقوم على الزعم بأن النور والظلمة أزليان، وذلك مما يعتبر شركاً في الإسلام. سبق أن أشرنا إلى أن حركة الترجمة كانت بدأت بنقل الكتاب الهندي السد هانت في علم الفلك عند الهنود. وكانت ترجمت بعض الكتب في الرياضيات وبخاصة في الحساب.

من كتاب (معالم الحضارة العربية - أحمد عبد الباقي -
مركز دراسات الوحدة - بيروت 1991 - ص 286-272)

أبرز المترجمين السريان وما ترجموه من الكتب

لقد كانت حصيلة حركة الترجمة أن نُقل إلى اللغة العربية واللغة السريانية كثير من كتب اليونان وغيرهم في الطب والفلسفة والرياضيات. وهي العلوم التي نالت اهتمام العلماء العرب آنذاك (بحيث لم يعد باقياً الشيء الكثير من العلم المعروف في عالم ذلك الزمن. ولم ينقل إلى العربية). وقد أحصى ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة جانباً مهماً من تلك الكتب مع مترجميها مما تيسرت لهم معرفته. وفيما يأتي نذكر أبرز مترجمي القرن الثالث وأهم ما ترجموه من الكتب :

• حنين بن اسحق

أبو زيد العبادي، كان ماهراً في الترجمة إلى جانب مهارته في الطب. وقد انصرف إلى ترجمة الكتب اليونانية وإخراجها باللغة العربية أو السريانية، إذ كان فصيحاً في اللسان اليوناني واللسان العربي (دخل إلى بلاد الروم لأجل تحصيل كتب الحكمة وتوصل في تحصيلها غاية إمكانه، وأحكم اليونانية عند دخوله إلى تلك الجهات، وحصل نفائس هذا العلم). كان في بيت الحكمة قسم خاص بالترجمة، فأناط المأمون رياسته بحنين ليتولى شؤون الترجمة والإشراف عليها. وبلغ من حرص حنين واهتمامه بما أوكل إليه أن تولى بنفسه ترجمة عدد كبير من الكتب إلى العربية أو السريانية، كما كان يعيد النظر فيما يترجمه غيره من النقلة ويصلحه، بحيث يمكن القول إن جميع ما ترجم في بيت الحكمة في عهد حنين قد عرض عليه وراجعه وأجرى فيه ما رآه ضرورياً من التصحيحات قبل صدوره. وقد أولى المأمون حركة الترجمة عناية فائقة، فكان يتابع أعمال حنين ومن معه. ويقول ابن أبي أصيبعة أنه رأى عدداً من كتب جالينوس وغيره بخط الأزرق كاتب حنين وعلى بعضها هوامش بخط حنين باليوناني، على تلك الكتب علامة المأمون. ويستدل من رسالة حنين أن ما ترجمه من كتب جالينوس إلى السريانية تجاوز المئة كتاب، وما نقل منها إلى العربية تسعة وثلاثون كتاباً، وهي في الطب والفلسفة. ويتضح من قائمة ابن النديم بما ترجم من كتب جالينوس وشروحه على بعض كتب أبقراط، أن حنيناً ترجم أغلب الكتب الستة عشر التي يقرأها طلاب الطب على التوالي من كتب جالينوس. وترجم حنين بن اسحاق من كتب

أرسطو مايولي : كتاب قاطيغورياس (المقولات) الى اللغة العربية ، وكتب باريارمانياس أو باريرمينياس (العبارة) الى اللغة السريانية ، وقسماً من كتاب انولوطيقا الأول (التحليل) الى اللغة السريانية ، وبعض أقسام من كتاب انولوطيقا.

• **ثابت بن قرة**

كان ثابت بن قرة الحرّاني الرياضي الفيلسوف المتوفى سنة 288 ممن برعوا في الترجمة وبرزوا فيها. ويظهر من عدد الكتب واختلاف مواضعها مما نقله الى اللغة العربية من اللغتين اليونانية والسريانية ، انه كان يجيد هاتين اللغتين الى جانب اللغة العربية. يقول القفطي عنه : (وأما نقله من لغة الى لغة فكثير). ويقول ابن أبي أصيبعة : (كان جيد النقل الى العربية ، حسن العبارة ، قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها). ويقول عنه المستشرق أوليري : (وهو عالم يعرف اللغة الاغريقية والسريانية والعربية). وجاء في تراث الاسلام عنه (كان ثابت يعرف اللغتين السريانية واليونانية اضافة الى العربية فترجم الكثير عن هاتين اللغتين الى العربية). وجاء في تراث العرب العلمي (كان ثابت يحسن الى جانب اللغة العربية اللغات السريانية واليونانية والعبرية ، ولما عمل في نقل بعض الكتب من اليونانية أبدى كفاية عالية بحيث عدّ من كبار المترجمين).

• **اسحاق بن حنين**

تعلم اسحق صنعة الطب ومارسها بمهارة فكان واحد عصره فيها. وكان يجاري أباه حنياً في سعة معرفته باللغة العربية واللغتين اليونانية والسريانية ، بل كان يزيد عليه فصاحة ، وقد عمل معه في الترجمة فتميّز بصحة النقل وجودته ، إلا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة الى ما نقله من كتب الحكمة. لحقه الفالج آخر عمره وبه مات في ربيع الآخر سنة 298.

• **حبيش بن الأعمس**

هو ابن أخت حنين بن اسحاق وقد درس عليه صنعة الطب. وأتقن اللغتين السريانية واليونانية الى جانب اللغة العربية ، وحذا حذو خاله في الترجمة من حيث الدقة وأكثر نقله من اللغة السريانية ، وكان حنين يقدمه ويثني على نقله. وكان ممن ينقلون الكتب الى اللغة العربية لأبناء موسى بن شاكر. يقول عنه ابن أبي أصيبعة (هو ناقل مجود يلحق بحنين واسحاق).

• **قسطاً بن لوقا البعلبكي**

كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والموسيقى ، فصيحاً باللغتين اليونانية والسريانية وباللغة العربية ، جيد النقل ، وقد نقل عدداً من الكتب وأصلح نقولات كثيرة. دخل بلاد الروم وجمع عدداً من التصانيف القديمة وعاد الى الشام. ويقول أوليري أنه تعلّم في بلاد الإغريق ولذا امتاز بالترجمة. وقد استدعي الى العراق ليعمل في الترجمة. ويعتبر قسطاً من فلاسفة المترجمين ومن مترجمي بيت الحكمة المشهورين وقد عمل بمعية حنين بن اسحاق. توفي قسطاً في أرمينيا حوالي سنة 300.

• **متى بن يونس**

أبو بشر من أهل دير قنّى ، أحد الأديرة القريبة من بغداد ، ودرس في مدرسة مارماري التابعة لهذا الدير ، عاش ببغداد ودرس كتب أرسطو في المنطق على ابراهيم القويري. واليه انتهت رياضة المنطقيين في عصره ، وصنف عدداً من الكتب والتفاسير في المنطق ، ودرس عليه هذا العلم عدد كبير من الطلاب ، وكانت وفاته ببغداد سنة 328. ترجم أبو بشر الى اللغة العربية كتب أرسطو في المنطق والطبيعات منها : كتاب انولوطيقا الثاني (البرهان) نقله من السريانية ، وكتاب

سوفسطيقا (المغالطة) نقله من السريانية، وكتاب أبوطيقا (الشعر) نقله من السريانية كذلك، وكتاب الكون والفساد بتفسير الاسكندر الأفروديسي، وكتاب الآثار العلوية، ومقالة اللام من كتاب الإلهيات.

• أبو عثمان الدمشقي

سعید بن یعقوب من أهل دمشق سكن بغداد واشتهر بها طبيباً في أواخر القرن الثالث، وكان منقطعاً إلى أبي الحسن علي بن عيسى وزير المقتدر بالله، وقد أناط به رياضة البيمارستان الذي أسسه في سنة 302 في محلة بالجانب الغربي من بغداد وأنفق عليه من ماله، ثم أضاف إلى أبي عثمان رياضة جميع البيمارستانات في بغداد ومكة والمدينة. ولأبي عثمان الدمشقي عدد من التصانيف الطبية، وكان من النقلة المجيدين إلى اللغة العربية. وذكره ابن النديم في قائمة المترجمين. وكان فصيحاً باللغتين اليونانية والعربية معتمد النقل.

نقل إلى العربية مقالات من أصول الهندسة لإقليدس، وكتاب طويقا من ترجمة اسحق بن حنين إلى السريانية. كما نقل قسماً من السماع الطبيعي، وكتاب الكون والفساد من الترجمة السريانية، وكتاب المدخل إلى القياسات الحملية لفرفوروس.

• عيسى بن يحيى بن ابراهيم

أحد تلاميذ حنين بن اسحاق، وقد درس عليه صنعة الطب، وعمل معه في الترجمة في بيت الحكمة، وكان من الناقلين المجودين من اليونانية إلى اللغة العربية وقد أثنى حنين على نقله، وكان عيسى يقلده في الترجمة، وله مصنفات في الطب.

ساهم عيسى بن يحيى في حركة الترجمة مساهمة فعالة فنقل عدداً من الكتب من اليونانية أو مما ترجم منها إلى السريانية. ومما نقله إلى اللغة العربية: كتاب السبعين مقالة للطبيب اليوناني أوريباسيوس، من اللغة السريانية. ونقل مما فسره جالينوس من كتب أبقرراط: كتاب عهد أبقرراط وكان حنين نقله إلى السريانية وأضاف إليه، فترجمه عيسى بالاشتراك مع حبيش، وكتاب الأمراض الحادة، وكتاب الفصول، وكتاب الأخلاط. وفسر القسم السادس من كتاب ابيذيميا، كما فسّر كتاب طبيعة الانسان وكان حنين قد نقل نصه إلى العربية.

• اصطفن بن بسيل

من الكتاب النحارير الحاذقين في الترجمة ممن عينهم المتوكل على الله ليعملوا بمعية حنين بن اسحاق عندما أناط به رياضة بيت الحكمة. ويظهر أنه كان جيد النقل، يقارب في نقله حنين بن اسحاق ولو أنه كان دونه فصاحة.

((المصدر السابق - ص 272 - 286))

ملف اللغات اسردية



❖ أكراد العراق تار پخا ولغت
❖ الثقافة الكردية بين التاريخ والتكوين

- ❖ اللغت الكردية وأدبها الشفاهي
- ❖ معلومت لغوية
- ❖ عبد الله كوران شاعر عراقي أصيل
- ❖ الكا كائية مذهب علوي عراقي
- ❖ ملحق / ١ لحزب الهورامي القومي بكردستان العراق يرفع شعار «الهورمان قومية مختلفة عن الكرد»

أكراد العراق تآر يخأ ولغت



المحافظات الكردية الثلاثة: أربيل، دهوك، السليمانية. سكان هذه المحافظات الثلاث يشكلون حوالي 15% من سكان العراق، حسب الاحصاءات الرسمية. هذه المحافظات تضم مجموعات عديدة غير ناطقة بالكردية، وخصوصاً من التركمان والسريان. علماً بأن هناك الكثير من الاكراد يقطنون مع باقي اخوتهم العراقيين في الموصل وكركوك وديالى وبغداد، وباقي مناطق العراق

ان الدارس لأحوال الاكراد يكتشف ان ما يسمى بـ (اللهجات الكردية) هي بالحقيقة (لغات كردية)، لأن الفوارق بينها بمستوى الفوارق بين أية لغات مختلفة. جميعها تعود الى (مجموعة اللغات الايرانية) التابعة بدورها الى مجموعة أكبر، هي (مجموعة اللغات الهندو- اوربية)، التي تضم عدة مجموعات من لغات آسيا واوربا، مثل المجموعات السلافية واللاتينية والهندية والجرمانية، وغيرها. وهي مجموعة لغوية كبرى مثل باقي المجاميع اللغوية، تجتمع بقواسم مشتركة من مفردات وتكوينات قواعدية معينة، لكن الشعوب الناطقة بها ليست بالضرورة بينها أية قرابات عرقية أو دموية. فليست هنالك أية علاقة قرابة عرقية بين الهندي الاسود والسويدي الاشقر. ان الكردي العراقي قطن في جبال زاغاروس قبل آلاف السنين من تبنيه هذه اللغات الآرية (الهندو اوربية) التي وصلت اليه بعد سيطرة بعض القبائل الآرية النازحة من وسط آسيا وايران.

أصل الاكراد

لقد اختلف المؤرخون حول أصل الأكراد وطرحت عدة نظريات وافتراضات متنوعة: قبائل آرية نزحت إلى الجبال من إيران منذ القدم واختلطت بالقبائل الجبلية الأصلية. أو قبائل سامية وسومرية رافدية نزحت إلى الجبال واختلطت بالقبائل الأصلية ثم خضعت للقبائل الآرية. أو قبائل جبلية أصيلة تبنت اللغة الآرية الإيرانية. الحقيقة المعقولة التي يمكن استخلاصها من جميع الفرضيات المتداولة، أن الأكراد هم أولاً من سكان جبال زاكاروس (الفاصلة بين العراق وايران) الاصيلين.

لقد تعرضت الاقوام الكردية الاصلية خلال حقب التاريخ لهجرة القبائل الآرية القادمة من الشرق حيث الهضبة الايرانية، وكذلك القبائل السامية النازحة من الغرب حيث وادي النهرين.

يبدو أن العنصر الآري بسبب طبيعته الجبلية وامتلاكه قوة عسكرية وحضارية مكنته أكثر من غيره بفرض لغته بحيث اعتبرت اللغات الكردية لغات آرية إيرانية. هناك الأسطورة التي ذكرها المؤرخ العراقي العباسي (المسعودي) والتي تقول بأن أصل الأكراد يعود إلى القبائل الإيرانية التي التجأت إلى الجبال هرباً من اضطهاد الملك الإيراني (الضحاك)!. ولكن هذه الاقوام الكردية تحمل أيضاً في طياتها الكثير الكثير من التأثيرات السكانية والثقافية العراقية، سومرية وسامية وعربية وما اختلف اللغات الأنتيجة اختلاف الاصول. إن البحوث التي أجراها علماء الأجناس على الأكراد أثبتت هذه الحقيقة، ولوحظ خصوصاً أن الأكراد في غرب زاغاروس أي في المناطق المحاذية لوادي النهرين قريين عرقياً وثقافياً إلى سكان شمال النهرين. (راجع الموسوعة الإسلامية - العراق، كردستان). إن الأساطير المتداولة لدى الأكراد تعبر عن هذه الحقيقة. هناك الأساطير الشعبية الكردية التي يتداولها خصوصاً أكراد العراق والجزيرة والتي تذكر أن جدّهم أصله من (بني ربيعة أو بني مضر) وقد هرب بحبيته إلى الجبال ثم (كردّها) أي تزوجها فأصبح أبناؤهم أكراداً، علماً أن فعل (كرد) وهمي ولا يوجد بالعربية، لكن هناك من يعتقد أن تسمية (كرد) متأتية من السومرية بمعنى (جبلي)!. إن هذه الأسطورة تعبر عن ذكريات قديمة تعود إلى القبائل السامية ثم العربية التي قطنت وذابت في الأكراد، ومنهم قبائل ربيعة ومضر التي كانت تسيطر على الجزيرة بجوار الأكراد. لازالت حتى الآن حالة التمازج هذه واضحة في العراق، لدى بعض القبائل العربية المجاورة للقبائل الكردية مثل بعض أقسام من بني ربيعة والقيسيين والجبور وتميم والبيات، حيث تسود بينهم اللغتان العربية والكردية وأحياناً التركمانية كذلك، بالإضافة إلى الانتماء والتزاوج العرقي المشترك. وبالعكس هناك

قبائل كردية معروفة تعتقد بأصولها العربية القديمة مثل قبائل الجاف وبابان والحفيد والطالباني وغيرهم. ويذكر الرحالة الأوربي (هاي) الذي زار المنطقة في أوائل هذا القرن: (يفخر كل زعيم كردي تقريباً بأنه ينحدر من أصل عربي، ويحاول إرجاع نسبه إلى النبي أو أحد صحابته) (عن عزيز الحاج - القضية الكردية - ص 84) وتبدو هذه الحالة بدرجة أكبر بين (الفيلية) في (خانقين وديالى والكوت) الممتزجين باللور والعرب، اللذين هم في ثقافتهم وتكوينهم العرقي أقرب الى العرب منهم الى الاكراد، رغم انهم يحملون اسماً كردياً ويتكلمون بلغة (فيلية) قريبة الى اللغات الكردية.

هناك مثل آخر على التمازج السرياني العربي - الكردي يتمثل بطائفة اليزيدية المتنوعة الثقافة والاصول. من النماذج التاريخية المعروفة التي تعبر عن هذا التمازج هو (صلاح الدين الأيوبي) الذي تمكن بأصله العراقي الكردي أن يكون سلالة عربية كردية حكمت الشام ومصر. هل هي صدفة أن أول صحيفة كردية بأسم (كردستان) قد صدرت في القاهرة عام 1898.

أما بالنسبة للتأثير الثقافي فيكفي ملاحظة اللغات الكردية وما تحمله من خزين من المفردات السومرية والسامية والاكادية والسريانية والعربية، وما انتشار الابجدية العربية بين الاكراد الأدليل على ذلك.

الفوارق بين الاقوام الكردية

ان الناظر بعمق الى الفروق اللغوية والثقافية وحتى الشكلية بين الجماعات الكردية يكتشف انهم يستحقون تعبير (اقوام أو قوميات أو أعراق أو جماعات كردية)، فهناك عدة فوارق أساسية تحتم هذه التسمية :

- فروق لغوية: تتمثل بوجود أربعة لغات مختلفة رغم تقاربها بدرجات متنوعة. كما بينها أعلاه.
- الفروق المذهبية: صحيح ان جميع الاقوام الكردية تعتنق الدين الاسلامي، مع وجود أقلية مهمة بين اليزيدية من يتكلم الكردية، لكن الاكراد عموماً مسلمون ويتوزعون على عدة مذاهب مختلفة ومتنافسة في كثير من الاحيان. في العراق تسود الطريقة القادرية بين السورانيين حيث تنزعها عائلة الطالباني، وتسود بين البهتانيين الطريقة النقشبندية حيث تنزعها عائلة البرزاني. أما المذهب الشيعي الاثنى عشري فيسود بين الفيلية أكراد خانقين وبعض ايران. أما بين أكراد تركيا فَمَعَ المذهب السني هنالك المذهب الشيعي العلوي، والزعيم الكردي التركي عبد الله اوجلان من أصل علوي.

- الفروق السياسية الوطنية: كما ذكرنا فإن عدم وجود عامل جغرافي مركزي جامع منع من توحيد الاقوام الكردية بدولة واحدة. لهذا طيلة التاريخ ظلت المناطق الكردية متوزعة على انتماءات سياسية مختلفة ومتنافسة. هنالك التبعية المباشرة للعاصمة السياسية القريبة مثلما هو حال المنطقة الكردية العراقية حيث ظلت مرتبطة سياسياً وحضارياً بالعاصمة العراقية مثل باقي المناطق العراقية، منذ بابل وآشور حتى بغداد العباسية وصولاً الى الدولة العثمانية وحتى العصر الحديث. ونفس الشيء يقال عن باقي المناطق الكردية في ايران والاناضول. وفي بعض الفترات التاريخية تشكلت في بعض المناطق امارات تابعة لأحدى القوى الكبرى لتقوم بدور الحماية الحدودية ضد القوى المنافسة، كما كان حال المنافسة بين الامارتين (البابانية) التابعة للعثمانيين والامارة (الراوندوزية) التابعة للايرانيين.

في العصر الحالي وبعد تشكل الدول المركزية الحديثة في تركيا والعراق وايران تعمقت هذه الفروق السياسية الحضارية بين الاقوام الكردية من جميع النواحي الثقافية والاقتصادية والسياسية. فأكراد ايران لا تتشابه ثقافتهم ولا ظروفهم الاقتصادية ولا مصالحهم السياسية مع أكراد العراق وأكراد تركيا. لنا على هذا مثال حي قريب ، عندما تشكلت الامارتان الكرديتان في شمال العراق بعد حرب الخليج بزعامة كل من الطالباني والبرزاني ، رغم كل دعاويهم القومية التوحيدية ، فإنهما أولاً فشلا بالتوحد بينهما بسبب الفروق العديدة بين المنطقتين السورانية القادرية المحاذية لأيران والبهدناية النقشبندية المحاذية لتركيا. بل الاهم من ذلك انهما اضطررا أن يشاركا الجيش التركي في حربه الشعواء ضد القوة الكردية في تركيا.

من كل هذا يصح القول ان هنالك (أقواماً) وليس (قومية أو عرق) كردي: القومية السورانية في العراق وايران ، والقوميتان البهدناية والكرمانجية في العراق و تركيا ، القومية الزازائية في تركيا ، والقومية الفيلية في العراق وايران .. نعم انها (قوميات كردية) مثلما يحق لنا الحديث عن (قوميات عربية: قومية عربية عراقية ، وقومية عربية سورية.. الخ) رغم انها تتكلم بلغة عربية واحدة ، لكنها مختلفة اللهجات والتواريخ والانتماءات الثقافية والسياسية. نفس الشيء يقال عن الاقوام التركستانية.

المؤثرات الجغرافية التاريخية في الثقافة الكردية

قبل أن يساء فهمنا ويفسر كلامنا بمعنى عنصر ينفى روح الابداع والحضارة عن الاكراد ، نطرح المقدمة التالية : على مر تاريخ العراق ، كما في باقي منطقة الشرق الاوسط ، ثمة الكثير الكثير من العناصر والجماعات من أصول كردية قد ساهمت بصنع الحضارة العراقية ، وعموم المنطقة. بل نقول بعلمية وقناعة بأنه من المعقول جداً إن سكان الجبال الكردية المطللة على بلاد النهرين على مر التاريخ ، ظلوا ينحدرون بهجرات جماعية وفردية نحو سهول النهرين ويذوبون بسكان النهرين ليشكلوا جزءاً حيوياً من التكوين العرقي للسومريين والاكديين والآراميين والعرب. اذن نحن لا ننفي أبداً روح الابداع والمشاركة الحضارية للاكراد كبشر ، بل نقول بصورة علمية بأن مناطقهم الجبلية الاصلية منعت دائماً من تكوين مراكز حضارية وسياسة جامعة ، على العكس تماماً من سهول النهرين (كذلك سهول وهضاب ايران والاناضول والشام) التي كانت طبيعتها المفتوحة تسمح دائماً بتكوين مثل هذه المراكز الحضارية والسياسية الكبرى ، كما تشهد بذلك أكثر من خمسة آلاف عام من تاريخ العراق. ان انعدام امكانية وجود مراكز حضارية كردية هو السبب الحقيقي الذي أعاق دائماً قيام أية وحدة سياسية أو ثقافية أو لغوية كردية ، أي قيام دولة جامعة وشاملة للناطقين باللغات الكردية.

من المعلوم ان الوطن الاصلي والحقيقي للاقوام الكردية هي سلسلة جبال زاغاروس الفاصلة بين العراق وايران والمتصلة بجبال طوروس والقفقاس. ان الاقوام الكردية هي بحق جماعات جبلية وهذا سر توحيدها حول هذا الاسم (كردو) والذي يعتقد انه يعني باللغة السومرية (سكان الجبال). لكن هذه الجبال التي خلقت نوعاً من التشابه الثقافي والتقاليدي والمشاغري بين هذه الجماعات المختلفة ، إلا أنها أيضاً شكلت مانعاً كبيراً أمام امكانية توحيدها بشعب واحد ولغة واحدة ودولة واحدة.

ان الجبال الكردية لسوء الحظ لم تمتلك لاهضبة جامعة ولا وادي نهري أساسي يمكن حولهما أن تنصهر الاقوام الكردية المختلفة وتتوحد وتشكل دولتها المتميزة. لهذا فإن هذه الجماعات رغم كل تشابهاتها الثقافية الجبلية إلا أنها طيلة التاريخ لم تنجح ولا مرة واحدة أن تتوحد وأن تكون دولة مركزية جامعة، بل هي في أقصى الاحوال شكّلت امارات محلية متنافسة وتابعة للقوى الكبرى المحيطة، ولنا مثال حالي يتمثل بسلطتي (الطالباني والبرزاني) المتنافستين.

أما العامل الجغرافي الثاني فإنه يتمثل بكون الجبال الكردية مغلقة وممراتها ضيقة ومحدودة لم تسمح بمرور التجار والغزاة المغامرين واختلاطهم واستقرارهم مع السكان، وهذا ما منع من تشكل أي مركز حضاري تاريخي معروف في المناطق الكردية، رغم وجود الحضارات الكبرى المحيطة، العراقية والایرانية والاناضولية. طبعاً هذا لم يمنع من الهجرة الدائمة للافراد أفراداً وجماعات الى هذه المراكز الحضارية المحيطة ولعبهم دوراً حضارياً كبيراً. يكفي القول بأنه في التاريخ العراقي منذ القدم وحتى الآن هنالك ما لا يحصى من العناصر الكردية التي لعبت أدواراً متميزة في الابداع الحضاري في كل جوانبه. ان هذا الانغلاق الجبلي منح الاكرد هذه القدرة المتميزة على الصبر على مصاعب الحياة والاصرار على رفض الخنوع للغزاة والنزاهة والصدق في السلوك الانساني بالاضافة الى القدرات الحربية والجهادية التي جعلت وعلى مدى التاريخ القوى الكبرى المحيطة تستعين بالمحاربين والاغوات الاكرد لدعم جيوشها.

عقدة الحضارة والتاريخ

ان العزلة الجبلية وافتقاد المراكز الحضارية المركزية أحرّ كثيراً عملية تكوين ميراث ثقافي مكتوب، فان التاريخ الثقافي الكردي هو أساساً تاريخ شفاهي مثل غالبية شعوب الارض. فمن المعروف ان الشعوب التي تمتلك تاريخاً ثقافياً مكتوباً قديماً تعتبر أقلية في العالم. ان مصر والعراق هما أقدم حضارتين مكتوبتين وبعدهما تأتي الحضارات الشامية والصينية واليونانية والهندية. أما حضارات شعوب أوربا فمعظمها لم تبدأ بتدوين ثقافتها إلا منذ بضعة قرون أو حتى قرن وبالذات شعوب شمال اوربا. ولنا أيضاً مثال منطقة نجد والحجاز، فإن العزلة الصحراوية جعلت من الصعوبة الاتصال مع الخارج الحضاري وبالتالي عدم امكانية تشكيل مركز حضاري مهم. قبل الاسلام كانت هنالك حضارة شفاهية شعرية، ثم بعد الاسلام اتجه الاستقرار الحضاري العربي الاسلامي نحو مراكز الحضارة التاريخية في العراق والشام ومصر.

بالنسبة للاقوام الكردية فإن هنالك ميراثاً شعرياً شعبياً مكتوباً بخط عربي وباللغة الكرمنجية يعود أقدمه الى القرن الحادي عشر ميلادي للشاعر علي الحريري والجزيري وغيره فيما بعد. أما التدوين الفعلي النثري باللغات الكردية فانه قد بدأ في مطلع القرن العشرين، حيث قام توفيق وهبي في العراق بتطويع الابجدية العربية لتناسب اللغات السورانية والبهدانية، ثم قام الاخوان بدر خان في سوريا بتطويع الابجدية اللاتينية التركية لتناسب اللغة الكرمانجية تشبهاً بالخطوة التركية.

لكن للأسف هنالك عقدة لدى أصحاب الاتجاه القومي الكردي بخصوص تاريخ الاكرد، إذ تراهم يصرون على (انتحال) تواريخ الشعوب المجاورة: الحضارة الميديّة الايرانية والحضارة العيلامية الاحوازية بل حتى الحضارة الآشورية العراقية إذ يحاول أتباع حزب العمال الكردي التركي اعتبارها حضارة كردية!!

في الاعوام الاخيرة ثمة (حملات غزو) عابثة وهائجة في كل صوب وناحية يقوم بها بعض المثقفين القوميين الاكرد من اجل الاستيلاء على حضارات شعوب الشرق الاوسط. بحيث يصح القول، انه ليس هنالك شعب واحد في الكرة

الارضية يدّعي بامتلاك مثل هذا التاريخ والدول والحضارات: السومرية، والميدية، والبارثية، والخورية، والميتانية، والفارسية.. بالاضافة الى غالبية الدوليات والامارات الاسلامية التي قامت في الشرق الاوسط بعد انتشار الاسلام، مثل الصفارية والسامانية والايوية والاتابكية والمروانية، وغيرها..

يبدو انهم يريدون تحقيق (حلم كردستان الكبرى) على صعيد الماضي الحضاري بعد أن فقدوا الامل بتحقيقه على صعيد الحاضر!

علما بأن جميع الحضارات التي يدّعي الاكراد إنها تابعة لهم، تقع تاريخياً وجغرافياً خارج مناطق سكن الاكراد. فمثلاً، ان الدولة الميدية الايرانية التي يدّعي الاكراد إنها دولتهم الاولى، فإن مركزها مدينة (همدان - اکتان)، ليس فيها حالياً غير اقلية تتكلم بلهجة يمكن احتسابها على الكردية، والغالبية الساحقة من السكان يتكلمون لغات ايرانية وتركية. وليس هنالك أي أثر أو حتى كلمة واحدة في كل تراث الميديين ما يشير ولو من بعيد الى أية علاقة بالاكراد! ولكن دعاء (كردستان الكبرى) يحتسبون هذه المنطقة ضمن امبراطوريتهم الكردية المفترضة، وبالتالي فإن تاريخها وحضارتها القديمة لا بد أن يتم تكريدهما بصورة لا جدال فيها!

بل بلغت السذاجة القومية ببعض المثقفين الاكراد الى اعتبار الحضارة العراقية السومرية (كردية) بافتراض أن أصل السومريين أكراداً؟! أما الحضارة العيلامية الاحوازية التي كانت تابعة حضارياً الى الحضارة العراقية السومرية، فإنه يكفي وجود عشائر لورية مستعربة في الاحواز، أن يسمح للقوميين الاكراد بأعتبار القسم الأكبر من الاحواز جزءاً من حلم كردستان الكبرى، وبالتالي فإن حضارتها القديمة لا بد أن تكون كردية!؟

كل هذا لأنهم لا يمتلكون تواضع الحقيقة العلمية التي تقول بأن هنالك اقلية من شعوب العالم تمتلك ميراثاً حضارياً مكتوباً (مثل مصر والعراق والشام والصين والهند واليونان وايران والرومان)، وان معظم شعوب الارض تمتلك تاريخاً حضارياً شفاهياً، بما فيها غالبية شعوب اوربا، فلم لا الاكراد؟! فهذه فرنسا، رغم هيبتها ودورها الحضاري المعاصر فأنها لا يمكن أن تنكر إن أقدم ميراث حضاري كتابي لها يعود الى القرن العاشر الميلادي، هو عبارة عن نتاجات حكاية وشعرية شعبية. أما قبل ذلك فليس هنالك غير تاريخ أسلافهم الغاليين الذين لم يعرفوا الكتابة وكانوا يعيشون في ظل الرومان وحضارتهم اللاتينية. نفس الحال بالنسبة للأنكليز والالمان والروس وغالبية شعوب اوربا وباقي العالم.

يبقى أن نؤكد الحقيقة التالية: إننا أبدأ لانستهين بدور الاكراد في صنع حضارات المنطقة، ولكن ليس كأكراد بل كمواطنين من أبناء شعوب المنطقة. فمثلاً، إن السلالة الكاشية التي قادت بابل لحوالي أربعة قرون. ومن المعروف إن أصل هذه السلالة من جبال زاغروس، يعني من أسلاف الاكراد. ولكن هل يحق لنا الحديث عن (الدولة والحضارة الكردية البابلية)؟ فهم أولاً لم يحولوا بابل الى كردية، بل حتى هم كسلالة تبوّأ تماماً الحضارة البابلية (ديناً ولغة وثقافة)، ولم يحتفظوا من أصلهم سوى بأسمائهم!

نفس الحال ينطبق على دور القائد المعروف (صلاح الدين الايوبي) ودولته (الايوية)، الذي يصبر القوميين على تكريده واعتبار دولته (كردية). مجرد إن أصله كردي، رغم إن السلالة والدولة التي أقامها ليس فيها أي أثر كردي، بل كانت عربية اسلامية سورية مصرية مئة بالمئة.

فلو يحق لنا احتساب الدول والحضارات حسب أصل قاداتها، فمعنى هذا إنه يحق لنا أن نعتبر الدولة الإسلامية الإيرانية دولة عربية بما أن الامام الخميني ومعظم قاداتها من أصول عربية علوية (سادة)! ثم هل يحق لنا اعتبار إدارتي البرزاني والطلباني، عربيتين، بناءً على ادعاء هاتين العائلتين بأنهما من أصول عربية قريشية (من الشرفاء)!... لقد بلغ الهيجان العنصري التكريدي حداً عجيباً في الاعوام الاخيرة، بحيث راح هؤلاء يفتشون عن أصل (الجد الخامس) لبعض أعلام مصر المعروفين من أجل احتسابهم على القومية الكردية.

فإن مبدعين كبار مثل (جميل صدقي الزهاوي) و(بلند الحيدري) وغيرهم الكثيرين، هل يسمح لنا الضمير بالتعامل معهم بالمفهوم العرقي القومي العنصري واحتسابهم على (کردستان الكبرى)، أم التعامل معهما كمبدعين عراقيين من أصول كردية، مثل باقي إخوتهم اللذين من أصول عربية وتركمانية وسريانية وصابئية وفيلية ويزيدية وشبكية وأرمنية، وغيرها. وهذا هو الاسلوب العقلاني المعمول به في كل أمم العالم.

لو أن الباحثين العرب تبّنوا هذا الاسلوب التكريدي العنصري المتطرف، لوجدوا مثلاً إن ربع أعلام ومبدعي اسبانيا الحالية يحملون أسماء عربية ويعترفون بأن أسلافهم من أصول عربية اعتنقوا المسيحية بعد سقوط الاندلس: ((مثال، أكبر مخرجي السينما الاسبانية الحاليين - ثاورا - و - المظفر -)). وكنا أيضاً احتسبنا الفلكي الايطالي الشهير (غاليليو غاليلي) على العلماء العرب، باعتبار لقبه (غاليلي) يعني (الجليلي) أي من منطقة الجليل في فلسطين. وهكذا دواليك.. إن الطروحات المتطرفة والعنصرية القومية الكردية تقليد مضخم جداً لبعض الطروحات العروبية البعثية التي تصّر على (تعريب) كل حضارات العراق وسوريا واعتبار كل الشعوب الناطقة بالسامية وحضاراتها (عربية) أو (جزيرية) حسب مؤرخي البعث!

على النخب الكردية أن تتحلّى بالتواضع القومي والواقعية وتجنب المزايدات التاريخية والثقافية التي تؤدي الى المزايدات السياسية. عليها أن تقبل الحقيقة التاريخية بدلاً من اعتبارها عيباً وإهانة يتوجب تحطّيتها من خلال السطو على تواريخ الشعوب المجاورة. وان أفضل حل لهذه الاشكالية، يكمن في:

((التخلي عن التمايز التاريخي القومي وافتعال تاريخ حضاري مصطنع لکردستان الكبرى، بل اعتبار أكراد كل بلد منتمين الى تاريخ وحضارة البلد نفسه. فأن على الكردي العراقي أن ينتمي الى التاريخ العراقي ويفتخر بأن أسلافه قد ساهموا بصورة فعلية بصنع تاريخ العراق بمختلف مراحل الحضارية منذ فجر التاريخ وحتى الآن، كذلك نفس الحال بالنسبة لأكراد سوريا وتركيا وايران)).

عقدة اللغات الكردية

بعد العقدة التاريخية لدى النخب الكردية، هنالك (عقدة اللغات الكردية)، إذ يصرون على التعتيم على هذه المشكلة من خلال اعتبارها إنها (لهجات) وليست (لغات) مختلفة. إن أهم سبب يسمح للباحثين أن يطلقوا عليها (لغات) وليست (لهجات) هو التالي:



جريدة مكتوبة بالسوراني، ومجلة مكتوبة بالبهدناني (الكرمانجي) بالابجدية العربية وبالابجدية اللاتينية التركية

ان شدة الفوارق بينها، بحيث ان الناطقين بها لا يمكنهم أن يتفاهموا فيما بينهم ! فلو اجتمع الناطق بـ (السورانية) القادم من السليمانية، مع الناطق بـ (البهدنانية) القادم من اربيل أو دهوك، فأنهما لا يمكن أن يتفاهما، مثلما يلتقي العربي والعبري والسرياني، أو الفرنسي والاسباني والاطالي ! ثم الاكثر من هذا، ان هاتين اللغتين تكتبان بأبجديتين مختلفتين، فالسورانية تكتب بالحروف العربية، والبهدنانية (الكرمانجية) تكتب بالحروف اللاتينية (التركية).

لكن المشكلة ان النخب السياسية والثقافية الكردية ترفض الاعتراف بهذه الحقيقة القاسية لأسباب سياسية لكي لا يتم الايحاء بأن الفروق بين الاقوام الكردية بهذا الحجم الكبير بحيث انه من الصعب التفاهم لغوياً بينها ! يقولون إنها لهجات. طيب كيف يمكن أن تكون لهجات وكل واحدة لديها كتبها وصحفها الخاصة بها. نعم هنالك صحف سورانية وصحف كرمانجية، والذي يقرأ الصحيفة السورانية لا يمكنه أن يفهم الصحيفة الكرمانجية ! يعبر عن هذه الحالة المعقدة الباحث الفرنسي والمختص بالشؤون الكردية فيليب بولانجر : ((بالحقيقة ان التنوع اللغوي الكردي لا يعتبر مشكلة لأنه موجود، بل لأنه غير معترف به من قبل الاكراد انفسهم))⁽¹⁾.

هنالك أربعة لغات مختلفة رغم تقاربها بدرجات متنوعة. ان التشابه بين هذه اللغات يكاد أن يكون بالدرجة التي تتشابه بها اللغة العربية مع السريانية والعبرية. هنالك لغة سورانية في القسم الشرقي من المنطقة الكردية العراقية، أي السليمانية وما حولها مع غالبية أربيل. وتسود هذه اللغة أيضاً في المناطق الكردية الايرانية المحاذية في محافظة كردستان. وهنالك أيضاً اللغة البهدنانية (الكرمانجية) وهي في القسم الشمالي من المنطقة الكردية العراقية المحاذية لتركيا أي في دهوك وماحولها، وتسود هذه اللغة أيضاً بين اكراد تركيا وتسمى بتسمية أخرى هي (الكرمانجية) وهي تكتب في تركيا بالابجدية اللاتينية (التركية) تقليداً للاتراك. وهنالك لغة ثالثة هي (الزازائية) التي يتكلم بها قسم من اكراد تركيا. وهنالك أيضاً لغة

رابعة هي (الخانقينية - الكرمنشاهية) التي تسود بين اكرد خانقين ومندلي وباقي المناطق الايرانية المحاذية مثل مدينة كرمنشاه.

أما (الفيلية) فإنها لا تعتبر (كردية)، بل هي لغة مستقلة لمجموعة بشرية مختلفة تماماً عن غالبية الاكرد، جغرافياً وثقافياً وتاريخياً، كما سنبين في الفصل الخاص بالفيلية.

وتعتبر مسألة الفروق اللغوية بين الاكرد مشكلة حقيقية تزداد حدتها يوماً بعد يوم، مع تنامي الاستخدام الثقافي والطباعي لهذه اللغات المختلفة وتنامي الفروق بينها. فحتى في ظل الادارة الكردية الحالية التي تسيطر على المحافظات الكردية الثلاث، فإن هنالك لغتين (لهجتين) رسميتين في الادارة وفي مناهج التعليم، هي السورانية والبهندنانية.

لتوضيح طبيعة هذه الاشكالية ومدى تعقيدها وحدتها، نسجل هنا بعض الآراء لمثقفين أكراد :

• هذا بيان احتجاجي تقدم به أكثر من 200 مثقف كردي من العراق وسوريا، في (14- 8 - 2006) :

نداء من الكتاب والمثقفين والصحفيين الكرد

آب 2006

إلى السيد مسعود البرزاني رئيس إقليم كردستان

كانت لغتنا منذ مئات السنين هدفاً لمخططات المستعمرين والشوفينيين، فقد بذلوا كل ما بوسعهم لأجل منعها وصهرها ومحوها من الوجود. ولا زالت الأنظمة في تركيا وإيران وسوريا ماضية وبإصرار على هذه الطريق. وتحولت كردستان - العراق بتحررها من النظام الفاشي السابق إلى قبلة ملايين الأكراد في أجزاء كردستان الأخرى، والتي بنت على تجربتك الجديدة آمالاً كبيرة، وخاصة في مجال رفض غبار سنوات المنع والقمع عن لغتنا الكردية - الكرمانجية، وفتح الباب أمام تدريسها في المدارس أولاً وفي الجامعات تالياً.

لكننا تلقينا بأسف وحزن شديدين نبأ المحاولات الجارية لإيقاف تعليم وتدریس الكرمانجية - البهدينية نهائياً في مدارس كردستان عامة، وفي منطقة بهدينان في دهوك وزاخو خاصة، لصالح الكردية - السورانية. إننا نعتبر ذلك خطوة خطيرة إلى الوراء، وستلحق ضرراً بالغاً بالتواصل اللغوي والثقافي الكردي - الكردي، كما أنها ستكون سبباً لتعميق التشرذم الكردي وازدياد الحواجز بين أبناء الشعب الواحد الموزع بين أربع دول، عدا عن حرمان الأجيال في بهدينان نفسها من التعلم بلغة آبائهم وأجدادهم - الكرمانجية وتعقيد حالة التواصل الكردي - الكردي مستقبلاً.

إننا في الوقت الذي نؤكد فيه إننا لسنا ضد تعليم السورانية التي نعتبرها إلى جانب الكرمانجية إحدى لهجات الكردية الرئيسية، إلا إن إلغاء تعليم الكرمانجية في المناطق التي تتحدث غالبيتها الكرمانجية يعتبر عملاً مسيئاً للعملية الديمقراطية ومضراً للمصالح القومية الكردية على المدى البعيد.

فالكرمانجية - كما تعلمون، هي لغة الغالبية العظمى - قد تصل النسبة إلى سبعين بالمائة - من عموم الأكراد في كردستان وفي المهاجر. لذلك نأمل أن تنهياً الأرضية المناسبة لحماية لغتنا الكردية - الكرمانجية من التذويب والإحماة وخلق الأجواء المناسبة لإنعاشها جنباً إلى جنب مع الكردية - السورانية.

نأمل من جنابكم إعطاء هذا الموضوع الاهتمام اللازم، والوقوف بجدية على معالجة هذه القضية المضرة بلغتنا وبمستقبل كردستان السياسي والقومي والثقافي. وأن يتم قطع الطريق على من يود حذف الكرمانجية من مجال التعليم. وتقبلوا منا فائق التقدير والاحترام⁽²⁾.

يبدو أن هذه الحملات الاحتجاجية قد أجبرت الادارة الكردية على التخلي عن قرارها، وأجازت تعليم اللغة البهذانية (الكرمانجية).

• كما كتب عن هذه المشكلة المستعصية الباحث الكردي العراقي (فهيمي كاكثي) :

((تعتبر مهمة توحيد اللغة الكردية من المهمات العاجلة والآجلة في نفس الوقت، لذا فهي بحاجة إلى حلول آنية ملحة وحلول مستقبلية يمكن التريث والتروي بشأنها. إذا أخذنا الوضع الجغرافي والسياسي لكردستان... في ظل هذا الوضع الشائك والعوائق الجغرافية والسياسية وعدم وجود أرضية خصبة.. تبقى مسألة توحيد اللغة الكردية وإختيار لهجة واحدة كلغة الدراسة والإعلام والمراسلات الرسمية في كافة الأقاليم حلاً بنفسجياً في الوقت الحاضر))⁽³⁾..

• يطرح بجدة هذه المشكلة باحث كردي عراقي آخر، هو (محسن جوامير)، في مقال صارخ بعنوان (اللغة الكردية مهددة بالإنقراض.. من ينقذها ؟)، حيث يقول :

((لابد وإنك حينما تتابع القنوات الكردية فلا تطيق الجلوس أمامها طويلاً لكثرة لهجاتها، ويكاد المرء يجزم بأن الكرد ليسوا أكثر من شراذم من لهجات وعشائر ولغتهم تحولت إلى لعب أطفال خاصة في قنوات خارج البلاد... قبل فترة أعلن أحدهم في منطقة السليمانية بأن لهم خصوصيتهم ولغتهم، لذا يجب على الحكومة الكردية الاعتراف بهويتهم المتميزة وخاصة لغتهم، ونفس الإسطوانة تتكرر غداً في تركيا مع أهلنا الزازا. فهل تجد أمة في الأرض بهذا الشكل وهل تطيق أي حكومة عراقية - مثلاً - كل هذه اللهجات الكردية التي تتحول بمرور السنين إلى لغات مستقلة حتماً وشعوب لا بد منها بحيث أن كل واحدة منها تحتاج غداً إلى وزارة ووزير ومديرية ومدير ومجمع علمي لغوي قدير، ناهيك عن الملحقات؟.. وما أظن أن الحياة البشرية القصيرة للفرد الكردي - وكأي مخلوق - تكفي لتعلم كل هذه اللهجات الكردية ومن ثم لا يجد فسحة لتعلم لغة أجنبية راقية بسببه، مهما كان الرجل وطنياً، وقد يضطر الإنسان أخيراً مغادرتها للتفويض بظلال لغة لها جذور ومقومات بقاء وحياة. وإذا كان للشعارات العاطفية دويها في الشارع فإننا لن نستفيد منها في بناء مستقبلنا اللغوي. من يهتف بحياة اللهجات على حساب لغة واحدة موحدة، فانه سوف لن يرى شعباً اسمه الكرد ولا أرضاً إسمها كردستان))⁽⁴⁾!

• كذلك الباحث (بروز أحمد) يعترف بتعقيد الحالة اللغوية لدى الاكراد :

((إذا بقي الحال هكذا، فإن اللهجات الكردية الأربعة سوف تتحول إما إلى أربع لغات، أو إلى لغتين كرديتين: الكرمانجية والسورانية في أحسن الأحوال. أما اللهجات الأخرى فسوف تنقرض شيئاً فشيئاً بحيث تغلب الكرمانجية على الزازائية، وتغلب السورانية على الهورامية واللهجات الأخرى. والتاريخ يبين لنا هذه القضية بجلاء وذلك من خلال تجربة اللغات اللاتينية الخمسة في الوقت الحالي والتي كانت في الأصل لهجات للغة واحدة، لكنها نتيجة للانقسام الحاصل بين هذه اللهجات تطورت الواحدة منها بشكل مستقل ومنعزل عن الأخرى إلى درجة أن تحولت إلى لغات

مستقلة ومنفصلة عن أخواتها. في الحقيقة لو نظرنا إلى البنية النحوية للهجات الكردية نلاحظ أن الاختلاف الموجود بين الزازاكية واللهجات الأخرى يصل إلى درجة الاستقلال الواضح بحيث يمكن أن نعد الزازاكية لغة مستقلة تنحدر عن الكردية. ورغم أوجه التقارب والتوافق بين الكثير من العناصر اللغوية في اللهجتين الرئيسيتين، إلا أننا في نفس الوقت نواجه معضلة لغوية تتعلق بالاختلاف الصارخ بينهما، ولا سيما ما يتعلق ببعض جوانب البنية التركيبية⁽⁵⁾.

• هنا أيضاً هذه الشهادة الطريفة لمواطن كردي عراقي أثناء تجربته في الجيش العراقي :

((في الأعوام 1979-1983 كنت في الخدمة العسكرية الأزامية في مناطق (رانية وقلعة دزة) ذات يوم جاء أحد الجنود (أنضباط) الى غرفة حرس باب النظام وقال لي هل تستطيع أن تترجم اللغتين (الكردية والعربية) ما بين ضابط اللواء السيد (-.-) والمراجعين وغيرهم فقلت نعم وذهبت معه فعندما دخلت غرفة الضابط وأديت التحية العسكرية المعتادة رأيت هناك ثلاثة أشخاص (مواطن) وضباط أثنان فبعد أنتهاء الترجمة المطلوبة وخروج المواطن سألتني أحد الضباط وباللغة الكردية (السورانية) من أية منطقة أنت فقلت من منطقة (شنكال) فتعجب وقال ان أهل شنكال يتكلمون اللغة (الكورمانجية) وكيف تستطيع أن تتكلم اللغة السورانية ومنذ متى وأنت تعيش هنا فقلت له منذ أقل من (سنتين) وقلت سيدي مهما كانت هذه اللغة فأنها (كردية) فضحك ذلك الضابط الكردي وقال لزميله الضابط (العربي) عند الحاجة يمكنك استدعاء هذا (الجندي) لأجل الترجمة)).

في عام 1996 وفي محافظة دهوك التقيت بأحد السادة (المحاميين) الكرد ومن الذين يتكلمون اللهجة (الكرمانجية) فروي لي حادثة أو نكتة ضد تعلم اللهجة (الكرمانجية) من جانب بعض الأخوة من الذين يتكلمون اللهجة (السورانية) وقال كنت قبل السنوات العشر الماضية محقق عدلي في محافظة السليمانية وذات يوم أحضروا أمامي (متهم) فتحدثت معه باللغة الكردية (الكرمانجية) لأهل دهوك الكرام فرد عليّ وقال (ب خوي من فـه ره نسي نا زانم) أي أنا لا أتكلم الفرنسية؟؟ فطلبت من (المفوض) أن يعلمه (الفرنسية)، وبعد أقل من عشرة دقائق عادوا، وقال: أعتذر سيدي المحقق فقد تعلمت (الفرنسية)؟؟

الهوامش :

1- (BOLANGER - la destin des kurds - L Harmattan - Paris 1998.p24)

2-

http://tharwacomunity.typepad.com/qamishly/2006/09/post_19.html

3- (هموم كردية باللغة العربية، حول اللغة الكردية الموحدة... فهمي كاكه بي) راجع موقع كردستان تايم : <http://www.kurdistan-times.com/content/view/641/9>

4- موقع لورستان الغربية : <http://www.westluristan.com/articles/109.html>

5- موقع كردستان تايم : <http://www.kurdistan-times.com/content/category/1/37/1/50/0>

6-(<http://www.yek-dem.com/moxtarat=3-26-8-2006.htm>)

المصادر :

- العراق الشمالي / شاكـر خـصباك / بغداد

- دراسات في تاريخ الكرد/ فرهاد يرال / كاوا / بيروت 1998.

- الاكـراد أحفاد الميديين / ف. مينورسكي / مجلة المجمع العلمي بالكردية/ بغداد 1973.

- اعلام الكرد / ميربصري / دار الريس / بيروت 1991.
 - القومية الكردية وتراثها التاريخي / هادي الجاوشلي / بغداد 1967.
 - المسألة الكردية / م. س. لا زاريف / دار الرازي / بيروت 1991.
 - لقاء الاسلاف / جمال رشيد احمد / رياض الريس للنشر / بيروت 1994.
 - القضية الكردية في العراق / عزيز الحاج / المؤسسة العربية / بيروت 1994.
 - القضية الكردية في العشرينات / عزيز الحاج / المؤسسة العربية / بيروت 1984.
 - ضوء على شمال العراق / نعمان الكنعاني / 1965 (دون ذكر للبلد).
 - قائد وشعب / حوار مع زعيم حزب العمال الكردي التركي / دار الفارابي / بيروت 1999
 - عبد الله اوجلان / من دولة الكهنة السومرية نحو الحضارة الديمقراطية الخاتمة :
- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=91419>

- Leprobleme Kurde - BLAU Joyce - Bruxelles· 1963.
- Les Kurdes et Les Kurdistan - Pre Face de M. Rodinson. PCM. Paris 1981.
- Lemouvement national Kurde - KUTSCHERA Chris- Flammarion - Paris 1979.
- Le Kurdistan ou Lamort - MAURIES Rene - Lafont - Paris 1976.
- Encyclopaedia uni - 13 - Kurde - Paris 1995.
- Geopolitique Des Kurdes - Boulanger -Editeur : Ellipses Marketing - Collection : Reference Geopo - Date : 19.08.2006
- la destin des kurds - BOLANGER - L Harmattan - Paris 1998
- Le Defi Kurde Ou Le Reve Fou De L'Independance, Kutschera, C - Editeur : Bayard - Date : 1997.
- Manuel de Kurde: Kurmanji par Joyce Blau et Barak Veysi (Reliure inconnue - 2000)
- Grammaire et lexique comparés des dialectes kurdes par Mohammed Mokri (Relié - 1 novembre 2003).

* * *

لهجات كردية ام لغات؟

هناك مسألتان مهمتان في ما يتعلق بشعراء الكرد وأشعارهم. الأولى أن معظم هؤلاء الشعراء كانوا يتقنون إلى جانب اللغة الكردية لغات أخرى كالعربية والفارسية وغيرهما. واللافت أن جلهم إن لم نقل معظمهم كانوا علماء في الشريعة وفي علوم الفلك والفلسفة والطبيعة والحساب.

الثانية هناك فوارق واضحة في اللهجات الكردية التي تم تفريغ النتاجات الأدبية فيها. فالفرق بين اللهجة السورانية والبادينية والهورامية يبلغ حداً يصعب على المتحدث بإحداها التفاهم بلهجة أخرى أو القراءة والكتابة بها.

لكن هذه الصعوبة خفت بدرجة كبيرة بعد نشوء القنوات الفضائية والتواصل الثقافي والأدبي بين الأكراد في العالم.

وإذا كانت السورانية والبادينية أقرب إلى بعضيهما البعض أكثر من اللهجات الأخرى فإن الفروقات بينهما وبين اللهجات الأخرى كالزازائية والهورامية ملفتة على صعيد التدوين. إن السورانيين لا يفهمون الهورامية وتبدو كلغة غريبة. لكن الهوراميين جميعاً يتقنون السورانية وهذا الأمر يدفع بالحديث نحو ما يُسمى بالثقافة المركزية، ولغة المركز. وفي ما يخص المفردات، فإن وجود عدة ألفاظ للمعنى الواحد مع إختلافها، أمرٌ طبيعي ومفهوم لدى الناطقين بهذه اللهجات. وأحياناً نجد ألفاظاً كثيرة للمعنى الواحد داخل اللهجة الواحدة. وعلى سبيل المثال فإن فعل الأمر إذهب، باللغة العربية تقابله في الكردية ألفاظ عدة مثل: (برو، بجو، هرو، هرّه، ببزه ومفردات أخرى).

ولمقاربة هذه اللهجات، اخترت بعض المفردات والألفاظ، مع المعنى باللغة العربية :-

اللغة العربية	اللهجة البادية	اللهجة السورانية
كتابة	نفسين	نوسين
أكل	خارن	خواردن
جميل	رند	جوان
رجل	مير	بياو
نضال	خه بات	خبات
مجتمع	جفات	كومه لكّا
لغة	زمان	زمان
بارد	سار	سارد
سنة	سال	سال

أغنية	ستران	كورانى
ضرب	ليخستن	ليدان
مستمع	كوهدار	جويكر
طفل	زاروك	مندال
وحد	يكبوون	يكبوون
حديث	ثاخافتن	كفتو كو / ثاخافتن
عجلة	له ز	به له

ويبدو من الجدول السابق، أن بعض المفردات تختلف في اللفظ بين اللهجتين لكنها معروفة ومتداولة في اللهجة الأخرى. لكن الصعوبة تكمن في الفهم أثناء إستعمالها في الجملة في سياق الكلام، حيث تتداخل الألفاظ غير المعهودة

وعملية التلفظ عبر مخارج حروف مختلفة حتى تشكل كتلة غريبة من لغة غير مفهومة. وهذا ما يحدث اليوم في الصحافة والإعلام الكرديين، مع ذوبان الفروق بمرور الزمن بسبب الإستعمال والتعود. ففي منطقة سوران هناك على سبيل المثال صحف مثل هاولاتي، آوينه، روداو، ميديا لا تُقرأ في منطقة بادينان. والعكس كذلك فإن الصحف والمجلات البادية مثل أفرو، فزين، بيف، نوبون، سفوره ودهوك لا تُقرأ أيضاً في مناطق سوران.

وفي هذا المضمار تلعب العصبية الطائفية والمناطقية المزوجة بالسياسة والصراع على السلطة، دوراً سلبياً في إبقاء الشروخ والفواصل واسعة بين هذه اللهجات.

فقبل فترة قامت جمعيات ثقافية في مناطق بادينان بحملة جمع التواقيع من أجل تثبيت اللهجة البادية كلغة رسمية في دستور الإقليم في مناطق بادينان بحجة كونها (اللغة الأم) التي يسهل على أطفال المنطقة تعلّمها بسهولة! وهناك محاولات مماثلة في مناطق أخرى، مثل منطقة هورامان، التي أردفت بتيار جديد يرمي إلى أبعد من الاختلاف اللهجوي، إلى فروقات إثنية بينهم وبين الكرّد. وفي هذا المجال يطرحون حقوقاً في الدستور كأقلية قومية ويطالبون تعريفهم كإثنية متميزة! مع العلم أننا لا نستطيع أن نعمم حركة مجموعة ما على منطقة أو طائفة معينة.

الكردية السورانية لغة الأدب والتدوين

تغيّر كلّ شيء بمرور الزمن. فالأمارات الكرّدية القوية القريبة من مركز القرار العثماني وذات النفوذ الواسع في جزيرة بوتان، ضعفت بسبب الصراعات الداخلية بين أبنائها. ومع بزوغ القرن التاسع عشر ظهرت النزعات الكيانية في الدولة العثمانية الآيلة نحو الضعف، فتقوت شوكة أمارات كرّدية بعيدة نسبياً عن مركز السلطة العثمانية المنكمشة رويداً رويداً نحو القومية بتأثير عوامل كثيرة منها الثقافة القومية التي ظهرت في القرن نفسه في أوروبا. كانت الإمارة السورانية والبابانية قويتين، حتى بسطتا سلطتهما فوق رُقع جغرافية خارجة عن حدودهما. ومع توسع النفوذ بدأ إنتعاش إقتصادي وتطور عمراني وإهتمام أدبي وعلمي. يُعتبر الشيخ مولانا خالد النقشبندي (1773 - 1826 م) ملهم الشعراء ومهد الطريق نحو صرح الأدب الكرّدي السوراني.

بدأ نالي (الملا أحمد خضر الميكائيلي 1800 - 1856 م) تدوين الشعر باللهجة السورانية. ويعتبر نالي أعظم شعراء منطقة سوران وأحد أعظم شعراء الكرّد. فشعره في غاية البلاغة والعمق الفلسفي والتصوير المنساب من الخيال إلى الواقع. وكان بحق من أشعر شعراء الكرّد الغزليين. وحسب رأي بعض النقاد (منهم عرب) إستطاع (نالي) أن يتخطى من حيث البلاغة الشاعر العربي (أبو تمام) وخاصة في الجناس والتورية والاستعارة. في بيت شعر له من ديوانه يقول: (قوربانّت بم نه خيلي يا روتابي - وه ها شيرين و سينه نه رم و دل ره ق) ويعني: (فداك روحي أنخله أنت أم رُطب - حلوة ذات صدرِ ناعم وقلبِ قاسي).

وعاصر سالم صاحب قران صديقه نالي ، وكان شاعراً كبيراً (1805- 1869 م). ومن ثم كان هناك الشاعر كوردي (1812- 1850 م). هؤلاء الثلاثة الذين سموا في الأوساط الثقافية الكردية بمثلث بابان ، قادوا حركة التدوين الشعرية باللهجة السورانية ، حتى توالى بعدهم شعراء عظام أسسوا وأغنوا حركة الشعر والثقافة باللهجة المذكورة.

فكان الحاج قادر كويي (1815- 1892 م) الشاعر القومي ، ومحوي ، والملا محمد عثمان البلخي (شاعر الفلسفة والعرفان ، ويعد من أعظم شعراء الكُرد 1820 - 1904 م) ، وكذلك بيره ميرد (1876- 1950) ذي النزعة الفلسفية والمعرفية من الجيل الثاني الذي رسخ الثقافة الكردية باللهجة السورانية. خرج شعراء عباقرة في هذا الوسط الثقافي ، مثل أحمد مختار بك الجلف (شاعر الغزل والوجدان والحماس القومي 1897- 1935 م) ، وشيخ رضا طالباني (شاعر الهجاء المشهور) ، وفائق بيكس ، ويساراني ، وناري ، ومخلص ، وصافي ، ويخود ، وأسيري ، وحمدي ، وقانع ، ودلدار ، ودلزار ، وهيمن ، وهزار ، وهيدي ، وهردي ، وجروستاني ، وكوران (مجدد الشعر الكردي) وعشرات الشعراء والمثقفين الذين أغنوا بتنتاجاتهم هذا الزخم الثقافي الغني حقاً.

ومع نشوء حركة الصحافة والطبع (أول جريدة كردية تأسست في عام 1898 م على يد مدحت بك بدرخان بأسم كردستان) إنتشرت النتاجات الثقافية وساهمت في نشر الوعي الثقافي والأدبي بين الشعب الكردي. وتأسست عشرات الصحف والمجلات نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، تلازماً مع تمتع الكُرد في العراق بثقافتهم منذ العهد الملكي وإلى يومنا الحاضر ، على نقيض ما كانت عليه الأجزاء الأخرى من كردستان في تركيا وإيران وسوريا. وكما الحال مع شعراء الكرمانج ، فإن شعراء سوران كان معظمهم من علماء الدين ومن خريجي مدرسة الإسلام. وهناك اليوم أدباء بارزون لديهم نتاجات متميزة. ومن أشهر هؤلاء هم عبدالله بشيو ، لطيف هلمت ، شيركو بيكس ، رفيق صابر ، وآخرين كثر.

على الصعيد الثقافي العام ، يعتبر النتاج الكردي غني لا سيما في ما يتعلق بالفولكلور والغناء والموسيقى. فهناك تأثير واسع للغناء والموسيقى الكردية ، في نتاجات الأقوام المجاورة لهم. وبالطبع فإن التأثير كان مشتركاً على كافة الأصعدة ، بين شعوب منطقة الشرق. فكما أثر الكُرد في الآخرين ، وقعوا هم تحت تأثيرات أقوام الجوار على أصعدة شتى. وإذا كان هذا يدلّ على شيء ، فإنما يدل على العلاقات الطيبة والحميمة (ما عدا السياسية!) بين شعوبنا ، التي انصهرت في ثقافة الإسلام المشتركة ، التي لم تلغ هوياتها بل حافظت على خصوصية أي واحدة منها من دون منّة.

في مسألة الأدب والثقافة باللهجة السورانية ، ينبغي أن نشير إلى أن الكُرد في العراق وفي إيران شاركوا في إنتاجهما. ف (هيمن وهزار) هما شاعران كبيران من كردستان إيران. والكُرد في القسم الإيراني يشتهرون ببراعتهم الفنية والأدبية. قام هزار بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الكردية. وبسبب إتقانه للهِجَتين السورانية والبادينية فقد جاءت ترجمته نوعاً من الإندماج بينهما في ذائقة لغوية ممتعة ومتفوقة.

أما ما يخص اللهجة الهورامية فيعتبر الشاعر مولوي (1815- 1892 م) ، أبرز شاعر دون هذه اللهجة ، وهو من وزن نالي ومحوي تقريباً.

لكن بقي أن أذكر أن هناك أيضاً جانب آخر في الأدب الكردي المعاصر لم يلق أي ترحيب ، من لدن الجهات الكردية القومية والعلمانية ، ألا وهو الأدب الإسلامي الحديث. ومن أبرز رموز هذا الجانب هم الشعراء: خدر كوساري (قُتل من

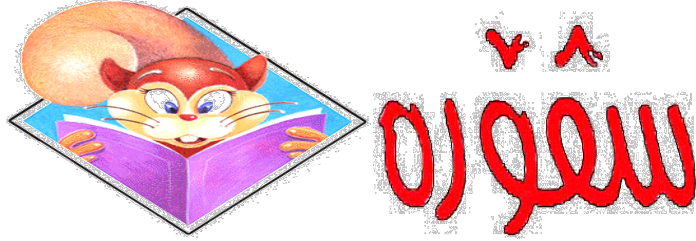
قبل الإتحاد الوطني الكردستاني في 1993/12/27، وملاً كريكار، وجوتيار، وأكرم عنبي، وورزير، وهيواش، وآخرين. ولدى الروائي فاضل قرداغي إمكانيات أدبية وثقافية عالية جداً قد تجعله في المستقبل أبرز روائي كردي إذا ما وجد أرضية ثقافية نظيفة. لكن الغبن والإقصاء ظل يلزم هذا التيار على يد ثلّة عنصرية، تركب القومية وتتخذها مطية لمصالحها الفئوية الضيقة التي لم تتوان في توظيف الأدب لغايتها السياسية المخربة والفسادة.

هذه الدراسة بالتعاون مع الباحث: علي سيرين

الهوامش

- 1- لمعرفة تبني الفرس للحضارة الميديّة راجع إن شئت: وول ديورانت/ قصة الحضارة / المجلد الأول. قارن بـ: أحمد لواساني، الأخمينيون / بيروت 1960 وكذلك بـ: جمال رشيد أحمد / لقاء الأسلاف / رياض الريس للكتب والنشر 1994.
- 2- فاضل رسول / الإسلام والقومية: الأكراد نموذجاً / دورية منبر الحوار / بيروت 1986.
- 3- دورية هافيون / العدد 7 و 8 سنة 2008 المانيا / مقال بعنوان: اللغة الكردية ومشكلة الأمة والتأمم.
- 4- نفس المصدر / مقال بعنوان: كيف نصل إلى بداية موثوقة للأدب الكردي.
- 5- لا أصدقاء سوى الجبال / ترجمة راجال محمد / لبنان 1999.

اللغة الكردية وأدبها الشفاهي



Hijmar (113) Pîtên Latîni

هژمار (113) ب پیتین عەرەبی

<ul style="list-style-type: none"> • Bergê êkê • Danenîyasîn + du wêne • Pîsbûna jîngehê • Mîrê beq (çîrok) (1) • Mîrê beq (çîrok) (2) • Kunda rêvîng (çîrok) • Cejna ji dayikbûnê (hozan) • Roj û rojgar (çîrok) (1) • Roj û rojgar (çîrok) (2) • Zarokên behremend/ şana (1) 	<ul style="list-style-type: none"> • به رگن نیکن • دانه نیاسین + دو وینه • پیسبوونا ژینگههه • میری بهق (چیرۆک) (1) • میری بهق (چیرۆک) (2) • کوندا ریفینگ (چیرۆک) • جهژنا ژ دایکبوونی (هوزان) • رۆژ و رۆژگار (چیرۆک) (1) • رۆژ و رۆژگار (چیرۆک) (2) • زارۆکین بههره‌مه‌ند/ شاننا (1)
--	---

من امثلة الفوضى السائدة في الوضع اللغوي الكردي، هذه صورة مجلة صادرة في دهوك موجهة للاطفال ومكتوبة بالبهندنانية ولكن مرتين، بالحروف العربية وبالحروف اللاتينية التركية!!

يقول مثل كردي (هنالك لغات كردية بعدد الجبال). فكل جبل ووادي تسوده لغة تختلف عن الجبل الآخر. والسبب يعود الى أن هذه الجبال الكردية في غالب الاحيان تكون عصرية والتنقل فيما بينها صعباً، مما يشجع حياة الانغلاق والعزلة، وبالتالي تكوين نوع من اللغات والتقاليد المنقطعة عن بعضها البعض. لكن عموماً يمكن الحديث عن عدة لغات كردية أساسية، هي :

• اللغة السورانية:

ويتحدث بها حوالي 60% من سكان المحافظات الكردية في شمال العراق: السليمانية وغالبية اربيل. (أما جزء من اربيل مع دهوك فيتحدثون بالبهندنانية، بالاضافة الى اللغة الهورمنية). لم تكن السورانية مكتوبة حتى اوائل القرن العشرين. في عام 1919 قام الكابتن في الجيش الانكليزي الموجود في العراق (جيروم فارل) ويعمل مساعد ناظر المعارف العمومية في بغداد مع الحاكم السياسي للسليمانية عام 1919 الميجور (سون) بوضع قواعد مناسبة ومدونة واملاء مضبوط للغة الكردية السورانية بالاستناد الى الطريقة الصوتية وبالحروف العربية. بعدها قام (فارل) في بغداد بطبع كتاب خاص بالقراءة الكردية السورانية.

وأبرز الشعراء المعروفين لهذه اللغة هم : نالي وسالم ومحوي والحاج قادر وغيرهم.

في هذه اللغة بعض القصور لإفتقارها لصيغ زمنية معينة مثل صيغة المستقبل، والتأنيث والتذكير. ولكنها تتميز في مناطق معينة مثل موكریان وبشدر بغنى كبير في أساليب التعبير والمفردات والكنيات. وعادة تستخدم الابجدية العربية مع ادخال حروف إضافية تتلائم مع الاصوات الكردية (مثل الفارسية).

مع الاعوام ازدهرت الكتابة بالسورانية بعد ان كانت اللغة الكرمانجية الكردية (في تركيا) وحدها السائدة ثقافياً حتى الحرب العالمية الاولى. وانتشرت السورانية في العراق خصوصاً على حساب اللغات الكردية الاخرى، رغم ان المتحدثين

بها لا يشكلون نسبة كبيرة. وهذا يعود لعدة عوامل أهمها الوضع السياسي في المناطق التي تتحدث بهذه اللهجة والتي ساعدت على :

- فتح المدارس فيها مبكراً في أوائل القرن العشرين. ففي عام 1919 كانت السورانية تدرس في 6 مدارس في شمال العراق بأسلوب (فارل). ومع تشكيل دولة العراق كان هناك نص دستوري يلزم بفتح المدارس. ثم ان انشاء الكلية العسكرية في السليمانية ثم فتح قسم اللغة الكردية السورانية حيث أصدر مجلدات كبيرة وكثيرة لعبت دوراً كبيراً في تطور هذه اللهجة.

- كذلك استخدام الكتاب الاكراد للسورانية في نتاجاتهم جعلها تصبح لغة ثقافية مقبولة. وقد نمت الادب الكردي السوراني بعد قيام الجمهورية العراقية عام 1958 وتوسع عدد الناطقين باللغة السورانية في العراق وايران. ثم انشاء الحكومة العراقية لجامعة السليمانية في نهاية الستينات وكذلك المجمع العلمي الكردي في بغداد.

- أما العامل المهم في دعم انتشار السورانية ، انه بعد قيام مشروع الحكم الذاتي عام 1970 ، أقرت الحكومة العراقية بأن تكون السورانية هي اللغة الكردية الوحيدة ، من باقي اللغات الكردية ، التي يتم اعتمادها في التعليم.

ثم ان قيام الادارة الكردية الخاصة بعد حرب الخليج في أواسط التسعينات قد دعم هذا من استخدام وانتشار السورانية.

• اللغة البهدينية (الكرمانجية):

تتميز هذه اللغة برصانة نحوها وصرفها وقد كتب بها الشاعر الكردي المعروف (أحمد خاني) ملحمة (مم وزين). في هذه اللغة هناك تراث كبير لتأجيات الشعراء الشعبيين والمتصوفة ، وخصوصاً في كردستان تركيا ، من أمثال (ملا جزيري) و(علي حريري).

ان مثقفوا بهدينان يدعون بهذه اللهجة التي يتحدث بها أكبر عدد من أكراد تركيا وسوريا والقفقاز وبعض مناطق ايران. ويتحدث بها خصوصاً أهالي محافظة دهوك وبعض المناطق الكردية الاخرى.

• اللغة الكورانية (الهورامية):

وتعتبر هذه اللغة من أقدم اللغات الكردية وتنتشر في مناطق هورامان الجبلية الواقعة بين مريوان وسيروان قرب الحدود العراقية - الإيرانية. أما الكورانية فيتكلم بها أبناء الكوران الذين يطلقون على أنفسهم (أهل الحق أو العلي إلهية) ، وهي فرقة باطنية. والكوران تقع مناطقهم قرب طريق خانقين - كرمناشاه في كردستان الإيرانية. وتتميز بسلاستها وغناها وجمالها وقد كانت شائعة في الكثير من المناطق في أطراف السليمانية وكركوك إلا أنها انحسرت في الفترات الأخيرة في منطقة هورامان وبعض مدن كردستان إيران. وهناك تراث غني بها مثل دواوين الشعراء الشعبيين الكبار: مولوي وبيساراني وسيداي هزرامي وولي ديوانه وغيرهم. علماً بأن تعاليم الطائفة العلوية (الكاكائية) وبعض الطوائف الاخرى مكتوبة بالهورامية.

• اللغة الزازائية:

ويتكلم بها أبناء قبائل دولي أو الزازا (الظاظا) وتنتشر الزازائية في كردستان تركيا ، ومعظم الذين يتكلمون بها هم من الطائفة (العلوية) ، كما أن متكلمي الكورانية أصحاب فرقة باطنية ، علماً أن الشبه أيضاً كبير بين الظاظائية

والكورانية، رغم ان هذه في العراق وهذه في تركيا، ربما كانتا فرقة واحدة ثم انتقل قسم منها إلى هذا المكان البعيد عن سكنى القسم الآخر واحتفظ بلغته ودينه!!

• اللغة الكلهورية (الخانقينية):

وتسمى أيضاً (لغة قصر شيرين) وهي تنتشر بين أكراد خانقين في العراق وقصر شيرين في إيران. لقد حدثت تغيرات كبيرة على هذه اللغة وامتزجت بلكنات خانقين وكرمناشان والكلهور مما أصبحت هناك لغة لورية بلكنات مختلفة لكنها مفهومة من قبل سكان هذه المناطق، وبرزت رموز عظام للثقافة العراقية من أبناء هذا المكون من مكونات المجتمع الكردي. وقد كتب بابا طاهر الهمداني بعض قصائده بهذه اللهجة. هذا والذي بقي من هذه اللهجة هو شيء من التراث من حكايات وأغان. وفي إيران ثمة شعراء وقاصون يكتبون الشعر المعاصر والقصص بهذه اللهجة.

أمثلة من السورانية

الابجدية: وهي نفس الابجدية العربية مع الحروف المختلفة المشابهة للفارسية:

أ، ب، ج (ثلاثية النقط)(P)، ت، ج، ج (ثلاثية النقط)(ch)، ح، خ، د، ر، ز، ز (ثلاثية النقط)(J)، س، ش، ع، غ، ف، ف (ثلاثية النقط)(V)، ق، ك، ك (G)، ل، م، ن، هـ، و، ي.

الضمائر بالسوراني:

أنا	من
أنت، أنتي	تو
هو، هي	تو
نحن	ئيمه
هم، هن، هما	تووان
انتم، أنتم	ئيوه

عبارات ومفردات يومية:

كم الساعة الآن	ئيستاسه عات جه نده
ئيستاسه	الان
بأقرب ما يمكن	به نزيكترين كات

دوايين كات بتوانيت	في آخر وقت ممكن
جيت بي ئه ليم ئه وه بكه. وحرف الجيم هنا تحتها ثمانية صغيرة تلفظ ɟ	أفعل ما أقوله لك
خوت تيك مه ده (حرف الياء ممدودة مثل E الانكليزي في text)	لا تزعج نفسك
له بيرت نه جيت. هنا الجيم تحتها ثمانية صغيرة	لا تنسى
جاوه روانم. جيم هنا تحتها ثمانية أيضاً	انتظر
جه نت جاوه ري بكه م.....بكلمة جه نت الجيم تحتها ثمانية صغيرة وبكلمة جاوره ريت نفس الشيء	كم من الوقت أنا انتظر
من مشغولم --- او --- من سه رقالم	أنا مشغول
من هه ست به سه رما ئه كه م	أنا أشعر بالبرد
زور به له مه كه (الواو تلفظ ك O الانكليزية)	لا تستعجل كثيراً
هيوادارم به دلت ئيوه بيت	أرجو أن ينال قبولكم
ريزه م هه يه بو هه مويان	احترامى للجميع
زور سوپاس	شكراً جزيلاً
ده سته كانت خوش	تسلم يداك
هه ربزى	عش دائماً (الزاي تلفظ ك j الانكليزية)
هه ميشه و هه رده م ر سه ركه وتو بيت	اتمنى لك النجاح دائماً وكل وقت
له كه ل ريزم	مع تحياتى
سلاو كاكه جوني باشى	سلام أخي كيف حالك بخير
له كوى باره كه بده م	اين ادفع الحساب
له كوى ئه توانم باره كه بكورمه وه	أين يمكنني تصريف العملة
جون ئه توانم بكه مه ئه و شوينه	كيف أصل الى هذه المنطقة
سه ياره ي شار له كوى ئه وه ستي	أين السيارة متجهة

جه ندي ماوه بوّئه و شاره ي بوي ده جين	ما هي المسافة الى المدينة القادمة
ناوى ئه م شاره جى يه	ما اسم هذه المدينة
ئا يا ريكه مان راسته	هل نحن بالطريق الصحيح
ئه م ريكايه بو كوى ئه جيت	الى أين يؤدي هذا الطريق
ئه مه ويت ئه وشته بكرم	اريد ان اشترى هذا الشيء
نرخى ئه وشته جه نده	ما هو ثمن هذا الشيء
ئا يا كه س ليره يه	هل يوجد احد هنا
من تى ناكه م	لست فاهم
به يارمه تيت دوو باره ي بكه وه	أعد من فضلك
زه حمه ت نه بيت قسه بكه	تكلم من فضلك
من ماندووم	أنا متعب
ئه وه ئه مريكى خيرايه	انه أمر مستعجل
جه ند روزيك ده مينم ه وه	سأبقى عدة أيام

أمثلة من البهذنانية (الكرمنجية)

الحروف :

الكرمنجية تحتوي على 31 حرفاً مقتبسة من اللاتينية التركية، هي :

ABCÇDEÊFGHIÎJKLMNOPSŞ UÛVWXYZ

أسماء الأشهر :

كانون الثانى	ÇILLE
شباط	Sibat
آذار	Adar
نيسان	Nîsan

آيار	Gulan
حزيران	Cehzeran
تموز	Tîrmeh
آب	Tebax
أيلول	êlûn
تشرين الاول	çilla pêşîn
تشرين الثاني	çilla paşîn
كانون الاول	ber çille

مفردات :

شرح المعنى	اللفظ الكرمانجي	المعنى بالعربي	الكلمة
صوت المولود عند الولادة	ويق ويق	الاستهلال	Wîq wîq
صوت النائم الخارج من الحنجرة والأنف	خرخر	الشخير	Xir xir
صوت الرعد كأنه يتكسر	شريق شريق	الهزيم	Şirîqşirîq
الصوت الشديد عن الفزعة أو المصيبة	قيرين	الصراخ	Qêrîn
صوت الضاحك	تيق تيق	القَهْقَهة	Tîq tîq
صوت الحمام	زراندن	النهيق	Zirandin
صوتُ العصافير	چيف چيف	زقزقة شقشقة	çîv çîv
صوتُ الرصاص	فيزه فيز	الأزيز	Vize viz
صوتُ الحمام	هم هم	الهديل	Himehim

صوت الرعد	رق رق	القصف	Reqe req
عندما تزغرد النسوة في الأعراس	ليلا ندن	الزغردة	lîlandin
صوت المستطيب أخ أخ	أخ، أخ	التأخير	Ax ax
صوت الناي، والمتألم	نالين	الأنين	Nalin
صوت الفرس	حيرين	الصهيل	Hêrîn
صوت الثعابين	كوف كوف	الفحيح	Kufe kuf
صوت المياه الجارية	خوم خوم	الخرير	xumxum
صوت الكلاب	عوت عوت	النباح	Ewt ewt
صوت الريح	فيز فيز	الهبوب	Vîzevîz
صوت الأسد	زيرين	الزئير	Zîrîn
صوت البقر	بوره بور	الخوار	Bore bor
صوت الذئب	زوره زور	العواء	Zûre zûr
صوت الصراصر	سوره سور	العرير	Sûresûr
صوت البكاء	كالين	التحيب	Kalîn
صوت الاوتار	تنك تنك	الطنطنة	Tingeting
صوت كل شيء اذا اشتد	هاوار	الصياح	Hewar

عبارات :

نافي من	أني اسمي
تو جاوه ني	انت شلونك
ره وشا ته جاوايه	شنو أخبارك
تو جوى كودى إيورو	وين رحى اليوم
ئه ز باشم و تجاواي	اني زينه وانت
ئه زى رابم هه رم	اني راح أروح
من بيريا ته كريبه و ئه ز بحاجه تي ته مه	اني مشتاقلك ومحتاجلك
تو يارا منى و همى جيانا منى	انت حبيبي وكل حياتي

عندك شغل	جی کاری ته هه به
لیش ما راح تجی	جما تونای
أشكرک هوايه	زور سباس بوتہ

الضمائر الشخصية في حالة الفاعل :

عربي	كرمانجي
أنا	Ez
أنت	Tu
هو، هي	Ew
نحن	Em
أنتم	Hûn
هم	Ew

في حالة المفعول به أو الملكية :

عربي	كرمانجي
أنا، ني، لي	Min
أنت، ك، لك	Te
هو، ه، له	Vî, Wî
هي، ها، لها	Vê, Wê
نحن، نا، لنا	Me
أنتم، كم، لكم	We
هم، لهم	Van, Wan

الإضافة **Tewang** :

تستخدم الإضافة عند تحديد شيء ما لشخص ما، مثل الملكية. مثال :

حبك	EVÎNA TE
اسمه	Navê wî
أولادنا	Zarokên me

لاحظ إضافة ê للمفرد المذكر، و a للمفرد المؤنث، و ên للجمع.

الزمان الحاضر :

يعبر عنه بإضافة di والاحقة الشخصية للفعل :

مثال : فعل (ذهب) بالكردية : (ç)

أنا أذهب	EZ DIÇIM
أنت تذهب	Tu diçî
هو يذهب، هي تذهب	Ew diçe
نحن نذهب	Em diçin
أنتم تذهبون	Hûn diçin
هم يذهبون	Ewan diçin

الزمان المستقبل :

يعبر عنه بإضافة bi :

Ezê biçim

لاحظ إضافة ê للفاعل.



الادب الشعبي الشفاهي

رغم الاختلافات اللغوية والثقافية الواضحة إلا أن مؤرخي الادب وخصوصاً من ذوي الميول القومية التي ترفض الاعتراف بالفوارق الثقافية واللغوية بين الاكراد، يحرصون على إظهار جميع النتاجات الادبية بمختلف اللغات الكردية كأنها أدباً واحداً تحت اسم (الادي الكردي)، لهذا من الصعب في كل مرة ذكر لغة المبدع ان كانت سورانية أم كرمنجية أم هورامية أم زازائية أم خانقينية، رغم ان قراء كل لغة لا يفهموا نتاجات اللغات الاخرى! كذلك تتداخل لدى المؤرخين الاصول الوطنية للمبدعين، سواء كانوا من العراق أم تركيا أم سوريا أم ايران.

مثل كل آداب العالم، فإن الادب الكردي ينقسم الى (أدب شفاهي شعبي) و(أدب مكتوب).

الأدب الشعبي أو الشفاهي الكردي متنوع والكثير منه يتناول تاريخ العشائر الكردية والعادات والتقاليد، ويشكل مصدراً مهماً لدراسة المجتمع من النواحي الدينية والانثروبولوجية. يحتوي هذا الأدب على تفاصيل المعتقدات الدينية والطقوس والمقدسات والاساطير وأسماء الأسلحة وأدوات الفلاحة والحصاد والآلات الموسيقية السائدة في مختلف العصور وكذا تنوع الطباع بين سكان الجبال وسكان السهول ووصف مناظر الطبيعة من جبال وغيابات وثلوج وعواصف وسيول جارفة.. الخ، وكيف يتعامل الكردي مع هذه المظاهر. هذا من ناحية. ويمكن تقسيم مجالات هذا الادب الى :

الشعر الغنائي / الحكايات / الامثال والاقوال

• الشعر الغنائي :

فهناك أغاني الرقص (ديلوك)، وأغاني الحب (لاوك)، وأغاني الحرب أو الغناء الحماسي (شر)، وهناك النشيد أو الترتيل الديني (لافيز، لافيزوك، لازه)، وأخيراً هناك النشيد الجماعي (بيريتي أو بيليتي).
والمغنون الكرد فئات: فهناك (دنكبيز) أو (استرانفان) وهو المغني الشهير. يأتي بعده (جيروكبيز) وهو المغني البسيط، الذي يغني حيناً ويروي حيناً آخر، وأكثر ما يكون ذلك في رواية القصص القصيرة. وهناك (مرطب أو مطرب) وهو الفجري المغني والرقاص. ويوجد أيضاً (سازبند) وهو الفنان الموسيقار الذي يسير مع دنكبيز. وأخيراً يأتي (بلورفان) وهو النافخ في الناي.

أما الأغاني الكردية فلا حصر لها وهي كثيرة متعددة، فأغاني الليل غير أغاني النهار، بل أغاني الصباح غير أغاني بقية النهار. وأغاني الأطفال تختلف عن أغاني الشباب، وهي بدورها غير أغاني الشيوخ والنساء، وثمة أغان تغنى في الجبل وأخرى في السهل والوديان. ومنها أغاني الحب وأناشيد الحرب وأغاني الرقصات العديدة والمواويل الكثيرة كتلك التي تدندن بها الفتيات العاملات في الغزل والحصاد.

ان الأدب الكردي الشعبي يخلد قصص الحب والحوادث الواقعية يشوبه شيء من الخيال والتصوير البارع ليزيد في إثارته وجاذبيته.. والمعارك القبلية يتم سردها بقالب غنائي جميل. وعند الملحمة يعتمد فيها تصوير الأسطورة، وهي تمتزج بالحقيقة والواقع. والأساطير والملاحم الكردية الكبيرة عادة ما يغنيها أو يسردها شعراء الغناء المحترفون. إذ يبدأ المغني عادة بسرد القصة وعندما ينتهي من عرضه وتقديم شخصيات الملحمة لا يلبث أن يحولها إلى شعر يسترسل في غنائه إلى أي مدى يختاره. وعندما يكون هناك عدد من المغنيين يقوم أحدهم بدور القصاص بينما يلتزم الباقيون بأدوار شخصيات القصة ويغني كل حسب دوره أي أن العملية أشبه بالشعر التمثيلي المغنى على خشبة المسرح. والحكايات والأساطير عموماً تصاغ شعراً والنثر المسجوع كثيراً ما ينقلب إلى شعر أيضاً ويغني بألحان جميلة خفيفة.

يستهل المغني غناؤه في جميع أجزاء الوصف ملتزماً بالقافية التي يظل محافظاً عليها حتى الوقفة الأولى وفي كل وقفة من الغناء بحيث تبقى القافية متوافقة مع الوقفات السابقة. وهكذا..

ومن هذه الأغاني أغنية الخريف التي تستوحي مناظره بتأملات قائمة كثيبة:

الضباب قد حجب الجبال وأترعت الوديان بالمياه الصاخبة

وقد غطى الثلج أعالي القمم واقترب الشتاء

وانتقلت الخيام من مراعي الصيف إلى السهول والوديان

وانتهى طيش الأيام الجميلة واندثرت آثار العشاق

ولم يبق إلا ذكريات الوداع والأسف على الشوق الذي لم يجد الكلمات.

هناك أغنية قصيرة تغنيها فتاة تدعى ميرموك (مريم)، تعبر في قسم منها عن أفكارها ومشاعرها، وتبين كيف أنها تعرف كيف تتصرف مع المعجب الوقح. وهي عبارة عن حوار بين فتاة جميلة وصائع مجوهرات، كانت قد طلبت منه أن يصوغ لها زهرة ذهبية، كالزهرات التي تضعها النسوة في طرف إحدى فتحات الأنف:

يا معلم حنا اصنع لي زهرة ذهبية / احذر أن تنتيها بالكماشة / أو تضعها على السندان / أو تطرقها بالمطرقة / وأقسم بأنك سوف لن تندم ..

سأصنع لك زهرة ذهبية / وسوف لا أنتيها بالكماشة / ولا أضعها على السندان / ولا أضربها بالمطرقة / وأقسم بأنه سوف لا يعتريني الندم / إذا منحتني زوجاً من القبل ..

إذا كانت هذه غايتك، فلا تأمل مطلقاً بقبلي/ حتى لو دفعت ثمن ذلك / سبعة قطعان من الغنم/ وسبعة

قطعان من ماعز شعرها أجعد/ وسبع قطع من أراض خصبة/ وسبع طواحين/ وسبع معاصر خمر تديرها أتان/ وسبعة أكواب من لبن العصفور/ وكل هذا بالحقيقة دون أي طائل

وهذه أيضاً شابة تعبر عن وفائها وتضامنها من أجل مساعدة ابن عمه وتجهيز جواده :

أقراطي سأسبك منها النعال/ أساوري سأصوغ منها المسامير/ صفائري سأحوك منها الأحزمة/ خصلات شعري سأجعلها أعنة لجوادك

هذه اغنية هدهدة ام لطفها :

لوري لوري يا طفلي الطيب/ عيونك سود وحواجبك هلالية / حين أنظر إليك يمتلئ قلبي حباً/ نم برقة

وسكون يا طفلي الطيب/ اكبر بسرعة لتكون سندا لأبيك/ كن شجاعاً لتصون بيتك الجديد

• الحكايات :

الحكايات الكردية متنوعة، وهي تقسم الى أقسام، فهناك الحكاية (جيروك)، والحكاية القصيرة (جير جيروك)، والقسمان نريان موزونان، يرويها شخص يدعى (جيروكيز) أو الحكواتي، وينشدها (دنكييز أو استرانفان) أو المغني. للحكايات علاقة وثيقة بالخيال والعجائب والفكاهة، بحيث تجعل المرء ينسى هموم الحياة ومتاعبها. ولا تتردد الحكايات

أو القصص والأقاصيص (التقريعية بخاصة) عن انتقاد أخطاء الأفراد، مهما كانت منزلتهم - والقبائل المتنافسة. كما يغرم القصاصون الكرد بقصص الحيوان التي دائماً ما تحتوي على فضيلة أخلاقية، على غرار (كليلة ودمنة).
لقد توارثت الأجيال آدابها من الحكايات والقصائد والأغاني - أغاني الحروب وأقاصيص الحب والملاحم، كملحمة قلعة (دُم دُم) التي تصف مقاومتهم البطولية لجيوش الشاه عباس ملك فارس في القرن التاسع عشر. وملحمة (مم وزين) التي تصف العلاقة الغرامية البريئة بين (مم) و(زين)، هذه الملحمة التي ترجمها إلى العربية بأسلوب نثري جميل الدكتور (محمد سعيد رمضان البوطي) تحت عنوان (ممو وزين - قصة حب نبتت في الأرض وأينعت في السماء).

• الامثال والاقوال والحكم :

هناك الكثير من الأمثال والأقوال الشعبية المأثورة والألغاز والأحاجي، فالكردي يحب أن يزين حديثه بجمل مسجوعة وموزونة أو ببعض المأثور من الحكمة تظهر وعيه وقوة ملاحظته. وتزودنا الأمثال أيضاً بملخص مركز لحكمة عملية. ولقد نشر الآلاف من هذه الأمثال. وللدكتور بدرخان السندي كتاب بعنوان: الحكمة الكردية، من مطبوعات بغداد، في أواسط تسعينيات القرن العشرين.

- أقوال عن حياة الرعاة :

حتى القرن الماضي، كان غالبية الكراد قبائل رحل ورعاة غنم، لهذا فهناك أمثال لا تحصى تعبر عن حياتهم وبيئتهم :

- ◆ مئة خروف تستظل بشجرة واحدة.
- ◆ الخروف الخارج عن القطيع يكون لقمة سائغة للذئب.
- ◆ يسقط حق الكبش الضعيف أمام الكبش ذي القرون.
- ◆ العنزة الجرباء تشرب من رأس النبع.
- كذلك هنالك أقوال تعبر عن مكانة المرأة وعلاقتها بالرجل :
 - ◆ لا تنظر إلى المرأة بل انظر إلى أقربائها.
 - ◆ اختر الخال ثم اصحب المرأة إلى المنزل.
 - ◆ الله خلق المرأة والمرأة تخلق المنزل.
 - ◆ الفتيات الشابات معابد.
 - ◆ وراء كل شعر أشقر شارب أحمر.
- كذلك هنالك أقوال تعبر عن محبة الأطفال ورعايتهم :
 - ◆ المنزل الذي فيه طفل لا يدخله الشيطان.
 - ◆ الأطفال فاكهة المنزل.
 - ◆ المنزل الغني بالمال يمكن هدمه، أما الغني بالأطفال فلا يهدم.
- وهنالك أقوال تعبر عن حكمة وموقف ازاء الحياة والكون :
 - ◆ القدر المكسور بيد ربة الدار لا يحدث صوتاً.

- ❖ الذي يجلس قرب الكير لا ينال سوى الشرر.
- ❖ بعدما تشرب الدجاجة العطشانة تنظر إلى بارئها.
- ❖ من يعرف الحياة جيداً لا يهاب الموت.
- ❖ لا جبال عالية بلا ثلج ، ولا وديان عميقة بلا ماء.
- ❖ أثقل الصخور لا تضغط إلا على مكانها.
- ❖ الله بيني عش العصفور الأعمى ، ويسهر على إطعام الضيوف.
- ❖ من له عين صفراء فهو حسود.
- ❖ يزداد صوت الماء سخباً إذا جرى في قناة ضيقة.
- ❖ تحلم الدجاجة الجائعة بالذرة.
- ❖ في فصل الخريف ادخل بيتك وفي الربيع أسرع بالخروج.
- ❖ مطر نيسان يساوي كنوز خراسان.
- ومن حزوراتهم الشعبية :
- ❖ ماهي القبة المقعرة التي تملؤها البراغيث؟ .. الجواب : تينة
- ❖ ما معنى ان الحمار ينهق والروث ينطلق؟ .. الجواب : طلقة



الكردية والسومرية

الاکراد مثل الكثير من شعوب آسيا واوربا التي تعتقد بأن السومريين من أقاربهم ، بسبب وجود تشابهات لغوية بين الكردية والسومرية. فمن المعروف ان الاتراك والهنغار والفلندين ، وغيرهم يحملون نفس الاعتقاد وقد أصدروا الكتب والقواميس لكي يثبتوا فرضيتهم هذه. لهذا فأنا نعطي أمثلة عن تشابه الكردية مع السومرية ، فربما هذا يعني ان اسلافنا الاصليين هم السومريين العراقيين ، أو العكس ، وفي كل الاحوال هذا يشدنا أكثر الى بلدنا العراق :

عربي	كردي	سومري
ماء	ثاف ثاو	ثا
سما	ثاسمان	ثان
انا	من نه ز	مو
صنوبر	كاز - كاش	كه ش
ثور ، بقرة	گا ، چیل	گا
علم	زانين	زو
اسفل	کور و خواروو	كوور

قال	گوت	گوديا
خشب, شجرة	دار	دار
مخزن	ئه مبار	ئه مبار
لا اعرف	نازانم	نوموزم
نحن	مه. ئه م	مى
جبل	كو. چيا	كور



الكردية والعربية

طبعا اللغات الكردية مثل جميع لغات الشعوب المسلمة التي جميعها تأثرت بالعربية لغة القرآن والحضارة العربية الاسلامية. بالاضافة الى الاكراد طيلة التاريخ ظلوا مختلطين بسكان بلاد النهرين منذ السومريين وحتى العرب. وقد دخلت الى لغاتهم الكثير من المفردات السامية والعربية. هذه بعض النماذج:

كلمات وعبارات كردية (سورانية وكرمانجية) من اصل عربي:

Sibat شباط

Avdar اذارا

Nisan نيسان

كيف حالك = حالت شتوره

ويش اسمك؟ = اسمت شما تشيا؟

فصل = فصل

ساعة = ساءت - ساءت

دقيقة = دقيقة

ثاني = سانية

لحظة = لهزة

صبح = سبج

ظهر = زهر

عصر = اسر

قبل = قبل از

بعد = بعد از

الطقس = هوا / هفا

الهواء = هفا

خيلي ممنون = مشكور

اعضاء الجسم = اعضاي بدن

مال = تبع / اين مال كيست = لمن هذا؟

من اهل بيروت هستم = انا من اهالي لبنان

ساعت يك = الساعة الواحدة ؟

متشكرم = شكرا

سلام = أهلا

خذا حافظ = الله يحفظك

من نميفهمم = أنا لا أفهم

أسم شما جيست = ما أسمك

بله : نعم

صبح بخير : صباح الخير

روز بخير : مساء الخير

شب بخير : مساء الخير

عم : أعمو

عمة : أعمه

خال : دائي

خاله : خالة

فرشاة للثياب : بروس لباس

عطر : عطر

خدا را شكر = الحمد لله

لطفاً = من فضلك / لو سمحت

حالا من حاضرم = أنا جاهز الآن

عيد سعيد : عيد شما مبارك

أهنئك بالنجاح : موفقيت شمارا , تبريك ميكويم

اهنئك بعيد رأس السنة : عيد نوروز رابشما تبريك ميكويم

شکرا: متشکرم, ممنونم
اقدام تهاني: تبریک عرض میکنم
شکرا إچیتک: از تشریف آوردن شما ممنونم
شکرا علی اعتنائک بی: برای مواظبت شما از من سیاستگذارم
حفظ الله محبتک: لطف عالی زیاد
سلمک الله: سلامت باشید
الشرق: خاور, شرق
الغرب: اختر, غرب
الشمال: شمال, اباختر
الجنوب: جنوب
الشمال الشرقي: شمال شرقي
الشمال الغربي: شمال غربي
الجنوب الشرقي: جنوب شرقي
الجنوب الغربي: جنوب غربي
کم الساعة الان = ساعات جه نده نیستا
قلات = قلعة
أنا مشغول = من مشغولم
دوکان = محل/دکان
کتایبخانہ = مکتبة
مزکوت = مسجد
حمام = حمام
بققال = بقال
خیات = خیاط
دهال = دلال
ساعاتچی = ساعاتی
بیپتال = بیپتری
کاسبک = کاسب
کتایب = کتاب
قلم = قلمی

دهرس = الديرس
شفق = الفجر
عسركا = العصر
مغريب = المغرب
دهقا = دقيقة
تلاجا = تلاجة
سينى = صينية
تنوور = فرن / وتنور
تباخ = طباخ
باقلا = باقلاء
ريحان = ريحان
نعناع = نعناع
زيتون = زيتون
عفيه = نافه ره م
رجال = زلام
دنيا = دونيا

Table (1): Loanwords from Arabic to Kurdish. Words in grey are originally from English.

	English	Kurdish	Transcription	Arabic
Military Ranks	Colonel	عميد	ʔəgid	عميد
	Brigadier General	عميد	ʔəmid	عميد
	Major	رائد	ra:ʔəd	رائد
	Major General	لواء	ləwaʔ	لواء
	Higher Major General	لواءى روكن	ləwaʔ ru'kn	ركن لواء
	Chief of brigade	ئامر لواء	amr ləwaʔ	لواء امر
	Chief of troop	ئامر فوج	amr fəʔʒ	فوج امر
Religion	Jurisprudence	فقهه	fəhəh	فقهه
	Religious law	شريعة	shriʔəh	شريعة Sharia
	Legislation	شروع	ʃruʔ	شروع
	Ameen	ئاميين	a:ˈmin	Ameen. أمين
	Sheikh	شيخ	ʃaiχ	Sheikh. شيخ
	Mosque	مژگهوت	dʒameʔ məsjed	جامع او مسجد
	Fidel	كافر	kafir	كافر
Politics	Dictator	ديكتاتور	diktator	ديكتاتور
	Minister	وزير	wazir	وزير
	Politician	سياسي	siajsi	سياسي
	Massacre	ئانفال/قتر کردن	anfāl	انفال
Others	Bad guy	سهرمهري	səhsəri	سهرمهري
	Shoes	قوندره	gundərəh	قوندره
	Column	عامود	ʔəmod	عمود
	Bag or purse	جاننا	dʒəntʔəh	جنتة
	Shirt	قمميس	qamis	قميص
	Pants	پانتول	bəntʔəlon	بنطلون
	Tie	ريبات	rebat	رباط
	Notebook	دفتەر	daftər	دفتر
	Book	کتب	kutub	کتب
	Chair	کورسی	kursi	كرسي
	Counter	كهرهتەر	kawintər	كاوتنر
	Passport	پاسپورت، جه واز سه فر	dʒawaz səfər	جواز سفر

- إطلالة على ملامح الأدب الكردي / علاء الدين جنكو / <http://www.tirej.net/index.1168.eladin.htm>

- موجز دائرة المعارف الإسلامية / مركز الشارقة للإبداع الفكري / مطابع البيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة 1997

- أحمد تاج الدين: الأكراد / تاريخ شعب وقضية وطن (الدار الثقافية للنشر/ القاهرة/ ط1 / 2001).

- تاريخ الأكراد / توماس بوا / ترجمة محمد تيسير ميرخان / طبعته دار الفكر / دمشق 2001 م.

- علي سيدو الكوراني: القاموس الكردي الحديث / كردي - عربي (شركة الشرق الأوسط للطباعة / عمان الأردن 1985).

- د. دبله ح. شيركوه: القضية الكردية / ماضي الكرد وحاضرهم / (دار الكاتب، بيروت / ط1 / 1986) الحلقة (10) ضمن سلسلة المكتبة التقدمية الكردية / ص 27.



عبد الله كوران

شاعر عراقي أصيل



يعتبر عبد الله كوران من أوائل مجدي الشعر الكردي العراقي ، بالإضافة الى أنه مناضل وطني يساري كافح بشعره سنوات الفترة الملكية من أجل حق العراقيين في الديمقراطية والعدالة. وقد عبر دائماً في شعره عن اعتزازه بأخيه العراقي الناطق بالعربية.

اسمه عبد الله سليمان ولد في (حلبجة) عام 1904 ، درس في مدرسة العلم بكركوك عام 1921 م إلا أنه تركها بعد مقتل أخيه الأكبر ، وعاد إلى مدينته للاعتناء بوالدته فأمتهن التعليم بين 1925-1937 في مدارس ابتدائية في حلبجة

وهورامان ، وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل لدى إذاعة الحلفاء والتي كانت تبث من (يافا) بفلسطين برامج باللغة الكردية تتصدى للدعاية الفاشية.

كان لوثة كانون 1948 ، وانطلاقة موجة التجديد في الشعر العربي على يد بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وبلند الحيدري ، دورهم في رسم ملامح شعر كوران ، الذي صار - بجانب الايقاع الجديد - يؤثر مواضيع غير تقليدية مثل المرأة والوطن والحرية. كما راح يثمر إجادته خمس لغات في إطلاق إبداعه ، وفي تثوير اللغة الكردية وآدابها. ونشط كوران سياسياً وألقي القبض عليه عام 1951 لأول مرة مع عدة معارضين وظل سجيناً حتى 1952. عمل محرراً لصحيفة زين (الحياة) بين 1952 - 1954 ثم أعيد اعتقاله في خريف 1954 وحكم عليه بالسجن لمدة سنة إضافية قضاها في (بدره) في أواخر 1956 أطلق سراحه ليعتقل مرة أخرى بعد شهرين. استمر سجنه هذه المرة حتى آب 1958 أي بعد مرور شهر على تحول العراق إلى الحكم الجمهوري ، أصبح أقرب إلى صورة البطل في أعين العراقيين والسلطة فأرسل في وفود إلى الإتحاد السوفيتي السابق والصين وكوريا الشمالية. وفي بداية 1959 تولى مهمة تحرير جريدة (الشفق) والتي تغير اسمها بعد ذلك إلى (البيان) وفي خريف 1960 أصبح كوران مدرساً للأدب واللغة الكردية في جامعة بغداد. وفي عام 1962 أصيب بالسرطان وأجريت له عملية جراحية متأخرة جداً ، سافر إلى موسكو في نيسان من نفس العام لتلقي العلاج في مستشفى الكرملين وبعد ذلك في مصحة (بريجيج) ثم أعيد إلى العراق بعد ثلاثة أشهر حيث توفي في شهر تشرين أول من نفس العام. يلاحظ أن المثقفين الاكراد من ذوي الميول القومية العنصرية حينما يذكرون عبد الله كوران يجعلونه مثلهم قومي متعصب ويتجنبون تماماً ذكر كل مواقفه وقصائده الوطنية والتي يذكر فيها أخيه العربي بمحبة وتضامن!

هذه مقاطع مختارة من قصائده :

أهٍ أخي العربي

كم من عباءةٍ

كم من لبادٍ

مزقتنا

آن كنا نعمل بالسخرة للظالمين

أهٍ كم مسحنا العرق من جباهنا

ونحن مثقلون بالأحمال

أخي العربي

ياذا العينين السوداوين

مزراً كان نصيبك

مزراً كان نصيبي

قد جرعنا المرارة من كأس واحدة

فأضحت أخوتنا عسلاً شهياً

يا ذكريات عمري الغابر حنائيك
لا تغرقني حبي البانس في بحر البعاد

* * *

آلاف من جميلات العيون ضامرات الخصور
قد ضمنهن الثرى المظلم
ما كان أجمل خد من خدودهن المتوردة
وسواد عيونهن
ولكن جمالاً واحداً لن تستطيع ريح الخريف
أن تسقط أوراقه أو تطفئ خضرتة الأبدية
ذلك هو الجمال النابع من الروح ومن منبع القلب
والمتدفق المنهمر أبداً

* * *

أواه يا بلبل حديقة السراي
رغم إننا في فصل الخريف
فأنا أسقي لك دورك بدماني فأنشد لرتانك
وقل لعروستي التي عاشت مع ليلة واحدة إن جاءتني
لا تقولي لي قد مات من أجل الوطن ولم يحي من أجل حبي ..
واجباً كان علي أن أفدي روعي لوطني

* * *

أخي العربي
لمع سيف
وغرق بريقه في دماء
سالت في عنق أبي
على تراب التاريخ
وفجعنا كلانا بأبويننا
الهموم تعصر أعيننا قطرة قطرة
فتعانقنا وبكينا معاً
فجعل البكاء منا أخوين

الكاكائية، مذهب علوي عراقي



الكاكائية، هي فئة عراقية تتميز دينياً وأقوامياً. من الناحية الدينية يعتبرون طائفة اسلامية عرفانية متصوفة مغالية بتشيعها وتقديسها للأمام علي (ع). تعود في جذرها الى المتصوف الشيعي العراقي (قطب العارفين عمرو بن لهب الكوفي) الملقب بـ (بهلول) (توفي في 219 هـ القرن التاسع م). ثم تأسست الطائفة فعلياً في (القرن السابع هـ - الثالث عشر م) على يد (فخر العاشقين سلطان اسحاق البرزنجي) المولود في السلمانية سنة 671 هـ / 1182 م، وقد درس في بغداد ودمشق. أما تسمية (كاكائية) فيعتقد إنها كردية مأخوذة من (كاكا) بمعنى الأخ، والنسبة إليها (كاكائي) ويقال إنها كانت تعرف بـ (الفتوة).

أما من الناحية الاقوامية، فالكاكائية كورانية هورامية، يتميزون عن باقي الاكراد بلغتهم (الهورامية الكورانية) الخاصة ونزعتهم الحديثة بأعتبارهم قومية هورامانية خارج نطاق القومية الكردية (طالع البيان المرفق في آخر هذا الموضوع). وقبل تأثيرات الأحزاب القومية الكردية في أواسط القرن الماضي، كانوا يرفضون أن يقولوا أنهم (كرد) بل (كاكائية)، بسبب العنصرية التي عانوا منها لخصوصية عقيدتهم. وهم يعيشون في السهل الجنوبي من مدينة كركوك (داقوق)، وفي طوزخورماتو وكفري وخانقين ومندلي ومناطق شرق الموصل بجانب الشبك. وهم مختلطون كثيراً مع التركمان والعرب، وثقافتهم ومزاجهم أقرب الى عرب العراق ومدن الموصل وكركوك وبغداد.

عقيدتهم

إن عقيدة الكاكائية مثل كل العقائد المغالية بتقديس الامام علي، مثل أهل الحق (العلي الهية) والعلوية في سوريا (النصيرية) وكذلك علوية تركيا (القرلباشية)، كلها تتشابه الى حد شبه مطابق مع العقيدة المسيحية القائمة على الفكرة التالية : ان الله يتمثل الى الناس عن طريق تلبسه هيئة انسان، لدى المسيحية كان (النبي عيسى)، وعند الغلاة كان (الامام علي). وهم يؤمنون كذلك بعقيدة تناسخ الارواح. وهم متشابهون عقائدياً مع طائفة (أهل الحق - العلي الهية) والصارلية، واليارسانية. ويتكونون من هرم ديني - اجتماعي، ينقسم الى طبقة (السادة) المنحدرين من إمامهم الاول (الشيخ عيسى ابن السلطان اسحق) // طبقة (الدليل - البير)، وأعضائها يسمون بـ (مام أو بابا أو مرشد) // طبقة (الاخوان) أي الكاكا وهم أبناء الشعب... وهم يؤمنون بتناسخ الأرواح وأنتقالها من بدن الى آخر ويرون أن الملائكة تتقمص صورة البشر. ويصلون مرتين في اليوم قبل بزوغ الشمس وأثناء غروبها ويصومون يوماً واحداً ويسمون يوم (الأستقبال) وبعده يصومون ثلاثة أيام ويدعونها (أيام الصوم) ويوم آخر يسمونه يوم (العيد) ومن كتبهم الدينية (سراجم) و(يارسان). وهم لا يراعون العبادات والتكاليف ويعرفون (بالنيازية) أي أصحاب النذور، كما يدعون غيرهم (بالتمازية) أي أهل الصلوات.

لغتهم وثقافتهم

لغة (الكاكائية) محسوبة على (الهورامانية) ولكن لها خصوصية وهي تسمى (لغة ماچو). ومن أهم كتبهم : (كتاب خطبة البيان)، ويتضمن (خطب ونصوص للامام علي). يعدونه من أعظم كتبهم وأقدسه، ولا يرغبوا أن يطلعوا أحداً عليها، أو أن يقرأه غيرهم، لما فيه من مبالغات تنسب إلى الإمام علي / كتاب (جاودان عرفي) ويعد من كتبهم المهمة، وهو منتشر باللغتين التركية والفارسية. / كتاب (كلام الخزانة أو سراجم) المدون في القرنين السابع والثامن الهجري ويتكون من ستة أجزاء. ويعتبر في رأيهم وحياً منزلاً، ويرون فيه تعاليم كاملة، ونهجاً قويمًا، ومرشداً لهم في الحياة، يستندون إليه في حل كل مسائلهم الدينية والدنيوية. وهذا الكتاب لم يُطبع قط في أي مكان. ومن كتبهم أيضاً (جاودان عرفي) وهو كتاب الطريقة الحروفية الصوفية، وكتاب (حياة) و (التوحيد) لـ سلمان أفندي الكاتب، تُضاف إلى هذه الكتب دواوين شعرية، تُتلى كأدعية وابتهالات.

نص كاكائي

هذا مقطع من نص للشيخ (ابراهيم ابن محمد كوره سوار) وهو من الشيوخ الاوائل :
أبراهيم نسر: بقاي دور دين ياريم كفت نسر / ابراهيم بيانم فرزند آزر / بتم شكست دا بيم وه بيغمبر / كاكام يادكار
اسماعيل بياني / سرش وه راي حق وه قورباني
المعنى باللغة العربية :

أنا تجسد ابراهيم من البدء (يقصد النبي ابراهيم الخليل) / وقد حطمت الأصنام وأصبحت نبيا / وكاكا يادكار كان
تجسدا لاسماعيل (النبي اسماعيل ابن ابراهيم) / الذي قدم قربانا للحق.
(كاكا يانكلر) هو السيد احمد الملقب بـ (باوه يانكلر) من كبار الكاكائية وأهل الحق ومن المعصرين
للسلطان وهو من أحد الحلقات الدينية المقدسة (هفتن) ومسؤول الشؤون العرفانية....

اللغة الهورامانية

ينطق باللغة الهورامانية (أو الهورامية) حوالي 500 ألف هورماني في عموم شمال العراق، شرق السليمانية وفي كركوك وقرب الموصل. تعتبر (الهورامانية) من أولى اللغات الادبية الكردية، حيث دون فيها الكتاب الاكراد الاوائل في العراق وايران، منذ أواخر القرن التاسع عشر، والكثير منهم كانوا من أبناء الطائفة الكاكائية، ومنهم (وشاخوشين) (لورستاني)، (بلول مائي)، و(باوا رجب)، و(باوا قيصرهوراماني)، (قازي نبي سه ركه تي)، الذين كانوا يعتنقون المذهب الكاكائي، وشعراء بارزين آخرون مثل (صيدي هوراماني)، و(بيساراني مولوي)، و(ميرزا عبد القادر باووي)، و(ميرزا شفيع). وتنتشر (الهورامانية أو الكورانية)، في مناطق (هورامان) الجبلية وهي مدن باوا مريوان في ايران، وحبلة في العراق.

وتنشط الآن الكثير من النخب الهورمانية من أجل إعادة الاعتبار الى لغتهم وثقافتهم التي تم اهمالها والتضحية بها في العقود الاخيرة لصالح اللغة السورانية الكردية. من أهم المؤسسات الثقافية الهورمانية المتميزة (مركز هورامان الثقافي - تأسس في سنة 2001) والذي يطالب بالاعتراف بـ (اللغة الهورمانية) في دستور الاقليم الكردي. ويقوم بأصدار مجلة فصلية بأسم (هورمان) بالاضافة الى صفحات للشعر باللهجة الهورمانية التي تستخدم فيها الحروف اللاتينية. وتعنى المجلة بكافة نواحي الثقافة والتاريخ في هورامان. وأصدرت أيضاً كتاباً بأسم (هورامان) في مجلدين 820 صفحة من القطع الكبير، حول تاريخ (القومية الهورامانية) والعمل على تشخيص أمهات الكتب التي كتبت بـ (اللغة الهورامانية). ويقوم المركز بمهمة البحث عن الوثائق والنصوص الدينية القديمة لمنطقة هورامان، وقد تم إعادة الاعتبار لكتاب قديم مهمل حول تاريخ هورامان ويتكون من 7 أجزاء.

المصادر

- الكاكائية في التاريخ / عباس العزاوي / بغداد
- الأديان والمذاهب بالعراق / رشيد الخيون
- دائرة المعارف الإسلامية
- مفصل جغرافية العراق / طه الهاشمي / بغداد
- تحقيق صحفي حول الثقافة الهورمانية / أمانج خلي / السليمانية / موقع أصوات العراق
- مقالات متنوعة منشورة في الصحف وفي الانترنت

* * *

ملحق

الحزب الهورامي القومي بكرديستان العراق يرفع شعار

((الهورمان قومية مختلفة عن الكرد))



الحزب القومي الهورامي الحر يستعد لعقد مؤتمره التأسيسي بإقليم كردستان العراق، ويعتبره مؤسسوه نوعاً من التعبير عن خصوصية منطقتهم وتأكيداً لهويتهم المتميزة قومياً ولغوياً وتاريخياً عن الكرد في الإقليم، في وقت اعتبر البعض من السياسيين والمثقفين الكرد الإعلان عن تأسيس الحزب بمثابة تمهيد للانسلاخ عن الحاضنة الكردية، وقيام أحزاب على أسس مناطقية لا تخدم وحدة الهدف لدى أكراد العراق ولا سيما أن الهورامانيين غير محرومين من التمثيل السياسي داخل حكومة الإقليم وبرلمانه.

النقشبندي: الهورمان شعب له ثقافته ودينه ولغته المختلفة

وكان الشيخ عبد الرحمن النقشبندي وهو الشخصية الأولى في الحزب الهورامي القومي الحر قد أعلن في أيلول من العام الماضي ضرورة تشكيل حزب للهوراميين، وسط حشد جماهيري لأهالي المنطقة بمناسبة يوم هورامان. ويقول الشيخ النقشبندي إن اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي لحزبه ((بدأت بتحضير وثائق النظام الداخلي وبرنامج الحزب ل طرحها على المؤتمر الذي سيعقد قريباً، وهناك المئات من الهورامانيين من داخل الإقليم وخارجه قد انضموا إلى الحزب، والعديد من الهورمان باركوا تأسيسه وأبدوا استعدادهم للعمل الطوعي من أجل تحقيق أهدافه)). ويوضح النقشبندي، وهو أحد البشمركة القدامى في الاتحاد الوطني الكردستاني، أن ((الهدف الرئيس لتأسيس الحزب هو التعريف بمنطقة هورمان وتاريخها ولغتها))، مشدداً على أن ((الهورامانية ليست لهجة كردية بل لغة شعب له ثقافته ودينه ولغته المختلفة)).

ويعيش أهالي هورامان في مثلث تشكل مدن باوا مريوان الإيرانية و حلبجة في إقليم كردستان العراق ، رأس ذلك المثلث ، إذ يبلغ عدد القرى والمدن والقصبات في هذا المثلث حوالي 316 مدينة وقرية وقصبة. ويتوزع الهورامانيون في إقليم كردستان العراق في قصبة طويلة وناحية بيارة وخورمال والقرى التابعة لقضاء حلبجة 81 كم شمال جنوب السليمانية ، وتشتهر هورامان بزراعة الجوز والتوت والفواكه والصناعات اليدوية.

ردود الحزب على المعترضين

ورداً على هذه الآراء يقول النقشبندي إن ((الحزب الجديد لقي ترحيباً حاراً من الجيل الجديد ، لذا فإننا سنطلب قبل عقد المؤتمر منحنا الإجازة الرسمية من حكومة الإقليم ، وإذا لم يحصل الحزب على موافقة الإقليم ، فإنه سيضطر للجوء إلى الحكومة العراقية)). ويؤكد الشيخ النقشبندي أن ((الحزب سيستمر في كل الأحوال في نضاله القومي)) ، مشيراً إلى أن ((هناك مناقشات لتحويل التنظيم إلى المعارضة الايجابية لحكومة الإقليم)). من جانبها تقول رئيسة لجنة المرأة في الحزب الهورامي القومي الحر (زالة كريم سعيد) في حديث لـ (نيوزماتيك) ، إن ((المئات من نسوة منطقة هورامان في القسم الإيراني والعراقي انضممن إلى الحزب الجديد ، على اعتبار أن برنامج الحزب يدعو إلى المساواة بين الجنسين وتسهم المرأة مواقع قيادية في الحياة السياسية)) ، مؤكدة أن ((400 امرأة من مناطق كردستان العراق انتسبن للحزب الهورامي خلال أقل من سنة)). يذكر أن هذه هي المرة الأولى التي يتشكل فيها حزب سياسي على أساس مناطقي باقليم كردستان العراق ، ويرفع شعاراً قومياً لمجموعة سكانية تعتبرها الأحزاب الرئيسية في الإقليم من المكونات القومية للكرد.

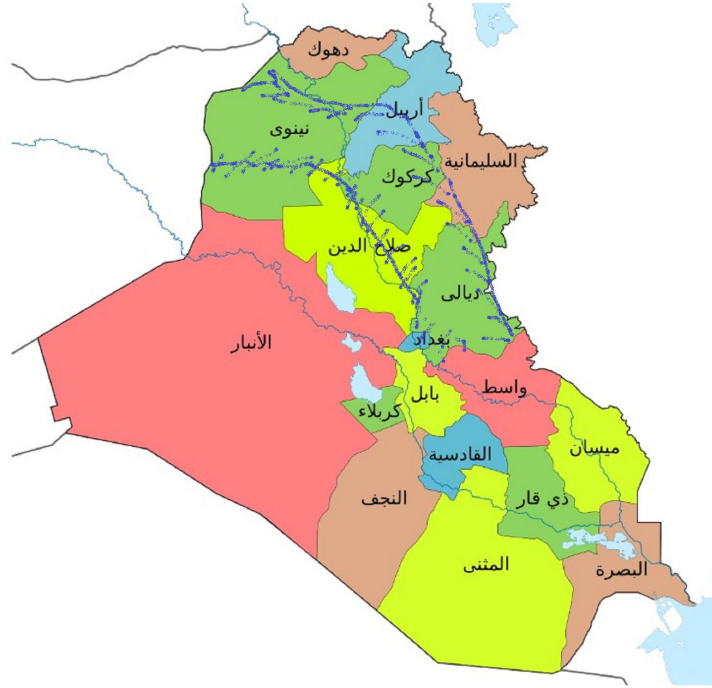
بتصرف عن تحقيق نيوزماتيك 21 / 7 / 2008 (رحمن غريب)

ملف اللغة التركمانية



- ◆ تر كمان العراق تار يخأولغة
- ◆ من ترك التتر كمان ا لحضاري في العراق
- ◆ معلومت لغوية وأدبية عن التتر كمانية
- ◆ ملحق حوار/اشكالية العلاقة بين التتر كمانية والتتر كية:
 - مجلة (يورد- الوطن) في حوار جماعي
 - بين التتر كمانية والتتر كية
 - التتر كمانية والتتر كية

تركمان العراق تاريخاً ولغة



بالأزرق ، مناطق انتشار التركمان : بغداد، ديالى،
صلاح الدين، كركوك مركزهم، واربيل ونيوى

وتتراوح التقديرات غير الرسمية بأن نسبة التركمان
بما فيهم المستعربين، تبلغ حوالي 7% من سكان العراق

اللغة التركمانية، هي لغة تركمان العراق. وهم من الجماعات التي تعود بأصولها القديمة الى آسيا الوسطى الناطقة بالتركستانية* والتي تتكون من الجمهوريات السوفياتية السابقة مثل (أوزبكستان وقرغيزستان وكازخستان وطاجكستان وتركمانستان). وقد ارتبطت منطقة آسيا الوسطى بعلاقات تاريخية قديمة مع منطقة المشرق وبالذات مع العراق.

تركمان العراق

* يتوجب التنويه الى اننا نستخدم تسمية (تركستان) للحديث عن جميع الشعوب الناطقة بهذه اللغات (التركستانية). تمييزاً عن تسمية (أتراك وتركي) التي تعني حصراً (دولة تركيا الحديثة). ويبدو ان هذا التمييز بين المفردتين موجود حتى في اللغة التركية نفسها، حيث يقال (Turcica) بمعنى (تركستاني) و(Turkish) بمعنى (تركي).



محافظة كركوك بغالبية تركمانية تاريخيا

يبدو ان العراقيين منذ القدم اتجهوا بهجراتهم التجارية والتبشيرية نحو الشرق الآسيوي إبتداءً من ايران ثم آسيا الوسطى حتى الهند والصين. والذي عمق هذا التقارب بين العراقيين والتركتانيين ، ان الاثنين قد خضعا خلال قرون للامبراطورية الايرانية الساسانية قبل الاسلام ، وان الكثير من أفراد الجيش الساساني المقيمين في العراق كانوا من أصول تركستانية. ثم أن المبشرين المسيحيين النساطرة والمناوية العراقيين قد ركّزوا نشاطاتهم التبشيرية في مناطق تركستان حتى انتشرت بين تلك القبائل الديانتين (النسطورية والمناوية) بلغتهما السريانية العراقية. وتعتبر الابجدية السريانية أول أبجدية تركستانية (الاوغورية).

ان الحضور التركماني الحقيقي الذي دونه التاريخ يعود الى أوائل الفتح العربي الاسلامي. ان معظم أفراد الجيش الاسلامي بقيادة (عبيد الله بن زياد) عام (54هـ) الذي فتح تركستان كانوا من المحاربين العراقيين ، الذين استقروا هناك وتزاوجوا مع التركستانيين. ولم يكتف العراقيون بالاستقرار والتزاوج مع الترك بل انهم بعثوا بالمقاتلين الترك ليستقروا بدورهم في العراق. يقول الطبري في صفحة 221 الجزء الرابع من كتابه الشهير (تاريخ الأمم والملوك) : ((إن عبيدالله بن زياد قام في شهر ربيع الأول سنة 54 هـ (673 م) بهجمات عبر (جيحون) على (بخارى) ثم على (بيكند) فقاومه الجيش التركي تحت إمرة الملكة (قبيج خاتون) مقاومة شديدة جداً ، جلبت انتباهه وإعجابه لما لمسه فيهم من شجاعة فائقة وحسن استعمال الأسلحة ، فأختار منهم ألفي مقاتل يحسنون الرماية بالنشاب فبعثهم الى العراق وأسكنهم البصرة)). وطبعاً فإن هؤلاء من التركمان قد انصهروا مع العراقيين واستعربوا مثل الآلاف المؤلفة من المهاجرين من مختلف البلدان.

وخلال أقل من قرن تنامي هذا الوجود التركماني في العراق بحيث أنهم أصبحوا جزءاً من الجيش الأموي المقيم ، كما يذكر الطبري في الجزء التاسع من كتابه المذكور ، الصفحة 144 : ((انه عندما استسلم يزيد بن هبيرة بمدينة (واسط) إلى

أبي جعفر المنصور سنة 132 هـ بعد حصار دام عدة أشهر، كان معه ألفان وثلاثمائة رجل من الأتراك البخاريين (نسبة إلى بخارى) كما يؤيد هذه الواقعة العديد من المؤرخين ومنهم الهمداني والبلاذري.

بلغ الحضور التركماني ذروته في العصر العباسي حيث بدأ الضعف ينتشر بين القبائل العربية المهيمنة وفقدانها لروحها البدوية المحاربة بعد استقرارها في العراق وتمتعها بحياة الخصب والرفاهية. وقد وجد القادة العباسيون في الترك البديل المطلوب لاحتفاظهم بروحهم الرعوية المحاربة، وخصوصاً في مواجهة خطر الجماعات الرعوية الاوربية القادمة بأسم الحروب الصليبية. وقام الخليفة العباسي (المعتصم) بأستقدام أكثر من (50) ألف محارب تركستاني من أخواله وبنى لهم مدينة (سامراء). وقد أشاد المفكر العراقي (الجاحظ) بروح الترك الفروسية وسجل مناقبهم. وقد برز الكثير من أعلام الحضارة العباسية من أصول تركستانية، مثل (الفارابي والبخاري والخوارزمي والبيروني والسرخسي) والعديد العديد غيرهم، من الذين للأسف احتسبهم المؤرخون القوميون ظلماً على (اليرانيين!).

أما تسمية التركمان فأطلقت بعد اعتناق الإسلام، وقبل ذلك أطلق عليهم تسمية الأوغوز أو الغز أو الخوارزمية. واستمر الحضور التركماني مع بروز دور السلاجقة الذي أنقذ قائدهم طغرل بك سنة 1055 هجرية الخليفة العباسي القائم بأمر الله من الوقوع في أسر البويهيين. وقد تأسست خلال هذه الفترة والفترات اللاحقة عدة إمارات ودول تركمانية منها:

- 1- إمارة الأتابكة في الموصل (1127_1233 م) أنشأها الأمير عماد الدين الزنكي، وضمت الموصل و سنجار، وجزيرة ابن عمر ونصيبين وحلب وماردين.
- 2- إمارة الأتابكة في أربيل (1144_1233 م) أنشأها الأمير السلجوقي زين الدين علي كوجك عام 1144 م وضمت حكاري و سنجار و تكريت و العمادية و سنجار و حران.
- 3- الإمارة الإيوائية التركمانية في كركوك وكانت تضم السليمانية و سهل شهرزور و من ملوكها قبقاق ارسلان طاش .
- 4- الدولة الجلانثرية (1339_1410 م)
- 5- الدولة السلجوقية (1055_1157 م)
- 6- دولة (قره قويونلو) الخروف الأسود (1411_1468 م)
- 7- دولة (أق قويونلو) الخروف الأبيض (1468_1508 م).

أما اثناء الحقبة العثمانية فانها لم تشهد نزوح أية مجاميع تركية للعراق، بل ان الحضور التركي كان على شكل أفراد وعوائل معظمها من أصول جورجية وبلقانية تسيطر على ادارة الولايات العراقية. رغم محاولة تقرب التركمان العراقيين من الدولة العثمانية، فأنهم أبداً لم يعتبروا يوماً كعناصر تركية عثمانية بل ظلوا يعاملون كعراقيين (غرباء) عن الطبقة الحاكمة. والذي زاد من الشقة بين تركمان العراق والطبقة العثمانية ان الكثير من التركمان تبعوا المذهب الشيعي السائد في العراق والمختلف عن المذهب السني السائد في الدولة العثمانية.

لغتهم

التركمانية هي لغة (أو لهجة) مستقلة قائمة بحد ذاتها من حيث البنى اللغوية والادبية، وهي أقرب الى اللغة الاذربيجانية منه الى اللغة التركية الحديثة. وهي تنتمي الى مجموعة اللغات (التركية، الالطية) التي هي عائلة لغوية مكونة

من أكثر من 20 لغة يتحدثها حوالي 135 مليون نسمة من دول البلقان إلى وسط سيبيريا. اللغات التركستانية مقسمة إلى أربع مجموعات :

- المجموعة الجنوبية الشرقية أو الأويغورية : وهي اللغة الأويغورية المستخدمة بشكل رئيسي في شينجيانغ بالصين ؛ واللغة الأوزبكية المستخدمة بشكل رئيسي في أوزبكستان ، وبعض جمهوريات آسيا الوسطى ، وشمال أفغانستان.
- المجموعة الجنوبية الغربية أو الغزية : تتضمن لغة تركمان العراق ، واللغة التركية (في تركيا) ؛ اللغة الأذرية (أذربيجان) المستخدمة في أذربيجان وشمال غرب إيران ؛ اللغة التتية القرمية المستخدمة في أوكرانيا وأوزبكستان ؛ اللغة التركمانية المستخدمة في توركمانيستان وشمال إيران ، وشمال أفغانستان.
- المجموعة الشمالية الغربية أو الكباشكية تتضمن اللغة الكازاخية المستخدمة في كازاخستان ، وبعض جمهوريات آسيا الوسطى ، وغرب الصين ، ومنغوليا ؛ اللغة القرغيزية المستخدمة في قرغيزستان ، وبعض جمهوريات آسيا الوسطى ، وغرب الصين ؛ اللغة التتية ؛ اللغة الباشكيرية المستخدمة في باشكورتوستان ولغة قرشاي بلقار اللغة القومية المناطق القفقاسية التابعة لروسيا ؛ ولغة كارايم التي يتحدثها البعض في ليتوانيا وأجزاء من جنوب غرب أوكرانيا.
- المجموعة الشمالية الشرقية أو الألطية تشمل اللغات واللهجات المستخدمة في سيبيريا شمال شرق نهر إرتيش وفي الأجزاء المجاورة من منغوليا التي تتضمن ذلك الألطية ، والختقاسية ، والشورية ، والتوفانية ؛ ولغة ساخا المستخدمة في جمهورية ساخا (ياقوتيا) الروسية والمناطق المجاورة. تعد اللغة التشفوفاشية مميزة من بين كل اللغات الأخرى ، وتستخدم في جمهورية تشوفاشيا الروسية والمناطق المجاورة.

تطورت الكتابة التركستانية الأولى عبر التاريخ من الصور والنقوش التعبيرية في عصور قبل الميلاد إلى الكتابة الصغدية بين بخارى وسمرقند في القرن الأول ق.م فالأورخونية (أبجدية كورك تورك) في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي ، فالأويغورية في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي ، فالنسبورية (السريانية) عن طريق المبشرين المسيحيين العراقيين في القرن التاسع الميلادي ، ثم العربية بعد القرن العاشر الميلادي. قبل الإسلام تواجدت لهجتان شائعتان في اللغة التركستانية : كورك تورك والأويغور ، وبعد الإسلام تعددت اللهجات وأصبحت لغات.

تعود جذور اللغات التركستانية الرسمية السائدة حالياً ، إلى القرن الثالث عشر ميلادي إلى الشاعر علي (1235 م). وراحت تستقل منذ ذلك الحين شيئاً فشيئاً وتكتسب ملامحها وخصوصيتها ويتكلم بها تركمان العراق وسوريا وإيران والأردن وتركيا وتركمانيستان وأفغانستان وأوزبكستان.

ان أقدم مصدر تاريخي سجل لنا كلام تركمان العراق وعموم التركستان ، هو ديوان (لغات الترك) للاديب (محمود الكاشغري) الذي عاش في بغداد والذي ألفه سنة 466 هجرية / 1074 ميلادية وقدمه إلى (الخليفة المقتدي بأمرالله) ، ليكون مصدراً لتعلم التركية والتفاهم بها ، بناءً على الحاجة إليها لكثرة الأتراك في العراق وعموم الامبراطورية العباسية. وقد اعتمد فيه على الكلام التركي الدارج والسائد في تلك الفترة. وسجل فيه بحثاً مهماً عن اللغات التركستانية يعتبر متقدماً بالنسبة لعصره..

يتكلم تركمان العراق التركمانية التي تحتل موقعاً وسطياً بين العثمانية والأذرية والتي استخدمها الشاعر (نسيمي البغدادي) في القرن الرابع عشر الميلادي. وتختلف التركمانية العراقية في لهجاتها، حيث تعتبر لهجة كركوك أنقى اللهجات فأصبحت لغة الأدب والثقافة التركمانية.



التركمانية والتركية

ربما يمكن المقارنة بين والتركية، مثل اللهجة العربية الفصحى. رغم ان والتركية متقاربتين جداً، إلا الجغرافية والتاريخية بين أتراك العراق، عمقت هذه الفروق النواحي: عدد الاحرف الالفعال والمفردات والالفاظ. كبيراً عندما تخلى الاتراك عن

التركمانية العراقية واللغة التركمانية أن الفروق وتركمان من كل وتصريف ثم أضيف فرقاً الكتابة العربية

وتبنيهم الكتابة اللاتينية عام 1928. حيث استمر تركمان العراق وايغور الصين يستخدمون الابجدية العربية بينما أثر تركمان اذربيجان استخدام السريلية منذ أعوام (1937_1938). لكن بعد انتفاضة آذار عام 1991 توسع التعليم بالأحرف اللاتينية في المدارس التركمانية في أربيل خصوصاً، وتعمق الاتجاه الداعي الى تبني اللغة التركية مع أبجديتها اللاتينية، واعتبارها هي اللغة الفصحى بدلا من التركمانية. لكن هذه الاشكالية الكبيرة لم تحسم ولا زال الجدل فيها محتدماً بين الداعين والرافضين، كما سنبين ذلك في آخر هذا الفصل.

المصادر

- لمزيد من التفاصيل عن تاريخ التركمان / راجع الفصل الثالث من كتابنا (جدل الهويات).

- تاريخ الاتراك والتركان / اسامة تركماني / دار الارشاد / دمشق 2007.

- اواميد جرجيس علي / نظرة الى التركمان في العراق / بارش / العدد الثاني / 2000 / ص 25.

- التركمان في العراق / ابراهيم الداوقوي / الدار العربية / بيروت 2006.

. Bacon, Elizabeth E. Central Asians Under Russian Rule: A Study in Culture Change. Cornell University Press (1980).

. Histoire de la Turquie, de l'Altai à l'Europe, Ibrahim Tabet, éditions L'Archipel.

من تراث التركمان الحضاري في العراق



حكم التركمان في العراق حقبة من الزمن ، والمعروف لدينا انهم أسسوا أشهر وأكبر ست دول بمرتبة الامبراطورية في العراق. وهي الدولة السلجوقية والایلخانية والقره قويونلويه والاق قويونلويه والجلائرية والصفويين .

وقد شهدت البلاد في تلك الحقبة من الزمن ، الكثير من الأحداث السياسية والاجتماعية ، كما ترك التركمان آثاراً علمية ومعمارية وفنية ، تعتبر خير تراث لهم في العراق .

الآثار العلمية

نشطت الحركة الفكرية ، وراجت الثقافة التركمانية في العصر السلجوقي ، حيث ضجّ بلاط السلاجقة وغيرهم من حكام الدول بالعلماء والأدباء وظهرت الكثير من الطرق إلى إيجاد نهضة علمية وفكرية جعلت المسلمين في عهد التركمان يأخذون بحظ وافر من العلوم المختلفة في علم التفسير وعلم القراءات وعلم الحديث والفقه وعلم الكلام والنحو واللغة والبيان والآداب ، والعلوم العقلية وتشمل الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والطب والكيمياء والرياضيات والتاريخ والجغرافية .

لقد اهتم حكام التركمان بتشييد المدارس وأدت تلك المدارس رسالتها العلمية والأدبية على ما يرام. وأثرت تأثيراً كبيراً في ازدهار العلوم والآداب ، وعملت على خلق حركة ثقافية واسعة في العراق. وكانت المدارس عادة تبنى إما بصورة مستقلة أو جزءاً ملحقاً بالجامع أو المسجد. أما تسمياتها فكانت تسمى بأسم بانيها أو بأسم أحد الأساتذة المشاهير الذين يدرسون فيها. ومخطط المدرسة ، عادة يكون بشكل مستطيل أو مربع ومن أبرز مكوناتها المعمارية هو مسجد المدرسة ذو الواجهة الثلاثية العقود ، والإيوان وبوابة المدخل الضخمة. ومن الصفات والتطورات النوعية في هذه العهود هو وجود مثذنة أو أكثر تحت بوابة المدخل التي ركن عليها المعمار كثيراً لأجل إبرازها بشكل ضخم ومتين ومتناسق في الوقت نفسه. وتتميز أيضاً بقاعاتها وغرفها المتنوعة الأحجام وكذلك وجود حجر(غرف) صغيره في طابقي المدرسة لنوم الطلاب المقيمين فيها. وكانت المدرسة عادة يخصص لها وقف يتكون من مختلف صنوف الأملاك ليدر على المدرسة مالا ليسد حاجات أساتذتها وطلابها من رواتب وطعام وكسوة وكتب .

وفي عهد التركمان ولأول مرة في العراق ظهر في الاسلام من المؤسسات العلمية بمعناها الصحيح والشمولي. فالتدريس في هذه المدارس اتخذ نظاماً بديعاً ، فأصبح لكل موضوع مدرّس مختص ، حيث هيأت لطلابها أسباب العيش ، وأصبحت مثلاً كما قام بعدها من دور العلم ومراكز الثقافة العالية. وخير مثال على ذلك :

- المدرسة النظامية :

أنشأها نظام الملك الوزير السلجوقي في بغداد. وفتحت للتدريس سنة 459 هـ / 1066 م للفقهاء الشافعية. وقد أنفق على بنائها مئتي الف دينار⁽¹⁾. وكتب عليها اسمه وبنى حولها أسواقاً تكون محبساً عليها ، وابتاع طباعاً وحمّامات ومخازن ودكاكين أوقفها عليها⁽²⁾. وتعتبر هذه المدرسة بداية التنظيم المدرسي والجامعي في الإسلام ، فالتنظيمات المنهجية والتدريسية التي انتظمت في هذه المدرسة كان لها أثراً حضارياً كبيراً في الحياة العقلية الإسلامية ، والتنظيم التدريسي في هذه المدرسة اتخذ نظاماً بديعاً وكما قلنا أعلاه فأصبح لكل موضوع مدرس خاص ، وقد هيأت لطلابها أسباب العيش ومساكن للطلاب .

درس في هذه المدرسة كبار العلماء والفقهاء ، فأبو اسحق الشيرازي درس في المدرسة حوالي أربع سنوات. ويعتبر الإمام الغزالي من أكبر المدرسين نشاطاً في تأليف الكتب. ومن مؤلفاته المشهورة كتب (إحياء علوم الدين ، وكيمياء

السعادة ، وتهافت الفلاسفة ، والاقتصاد في الاعتقاد). وأبو بكر الشاسي ومجد الدين أبو طاهر بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي المعيد بالمدرسة وصاحب قاموس المحيط والمتوفي سنة 817 هـ / 1414 م⁽³⁾. وغيرهم من أعلام المدرسين. وكانت الدراسة بالمدرسة النظامية تمتد قرابة أربع سنوات يدرس فيها الطالب الفقه وأصوله ، وبعض العلوم المساعدة. وقد أصبحت هذه المدرسة قبلة أنظار طلبة العلم من مختلف أصناف العالم الإسلامي. فورد إليها الطلبة ودرسوا فيها ونهلوا من معين علمائها. حيث وصل المسلمون في عهد السلاجقة الى درجة عظيمة من التقدم في كثير من العلوم كالطب والفلسفة والكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافية. فقد استفادوا من الترجمة والاقتباس من التراثين اليوناني والفارسي وهضموا ما فيهما ، ثم اخذوا يستنبطون منهما ويضيفون عليهما فظهرت مآثر التركمان المسلمين في كثير من العلوم. وأخذ علماء التركمان في العصر السلجوقي وبعدها بكتابة مؤلفاتهم باللغتين العربية والفارسية ، وسبب ذلك كون هاتين اللغتين آنذاك بمثابة اللغة العالمية مثلما اليوم الإنكليزية ، وكانوا يتباهون بأنهم يتقنون هذه اللغات وبارعين في كتابتها ولذلك كثرت المؤلفات بهاتين اللغتين في العلوم المختلفة مما جعل الدارسين يلمون بأطراف من مختلف العلوم والفنون في عصرهم ويحرصون على إظهار ذلك في كتاباتهم. وراجت هذه الظاهرة عند العلماء والكتاب والشعراء فأصبح دليلاً على مبلغ ما وصل إليه العلم من التقدم عند المسلمين عامة في العصر السلجوقي. وبعد سنة 817 هـ / 1414 م طمست أخبار استمرار الدراسة والتدريس في هذه المدرسة وانمحي ذلك المكان الذي يشع بأنوار العلم والمعرفة وكان ينبوعاً من ينابيع الثقافة الإسلامية .

- مدرسة أبي حنيفة :

ومن أوائل المدارس في عهد التركمان والتي احتلت مكانة بارزة في تاريخ الحركة العلمية في العراق مدرسة أبي حنيفة التي أنشأها أبو سعد ابن المستوفي بجوار مشهد أبي حنيفة وتم افتتاحها سنة 459 هـ / 1067 م في عهد السلطان ألب ارسلان السلجوقي لأصحاب المذهب الحنفي. وكانت الهيئة الإدارية والتدريسية تتكون من مدرس للفقه واللغة وهو الذي يدير أوقافها ومن دونه معيدون وإداريون مساعدون. ثم إمام يقيم الصلوات ، كما كانت لهذه المدرسة مكتبة خاصة لها يشرف عليها خازن. وبذلك فهي لا تختلف عن النظامية من حيث الإدارة والتنظيم. وأول من عين للتدريس فيها أبو طاهر بن ناصر بن إبراهيم وهو من كبار الفقهاء درس على الصبري وأبي عبدالله الدمقاني. وقد بقي أبو طاهر الياس مدرساً فيها الى أن توفي ، ممن عرفوا باتساع معارفهم الفقهية ومكانتهم البارزة منهم : اسماعيل بن عبدالرحمن اللمفاني ، وضياء الدين التركستاني وغيرهم⁽⁴⁾. وتعد هذه المدرسة أطول مدارس بغداد عمراً على الاطلاق. لأنها مازالت موجودة إلى يومنا هذا بالرغم من الظروف القاسية التي مرت بها بغداد. ولم تكن اقل شأناً من النظامية.

أبرز مدارس العراق التي أسست في عهد حكم التركمان في العراق

انتشرت في العراق مجموعة كبيرة من المدارس البارزة إضافة الى ما ذكرناه اعلاه وهي :

المدرسة التنشيه، بنيت بالقرب من السوق، ومن المرجح إنها مكان جامع الوزير الحالي ببغداد من قبل خمارتكين أحد عماليك الملك نتش.

وفي سنة 482 هـ / 1089 م بنيت المدرسة التاجية - من قبل تاج الملك أبو الغنائم وزير السلطان ملكشاه خاصة بالشافعية.

وتأسست المدرسة البهائية في سنة 563 هـ / 1168 م في الجانب الشرقي من بغداد في الموضع المقابل لقهوة الشط، خاصة بالشافعية.

المدرسة الموقية، تقع على دجلة، مكان مديرية الطابو العامة.

والمدرسة المغيشية - تقع بباب الازج (باب الشيخ الحالية).

وأنشئت المدرسة الثقيبية في سنة 540 هـ / 1145 م من قبل ثقه الدولة أبو الحسن علي بن الانباري المتوفي في سنة 549 هـ / 1154 م وهو زوج فخر النساء شهدة الكاتبة، وخاصة بالشافعية.

ومدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني - أنشأها بالاصل أبو سعد المخلمى للفقهاء الحنابلة، بباب الازج. وفوضت بعد وفاته الى الشيخ عبد القادر الكيلاني، وعمرت المدرسة ودفن الشيخ عبدالقادر في مدرسته سنة 561 هـ / 1165 م.

مدرسة ابن هبيرة، أنشأها الوزير يحيى بن محمد بن مظفر ابن هبيرة، للحنابلة بباب البصرة في الغرب من بغداد سنة 557 هـ / 1161 م. وقد دفن ابن هبيرة في المدرسة سنة 560 هـ / 1164 م.

وفتحت مدرسة حمزة بن علي للتدريس في سنة 535 هـ / 1140 م والتي انشأها حمزة بن علي بن طلحة، أبو الفتوح وكان صاحب المخزن بباب العامة الى جانب داره، وأول من درس فيها أبو الحسن بن الخلل.

ومدرسة ابن الجوزي - أنشأها أبو الفرج بن الجوزي، صاحب التصانيف العديدة ومن أشهرها المنتظم وصفوة الصفوة وتلبيس ابليس وغيرها من كتب التاريخ والفقہ والتراجم. وكانت هذه المدرسة تقوم بدرب دينار في الجانب الشرقي من بغداد.

وأنشأت السيدة بنفشه زوجة الخليفة المستضيء مدرسة بأسمها. وكانت هذه المدرسة داراً لنظام الدين بن نصر. وسلمت السيدة بنفشه هذه المدرسة الى أبي الفرج بن الجوزي سنة 570 هـ / 1174 م. وجعلتها خاصة للفقهاء الحنابلة.

وقام الشيخ العابد أبو النجيب السهروردي عبدالقادر بن عبدالله بإنشاء مدرسة أبي النجيب السهروردي في الجانب الشرقي من بغداد ومكانها اليوم أمام نادي الضباط. وقد دفن الشيخ السهروردي في مدرسته سنة 563 هـ / 1167 م.

ومدرسة فخر الدولة - أنشأها فخر الدولة سنة 568 هـ / 1173 م المظفر بن الحسن المتوفي سنة 578 هـ / 1182 م في الجانب الشرقي من بغداد.

ومدرسة ابن الابرادي - في الاصل كانت داراً لمحمد ابن احمد الابرادي في محلة البدوية ببغداد، أوقفها لتكون مدرسة للحنابلة .

ومن مدارس الموصل في العصر السلجوقي هي :-

المدرسة النظامية ، أنشأها نظام الملك الوزير السلجوقي في الموصل سنة 459 هـ / 1066 .
 ومدرسة الاتابكية ، أنشأها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكى بن أقي سنقر بعد سنة 541 هـ / 1146 م وهذه
 المدرسة جعلها المؤسس وقفاً للفقهاء الشافعية والحنفية. ودفن في مدرسته عند وفاته سنة 576 هـ / 1187 م.
 وأنشأ زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين المتوفي سنة 563 هـ / 1167 م المدرسة الكمالية في الموصل وتأسست
 سنة 535 هـ / 1140 م ، وهو والد الملك المعظم مظفر الدين ابن سعيد كوكبوري صاحب اربل.
 زين الدين ، ومكانها اليوم في الموصل مكان جامع الشط. وبنيت المدرسة الزينية في الموصل من قبل زين الدين ابو
 الحسن علي بن بكتكين المتوفي 563 هـ / 1163 م ، ومن أشهر مدرسي هذه المدرسة يونس بن منعه المتوفي سنة 576 هـ /
 1180 م. ولا يعرف مكان المدرسة بسبب ضياع الكثير من الآثار وأخبارها.
 وقام نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ببناء مدرسة الجامع النوري المعروف بالجامع النوري ، وقد حوت هذه
 المدرسة كتباً نفيسة كثيرة ولا يزال الجامع النوري قائماً حتى يومنا هذا في الموصل.
 والمدرسة الكمالية - وتعرف بالمدرسة الكمالية القضائية ، أنشأها أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبدالله بن ابي قاسم
 الشهرزوري المتوفي سنة 572 هـ / 1176 م. وكانت هذه المدرسة وقفاً على الفقهاء الشافعية ، ولا يعرف مكانها لضياح
 آثارها.
 أما المدرسة العزية - أنشأها عزالدين مسعود الاول بن قطب الدين مودود المتوفي سنة 589 هـ / 1193 م ، وكانت
 وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية. ومكان المدرسة في الوقت الحالي هو مقام الامام عبدالرحمن.
 والمدرسة النورية - أنشأها نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود الاول المتوفي سنة 607 هـ / 1210 م. وتعتبر
 هذه المدرسة من أحسن المدارس التي انشأت في الموصل. وهي خاصة بالشافعية ، وقد انشأت في داخل الموصل مقابل دار
 المملكة ، ويعتقد ان من بقايا المدرسة مشهد الامام محسن في الموصل.
 وفي سنة 576 هـ / 1180 م انشأت المدرسة المجاهدية من قبل مجاهد الدين ، أبو منصور قيمان ، ويرجح انها كانت
 بالقرب من الجامع المجاهدي الذي انشأه المؤسس نفسه وهذه المدرسة وقفاً على الشافعية .

مدارس أربيل :-

لقد بدأ التعليم بصورة منتظمة في اربيل في عهد التركمان ، فأول مدرسة هي تلك التي أنشأها أبو منصور سر فتكين
 نائب زين الدين علي في اربيل. ثم ازداد عدد المدارس فيها في حكم مظفرالدين كوكبوري حيث أصبحت أربيل مدينة
 علم وسياسة. وتخرج منها عدد من العلماء المشاهير⁽⁵⁾ .
 وأهم مدارس اربيل في عهد التركمان (عصر الدولة الاتابكية) مدرسة القلعة ، وقد انشأها الأمير أبو منصور سر
 فتكين الزيني الذي كان نائب عن زين الدين كوجوك في حكم اربل. وممن درس في هذه المدرسة أبو العباس الخضر
 الاربلي الشافعي ، ولد سنة 478 هـ / 1094 وتوفي سنة 568 هـ / 1173 م وبعد وفاته تولى التدريس فيها ابن أخيه
 عزالدين أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر الذي ولد سنة 534 هـ / 1139 م ثم غضب عليه مظفر الدين فأخرجه منها
 فانتقل الى الموصل. وكان أبو العباس قد درس في بغداد ثم أتى الى اربل فبنى له سر فتكين حاكم اربل المدرسة المذكورة في

القلعة سنة 533 هـ / 1138 م وقد أُلّفَ في الفقه والتفسير وتوفي في اربيل سنة 567 هـ / 1172 م ودفن في مدرسته في القلعة.

مدرسة الملك مظفر الدين : بناها مظفر الدين كوكبوري حاكم اربيل ورتب فيها الفقهاء الشافعي والحنفي. وأشهر من تولى التدريس فيها الشيخ ابن جعفر محمد بن هبة الله المكرم بن عبدالله الصوفي. وكذلك والد ابن خلكان محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان .

أما المدارس التي أسست في عهد الايلخانيين. ومن أهمها حسب التسلسل الزمني : المدرسة العصمتية التي بنيت حوالي سنة 678 هـ / 1279 م ، من قبل السيدة عصمت الدين في القسم الشرقي من بغداد. وقد دفنت فيها بعد وفاتها. وفي حوالي سنة 685 هـ / 1286 م قام محمد الدين بن الاثير ببناء مدرسة في بغداد ودفن فيها بعدما قتل في سنة 685 هـ / 1286 م. وكذلك بنيت بالقرب من ضفة دجلة في محلة باب الازج (باب الشيخ حالياً) مدرسة من قبل بهاء الدين عبدالوهاب الذي توفي سنة 688 هـ / 1289 م ودفن فيها. وفي سنة 693 هـ / 1293 م بنيت مدرسة العلانية من قبل علاء الدين علي بن عبد المؤمن ، وجعله مقابل مدرسة أبي النجيب السهروردي وبالقرب من الجسر القديم في بغداد. وقد وصفها المؤرخ البغدادي ابن الفوطي ، بأنها كانت جميلة البناء شاهقة الارجاء. ومدرسة الغازانية نسبة الى السلطان غازان محمود من قبل الخواجه رشيد الدين بالقرب من باب الظفريه أو (باب الوسطاني). وأخيراً المدرسة الامامية البكرية (بناها امام الدين يحيى البكرى – صاحب ديوان بغداد) ودفن في الضريح الذي عمله في مدرسته المذكورة .

ولم يقتصر النشاط العلمي والفكري خلال هذه الفترة (فترة التركمان) على بغداد فقط. بل تعداها الى كل من الكوفة وكربلاء والنجف. حيث ينسب اليهم بناء المدرسة المسعوديه .

والمدرسة الاسماعلية التي أمر بانشائها الوزير البغدادي اسماعيل. والمدرسة الوقائية التي بنيت من قبل وفاء خاتون حوالي سنة 800 هـ / 1400 م حيث ازدهرت بفنون وتقنيات الزخرفة والتزييق والخط .
هذه أهم المدارس ودور العلم التي انشئت لأول مرة في تاريخ العراق من قبل حكام الدول التركمانية التي حكمت العراق منذ تأسيس الدولة السلجوقية سنة 429 هـ / 1137 م حتى نهاية الدولة الاق قوينلوية سنة 918 هـ / 1508 م.

مكتبات بغداد في عصر الدول التركمانية

اهتم السلاطين والوزراء التركمان وأهل الصلاح ، بألحاق خزانة الكتب بالمدارس الدينية والتكايا والجوامع وبعض المساجد لينهل منها طلبة العلم والمدرسون. وأولوا الاهتمام الثقافية عامة. ورغم حرص أولئك الواقفين على سن القواعد الخاصة بحفظ الكتب والعناية بها في وقفياتهم ، إلا أن انعدام وجود اشراف رسمي حقيقي على شؤون المكتبات جعل أمر تلك المكتبات ومصيرها رهين جهود فردية ، وإن كان يعزى لها الفضل في حماية المتوفر من الكتب ومعظمها من المخطوطات ، وأنشأت في بغداد عدداً كبيراً من المكتبات في هذا العصر. وأهمها هي :

خزانة الكتب في المدرسة النظامية – ملحقة بالمدرسة النظامية التي انشأها الوزير نظام الملك في بغداد سنة 459 هـ / 1066 م وذكر ان عدد مجلداتها ستة آلاف مجلد .

خزانة كتب مدرسة أبي حنيفة – ملحقة بالمدرسة التي أنشأها أبو سعد مستوفي المملكة للفقهاء الحنفية.

خزانة كتب الكندري - أنشأها الوزير السلجوقي عميد الملك أبو نصر محمد الكندري وكان وزيراً لطغرل بك ومن بعده لألب ارسلان. وقد استحوذ على كثير من كتب خزانة أردشير الوزير التي احترقت ونهبت معظم كتبها، وكانت خزانة أردشير من أعظم الخزائن في بغداد عرفت بدار العلم والتي كانت في الكرخ بين السورين. ومن أشهر روادها الشاعر أبو العلاء المعري المتوفي سنة 429 هـ / 1057 م .

وخزانة الخطيب البغدادي - أنشأها الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، من علماء بغداد وله المصنفات العديدة والتي أشهرها تاريخ بغداد في أربعة عشر مجلداً، وتوفي الخطيب سنة 463 هـ / 1084 م وكان له كتب نفيسة وقفها على المسلمين⁽⁶⁾.

الخدمات الصحية في عصر الدول التركمانية

لقد كانت حالة البلاد وخصوصاً مدنها الكبرى سيئة جداً وذلك لانعدام أبسط أنواع الخدمات والمرافق، وارتفعت نسبة الوفيات لانعدام الوقاية الصحية وانعدام الرعاية الطبية والمرافق والخدمات التي تتطلبها، لذا اهتم حكام الدول التركمانية التي حكمت في العراق وبالأخص سلاطين السلاجقة بتقديم خدمات صحية للبلاد، لذا تم تأسيس المارستانات (المستشفيات) في بغداد والموصل والبصرة وقدموا الخدمات الصحية للناس وأهمها :

- 1- بيلمارستان العضدي ببغداد⁽⁷⁾.
- 2- المارستان التتشي ببغداد بناه مملوك للملك تتش بن الب ارسلان يدعى (خمار تكين) وتقع بباب الازج وكذلك شيد هذا المملوك سوقاً قرب المدرسة النظامية ومدرسة بالقرب منه يقال لها التتشية وقيل له بيمارستان التتشي فهو نسب السوق والمدرسة والبيمارستان لسيدة (تتش).
- 3- بيمارستان مجاهد الدين قيماز بالموصل⁽⁸⁾.
- 4- بيمارستان باتكين بالبصرة .
- 5- بيمارستان واسط .
- 6- بيمارستان السيدة .
- 7- بيمارستان المقتدري.

وهناك بيمارستانات (المستشفيات) مثل بيمارستان (أبي الحسن علي بن عيسى) بمحلة الحربية، وبيمارستان (بدر) بمحلة المخرم وبيمارستان (الامير يحكم) وبيمارستان (محمد بن علي بن خلف) ببغداد كلها كانت موجودة في العهد السلجوقي وكانوا يقدمون الخدمات الصحية للناس⁽⁹⁾.

حاولنا في عرضنا لهذا الموضوع التاريخي استخلاص الحقائق في الفترة التي حكم فيها التركمان للعراق والممتدة من 447 هـ - 1337 هـ (1055-1918م) فعرضنا الى النشاط الكبير الذي أبداه السلاطين والوزراء بأعمال عمرانية كثيرة في بغداد تجلت في أبنية المساجد والقصور والاربطة والمدارس والابواب والاسوار وقد حاولنا باختصار جمع الكثير من مظاهر الحضارة والعمران التي أنشئت من قبل الدول التركمانية السلجوقية والجلائرية والایلخانية والدول الاتابكية فقط.

وإن شاء الله ويعونه تعالى سوف نقوم في المستقبل القريب بعرض الآثار الحضارية والعمرائية التي قامت في العراق من قبل الدول العثمانية التي حكمت العراق من 941 هـ / 1337 هـ (1534م – 1918م) أكثر من ثلاثمائة عام. وحاولنا في عرضنا هذا أيضاً أن نبين مدى اهتمام التركمان بوطنهم العراق منذ فجر التاريخ وليومنا هذا. وغايتهم العظمى هو الحرص على المصلحة العامة والعمل من أجل التماسك والوحدة والقوة والعناية بما فيه الخير للجميع .

هذا الموضوع بالتعاون مع الباحث التركماني نجاته كوثر اوغلو

الهوامش

- 1- سعيد نقيب / المدرسة النظامية / بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي / ص 1954.
- 2- الطرسوس / سراج الملوك / ص 108.
- 3- اللكندي الهندي / الفوائد البهية في تراجم الخليفة / ص 230.
- 4- الدكتور حسين امين / تاريخ العراق في العصر السلجوقي / ص 277.
- 5- اربيل في ادوارها التاريخية / زبير بلال اسماعيل .
- 6- ابن جبير / ص 117 / والمتنظم ج 7 / ص 112 .
- 7- معجم البلدان / ص 826 .
- 8- ابن كثير : البداية والنهاية حوادث سنة 572 هـ .
- 9- انظر د. حسين امين / تاريخ العراق في العصر السلجوقي / ملحق رقم (26) / ص 401 .

معلومات لغوية وأدبية عن التركمانية

التركمانية لغة التصاقية، أي تضاف كلمة جديدة الى الكلمة السابقة من اجل ايجاد معنى وزمن جديد. بينما العربية مثلاً، تعتبر لغة اشتقاقية تصريفية، حيث يضاف حرف أو حروف قبل أو بعد من اجل تغيير المعنى والزمن.

بعض نماذج الصاق الكلمات من أجل تغيير معانيها :

العربية	التركية
فعل (تعال)	gel

gelebil	فعل (القدرة على المجيء)
gelme	لا تأتي
geleme	عدم القدرة على المجيء
gelememiş	يبدو انه لا يستطيع ان يأتي
gelebilecek	سوف يكون قادر على المجيء
gelebilirsen	إذا كنت تستطيع المجيء
gelinir	(الفعالية) واحد يأتي ، عدة أشخاص يجيئون

الأحرف التركمانية

الأحرف التركمانية 30 حرف ، تكتب تلك الحروف كما تلفظ.

التسلسل	الحروف التركمانية تتوركمنجه هارفلاز	الحروف العربية نارابجه هارفلاز	الحروف التركبية تنوركجه هارفلاز
.1	ا / نا	ا / ع	a
.2	ب	ب	b
.3	ت	ت / ط	t
.4	س	س / ث / ص / ض / ظ	s
.5	ج	ج	c
.6	هـ	ح / هـ / خ	h
.7	د	د	d
.8	ز	ذ / ز	z
.9	ر	ر	r
.10	ش	ش	ş
.11	غ	غ	ğ
.12	ف	ف	f
.13	ق	ق	k
.14	ل	ل	l
.15	م	م	m
.16	ن	ن	n
.17	ئ	-	o
.18	و	-	ö
.19	ى	-	u
.20	نو	-	ü
.21	ي - ني - هي (كنوزهي)	ي	y - i
.22	فأ	-	v
.23	ك	-	g
.24	پ	-	p
.25	ك	ك	k
.26	چ	-	ç
.27	ى - ن	-	i
.28	وو (w) ايكينجي كيشنيه قونوشمادا قولاننلر	تستخدم عند مخاطبة المفرد الحاضر حصراً	-

مفردات تركستانية في العربية

بفضل الاسلام والتمازج التاريخي بين العرب والتركستان، حصل تمازج لغوي أيضاً، فمثلاً، قد بلغ عدد المفردات العربية المنتشرة في اللغة التركية 49,7%. كذلك تأثرت اللغة العربية باللغات التركستانية، فأقتبس العرب منهم الألفاظ الكثيرة كمعربات لكلمات تركية وتركمانية ومغولية الأصل، مثل:

الكلمة	المعنى العربي
خاقان	السلطان
بيك	الأمير
طمغات	ضرائب مالية
داية	مربية
دستور	اذن
خواجكية	استاذية
قبنغ	الغطاء
كليجة	قيد
كليجة	من المعجمات

بعض المفردات التركمانية ومقارنتها باللغات الاخرى :

التركمانية	التركية	الكردية	الفارسية	العربية
زيره ك	zeyrek	زيره ك	زيرك	الشاطر
به نير	Penir	به نير	بنير	جبن
موم	Mum	موم	موم	الشمعة
ثيمزا	Imza	ثيمزا	امضا	الامضاء
عه يب	Ayip	ثايب	عيب	العيب

رز	برنج	برنج	Pirinc	بيرنج
الخرافة	خرافات	ئه فسانه	Efsane	ئه فيسانه
مهرب	قاجاق	قاجاخ	Kacak	كاجاك
نعل	نعل	نال	Nal	نال
حديقة	باغجه	باخجه	Bahce	باهجه
هدف	مقصد / هدف	ئامانج	Amac	ئاماج
الحساب	حساب	حساب	Hesap	هه ساب
الحمام	حمام	حه مام	Hamam	هه مام
الحمال	بردار	حه مال	Hamal	هامال
هجرة	كوج	كوج	Goc	كويج
جاده	شه قام	جاده	Cadde	جاده

نصوص تركمانية

هذه النماذج هي بالتركمانية بالحروف العربية وبالحروف الجديدة - اللاتينية مع ترجمتها الى اللغة العربية، اختارها وترجمها الباحث (حبيب الهرمزي) :

أولاً: نماذج من (القوريات) التركماني :

وهي عبارة عن رباعيات ذات سجع تنظم في مواضيع شتى مثل : الحب والغرام، الشكوى من الحبيبة، الشكوى من الأقدار وسوء الطالع، حكميات، مشاعر قومية. وهذه الرباعيات تغنى أيضاً على شكل أو وفق أصول المقامات التركمانية.

بغدادك يوللارندا

صو دوروب كوللرندو

بر جفت قولباغ اولايديم

يارمك قوللارندا

Bağdadın yollarında

Su durup göllerinde

Bir ğdtj kolbağ olaydım

Yarımik kollarında

وترجمتها بالعربية :

في طرق بغداد
وفي البحيرات الراكدة
ليتني كنت اسورتين
في ذراعي حبيبتي
◆◆◆
صو سني
صو كوكرتمش سوسني
كيجمه نامرد كوبريسين
قوي ابارسين صو سني

Su sen

Su gügerdıp süsenı

Geçme namerd köprüsün

Koy aparsın su senı

وترجمتها بالعربية :

الماء يغمرک

الماء يجعل (السوسن) تنمو

لا تجتز معبر اللنيم

دع السيول تجرفك

◆◆◆

نامرده مرد

كيم ديبه ر نامرده مرد

اونداقيامت قوبار

باش اكه ر نامرده مرد

Namede merd

Kim diyer namerde merd

Onda kıyamat kopar

Baş eger namerde merd

وترجمتها بالعربية :

الأصيل للذنى

من يقول للذئب انه أصيل
ان القيامة ستقوم عندما
يحنى الأصيل رأسه للذئب



باغه دووار
جكميشلر باغه دووار
قاشوو باغ، كوزوو باغوان
كيبيريكيو باغا دووار

Bağa duva

Çekmişler bağa duvar

Kaşiv bağ, göziv bağvan

Kıprıgıv bağa duvar

وترجمتها بالعربية :

سور للبيستان

احاطوا سورا للبيستان

ان حاجبك بستان وعيناك حارس له

أما أهدابك فهي سور للبيستان

ثانيا : أمثال شعبية تركمانية :

• ايبيشمش ياغشتان قورخماز

İbinmiş yağıştan korkmaz

المبئل لا يخاف من المطر

• بارلى أعاجا داش اتالار

Barlı ağaca daş atallar

الشجرة المثمرة هي التي ترمى بالاحجار

• ادام ادامدى اولمازسا دا بولو، أشه ك أشه كتى ايبيكته ن اولسا جولو

Adam adamdı olmazsa da pulu, eşek eşektı

ipekten olsa çulu.

الرجل رجل وان كان لا يملك فلساً، والحمار حمار وان كانت بردعته من حرير

• أستاذنا باخ اوزونى آل، ننه سنه باخ قزىنى آل

Astarına bak üzünü al, nenesine bak kızını al

انظر الى البطانة ثم اشتر الوجه، انظر الى الأم وتزوج بالبنات

ثالثا : نموذج من الشعر الشعبي التركماني (للشاعر الشعبي مصطفى كوك قايا) :

ده مير طاوندا كره ك صيجاغ صيجاغ دوكة رك

دوز اكه رسه و نه جيخار ايكيد اول سن شكر أك

ألرجين أياغ لازم بنايجين داياغ لازم

نجه ياتانا قارشى بير ده نه أوياغ لازم

ترجمته باللغة العربية :

الحديد يدق وهو حام اذ تطرقه وهو ساخن

ان زرعت ملحا ماذا تحصل عليه كن هماما وازرع سكرا

الأيدي تحتاج الى أرجل البناية تحتاج الى أعمدة

مقابل عديد من النانمين نحتاج الى واحد مستيقظ

رابعا : نموذج من الشعر الشعبي التركماني (للشاعر الشعبي ناصح بزرگان)

ننه ديبه ر كي كوزوم خراب انلاما سوزوم

أرواد واختو كالميبب قوربانام سنا اوزوم

آل كتابو أليوه زهير قاتما باليووا

صون بثمانلغ آل ويرمز عالم كولر حالوا

بكلمه بابا مالن آليغيودان آل كلين

جوغلارن بو دوشونجه قويبتى أياغ يالن

آج كوزلريو باخ أوكه أديم آت أوكه أوكه

بو مللت سنى بكله ر سن قالدیر باشن كوكه

ترجمته باللغة العربية :

تقول الأم أي عيني الأثنتين لا تفهم كلامي بشكل خاطئ

لم يحن وقت زواجك بعد لكن انا فداء لك

خذ كتابك بيدك ولا تخلط سمأ في عسلك

الندم أخيراً لا ينفك
 لا تنتظر أموال والدك
 فالتناس سيضحكون على حالك
 تزوجك بمكسبك انت
 كثيرون بهذا التفكير
 افتح عينيك وانظر الى الأمام
 تقدم وانت واثق من نفسك
 ان هذا الشعب بانتظارك
 فارفع رأسه عالياً



قائمة بكلمات / مصطلحات عربية ومقابلها بالتركمانية، وكيفية لفظ الكلمة بالحروف العربية :

الملاحظات	الكلمة / المصطلح التركماني بالحرف العربي	الكلمة / المصطلح باللغة التركمانية	الكلمة / المصطلح باللغة العربية
المصطلح الثاني هو المصطلح العام والاكثر شيوعاً	مرهابا	Merhaba	مرحباً
/	ناسلسين نيجسن	Nasılsın Nicesen	كيف حالك
الجيم تلفظ كالجيم المصرية (ك)	جون ايدين	Gün Aydın	صباح الخير
الجيم تلفظ كالجيم	إيي جونلر	İyi Günler	نهارك سعيد

المصرية (ك)			
الجيم تلفظ كالجيم المصرية (ك)	إيبي اكشاملار	İyi Akşamlar	مساء الخير
الجيم الاولى تلفظ كالجيم المصرية (ك)	إيبي ججلار	İyi Geceler	ليلة سعيدة / تصبح على خير
كلمة Üzür في الاصل هي كلمة عذر العربية	ئوزور ديلريم	Üzür Dilerim	أنا اسف / متأسف / أعتذر
الجيم في الكلمتين تلفظ كالجيم المصرية (ك)	سايجي سايجلى	Saygı Saygılı	إحترام محترم
الفاء تلفظ كالحرف الانجليزي (V)	فاتانداش	Vatandaş	مواطن
كلمة (بن) تعني أنا	بن إراك فاتانداشيم	Ben Irak Vatandaşıyım	أنا مواطن عراقي
الفاء تلفظ (V) والجيم تلفظ كالجيم المصرية (ك)	سَفجي	Sevgi	المحبة
الجيم الاولى تلفظ هكذا (چ)	جوجوك أوشاك - أوشاغ	Çocuk Uşak	طفل
كلا اللفظين صحيحين	كاون / قاون	Kadın	إمرأة
تختلف في اللفظ عن كلمة هانم المصرية	هانم	Hanım	سيدة
/	آدام	Adam	رجل

وهي بلفظ مخفف لكلمة بيك أو بيج في اللهجة العراقية	بَي / بَك	Bey/ Beg	سيد
/	أركاداش	Arkadaş	صديق
/	كومشو كومشولار	Komşu Komşular	جار جيران
/	ئورتمَن مولليم	Öğretmen Muallim	معلم
/	ئورانجي تَلَبَة	Öğrenci Telebe	تلميذ / طالب
/	ئوكول مَكْتَب	Okul Mekteb	مدرسة
/	هوشجه كالين	Hoşçe Kalın	مع السلامة



ملحق حوارى

إشكالية العلاقة بين التركمانية والتركية

ثمة إشكالية كبيرة مطروحة للجدل المحتدم بين المثقفين والمعنيين التركمان: هل يجب الغاء التركمانية كلغة ثقافة وتعليم، باعتبارها لهجة شعبية، واحلال (التركية الحديثة - لغة دولة تركيا) باعتبارها هي اللغة الفصحى الرسمية؟ هذا الاشكالية غنية جداً وبحاجة أولاً أن توثق للتاريخ، وثانياً أن يطلع عليها أوسع عدد من العراقيين والتركمان خصوصاً. إن التركمانية حتى لو كانت لهجة شعبية، فإنها تستحق أن تعامل كتراث شعبي يتوجب دراسته ونشره، يعني مثلما نتعامل منذ أجيال مع اللهجة العراقية (العربية) فهي حاضرة خصوصاً في الشعر الشعبي.

هذه بعض من الآراء حول هذه الإشكالية يطرحها مثقفون تركمان عراقيون.

* * *

مجلة (يوردا- الوطن) في حوار جماعي



هذا الحوار الغني بين نخبة من المثقفين التركمان أجرته مجلة (بوردا - الوطن)* التركمانية (باللغة العربية) الصادرة في كركوك، في العدد (16) الصادر بتاريخ 2008/10/29، وبعنوان (ثقافتنا إلى أين). وقد أدار جلسة الحوار (جلال بولات) رئيس التحرير، وشارك فيه كل من:

نهاد نجيب آوجي - إعلامي / الشاعر رمزي جاووش / الكاتب نيازي أنور قاياجي / الكاتب زينل آغا آوجي / الشاعر متين عبدالله كركوكلو /

* مجلة بوردا (الوطن) صاحب الامتياز د. عبد اللطيف بندر اوغلو. رئيس التحرير: جلال بولات، موقعها: www.yurtmagazine.blogspot.com
الشاعر تحسين ياسين / الكاتب نبيل بكر / الشاعر جاسم محمد فرج / الكاتب د. سعد صلاح الدين / الكاتب أحمد ناظم داود.

رغم أهمية هذا الحوار وشموليته لغالبية هموم الثقافة التركمانية العراقية، إلا أننا نقتطع منه الاجزاء الخاصة بهذه الاشكالية (التركمانية والتركية):

• نيازي أنور قاياجي :

- وإن كنا قد ابتعدنا شيئاً ما عن موضوع الجلسة وهو ثقافتنا إلى أين، إلا أن الحوار بدأ يتخذ طابعاً جميلاً وعميقاً في كل الطروحات.. تعقيباً لكل ما قيل وسبق من قبل الأخوة المحاورين أود هنا أن أقول إن المسألة ليست مسألة أحزاب ومسميات فئوية بل أن هنالك أجندة لا تريد أن تتطور الثقافة التركمانية ولا أن تسابق العصر. أنا جئت من أربيل طبعاً، وقد عشت تجربة أربيل.. سأقدم لكم مثلاً عن هذه التجربة.. بعدما تم تثبيت منطقة (الملاذ الآمن) أي بعد 1992 الحكومة المحلية هناك أصدرت قانونين بخصوص التركمان، أولاً: قانون التربية والتعليم ومنحت التركمان حق الدراسة باللغة التركية (اللاتينية) وتم بموجب ذلك تأسيس مديرية عامة للدراسة التركمانية. ثانياً: قانون آخر هو الحقوق الثقافية وتم استحداث مديرية الثقافة التركمانية في بنية وزارة الثقافة.. الأجندة المعنية ذاتها أوعزت إلى التركمان بأن يذهبوا إلى مديرية التربية والدراسة التركمانية ورفضت أن يشتغلوا في مديرية الثقافة التركمانية! طيب.. لماذا؟ قالوا نعم اذهبوا إلى مديرية التربية لكي تفتحوا المدارس ولكن إياكم أن تعملوا في مجال الثقافة، ولا تتعاونوا مع الحكومة المحلية. انظروا هنا إلى الازدواجية.. الكيل بمكيالين.. مديرية التربية وكذلك مديرية الثقافة تابعتان لنفس الحكومة التي فصلوا لنا عدم التعاون معها. فما هي الحكمة يا ترى في الإصرار على أن يتعاونوا مع الحكومة المحلية في تأسيس مديرية الدراسات وأن يرفضوا التعاون معها بخصوص مديرية الثقافة!! والجواب هو أن نبقى بدون ثقافة. وفي حقيقة الأمر بقينا بدون ثقافة.

في أربيل وبعد (16) سنة من الدراسة باللغة التركية تخرجت من الجامعة دفعة أولى من الطلاب التركمان هذه السنة.. وبعد كل هذه السنوات الطوال من الدراسة لا يجد الطالب أي كتاب ثقافي ليقرأه وليست هنالك أية مجلة أو جريدة أو حتى كراس باللغة التركية. فما الذي عملناه طيلة هذه السنوات.. تصوروا طالباً يعرف الحروف الأبجدية التركية ولكنه محروم من الثقافة، لأنه لا يملك ولا مصدر واحد لكي ينمي معارفه. عندما يغلق هذا الطالب كتابه ويخرج من مدرسته لا يستطيع أن يقرأ أية يافطة وليست له أية مراجع. ماذا يعني هذا! أنا أفسره بأننا قد حكمنا على إنساننا بالموت، وبالفناء على وجودنا بالذات. ينبغي أن ننتبه لهذه المخاطر وإنها تتكرر في كركوك أيضاً. لماذا تدفعنا هذه الأجندة إلى هذه الزاوية

المميتة ؟! علينا أن نبحث عن منافذ الخلاص ، وأن نجد طريقنا الخاص بنا.. علينا أن نقاوم من أجل عدم السقوط في هذا المنحدر. وأنا أقول إنها نوايا الهدف منها إضعاف وجودنا تحت حجج وذرائع واهية.....

..... قلم ثقافتنا إلى أين؟ نحن قوم حرمانا على مدى قرن بأكمله من التعلم بلغتنا الأم .. وهي إحدى أهم مشاكلنا الرئيسية.. ها.. نعم هنالك نوع من التعليم باللغة العربية وقد اكتسبنا الثقافة العربية إلى جانب ذلك ، وورثنا كل السلبيات الموجودة فيها مرغمين .. وعلى سبيل المثال أن العراقيين قاطبة ورثوا من هذه الثقافة رأيها المعادي للعثمانية ، وهذا الرأي جاء مع أجنده معينة خططت لتلهب روح القومية العربية لإنهاء وجود هذه الدولة. هنا شرط أساسي هو العودة إلى التعلم بلغة الأم .. أورد هذا المثل عن المرحوم عبداللطيف بندر أوغلو .. ففي مقابلة تلفزيونية في أذربيجان يسألونه فيقول أن الآلام هي التي تدفعني إلى كتابة الشعر فيسأله المذيع ما هو ذلك الألم الذي يدفعك إلى كتابة الشعر ، فيقول : أشد الآلام التي تدفعني إلى ذلك هو عدم نيل فرصتي في التعلم بلغتي الأم. هذه ليست آلام بندر أوغلو وحده ، إنها آلام مجتمع بأكمله.

إذا أردنا أن نؤسس ثقافتنا بشكل حضاري فعلينا أن نولي هذا الجانب كل اهتمامنا. لا أن نكتفي بالدراسة المقررة وحسب بل يجب أن ندعم ذلك بمصادر تتيح للطلاب التعرف على الثقافة الإنسانية برمتها.. دراستنا في أربيل هي بالتركية اللاتينية منذ 1992 وقد ثبت ذلك في الدستور.. طيب هذا برأيي يحل الكثير من العقد الإملائية.. ولكننا لم نفكر أن نحول المراجع (وهي كثيرة) المكتوبة بالحروف القديمة لكي يطلع عليها الجيل الجديد. وكما أسلفت أن الطالب الذي درس الألف باء في سنة 92 تخرج من الجامعة هذه السنة فهل استطاع أن يدخل إلى الثقافة بلغته الأم .. وأين هي؟ تلك هي المسألة .. واجبنا جميعا هو إيجاد مشاريع استثمارية تنصب في هذا الجانب. أسوق هنا رأي ربما الكثير منكم سيعارضونني في ذلك وهو: من الذي اشترط علينا أن تكون لغتنا الأدبية (تركية) اسطنبولية بحتة؟ هذه تشكل ضربة قاصمة للمجتمع التركماني من الناحية الثقافية. أسأل : من في بيته ، أخته أو أمه ماذا تفهم من نشرة الأخبار الاسطنبولية؟ هذا هو مريب الفرس ، فلا يتطور وعينا السياسي كمجتمع! يجب أن نعالج هذه الإشكالية وهي إحدى أهم إشكاليات ثقافتنا..

• جلال بولات :

- اسمح لي بأن أورد هنا مثالا حيا وهو أن الحكومة الأذربيجانية قد أصدرت مرسوماً جمهورياً بصدد إحدى المسلسلات التركية ، وأكد المرسوم بأن اللهجة التركية الاسطنبولية تلغي خصوصية لهجتهم لذلك قرروا تأجيل بث المسلسل لحين دبلجته إلى لهجتهم. هذا تأكيد للخصوصية .. سألني أحد الأصدقاء عن مقال سبق وأن نشر على صفحات مجلة يورد لأحد كتابنا الأفاضل وهو الأستاذ عباس شكرجي. وكان المقال بعنوان التركية أم التركمانية؟ هذا موضوع حساس للغاية ويجب دراسته بكل عقلانية وبشكل أكاديمي .

• متين عبدالله كركوكلو :

- أتساءل لماذا يفهم الأخ العربي من (الحويجة) نشرة الأخبار المقدمة باللغة العربية ، وكذا المغربي الذي تختلف لهجته كثيراً عن صاحبنا من أهل الحويجة؟ فهل تريد منا أن نقدم نشرة الأخبار بلهجة المصلى أم بلهجة الطوز .. مثلاً ..

• نيازي أنور قاياجي :

- لدي جواب على هذا .. اسمحوا لي .. أنا في البيت أتابع الأخبار من قناة (TRT) وتقول زوجتي أنني أفهم هذه النشرة جيداً، وأزيدكم علماً أنها لم تصب حظها من التعليم باللغة الأم. تقول أفهم النشرة هناك، في حين أنني لا أفهم نشرة الأخبار التي تقدم من الفضائية التركمانية..

• نهاد نجيب أوجي :

- أنا أيضاً ثقافتي العربية طاغية على ثقافتي باللغة التركية، أورد لكم هذا المثل .. في ذات مرة زرت الأستاذ عطا ترزي باشى في منزله فقال لي يا نهاد : أنا لا أفهم نشرة الأخبار المقدمة من تلفزيونكم وإنما أنتظر الأخبار بالعربية لكي أفهم ما سبق أن قاله المذيع باللغة التركية.

• جلال بولات :

- يبدو أن الأستاذ متين لم يقتنع بعد، ويرأى أن هذا الموضوع يمكن أن يكون محوراً لجلسة حوارية في المستقبل ..

• نيازي أنور قاياجي :

- هنا مسألة الأبجدية قد حلت أما مسائل الخصوصيات لم ولن تحل ! أنا أقول إن كان المواطن الذي يعيش في اسطنبول له الحق في أن يكتب الشعر مستخدماً نكهته في اللغة، فأنا أيضاً لي الحق أن أتمكن من كتابة (أيهاوار دكيرمانجي) بخصوصيتي دون أن يغيبها أحد. حروف القاف والحاء والهاء و .. و .. إلخ

• جلال بولات :

- أظن أن اللغة الأذربيجانية قد تطورت على مر العصور بشكل مستقل عن التركية، وفي العصر الحديث تمكنت اللهجة أو اللغة الأذربيجانية أن تلبى حاجة المجتمع وصارت لغة الدراسة العلمية والأكاديمية، فعندما يكتب د. غضنفر باشايف دراساته يكتبها باللغة الأذربيجانية وليس التركية كما يكتبها فلان مثلاً.. ونحن نقول إن كان ولا بد فإننا يجب أن نهتم بخصوصيتنا لأنها هويتنا، فيقال لكل رجل طريقة لشرب اللبن (هذا مثل شعبي) وإن كنا نريد أن يكون فينا (خير) ستممكن من رفع لغتنا لتكون على مستوى أكاديمي مرموق. هذا إذا كنا نريد ذلك ! وهذا يتحقق عن طريق تأسيس مجمع علمي لغوي .. المشروع الذي كتبنا عنه مراراً وتكراراً على صفحات مجلة (يورد).. وإذا ألقينا نظرة إلى آخر قاموس صادر عن المجمع اللغوي التركي وجدناه في 4 أجزاء ومليء بالكلمات الدخيلة الأوربية ..

• جاسم فرج :

- أود أن أعقب على كلام الأستاذ جلال .. ضربت لنا مثلاً دولة أذربيجان.. إنها دولة مستقلة ذات سيادة.. أما إذا بثت سلسلة في الفضائية التركمانية مثلما تقول فمن يستطيع إيقافها، لغرض دبلجتها إلى لهجتنا .. أو إن كانت لا تليق بنا ..

• نبيل بكر :

- يا أخوتي هل تعرفون أن الدولة العراقية لم تعترف ضمناً لحد الآن بالدراسة التركمانية .. هل تكون بالحروف العربية أم الحروف اللاتينية؟ هل نعرف؟! وقد تم تأجيل هذه المسألة ولربما تكون مسألة مستعصية في المستقبل ..

- نيازي أنور قاياجي :
- حكومة الإقليم في أربيل معترفة بهذا وقد ثبت ذلك في الدستور ..
- نبيل بكر :
- أنا أقصد الحكومة العراقية .. أنا برأيي إنك إذا ارتبطت بلغة حية ستصبح حياً.. وان التركمانية لهجة هشة.. لا يقرأها غيرنا .. أما إذا كتبت بلغة حية فعشرات بل ومئات الملايين يمكن أن يقرأوك..
- نيازي أنور قاياجي :
- ولكن عليك أن تنقل ماضيك وتراثك لكي يكون في متناول الجميع .. لا أن تنقطع عن جذورك كلياً وتلغي شخصيتك ..
- د. سعد صلاح الدين :
- إذا نظرنا إلى تاريخ اللغة التركية الحديثة فإنها تطبق منذ ما يقارب المئة عام وقد صارت تواكب التطور وتلبي حاجة العلم والمعارف الأخرى إضافة إلى الخزين الهائل من المصادر المترجمة في شتى أنواع العلوم .. وقد أخذت تسير التطور والتقرب إلى أوروبا. فإذا أخذنا الثورة الصناعية كمثال فإن عمادها كانت هي اللغة الإنكليزية ..
- جلال بولات :
- هذا ينطبق على التجارة أيضاً لأنها محصلة للثورة الصناعية ، فكل المصطلحات التجارية المستخدمة في العالم برمتها هي مصطلحات إنكليزية بحتة. وقد فرضت اللغة الإنكليزية نفسها كلغة عالمية.
- د. سعد صلاح الدين :
- إذا قارنا اللهجة التركمانية باللغة التركية فان الأخيرة أكثر تقبلاً للتطورات في جميع المعارف وأكثر قرباً إلى الحضارة والتمدن. أما أن قسماً من مجتمعنا لا يفهم هذه اللغة فهذا من حقنا، لذلك يجب ألا ننسى خصوصيتنا أيضاً..

* * *

بين التركمانية والتركية

إن اللسان التركي من الألسن الطورانية الشائعة في شمال آسيا، والذي انتشرت شعبة منه إلى الغرب نحو الأناضول وبلاد أوروبا. وبه تتكلم الآن بلاد الأناضول. وهي لغة الثقافة فيها. وصارت تسمى باللهجة العثمانية أو التركية الشرقية. وتقابلها اللهجة الجغتائية أو التركية الغربية التي هي الأصفى نبعاً ومصدراً.



والتركمان العراقيون يتكلمون بهذه اللهجة التركية الغربية ، فلا يكاد كلامهم يختلف عن كلام الترك في الأناضول وحواضرها الشاخصة مثل أورفة وخرבות وعينتاب. وقد تجد تمايزاً في أداء اللهجة التي يتكلم بها تركمان العراق من منطقة إلى أخرى حسب الأصول العشائرية التركية التي ينحدر منها أبنائها. فمثلاً يقول صاحب سالنامه ولاية الموصل :

مجلة (معارف) التركمانية الصادرة
في كركوك عام 1913

إن تركية تلعفر هي أقرب إلى الجغتائية. ومن بعض التمايز أن تجد أسلوباً في تركيب الكلام لا يعمل به في منطقة أخرى ، كما في خانقين وشهربان وقزلباط وآلتون كوبري وطوزخورماتو وأربيل ، أو كلمات

لا تجدها في غيرها ، وبعضها عريق ومرفوع من التداول في الألسن التركية حالياً مع دوام استعماله عندنا ، ويمكن لمجامع اللغات التركية في العالم أن تستفيد منها إن جدَّ العاملون في اللغة والتركمان منهم خاصة ، مثل كلمة (توماو) التي تعني الزكام في أربيل مخففة عن أصلها التركي (توماغو) أو (توماغي). كذا : كلمات مثل (كوله : القصير وطوماق : الإستغراق ويونكل : الخفيف ويوخاو المخففة عن بوخاغو : القيد المضروب على الأرجل.... وغيرها كثير). إن الدراسات في اللهجة التي يتكلم بها التركمان العراقيون وردها إلى أصولها ودراسة تطورها تنتظر همة من الباحثين التركمان خاصة ، وحوافز تحفزهم خدمة لتأصيل الثقافة العراقية. ومن أهم المصادر التي نزهو بها ونفخر في هذا الباب هو ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري الذي صنفه سنة 466 هجرية / 1074 ميلادية وقدمه إلى الخليفة المقتدي بأمرالله ، ليكون مرجعاً في تعلم التركية والتفاهم بها ، بناءً على الحاجة إليها لغلبة الترك في الدولة العباسية. وقد إلتزم فيه الإعتماد على الكلام التركي الدارج وغير المهمل في تلك الأيام. وفيه مبحث مهم عن اللهجات التركية يعد منهجاً سبق به علماء هذا العصر. ولما كان الكاشغري قد عاش في بغداد وابتغى من تصنيفه إفهام التركية السائدة فيها لمن لا يعرفها لتيسير شؤون الدولة ، فإن لهذا المصنف أهمية قصوى في معرفة اللهجة التركية التي كان تركمان العراق يتكلمون بها في ذلك الزمان.

اشكالية الابجدية

التركمان العراقيين لم يستعملوا في كتابتهم للغة التركية إلا الأحرف العربية. ولم يصل إلينا أي نص مكتوب أو دليل خلاف ذلك. زيادة على ذلك ، تمتاز المتون الرسمية والثقافية للتركمان العراقيين في عصورالدول (العباسية والزنكية والأتابكية والإيلخانية والسلجوقية والقراقونيلية والآق قوينلية والعثمانية) بأنها عموماً كتبت بالتركية السائدة في الثقافة والعلوم والفنون ، وليس باللهجة العامية المحلية ، ماعدا قسم قليل من الشعر الشعبي المسمى بالخوريات. وحتى هذا القسم هو من الشعر الشفاهي المنقول شفاهاً ، والمكتوب منه قليل ونادر. بل حتى الأنماط الأدبية الشعبية الأخرى كالقصص والروايات الشعبية قد كتبت باللغة التركية الثقافية السائدة التي يمكن أن نسميها الفصحى. وفي العقد الثاني من القرن العشرين وتحت ضغط العوامل السياسية بالدرجة الأولى وبقوة القوانين الملزمة ، حصل تبديل الحروف التركية التي تسمى العثمانية اصطلاحاً. فبدلت بالأحرف الروسية بعد الثورة البلشفية في الجمهوريات التركية السوفيتية ، وبالأحرف اللاتينية في تركيا. ولم يحصل تبديل في العراق أو أذربيجان أو إيران أو سوريا أو أرجاء أخرى فيها مجتمعات تركية. وبعد إنحلال المجموعة السوفيتية في أواسط العقد التاسع من القرن العشرين ، حصل توافق في مؤتمرات شملت العالم التركي فأقرت الأبجدية اللاتينية التركية لتوحيد أحرف اللغة الواحدة. ومع ورود فكرة العودة إلى الأحرف العثمانية رتقا

لشق الإنفصام بين الماضي الثقافي وحاضره، إلا أن التوجس السياسي تلبس بأعذار ثقافية، فلم يتقرر ذلك. لكن القيود المضروبة على الحروف العثمانية بدأت ترخى وتضعف بإلحاح الضرورات الثقافية الواقعية في أنحاء العالم التركي كله. لقد استمر التركمان في العراق باستعمال الأحرف العثمانية إلى العقد السادس من القرن العشرين، مع التواصل الثقافي بالتركية اللاتينية في تركيا. ثم ظهرت الحاجة الماسة في كتابة المتون باللاتينية لسهولة استخدامها في القراءة والكتابة، ولتقص المقتدرين على تعليمها للأجيال الجديدة، وللحاجة للتواصل مع المستجدات الثقافية في تركيا التي غدت المصدر الوحيد لتغذية العقل الثقافي للجيل التركماني العراقي. فصارت التركية بالأبجدية اللاتينية بعد الستينات مطلباً ملحاً للمثقفين والسياسيين التركمان. وأنا شخصياً أرى ذلك ضرورة واقعية لا فكاك منها إذا كنا نريد الإنفصاح للثقافة التركمانية العراقية، على أن لا يحول ذلك دون تعلم التركية بالأحرف العربية إلى جانب اللاتينية. لأن الإحاطة بها لا يصعب على تركمان العراق الذين لن يبعدوا عن تعلم العربية بحكم الواقع. وقد يمنح هذا الوضع زخماً جديداً للثقافة التركية العراقية، إذ يزيد من قدرة التأثير للثقافة التركمانية العراقية في مجمل الحركة الثقافية التركية، لاقتدارهم في كلا الساحتين وتواصلهم بين الماضي والحاضر.

إن تكوين النسيج الثقافي العراقي لا يستطيع أن ينسلخ من العطاءات الفكرية والأدبية للتركمان العراقيين والمكتوبة بالتركية تحديداً، ولا أقول المكتوبة بالعربية، وهي وافرة وغزيرة. ويكفي أن أذكر بمحمود الكاشغري الذي صار مصنفه ديوان لغات الترك أهم مراجع علم التركيات وتناوله علماء التركية في العالم بالبحث والتدقيق وبكافة اللغات العالمية. كذلك الشاعر العالم محمد بن سليمان فضولي البغدادي البياتي الذي ارتقى أعلى الذرى في الشعر التركي وصنف عنه علماء الشرقيات في الغرب والشرق. فمن يجرأ أن يغادره إذا كان القول في الثقافة العراقية، وهو التركماني العراقي الذي ذاع صيته في أرجاء المعمورة في حياته، لكنه عاش ومات في العراق ولم يغادره مرة وإن كان للسياحة. كذا جمع غفير من الشعراء والعلماء والمؤرخين والفنانين ممن كتبوا بالتركية في العراق..... ولكل مشاركة نافذة في الثقافة العراقية. نعم..... لا يمكن أن نرى صورة متكاملة للثقافة والفكر العراقيين بفصل لغة التركمان وعزله أو تجريده عن الثقافة والفكر بالتعاون مع الباحث عوني عمر لطفي اوغلو

قسم من المصادر المعتمدة :

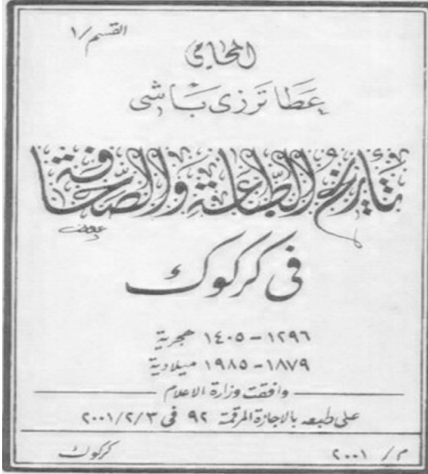
- محمود الكاشغري/ ديوان لسان الترك
- يوسف خاص حاجب / قوتاتغو بيليك (علم السعادة)
- ش. سامي / قاموس تركي
- سالنامه ولاية الموصل لسنة 1312 هجرية.

– MEYDAN LARUS, TURKCE MADDESI

* * *

التركمانية والتركية

1- مصطلح اللغة التركمانية :



الواقع ان التركمانية التي يتحدث بها حوالي ثلاثة ملايين من تركمان العراق هي ليست (لغة)، بل هي احدى (اللهجات التركية) (accent)، مثلها في ذلك مثل اللهجات: العراقية والمصرية والسورية والمغربية وغيرها. فكل واحدة منها هي (لهجة) تجمعها (اللغة العربية). ان مصطلح (اللغة التركمانية) بدأ استعماله منذ عام 1959 لأسباب سياسية وشاع استعماله منذ ذلك التاريخ، حتى ان الدستور العراقي الحالي استعمل نفس هذا المصطلح (اللغة التركمانية) وذلك في الفقرات أولاً ورابعاً من المادة الرابعة منه.

ولذا أرى إن من المفيد أن تشيروا الى هذه المعلومة عند تطرقكم الى (اللغة التركمانية) في موسوعتكم.

2- أبحاث ودراسات حول (اللغة التركمانية) :

هناك مؤلفات ومقالات كثيرة جداً حول هذا الموضوع، قسم منها باللغة العربية وأبرزها وأهمها مقالات الاستاذ عطا ترزي باشي المحامي الصادرة في مجلة (الاخاء) التي كانت ولا تزال تصدر ببغداد. وهناك رسائل دكتوراه حول الموضوع باللغة التركية، وأهمها رسالة كل من: البروفيسور الدكتور جوبان خضر والبروفيسور الدكتور هدايت كمال بياتلي والاستاذ المساعد الدكتور حسين شهباز. وهناك عشرات المقالات لكتاب تركمان صدرت في أوقات وأماكن مختلفة باللغتين العربية والتركية، ومن بينهم: البروفيسور الدكتور محمد عمر قزانجي ونصرت مردان ومولود طه واحسان صديق وصفي من التركمان، والبروفيسور الدكتور سعد الدين بولوج (تركي)، والبروفيسور الدكتور أحمد أرجيلسون (تركي) ورئيس المجمع اللغوي التركي سابقاً، والبروفيسور الدكتور غضنفر باشاييف (أذربايجاني). والأخير له كتاب قيم اسمه (لهجة تركمان العراق) صدر في باكو عاصمة أذربايجان عام 2004 ويضم 420 صفحة، وهو باللغة التركية (باللهجة الاذربايجانية).

وللأسف فان أغلب هذه الدراسات والأبحاث هي باللغة التركية. وهذا نقص يجب الاعتراف به كما يجب تداركه.

3- قاموس (اللهجة التركمانية) :

إنني شخصياً أصدرت قاموساً للهجات التركمانية في العراق، طبع في عام 2003 من قبل مؤسسة وقف كركوك. وهذا القاموس يحتوي على حوالي 5000 كلمة بلهجة مدينة كركوك وما يقابلها باللغة التركية مع بيان الالفاظ المختلفة في كل من لهجات أربيل وتلعفر وطوزخورماتو وكفري وغيرها من المناطق التركمانية في العراق. وهذا القاموس بدوره هو باللغة التركية مع اضافة واستعمال حروف ينطق بها التركمان ولا توجد في اللغة التركية مثل أحرف: ع - ح - ق - خ والألف المغلق. ووضعت في بداية هذا الكتاب فصلاً يبحث عن تاريخ (اللهجة التركمانية) وخصائصها ومقارنتها لها مع اللغة

التركية. وباختصار فان هذا الفصل عبارة عن (قواعد اللهجة التركمانية). أستطيع أن أرسل لكم هذا القسم إن كان لدى طاقم بحثكم من يجيد اللغة التركية ، وإلاّ فان بوسعي أن أترجم ملخصاً له وأزودكم به إن شئتم. إنني أشرت الى هذا القاموس لأنه الوحيد الذي صدر لحد الآن في موضوعه ولا شبيه له في المكتبة التركمانية.

4- قاموس عربي - تركماني / وعربي - تركي :

للأسف لا يوجد قاموس عربي - تركماني أو تركماني - عربي لحد الآن. ويوجد عدد كبير من القواميس العربية - التركية ولكنها قواميس تجارية وليست نتيجة جهود ودراسات علمية.

–
بالتعاون مع الباحث حبيب الهرمزي

ملف اللغة الآرامية - السريانية



❖ تاريخ الآراميين - السريان

❖ معلومت لغوية عن السريانية

- ❖ الكتابة بالسريانية
- ❖ صلاة بالسريانية
- ❖ بيان صادر عن لجنة توحيد الخط السرياني
- ❖ تخرج الدفعة الاولى لقسم اللغة السريانية

تاريخ الآراميين - السريان



منذ الألف الأول قبل الميلاد بدأت تسود منطقة الهلال الخصيب (العراق والشام) قبائل شبه بدوية ناطقة بلهجة قادمة من البادية الغربية (العراقية - الشامية)، اطلق عليهم تسمية (الآراميون). يعتقد أن أسم (الآراميين) هذا مشتق من (أور رمثا) أي الأرض المرتفعة، أو ربما له علاقة بتسمية (عرب) أي سكان (عربا أو غربا) وهي ذات البادية الغربية، التي تقع (غرب) الفرات ومنطقة (غرب) الشمس بالنسبة لسكان النهرين. ((لمزيد من التفاصيل حول أصل الآراميين وعلاقتهم بالعرب، راجع القسم الاول من ملف اللغة العربية في هذه الموسوعة)).

وقد ورد أول ذكر لهذه القبائل في الحوليات الآشورية - البابلية منذ المائة الرابعة عشرة ق.م بأسم ارم (أخ ل م). وقد أخذ الآراميون يستقرون في منطقة الهلال الخصيب مع ضعف الدولة الآشورية في القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م وانهيار الامبراطورية الحيثية. منذ الألف السابق للميلاد انتشروا شرقاً وغرباً وأسسوا سلسلة من الدويلات الصغيرة منها (فدان ارام) التي حظيت بمكانة بارزة في التراث العبري، كما كثر ذكرها في كتاب العهد القديم وراح كتاب التاريخ العبري يذكرهم إن أجدادهم كانوا من الآراميين وانهم عاشوا في مدينة حران (عاصمة فدان ارام) زمناً طويلاً قبل أن يستقروا في فلسطين، كذلك دولة (فدان ارام دمشق) وعاصمتها دمشق، والتي بلغت قمة نفوذها في عهد ملكها حزائيل (838-841) ق.م. وتعتبر (السلالة الكلدانية / 625 إلى 539 ق.م) التي حكمت العراق سلالة آرامية. كذلك تكونت عدة دويلات آرامية في عموم الشام، من أهمها (دولة آرام دمشق). ومع انتشارهم السكاني والسياسي، كذلك انتشرت لغتهم (الآرامية) واستوعبت اللغات العراقية والشامية السابقة، ولهذا فإن اللغة الآرامية تعتبر مزيجاً من (الأكديّة) العراقية، و(الكنعانية) الشامية. وهذا بالضبط الذي كررته العربية فيما بعد عندما استوعبت الآرامية في داخلها.

التسمية السريانية

بعد ظهور المسيحية وانتشارها في العراق، أطلق على (الآراميين) تسمية جديدة هي (السريان). ويعتقد انها مشتقة من تسمية (آشور) وهي سلالة (نينوى) العراقية المعروفة. ومنها أيضاً تسمية (سوريا). لقد أطلق العرب على السريان تسمية (النبط) أي الناس الذين (استنبطوا) الأرض واستقروا فيها، على خلاف تسمية (عرب) أي الناس الرحّل المتنقلين. بعد الفتح العربي الإسلامي، أخذ السكان السريان يتخلون بالتدريج عن مسيحيّتهم ويعتقون الإسلام ويمتزجون بالقبائل العربية الفاتحة ويحملون أسماءها ويتبنون لغتها، خصوصاً أن القرابة العرقية واللغوية بين العرب والسريان لعبت دوراً أساسياً في تسهيل هذه العملية. وكانت عملية الأسلمة والتعريب تحدث أولاً في المدن والحوضر بينما بقيت معظم أرياف العراق والشام على (نبطيتها) حتى العصر العثماني. وشكلت المناطق المرتفعة وشبه الجبلية مانعاً طبيعياً أمام الإسلام والتعريب، فتحوّلت هذه الموانع إلى ملجأ للسريان والقبائل العربية المسيحية والشيعية والخارجية المتمردة على مراكز الخلافة في دمشق وبغداد، جبال لبنان والعلوية والدرزية وغيرها. لكن أكثر المناطق التي تمكن فيها السريان من الحفاظ على مسيحيّتهم، هي منطقة (شمال النهرين - أي الجزيرة) وتشكل شمال العراق، وشمال شرق سوريا وجنوب تركيا. بسبب طبيعتها شبه الجبلية ومحاذاتها للمناطق الجبلية من كردستان وأرمينيا وطوروس (الأناضول).

* * *

حاضر السريان

رغم انتشار العربية فإن السريانية بقيت نشيطة في المشرق حتى القرن الثالث عشر. وازدهرت خصوصاً في العصر العباسي، حيث لعبت السريانية من خلال المترجمين العراقيين دوراً فعالاً في تطوير اللغة العربية. لكن شعلتها بدأت تنطفئ بعد الغزو المغولي للعراق والمشرق وسقوط بغداد، ثم قضى عليها تقريباً في الفترة العثمانية، رغم بقائها حية في بعض كنائس المشرق وكذلك في الكثير من مناطق النهرين وبلدان الشام. وبدأت نهضة جديدة للثقافة السريانية في أواخر القرن الماضي، ومن معالمها صدور الصحف الناطقة بالسريانية والعربية، وبواكرها الأولى صحيفة (مرشد الآثوريين) وصدرت في الجزيرة عام 1908. ثم صحيفة (كوكب الشرق) عام 1910 في ديار بكر لنعوم فائق. ولا زال الاهتمام بهذه اللغة ينمو ويجذب الكثير من المؤسسات الرسمية والعلمية العربية والأجنبية.

حملات التكريد

إن ضعف السريانية يعود أيضاً إلى الضعف المستمر للجماعات المسيحية السريانية في شمال النهرين (الجزيرة)، في العراق وسوريا وجنوب تركيا. إن حملات تيمورلنك الشرسة (1336-1405) كانت نهاية الفصل الأول من فصول حملات الإبادة التي استهدفت السريان (الكلدوآشوريين) في إقليم الجزيرة، بعد أن عاش هؤلاء في استقرار مقبول في ظل الخلافة العربية الإسلامية. ومنذ معركة جالديران (23 آب 1514) التي وقعت أحداثها في تركيا الحالية حيث انتصر الأتراك على الفرس، بدأ الفصل الثاني لمعاناة السريان، إذ اعتبر العثمانيون الأكراد حلفاءهم في نزاعهم ضد الفرس لاعتبارات دينية. وكان السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520). يفضل الأكراد على غيرهم من الأقوام في إمبراطوريته الواسعة الأطراف، وقام بتوطينهم على الشريط الحدودي ما بين الدولتين الفارسية والعثمانية، أي في الشمال الشرقي للعراق الحالي وجنوب تركيا. واستمرت عمليات التكريد حتى الآن مع استمرار هجرة المسيحيين إلى الخارج وتركهم لمناطقهم ليحل محلها الأكراد النازحون من الجبال المحيطة.

تنوع الناطقين بالسريانية

إن الحركات السياسية المدافعة عن حقوق الجماعات السريانية تعاني من مشكلة تبدو ثانوية ولكنها في الممارسة معقدة وتشير بعض الإشكالات والحساسيات بين مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية، ونعني بهذا مشكلة التسمية الموحدة. المطلع على أدبيات هذه الحركات يكتشف مدى عمق هذه المشكلة، فالبعض يقول (السريان) والبعض الآخر يقول (آشوريون) وآخرون يقولون (آثوريون) وهناك من يقول (الكلدان)، ثم يحاول البعض الأكثر واقعية استخدام تسمية (الكلدو-آشوريون). والحقيقة أن هذه التسميات المختلفة متأتية من أسباب تاريخية أخذت شكل الانقسام الطائفي. منذ

القرن الخامس الميلادي إثر مجمع أفسس المسيحي سنة 341 م انقسم سكان المشرق المسيحيون السريان إلى طائفتين:

• أتباع كنيسة الشرق (العراق) ومقرهم في (طيسفون - المدائن) أي كنيسة بابل، وسموا بالنساطرة نسبة إلى القديس نسطور السرياني.

• أتباع كنيسة الغرب (سوريا) وهم الأرثوذكس وتسمو (باليعاقة) نسبة إلى (يعقوب البرادعي السرياني)، ومقرهم في أنطاكية وانتشر مذهبهم في عموم سوريا وكذلك في مصر حيث أصبح الكنيسة القبطية، بالإضافة إلى الكنيسة (الملكية) وكذلك الكنيسة (المارونية) قبل أن تتحول إلى الكاثوليكية.

وهذه الكنائس عموماً أنتشرت كذلك بين القبائل العربية، وامتزج خلالها السريان بالعرب، ومع الزمن تبنت معظمها اللغة العربية في طقوسها الدينية.

ظلت المنافسة خصوصاً بين الطائفتين النسطورية واليعقوبية (على غرار السنة والشيعا في الإسلام) طيلة قرون، ثم أضيفت لها تعقيدات جديدة بعد القرن الخامس عشر مع نشاطات البعثات التبشيرية الغربية حيث تحول الكثير من النساطرة إلى (كاثوليك) وتسموا (بالكنيسة الكلدانية) وبعضهم حمل أسم (الكنيسة السريانية)، أما الذين بقوا على نسطوريتهم فأطلق عليهم (الآثوريون).

إذن فإن التسميات التاريخية القديمة حملت معناً طائفيّاً جعل من الصعب تجاوزها نحو تسمية موحدة بسبب العقبة الطائفية. هناك ميل قوي لدى بعض النخب والحركات السياسية لاستعمال تسمية (آشوريون)، لكن هذه التسمية تتعارض مع تسمية (كلدان وسريان). رغم هذه الفروق في التسميات والفروق بين الطوائف فإن هنالك عنصراً أساسياً يوحد كل هذه الجماعات: إنهم رغم تبنيهم للعربية في الكثير من نشاطاتهم، فإنهم جميعاً يعتبرون اللغة السريانية لغة كنسية مقدسة ويتحدثون بلهجات مختلفة بقربها وبعدها عن السريانية الفصحى. وهذا الانتماء إلى الثقافة السريانية يخلق لدى الكثير من النخب والجماعات شعوراً بالانتماء المشترك لتاريخ بلاد النهرين وسوريا، أي الانتماء لعموم بلاد المشرق وحضاراتها (السومرية - البابلية - الآشورية) والكنعانية والآرامية. خلاصة القول إن إطلاق تسمية (السريان) تبدو الأكثر معقولة رغم نواقصها. إن هؤلاء السريان بجميع تنوعات مسمياتهم يشكلون جزءاً متميزاً من الشعبين العراقي والسوري، بل يصح القول إن (السريان) هم أسلاف شعوب (منطقة المشرق) مثلما الأقباط هم أسلاف الشعب المصري، والبربر هم أسلاف شعوب المغرب، والنوبيون هم أسلاف الشعب السوداني، وكل هذه الانتماءات المتنوعة تجتمع في الانتماء إلى عالم عربي كبير وثقافة وتاريخ عربي مشترك.

نتيجة الأوضاع السياسية المعقدة وعمليات الاضطهاد القومي والديني التي تعرض لها سريان منطقة الجزيرة فإن الكثير منهم هجروا قراهم ومدنهم بحثاً عن مناطق آمنة. ويعدّون الآن في عموم بلدان المشرق بحدود المليونين. إن معظم السريان في سوريا والعراق تمكنوا من الاندماج في الحياة الاجتماعية والسياسية في البلدين ولعبوا دوراً بارزاً في النشاطات السياسية والثقافية لهذين البلدين ووصل بعضهم إلى مراكز قيادية و متميزة. في السنوات الأخيرة برزت بعض المراكز السياسية والثقافية والدينية الخاصة بالسريان، وخصوصاً بين الآثوريين (النساطرة) الذين تعرضوا أكثر من غيرهم للمذابح والتشريد من مناطقهم الأصلية، مثل النوادي والكنائس المتنوعة الخاصة بالطوائف السريانية المختلفة، والمنتشرة أيضاً بين الجاليات المهاجرة. وعموماً تتبع هذه الكنائس مراكزها في سوريا والعراق. كذلك الحركات السياسية المطالبة بحقوق السريان.

* * *

اللغة الآرامية . السريانية

الابجدية الآرامية القديمة

𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊
kaf	yod	ṭet	het	zayin	waw	he	dalet	gimel	beyt	'alef
k	y	ṭ	ḥ	z	w	h	d	g	b	·
𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓	𐤔	𐤕
taw	šin	reš	qop	šade	pe	'ayin	samek	nun	mem	lamed
t	š	r	q	š	p	·	s	n	m	l

مثلت اللغة الآرامية التقاء اللغة الأكديّة العراقيّة (بلهجاتها البابليّة والآشوريّة) مع الشاميّة الكنعانيّة. من أهمّ العوامل التي ساعدت على انتشارها أنها تبنت الكتابة الابجدية الكنعانيّة الفينيقيّة السهلة بدلاً من الكتابة الصوريّة السومريّة المسماريّة الصعبة. لهذا فإنّها تمكّنت من أن تسود (المشرق) وأصبحت لغة الثقافة الأولى، وصار جميع سكان المنطقة يتسمون بالآراميين (مثلما فعلت اللغة العربيّة فيما بعد بتمثلها جميع اللغات والحضارات الساميّة السابقة وصار جميع الناطقين بها يتسمون عرباً). لقد فرضت اللغة الآراميّة ثقافتها وأبجديتها الكنعانيّة (الفيينيقيّة) حتى على الإمبراطوريّات الإيرانيّة والإغريقيّة التي بدأت تنبثق بعد القرن الخامس قبل الميلاد. ثمّ إنّها كانت لغة السيد المسيح والمسيحيّين الأوائل، علماً أنّ اللغة العربيّة المحدثّة تعتبر لهجة آراميّة.

إنّ أقدم النصوص التي وصلتنا باللغة الآراميّة ترقى إلى القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، وفيها يبدو التطور واضحاً من اللغة الكنعانيّة إلى اللغة الآراميّة. لقد دأب العلماء على تقسيم اللغة أو اللهجات الآراميّة إلى فئتين كبيرتين: شرقيّة عراقية، وغربيّة شاميّة، وهي اختلافات ثانويّة يمكن مقارنتها بالاختلاف بين اللهجتين العراقيّة والسوريّة. من المعلوم أنّ منطقة المشرق أيّ الهلال الخصيب، قد اطلق على جانبيها العراقيّ تسمية (المشرق) لأنّه يقع في قسمها الشرقيّ. أما بلاد الشام فأطلق عليها تسمية (الغرب)، حيث تقع في القسم الغربيّ. فقبل كنيسة المشرق النسطوريّة وكنيسة الغرب اليعقوبيّة، كذلك السريانيّة الشرقيّة والسريانيّة الغربيّة... الخ. بل انتقلت هذه التسمية إلى العرب، فقبل عن الفلسفة الروحانيّة (الاشراقيّة) أيّ فلسفة أهل العراق وتوابعه الشرقيّة من إيران وتركستان.

الآراميّة الشرقيّة العراقيّة

ظهرت هذه اللهجة الجديدة التي تداولتها الوثائق الرسميّة في مختلف المناطق الآشوريّة، ثمّ تبنتها الإمبراطوريّة الفارسيّة بدورها كلغة رسميّة في الدوائر الحكوميّة. ففي العهد الآشوريّ (1100-612 ق.م) تبنت الدولة اللغة الآراميّة وأصبح المشرفون على الشؤون الإداريّة يتقنوها أكثر من الأكديّة، لا سيّما في المناطق النائيّة حيث استعملوا للمراسلات نموذجاً من الآراميّة المبسطة. كما إنّ عادة إرفاق جداول آراميّة بالالواح المسماريّة أخذت تزداد منذ ذلك التاريخ حتى في قلب الإمبراطوريّة. وكانت هذه الجداول ترجمة آراميّة موجزة لما تحتويه الالواح المسماريّة، لاستعمال التجار بنوع خاصّ. إنّ الآراميّة التجاريّة صارت أساساً للآراميّة الرسميّة، إذ تبناها الشعب في مختلف أرجاء الإمبراطوريّة، مفضلاً إيّاها في الأغراض الأدبيّة على لغته الخاصّة. كما نلاحظ في الالواح الأكاديّة أنّ بعض الكتّبة يسمون بـ (كتبة الآراميّة). ونشاهد على تمثال (بر ركوب) في زنجليّ كاتباً أمامه ويده ريشة وحبر ولوح مهياً للكتابة بهذه الآراميّة الرسميّة.

وقد انتشرت الآراميّة الرسميّة إنتشاراً واسعاً في العهد الآشوريّ، وليس في الإمبراطوريّة الآشوريّة فحسب (2 ملوك 13/18 - 37) بل في الاقطار الأخرى أيضاً. فقد عثر على إناء من البرونز بالقرب من أولبيا اليونانيّة تحمل إسماء محفوراً بالحروف الآراميّة. ومن المحتمل أنّ تكون الابجدية التي أخذها اليونان عن الساميين في آسيا الصغرى من النموذج الآراميّ أكثر مما هي من النموذج الفينيقيّ. أما في مصر فإننا نجد كتابات بالآراميّة منذ عهد أسرحدون (680 - 669 ق.م). وقد

اشتهرت المخطوطات التي عثر عليها في أسوان المصرية (جزيرة الفيلة). كما شقت هذه اللغة طريقها الى قلب الجزيرة العربية نفسها.

واستمرت الآرامية تشغل مكانتها المرموقة في العهد البابلي الحديث (626 - 538 ق.م) وفي العهد الفارسي (538 - 330 ق.م). وقد مرت هذه اللغة بفترة عصيبة في العهد اليوناني (312 - 64 ق.م) حيث أخذت اللغة اليونانية تفرض نفوذها على العراق والشام، غير انها قاومت هذا النفوذ، وظلت سائدة في دويلة (الحضر) النبطية (بين القرن الاول والثالث الميلادي) شمال العراق (غرب الموصل). بل كانت هذه اللغة هي لغة الثقافة للقبائل العربية الاولى في دويلة (الحيرة - قرب النجف) (بين القرن الثالث والسابع الميلادي).

وقد توزعت هذه الآرامية العراقية الى عدة لهجات أو لغات فرعية تختلف قليلاً عن اللغة الرسمية (الفصحى). وقد أصبح بعض هذه اللهجات مكتوباً ومستعملاً للاغراض الادبية أيضاً. وانتشرت هذه اللهجات المحلية حتى في جبال أرمينيا وزاكاروس. ويمكننا أن نُميّز في هذه الآرامية الشرقية :

- الآرامية اليهودية - البابلية، وهي ظاهرة في التلمود البابلي وفي وثائق ترقى إلى ما بين القرنين الثاني والسابع للميلاد. ولم تكن هذه اللهجة موحدة، ويبدو اختلاف صيغها حتى في التلمود نفسه. أما كيفية التلفظ بها، فشانها شأن الآرامية اليهودية - الفلسطينية، وهي تتبع الطريق المصطلحة لدى السلطات الرايينية التي كانت تتداولها.

- المندائية (الصابنية)، كتب المندائيون في العراق أدبهم بهذه الآرامية الشرقية. فهناك وثائق لهذه الديانة المستقلة كتبت بلغة تطورت محلياً من الآرامية القديمة، قد تكون صيغة صافية من الآرامية الشرقية غير المتأثرة بالعبرانية، كاللهجة اليهودية، أو باليونانية، كما هي الحال مع السريانية. ولكن الوثائق التي وصلتنا بهذه اللهجة ترقى جميعها إلى حقبة متأخرة، وقد طرأ عليها تغيير لفظي كبير وتأثرت كثيراً باللغة العربية.

الآرامية الغربية الشامية

انتشرت الآرامية في بلدان الشام مع انتشار القبائل الآرامية الخارجة من البادية العراقية، الشامية وتكوين الدويلات الآرامية المختلفة. بعد سقوط السامرة (721 ق.م)، انتشرت الآرامية فيها بواسطة الجاليات التي أحلها الآشوريون فيها. ولما عاد المسييون من بابل الى فلسطين، كانت الآرامية وليست العبرية هي اللغة التي يفهمها الجميع. فقد كتب خصوم المنفيين العائدين الى ملك الفرس بالآرامية (عزرا 7/4). واستلموا جوابه بالآرامية أيضاً.

بالرغم من سعة انتشار اليونانية منذ القرن الرابع ق.م، ظلت الآرامية مهيمنة ومستخدمة في دويلة (البتراء 400 ق.م وحتى 106 م) في الاردن، كذلك دويلة (تدمر ܬܕܡܪ) (تدمرتا) ومعناها المعجزة، (بين القرن الاول والثالث الميلادي) في سوريا. خصوصاً بعد انتشار المسيحية حيث أصبحت لغة الكنائس وحملت تسمية (اللغة السريانية). بل ان ولم تطردها إلا اللغة العربية بعد الفتح الاسلامي. ولكنها لم تنطفئ تماماً لأنها لا تزال محكية في بعض قرى سوريا، ولو بصيغة متغيرة كثيراً. ويمكننا أن نُميّز أربع لهجات سادت الآرامية الغربية.

- الآرامية اليهودية - الفلسطينية، ظهرت هذه اللهجة بالكلمات الآرامية والتعابير الواردة في يونانية العهد الجديد وقد بقيت هذه العبارات بصيغتها الآرامية في العهد الجديد (متى 27: 46، مرقس 3: 17، 5: 41، 7: 34، 14: 36، 15:

34، أعمال الرسل 9: 36، 1: 19، 1 كور 16: 22، روم 8: 15، غلاطية 4: 6). وكانت آرامية الجليل هي اللهجة التي نطق بها المسيح (ع) ورسله وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن لهجة الجنوب السائدة آنذاك في أورشليم وما حولها (متى 26: 73). وقد كتب التلمود الفلسطيني وأقدم المدارس بهذه اللهجة الجليلية نفسها. وبهذه اللهجة أيضاً جاء ترجوم (يونانان) المنحول والترجومات الاورشليمية وتنف من الترجوم الفلسطيني بنوع خاص. أما طريقة النطق بهذه اللهجة فليست أكيدة رغم ما تقوله القراءات الرايبينية.

- الأرامية السامرية، إن السامريين ترجيحاً للتوراة بلهجتهم الخاصة التي تقرب كثيراً من اللهجة الجليلية. وقد كتبوا بها أيضاً قطعاً طقسية وأناشيد وقصائد. أما الابجدية الغربية التي كتب بها السامريون آراميتهم فهي تطور محلي للخط الكنعاني القديم. وقد زالت هذه اللهجة بعد الغزو الاسلامي وحلت العربية محلها.

- آرامية فلسطين المسيحية، استمر المسيحيون الاولون في فلسطين دون شك يستعملون اللهجة المحلية فيما بينهم، وأصبحت اليونانية اللغة الرسمية للديانة الجديدة وبها كتب العهد الجديد ما خلا انجيل متى الآرامي الذي فقد نصه الاصلية وبقيت ترجمته اليونانية. وشعرت في سوريا وفلسطين الجماعات المسيحية التي انتحت جانب البيزنطيين بحاجة الى نصوص دينية بلهجتهم الخاصة، فقامت بترجمات معظمها من اليونانية لكلا العهدين ولعدة رتب طقسية، وتدعى هذه اللهجة بالاجماع (أرامية فلسطين المسيحية) التي كانت مستعملة كذلك لدى مسيحيي مصر الناطقين بالآرامية.

عالمية الخط الآرامي

ان الخط الكنعاني (الفينيقي) الذي طوره الآراميون أصبح مصدراً لمعظم الكتابات الحالية. فانتشرت احدى صيغته في آسيا الصغرى ومنها انتقلت الى بلاد اليونان حيث أعطت الابجدية اليونانية التي أصبحت بدورها مصدر اللاتينية الغوطية والابجدية القورلية المستعملة في اوربا والكتابات القبطية في مصر. وهناك صيغة أخرى انبثقت منها الكتابة البهلوية في ايران الوسطى ومن خلالها الافستية والسغدية والابجدية المانوية التي منها أتت الكتابات الويغورية والمغولية والمانشوية والكالموكية واليورياتية. وأعطت صيغة أخرى منها الكتابات الخروشتية والبرهمانية ومن خلالها الكتابات التيبية وكتابات مستعملة في الهند والجنوب الشرقي من آسيا واندونيسيا. وإحدى صيغها الاخرى كانت مصدراً للكتابة الارمنية التي منها جاءت الكتابات الجيورجية والقفقاسية. وعن إحدى صيغها نتجت أيضاً الكتابة العربية المربعة والخطين التدمري والنبطي، ومن هذا الاخير جاء الخط العربي بأشكاله العديدة في الفارسية والتركية والاوردية والمالوية. وقد تفرعت الكتابة الماندية الغربية أيضاً من احدى صيغ الكتابة الآرامية.

* * *

التسمية السريانية

بعد القرن الأول الميلادي تحولت منطقة الرها ونصيبين في شمال النهرين (حالياً جنوب تركيا) إلى مركز ثقافي وروحي لنشر المسيحية. يبدو أن لهجة هذه المنطقة الآرامية تمكنت من فرض نفسها على اللغة الأم (مثلما تمكنت فيما بعد لهجة قریش أن تصبح هي اللغة العربية الفصحى بفضل القرآن والإسلام). إذن تمكنت لهجة الرها ونصيبين هذه من فرض نفسها وصارت تعرف بـ (اللغة السريانية). يعتقد إن هذه التسمية اشتقت من (آشوريا) نسبة إلى الدولة الآشورية التي

كانت سائدة سابقاً في شمال النهرين. وعندما أتى الإغريق أطلقوا على هذه اللغة تسمية (سريانيا) وكذلك أطلقوا على جميع منطقة المشرق تسمية (سوريا).

إن هذه اللغة السريانية قد حلت محل الآرامية وصارت اللغة الفصحى لجميع الكنائس المسيحية والمانوية البابلية في جميع منطقة المشرق من خليج البصرة حتى سيناء. لا بدّ أن هذه اللهجة التي أصبحت اللهجة المسيحية للآرامية الشرقية، كانت مستعملة كلغة أدبية قبل العهد المسيحي. إلا أن النصوص القليلة الباقية والعائدة الى القرن الاول الميلادي لا تتيح لنا البتّ في هذا الامر. أما في منطقة الرها الآرامية، فقد حلتّ فيها مدرسة مسيحية محل المركز الوثني وتطورت الآرامية الشرقية فيها الى لغة أدبية مزدهرة ارتفع شأنها عالياً لا سيما بعد أن اتخذتها المسيحية لغة الدين والآداب لها. وفي القرن الخامس عندما ثارت الجدالات العقائدية في المشرق، استفادت اللغة من ذلك فائدة عظيمة، إذ راحت كل فئة تعمل على صقلها واغناء مفرداتها وضبطها لتكون قادرة على التعبير عن حاجات الناس كلها، اللاهوتية والفلسفية والعلمية والطبية والفلكية واليومية. وكان للانعزال الذي سببته هذه الجدالات أثره العميق أيضاً في كلتا الفئتين الشرقية والغربية وفي تطور اللغة فيها، إذ أخذت الاختلافات اللفظية والكتابية تبرز واضحة منذ نهاية القرن السادس الميلادي. وهكذا انقسمت اللغة الآرامية من حيث اللفظ والخط الى (شرقية عراقية) و(غربية شامية)، وهذه التسمية قديمة حيث قسمت منطقة الهلال الخصيب الى: شرقية حيث يشكل العراق قسمها الشرقي، ثم غربية أي بلاد الشام التي تشكل قسمها الغربي.

الانتشار العالمي للسريانية

بما إن هذه اللغة صارت لغة الكتب المقدسة والكنائس المسيحية في عموم المشرق فأنها راحت تنتشر مع انتشار المبشرين المسيحيين العراقيين والشاميين في أنحاء العالم. فقد أصبحت لغة القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية واستقرت في (الحيرة - أي الحارة) قرب الكوفة وامتزجت بالسكان الاصليين الناطقين بالآرامية، كذلك في الحضر وبصرى وتدمر، ثم إنها كانت لغة كنيسة نجران في جنوب الجزيرة العربية، وكذلك انتشرت في منطقة الخليج المعروفة بـ (البحرين) و(قطرايا) أي قطر الحالية. وتمكنت هذه اللغة أن تصبح لغة الثقافة الأولى في الإمبراطورية الإيرانية الساسانية ومنحت أجديتها إلى اللغة البهلوية الإيرانية.

ثم انتشرت السريانية مع المسيحية النسطورية والمانوية البابلية في الكثير من مناطق آسيا حتى حدود الصين، ولازالت حتى الآن بقايا الطائفة السريانية النسطورية في الهند، ولازال مسيحيي الصين محتفظين بوثقهم الدينية السريانية. لقد اشتق التركمان كتابتهم الأولى (الأغورية) من السريانية بفضل المبشرين المسيحيين والمانويين. ويعتقد أن السبب الأول لتعلق القبائل التركمانية و(المغولية) بالقدوم إلى منطقة المشرق وأرض النهرين يرجع إلى علاقتهم القديمة وتأثرهم بالثقافة السريانية (النيسطورية والمانوية)، وهذا أيضاً يفسر سهولة انتشار الإسلام فيما بعد بين تلك الشعوب.

الثقافة السريانية والثقافة العربية

إن تأثير السريانية على العربية لغة وحضارة، هو أمر غني عن التعريف. يكفي القول أن لغة العرب وثقافتهم ماهي بالحقيقة إلا شكل جديد للغة والثقافة السريانية، مثلما كانت السريانية شكلاً جديداً للغة والثقافة الآرامية السامية. منذ

القدم وقبل الفتح العربي الإسلامي كانت الآرامية ثم السريانية تضح بمعارفها في القبائل العربية من خلال التجارة والامتزاج العرقي والحضاري بين العرب والسريان. أما بعد الفتح العربي لمنطقة المشرق، فإن الثقافة العربية بدأت تتخذ طابعها الحضاري العربي الإسلامي المعروف بفضل اعتناق الأغلبية الساحقة من السريان الإسلام وتبنيهم للعروبة، وبالتالي ضحهم في العربية جميع ماورثوه من حضارات أسلافهم السومريين والبابليين والآشوريين والفينيقيين والآراميين. حتى السريان الذين بقوا على المسيحية والصابئية والمناوية لعبوا دوراً كبيراً في نقل علوم الأسلاف وترجمة علوم الإغريق إلى العربية. من السريانية (النبطية) أيضاً اشتق الخط العربي وكذلك قواعد النحو العربي.

حاضر السريانية

أما الضربة الكبيرة التي أصابت السريانية فحدثت بعد سقوط بغداد ونهاية العباسية العراقية، ودخول العراق في الحقبة المظلمة. لكن السريانية بقيت كلغة طقسية في الكنائس السريانية الشرقية والغربية في المشرق العراقي الشامي وفي عموم العالم. ونصب السريان أول مطبعة لهم بالحروف السريانية في لبنان سنة 1610 حيث طبع كتاب (المزامير) في حقلين متقابلين أحدهما في اللغة العربية بحروف كرشونية (حروف عربية وبلغة سريانية) والآخر باللغة السريانية.

مع الزمن برزت لغة سريانية حديثة بين سريان العراق وفي أرومية (إيران) وجبال طور عبدين (تركيا)، هي (السوادية) أو (السورث)، وهي في الأساس نوع من اللهجة السريانية المحكية، ولم يتخل عنها أصحابها الذين نزحوا إلى أمريكا أو أوربا أو غيرها من الأقطار البعيدة. إلا أنه قد طرأ على هذه اللغة (السورث) على غرار السريانية الغربية الباقية في الشام إلى الآن، تغيير كبير في اللفظ وتأثرت بالظروف وباللغات المجاورة كالعربية والتركية والفارسية والكردية وأخذ المتحدثون بها يستعملونها للأغراض الأدبية أيضاً منذ القرن السابع عشر، تحت تأثير المرسلين الغربيين، فينشرون بها صحفهم ومجلاتهم وكتبهم، فسادت في هذا المضمار اللهجة الأرومية. أما السريانية الغربية فلا زالت مستعملة في ثلاث قرى واقعة في الشمال الشرقي من دمشق وهي: معلولا وبنجنا وجبعدين، وقد عانت تغييراً كبيراً وتأثرت إلى حد بعيد في نحوها وألفاظها باللغات التي سادت تلك المنطقة، ولكنها تعتبر بقية حية للآرامية الغربية.

بعد استقلال العراق سمح بتدريس السريانية بالمدارس الأهلية التي تديرها الكنيسة وأستمر الأمر حتى عام 1968، وفي عام 1970 وافقت الحكومة العراقية على إقامة مجمع علمي للغة السريانية صنوا لمجمع اللغة العربية في بغداد. واستمر المجمع ما يقرب من عشر سنوات ثم أدمج في جسم المجمع العلمي العراقي وأسمى قسماً من أقسام المجمع الخمسة بأسم دائرة اللغة السريانية. وفي عام 1972 صدر قانون يعطي حقوقاً للناطقين بالسريانية. وفي عام 1973 أقيم مهرجان أو بالأحرى مؤتمراً عالمياً لمرور (1600 سنة) على وفاة العلامة الفقيه والشاعر الكبير (مار أفرام) السرياني ومرور (800 سنة) على ارتحال الحكيم الطبيب (حنين بن أسحق العبادي) الذي أُلّف في الطب والكحالة أكثر من (30) كتاباً باللغتين السريانية والعربية كما ترجم أكثر من (50) كتاباً ومقالة عن السريانية واليونانية. وأصدر المجمع عام 1974 مجلداً يضم معظم البحوث والكلمات باللغات العربية والسريانية والفرنسية والانكليزية. ومنذ عام 1991 تدرس السريانية في المراحل الثلاث الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في منطقة كردستان. وقد ترجمت كثير من الكتب العلمية المنهجية من

العربية الى السريانية وجرى تدريسها بسهولة ويسر. وفي عام 2004 افتتح قسم لدراسة اللغة السريانية في جامعة بغداد. كذلك في كلية بابل لللاهوت التي تأسست عام 1995 تدرس السريانية الشرقية (السورث) وتاريخها مع المواضيع الدينية. علماً بأن السريانية تسمى بالإنكليزية Syriac وبالفرنسية Syriac .

ميراث المؤلفات السريانية

- يذكر مؤلف (تاريخ اللغات السامية) إن بعض الفوارق اللغوية هي من صنع أحبار الشيعة النسطورية واليعقوبية، وقد اخترعت لأغراض سياسية ودينية أكثر مما هي لغوية، وقد لخص المؤلفات السريانية على النمط الآتي (ص 149):
- أ- مؤلفات تحتوي تراجم وتفسير في كتب التوراة والأنجيل لكثير من فحول القسيسين والعلماء.
 - ب- مؤلفات تحتوي على مجادلات بين أساطين الطائفة النسطورية وبين قادة الفكر من أصحاب المذهب اليعقوبي. وبسبب الخلاف بين هذين المذهبين كثر التأليف، وكان هذا الخلاف في بادئ أمره سياسياً أكثر منه دينياً.
 - ج- مؤلفات تحتوي على شرائع وقوانين مستمدة من التوراة والانجيل والحياة القومية، مع طائفة من القصائد الدينية كان يُترنم بها في الكنائس.
 - د- مؤلفات في تاريخ الكنيسة السريانية وأبطالها، ومن هذا النوع مصنفات يُظن إنها لا تزال مدفونة في الأديرة والصوامع لم تقع عليها أعين الباحثين.
 - هـ- مؤلفات في الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والفلك والحساب والكيمياء والجغرافية، ويضاف هذا النوع الى المؤلفات التي نُقلت من اليونانية الى السريانية... مما نُقل من بعد الى العربية.

المصادر

- كتابنا (جدل الهويات) / المؤسسة العربية / بيروت 2001
- تاريخ اللغات السامية أ- ولفنسون
- التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي / توماس طومسن .
- آرام دمشق واسرائيل / فراس السواح / دار علاء الدين / دمشق 1995 .
- (La Mesopotamie/Georges ROUX/P 136-138/Paris 1985
- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين / فيليب حتي / دار الثقافة / بيروت 1958
- البحث عن نينوى/ هنري لايارد / دار سركون / السويد 1994.
- ثقافة السريان/ نينا بيغوليفسكايا / دار الحصاد / دمشق 1990.
- تاريخ نصارى العراق / روفائيل اسحق / الشرقية / ديترويت 1989.
- السريانية / العربية / سمير عبده / دار علاء الدين / دمشق 2000.
- البير أبونا / أدب اللغة الارامية / بيروت 1970
- تاريخ الكنيسة الشرقية / البير أبونا / دار المشرق / بيروت 1993.
- تاريخ الادب السرياني / روينس دوفال / بغداد 1992.
- مجلة دراسات اشتراكية / عدد خاص بالسريان / دمشق 1990.

- منير تقي الدين / اللغة الأرامية ، لهجاتها وتاريخها / ملحق النهار الاسبوعي / 2008/7/14
- عبدالوهاب محمد الجبوري / صفحات من تاريخ الاقوام واللغات العاربة / موقع جمعية الترجمة العربية

معلومات لغوية عن السريانية

ܐ	ܘ	ܝ	ܚ	ܛ	ܠ	الحرف السرياني
و	ط	د	ج	ب	ا	ما يقابله بالعربي
<u>واو</u>	<u>هي</u>	<u>دولت</u>	<u>كومل</u>	<u>بيث</u>	<u>أولف</u>	<u>لفظه</u>
ܟ	ܡ	ܢ	ܥ	ܦ	ܩ	الحرف السرياني
ل	ث	ي	ط	ح	ز	ما يقابله بالعربي
<u>لومث</u>	<u>كوف</u>	<u>يوز</u>	<u>طيث</u>	<u>حيث</u>	<u>زاي</u>	<u>لفظه</u>
ܪ	ܫ	ܬ	ܩ	ܩ	ܩ	الحرف السرياني
ص	ف	ع	س	ن	م	ما يقابله بالعربي
<u>صودي</u>	<u>فا</u>	<u>عين</u>	<u>سمكت</u>	<u>نون</u>	<u>ميم</u>	<u>لفظه</u>
		ܬ	ܫ	ܩ	ܩ	الحرف السرياني
		ت	ش	ر	ق	ما يقابله بالعربي
		<u>تاو</u>	<u>شين</u>	<u>ريش</u>	<u>قوف</u>	<u>لفظه</u>

إن الاختلافات اللغوية في الآرامية موجودة منذ بدايات انتشارها في العراق والشام، في الالف الاول ق.م. حيث انقسمت منذ البداية الى (أرامية شرقية عراقية) و(أرامية غربية شامية)، وبينها اختلافات ثانوية في الكتابة والتلفظ. ولكن هذه الاختلافات تعمقت مع السريانية المسيحية، وتعمق الخلاف بين أتباع كنيسة النساطرة العراقية وكنيسة اليعاقبة الشامية. ونلمس ذلك جلياً واضحاً في مدرستي الرها ونصيبين، وللبطريك اغناطيوس افرام الرحماني للسريان الكاثوليك بحث مستفيض لا يزال القسم الأكبر منه مخطوطاً (بشهادة الأب اسحاق أرملة).

قال البرتوس بن مركس في كتابه (نحاة السريان) (الكتاب في نحو اللغة الآرامية والسريانية والكلدانية وصرفها وشعرها، تأليف القس جرجس الرزي، المطبعة الكاثوليكية سنة 1897، المقدمة): (ان أول من كتب في نحو السريانية يوسف الأهوازي، توفي سنة 580، أستاذ مدرسة نصيبين. وكان الطلاب قبله يتعلمون اللغة ويحكمونها بالنقل والتقليد والمطالعة الكثيرة).

يعقوب الرهاوي، المتوفى 708، وقيل 710، اشتغل بأداب اللغة السريانية وألف فيها كتاباً كان عمدة وسنداً يُرجع إليه. وأشهر نحاة السريان يشوع دناح المتوفى في القرن الثامن وحنين بن اسحاق 873 والياس الطيرهالي 1049 وقد نهج في اللغة السريانية منهج نحاة العرب وغيرهم.

وقال صاحب (اللباب): (ان الحروف الهجائية في اللغة السامية تُبدل من حروف أخرى وتبدأ بالساكن، وصيغة الجمع تتبع الفعل إذا أسند الى فاعل جمع بخلاف العربية) (اللباب، تأليف القس جبرائيل القرداحي الحلبي اللبناني، المطبعة الكاثوليكية بيروت 1887، المقدمة).

* * *

مقارنة الضمائر المنفصلة في اللغات السامية

العربية	الآرامية	العبرية	البابلية
انا	انا	اني	اناكو
انت	انت	ات	ات
انت	انت	ات	ات
هو	هو	هو	شو
هي	هي	هي	شي
نحن	انحان	نحن وانحن	انينو
انتم	اتف	اتم	اتونو

انتن	اتن	اتن	اتينا
هم	هنون	هم وهما	شونو
هن	هنن	هينا وهن	شينا

من خصائص السريانية

- 1- ليس للسان السرياني أداة تعريف للاسماء.
- 2- له أداة خصوصية لإضافة الاسم الى أسم آخر، وهي الدال تدخل على المضاف اليه.
- 3- ان ميم الجمع تُقلب فيه الى نون.
- 4- ان المثني لم يبق منه أثر في اللسان السرياني.
- 5- ان الحركة التي لا يعقبها مدّ أو حرف مشدّد أو حرف ساكن تسقط دائماً في اللفظ السرياني إلا إذا أوجب إبقاءها صعوبة.
- 6- إن الحروف الهجائية في اللغة السامية الأصلية تُبدل من حروف أخرى.
- 7- إن الاسم المفرد وجمع المؤنث السالم إذا لم يلحق بهما شيء يطلق آخرهما بالألف.
- 8- النون في بعض الأسماء الأُوليّة تُقلب الى راء.
- 9- هناك صيغتان فقدتا من اللغات السامية وبقيتا في اللغة السريانية وهما سفعل وشفعل.

كذلك :

- صار آخر الاسم (آ) وهو أداة التعريف. (الكتاب : خثوبا). (الخبز : لحمًا).
- في صيغة المستقبل يتبدئ الفعل بالنون مثل : (سأقتل : نُكوتيل).
- أصول الكلمات في السريانية ثلاثية كما في اللغات السامية، وهي الفاء والعين واللام، وما عداها زائد.
- تغيير الحركات في وسط الكلمات، وتغيير الحركات يتغير المعنى.
- ليس فيها تضعيف.
- ليس فيها مثني، وإن كان هناك آثار له.
- تبدل النون راءً في بعض الأسماء (ابن : إبرا)، (ابنة، برجا)

الابجدية السريانية

في الكتابة السريانية 22 حرفاً تكتب من اليمين الى اليسار وتجمع بالعبارات الآتية:

أبجد، هوز، خطي، كلمن، سعيص، قرشت

وجميع الحروف السريانية تقبل الاتصال بالحرف الذي قبلها، وثمانية حروف تدعى بالواقفة لا تقبل الاتصال بما بعدها. والسريانية على لهجتين : الشرقية وهي الكلدانية والآثورية وتنتشر في العراق وايران وجبال كردستان، والغربية

في سورية ولبنان. والفرق بين اللغتين - اللهجتين هو في نقاط بعض الحركات والحروف وفي رسم الخط ليس إلا. فالشرقية لها سبع حركات والغربية لها خمس حركات. ويلاحظ إن حروف الهجاء السريانية 22 حرفاً مثل الأحرف الفينيقية بينما نجد إن الحروف العربية 29 حرفاً وترتيبها يختلف عن ترتيب الأجدية السريانية. ولدى السريان حروف مضاعفة يختلف فيها اللفظ حسب وقوعها في سياق الجملة. وهي الحروف التالية :

الباء وتلفظ باء أو (v) حسب وقوعها في الكلمة ... التاء وتلفظ ثاء أحياناً ... الجيم وتلفظ بالجيم المصرية أو بلفظ الغاء ... الدال وتلفظ دالاً و ذالاً ... الحاء وتلفظ خاء في السريانية الشرقية ... الكاف وتلفظ كافاً عربية و خاء ... ولدى السريان الغربيين 5 حركات أساسية هي: / الزقوفو وتعادل ال (O) الأجنبية / الفتوحو وتعادل الفتحة العربية / الحبوصو وتعادل ال (I) الفرنسية / الربوصو وتعادل ال (O) الفرنسية / العصوصو وتعادل ال (OU) الفرنسية.

لدى السريان الشرقيين 7 حركات. وبين السريانية والعربية تقارباً لغوياً يتوزع بين اللفظي، وعبر الأعداد، وفي الكلمات رغم تغيير حرف واحد بين اللغتين أحياناً وفي الألفاظ المتباعدة التي تمتلك رسوباتها في العربية !

كلمات عربية - سريانية متشابهة

هنالك ما لا يحصى من الكلمات المتشابهة بين اللغتين العربية والسريانية، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. هنا نسجل عينة بسيطة على سبيل المثال.

نماذج كلمات متشابهة بصورة غير مباشرة

بعيرو = بهيمة // برتقالي = ليمونوا // حصان = سسيو (بالعربي ساس الخيل) // بقرة = تورتو (مؤنث ثور)

نماذج كلمات متطابقة

وردي = وردنويو ... ازرق = زرقو ... ياقوتي = ياقوندويو ... خمري = حمرونويو ... شماس = شاموشو ... قس = قاشو ... حيوانات = حايوثو ... مهر = مهرو ... بغل = بغلو ... حمار = حمورو ... حمارة = حمرتو ... ثور = تورو ... عجل = عغلو أو ارونو ... جاموس = جوموشو ... جاموسة = جومشتو ... جمل = جملو ... تيس = تيشو ... عنزة = عيزو ... جدي = جذيو ... كلب = كلبو ... كلبة = كلبتو ... ذئب = ديبو ... قط = قاطو ... هر = هارو أو ماطونو ... ظبي = ظبيو ... فيل = فيلو ... نمر = نمرو ... قرد = قردو ... أرنب = أرنبو ... الخلد = حلدو ... حية = حيوو ... قنفذ = قفدو ... سوسة الارض = سوشو ... جرو = قرطيسو أو جريو ... مثلث = مثلثو ... مربع = مربعو ... قطر الدائرة = قطرو ... زاوية = زاويثو ... حارة = حارثتو ... محاسب = حشبونو ... امي = عامويو (عامي بالعربي) ... لغة / لسان = ليشونو ... درب = دربو ... سبيل = شيبيلو ... مدينة = مديثو ... قرية = قريثو ... مملكة = مملختو ... سوق = شوقو ... بئر = بيرو ... السكة الحديدية = سكتو فرزولو ... جسر = جشرو ... طاحونة / رحة = رحيو.

النهاية	الوسط	البداية	الشكل الطبيعي للحرف
ا	ا	ا	ا
ب	ب	ب	ب
ل	ل	ل	ل
ر	ر	ر	ر
هـ	هـ	هـ	هـ

النهاية	الوسط	البداية	الشكل الطبيعي للحرف
و	و	و	و
ز	ز	ز	ز
ح	ح	ح	ح
ط	ط	ط	ط
ث	ث	ث	ث

النهاية	الوسط	البداية	الشكل الطبيعي للحرف
ف	ف	ف	ف = ف
ص	ص	ص	ص = ص
ق	ق	ق	ق = ق
ر	ر	ر	ر = ر
ث	ث	ث	ث = ث
ت	ت	ت	ت = ت

الحركات

السريانية مثل العربية أيضاً فيها (حركات) أي حروف علة صغيرة ..

أقحاً صبوراً	الحركات السريانية
أ : ا	بَ
و : و	بُ
ه : ه	بِ

رواها : بلفظ مثل حرف ه بالانكليزي
وهو عبارة عن نقطة توضع فوق
حرف (الواو) .

ه

رواها : بلفظ واو قوية ، وهى عبارة
عن نقطة توضع تحت حرف
(الواو) .

ه

حواصا : هذه الحركة تستعمل مع
حرف (الياء) . وذلك بوضع
نقطة تحته لنصح باء قوية .

ب

بشأنا (نقطة فوق الحرف والأخرى تحته) :
هي بمثابة فتحة خفيفة .

ب ، ب

زقبا (نقطتان فوق الحرف ، الواحدة فوق الأخرى) :
هي بمثابة فتحة قوية أو (الف) .

ب ، ب

زلاما بشيقا (نقطتان تحت الحرف ، الواحدة بصف الأخرى) :
هي بمثابة كسرة خفيفة .

ب ، ب

زلاما قشيا (نقطتان تحت الحرف ، الواحدة تحت الأخرى) :
هي بمثابة كسرة قوية أو (ياء) .

ب ، ب

نماذج كلمات

دولذ	بكب	؟
ب	ب	؟
آخر الكلمة	وسط الكلمة	أول الكلمة
معاها	لفظها	مثال الكلمة
عم	دودو	وا
شكراً	تودي	ههه
واحد	حاد	ب
حرف ؟ من الحروف التي لها لفظان لين وقاسى ويقابله بالعربية حرف الدال ملاحظة:		
هذا الحرف يتصل بالحرف الذي يسبقه ولا يتصل بالحرف الذي يليه		

بيت	حد	د
ب	ب	ب
آخر الكلمة	وسط الكلمة	أول الكلمة
معناها	لفظها	مثال الكلمة
طفل	بوبو	حدا
عنب	عنبي	حدا
أشهى	طوب	ب
أطيب		
الحرف د له لفظان قاس ولين سناتي على ذكرهم حين الأنتهاء من الحروف		

		كومل		
		أول الكلمة	وسط الكلمة	آخر الكلمة
ف	فَأْ	فَأْ	فَأْ	فَأْ
ل	رَبًّا	رَبًّا	رَبًّا	رَبًّا
م	مُهًّ	مُهًّ	مُهًّ	مُهًّ
و	وَمَا	وَمَا	وَمَا	وَمَا
هـ	مَلْمَأُ	مَلْمَأُ	مَلْمَأُ	مَلْمَأُ
هـ	شَكَرًا	شَكَرًا	شَكَرًا	شَكَرًا

حرف كومل من الحروف التي لها لفظان لين وفاسي ويلفظ كالجيم (ج) المصرية وقد وضعت خط فوق حرف الكاف لينفظ كما أشرت أعلاه يقابله بالعربية حرف (ج) الجيم

بعض الأمثلة :			
الحرف	المثال	اللفظ	المعنى
هـ	سَعَا	: حوبو :	محبة
و	سَعَا	: موزو :	موز
س	سَعَا	: حوبو :	محبة
ل	سَعَا	: طوبو :	جيد : صالح
ب	رَبًّا	: صايدو :	صيد

صلاة بالسريانية



آبون دبشمايو نثقاداش اشْمُخْ
أبونا الذي في السماء لينقدس اسمك

رَكَعًا مَعَانِكَا

أَكْفِي وَكَمَعْنَا: نَلَقَبْهُ هَمَكْر:
أَلَا مَلَكَةَ أَمْر. تَهْةَا رَحْمَتِي: أَمَطَا
وَكَمَعْنَا أَوْ كَارَا. هَوَّجْ كَمَسَا
وَهْةَا نَقْر تَهْ مَكْنَا. هَوَّجْهُ كِي
مَهْ قَتْر هَوَّجْهُ: أَمَطَا وَآف سَيَّ
عَظْمَ كَسْتَنْطِي. هَلَا أَمَكْر
كَمَسْنَا. أَلَا قِي كِي مَعْ حَنْطَا
مَلَكَا وَوَمَكْر هَوَّجْ مَلَكَةَ هَوَّجْ
هَوَّجْهُ لَكُم مَلَكْتِي.
أَمْنِ ::

آيون ديشمايو ... أبانا الذي في السماوات
نتقاداش اشموخ ... ليتقدس اسمك
تيته ملكوتخ ... ليأتي ملكوتك
نهوه صبيونخ ... لتكن مشينتك
أيكانو ديشمايو أوف برعو ... كما في السماء كذلك على الأرض
هب لان لحمو دسون قونان يومونو ... أعطنا خبزنا كفاف يومنا
وشبوق لان حوبين وحطوهين ... واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا
أيكانو د وف حنان لشبقن حايبين ... كما نحن نغفر لمن أخطأ وأساء إلينا
ولو تعلن لنسيونو ... ولا تدخلنا في التجارب
إيلو فاصن من بيشو ... لكن نجنا من الشرير
وحيلو وتشبحتو لعولم دعولمين أمين ... لأن لك القوة والتسبحة الى أبد الأبدين أمين

وثائق

بيان صادر عن لجنة توحيد الخط السرياني

بغداد/ تموز/ 2006

ك	و	ي	ه	ا	و	ه	ا	د	ب	ا
kap	yodh	téith	héith	zâyn	waw	hé	dalâth	gamâl	béith	alâp
k, k/kh	y	t	h	z	w	h	d, d/dh	g, g/gh	b, b/bh	'
[k, x]	[j]	[t]	[h]	[z]	[w]	[h]	[d, ð]	[g, ɣ]	[b, v]	[ʔ]
20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
ت	م	ن	س	پ	ف	د	س	م	ن	ا
taw	sheen	résh	qop	şadhé	pé	'ain	simkâth	nun	meem	lamâdh
t, t/th	sh	r	q	ş	p, p/ph	'	s	n	m	l
[t]	[ʃ]	[r]	[q]	[ʂ]	[p, f]	[ʔ]	[s]	[n]	[m]	[l]
300	200	100	90	80	70	60	50	40	30	20

الخط السرياني الاسطرنجيلي

اجتمعت لجنة توحيد الخط السرياني المنبثقة من ندوة توحيد الخط السرياني التي أعدها اتحاد الادباء والكتاب السريان في العراق يوم السبت المصادف 2006 / 7 / 1 في بغداد مع المدير العام للتعليم السرياني في وزارة التربية / إقليم كردستان ولجنة اعداد المناهج السريانية في وزارة التربية في الاقليم وبعد مناقشات مستفيضة حول موضوع استخدام الخط الاسطرنجيلي تم الاتفاق على ما يلي :

- 1- استخدام الخط الاسطرنجيلي مع الحركات الشرقية في المخاطبات الرسمية والعناوين.
- 2- التأكيد على ضرورة استخدام الخط الاسطرنجيلي في المقالات المنشورة في الصحف والمجلات والكتب الاكاديمية وبصورة تدريجية.
- 3- التنسيق بين فعاليات التعليم السرياني لاستخدام الخط الاسطرنجيلي بصورة مناسبة وتربوية.

اللجنة المجتمعة :

- د. بشير الطوري / أستاذ اللغة السريانية.
- د. يوسف قوزي / رئيس قسم اللغة السريانية في كلية اللغات.
- نزار حنا بطرس / المدير العام للتعليم السرياني في إقليم كردستان.
- يونان هوزايا / باحث ولغوي.
- نادر موسى مراد / مشرف التعليم السرياني في إقليم كردستان.
- عمانوئيل شكوانا / مدير التعليم السرياني - وزارة التربية بغداد.

نزار حنا ديراني / رئيس اتحاد الادباء والكتاب السريان .

* * *

تخرج الدفعة الاولى لقسم اللغة السريانية

بغداد - حزيران 2008



خريجي الدورة الاولى للغة السريانية 2008

احتفلت كلية اللغات / جامعة بغداد بتخرج الدفعة الاولى لطلبة قسم اللغة السريانية (دورة نعوم فائق) بحضور الطلبة الخريجين وذويهم وأساتذة الكلية.. ويعد الطلبة الخريجين الدفعة الاولى من خريجي هذا القسم الذي تم افتتاحه عام 2004 بإشراف عدد من الاساتذة ذوي الاختصاص في الادب السرياني واللغة والأطر التاريخية لها.
إن هذا القسم يدرّس المواد التالية :
السنة الأولى : اللفظ الشرقي والغربي / الاملاء / المحادثة / القواعد / اللغة العربية / اللغة الانكليزية / حقوق الانسان / الأنصت.
السنة الثانية : اللفظ / المحادثة / القواعد / الترجمة / اللغة العربية / اللغة الانكليزية / اللغة الأكديّة.
السنة الثالثة : القواعد / المحادثة / الترجمة / تأريخ الادب / اللغة المندائية / اللغة العبرية.
السنة الرابعة : النصوص / الترجمة / تأريخ الأدب / فقه اللغة / الأنشاء / اللغة المندائية / العبرية.

ملف الثقافة اليهودية



- ❖ العقيدة اليهودية بابلية عراقية أم سماوية توحيدية؟!
- ❖ الدور العراقي في تأسيس اليهودية
- ❖ الخلاصة: اليهودية بين دنيوية البابلية وسماوية العرفانية
- ❖ اليهودية العراقية في العصر العباسي
- ❖ ملاحق معلوماتية عن أوضاع اليهود في العصرين العثماني والحديث
- ❖ المصادر

العقيدة اليهودية، بابلية عراقية،

أم سماوية توحيدية؟!

قبل ان نبدأ هذا الملف علينا أن نوضح المسألة التالية :

إننا لم نختار في عنوان هذا الملف موضوع (اللغة) لأننا سنتحدث عن (الثقافة اليهودية العراقية، ديانة ونصوصاً) بصورة تفصيلية. أما موضوع (لغة اليهود)، فهو لا يخلو من الاشكالية، لأن لغة اليهود بصورة عامة، وخصوصاً في العراق، كانت أساساً (الآرامية)، منذ سبيهم الى بابل في القرن السادس ق.م، حتى الفتح العربي الاسلامي للعراق في القرن السابع الميلادي. بعدها أصبحت (العربية) هي لغتهم للكتابة وللمخاطبة، لحد هجرتهم من العراق في خمسينيات القرن العشرين.

إشكالية لغات اليهود

أما اللغة العبرية، فإن تاريخها يسوده الغموض مثل باقي تاريخ اليهود واليهودية، وخصوصاً حقبة ما قبل السبي. فحسب الباحث (اسرائيل ولفنسون) إن (اليهود) كانوا يطلقون على لغتهم (اللغة اليهودية) وكذلك (لغة كنعان)، ولم

تذكر بأسم (العبرية) إلاّ بعد السبي البابلي^(*). ومن المعلوم إن لغة اليهود قبل السبي كانت الكنعانية، مثل باقي سكان فلسطين وعموم الشام. وقد أطلقوا على لهجتهم (العبرية) من باب التمايز، لا أكثر. وهناك جدل حول مدى استخدامها في تدوين الكتب اليهودية المقدسة، وخصوصاً حقبة ما بعد السبي.

من المؤكد والمتفق عليه انهم في بابل تبنا (اللغة الآرامية الشرقية العراقية) ودونوا كتبهم بها. حتى بعد العودة الى فلسطين، أيضاً بقيت الآرامية لغة اليهود لأن هذه اللغة الجديدة قد أصبحت لغة بلدان الهلال الخصيب، كتابياً وشعبياً، بعد أن احتوت تماماً اللغتين (الاكديّة العراقية والكنعانية الشامية). لهذا فإن لغة السيد المسيح والمسيحية كانت الآرامية وليست العبرية.

أما مسألة استخدام (العبرية) في كتابة بعض أجزاء العهد القديم في بابل، فأمر غير مؤكد. فإن أقدم وثيقة توراتية بالعبرية - الآرامية تعود الى الحقبة العباسية في القرن العاشر. لكن في العصر الحالي تم العثور على وثائق قمران (فلسطين) التي تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد، أي بعد السبي بحوالي ثلاثة قرون، وتحتوي على وثائق دينية بالعبرية والآرامية. ثم ان هذه (اللغة العبرية) ما كانت حقاً كنعانية تماماً، بل هي مزيج من الكنعانية والآرامية. لقد ظلت الآرامية هي اللغة الاساس، ثم إبتداءً من القرن الرابع ق.م وسيطرة اليونان على الشرق، بدأت (اللغة اليونانية) تشيع في كتابات اليهود وعموم الشرقيين بجانب الآرامية (السريانية). ومن أبرز الامثلة على ذلك اصدار ترجمة العهد القديم الى اليونانية (الترجمة السبعينية) في القرن الثاني ق.م، وهي ترجمة أيضاً مختلف على صحة تاريخها ومضمونها^(†). وقد استمرت الكتابات اليهودية تستخدم العبرية والآرامية السريانية بجانب اليونانية في العراق وعموم البحر المتوسط، حتى الفتح العربي الاسلامي، حيث بدأت العبرية تأخذ حيزها بين اليهود، حتى أصبحت لغتهم الاساسية كتابة ومخاطبة، بجانب الآرامية والعبرية. بل انهم أصدروا كتباً مكتوبة بحروف عربية ولكن بلغة عبرية - آرامية. بل ان قواعد (اللغة العبرية) قد وضعت في بغداد تشبهاً بقواعد (العبرية) في القرن العاشر من قبل العلامة اليهودي الكبير (سعيد بن يوسف الفيومي) المعروف بأسم (سعاديه) وهو مصري عاش في بغداد^(‡).

لقد بقيت العبرية طيلة تاريخ اليهودية مثل اللاتينية لدى المسيحيين في اوربا محصورة بالكتابات والطقوس الدينية. في عموم العالم احتفظ اليهود بالعبرية والآرامية الى جانب لغات الاوطان التي يقيمون فيها. وقد سادت (لغة اليديش) بين يهود اوربا الشرقية ومانيا، وهي مزيج من السلافي والالمانى مع العبرية الآرامية، ويرجع تاريخها الى القرون الوسطى. وقد استعملت الاحرف الهجائية (العبرية) في تدوينها وتكتب من اليمين الى اليسار. كذلك هنالك اللغة (اليهودية الاسبانية)، وتتضمن عدداً من الكلمات العبرية، لكنها تعتمد بشكل أساسي على الاسبانية القديمة كما تكتب من اليمين الى اليسار.

(1) تاريخ اللغات السامية - أ. ولفنسون - ص 78

(2) طالع مثلا الموقع الانكليزي الخاص بهذا الكتاب والذي يفصل الفروق بين النسخة العبرية والنسخة السبعينية :

The Septuagint versus the Masoretic / Genesis

(3) حول العبرية ولغات اليهود، طالع :

Mireille Hadas-Lebel, Histoire de la langue hébraïque, Des origines à l'époque de la Mishna,

Collection de la Revue des études juives, Éditions E. Peeters, 1995

أما (العبرية) السائدة حالياً في اسرائيل فهي مزيج مصطنع من الآرامية والعبرية القديمة (الكنعانية)، وقد بدأ بتكوينها بعض اليهود في اوربا في القرن التاسع عشر، وهي تكتب بالخط الآرامي المربع^(٤).

مقارنة بالعربية، فإن العبرية الحالية لا تتضمن أحرف (ذغ ض ظ)، وتحتوي على حرفي (p) و (v). وكثير من الاحيان يتحول لفظ (و) بالعربي الى لفظ (v) بالعبري، مثل (حواء) الى (حفا). كذلك أغلب الاحيان يحول لفظ (س) الى (ش)، مثل (موسى) الى (موشي)، والعكس كذلك. تتشابه العربية والعبرية في صيغة الفعل والذي غالباً ما يكون ثلاثي. تكتب اللغة العربية ضمن صيغ من الخطوط المتعددة الشكل ومن أشهر تلك الخطوط للحرف العربي: الكوفي والنسخ والرقعة والديواني.. الخ. أما العبرية فبخط واحد هو الخط الآرامي المربع. العبرية تحتوي على حركات إعرابية مثل العربية، لكنها توضع في أسفل الاحرف فقط. إن عبرية اسرائيل فيها مختلف اللهجات، فهناك لهجة اليهود الاوربيين (الاشكناز) الى جانب لهجات اليهود القادمين من البلدان العربية، مثل اليمينية والعراقية والمصرية والمغربية..

القرآن والتاريخ اليهودي

א	ב	ג	ד	ה	ו	ז	ח	ט	י
י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק
ר	ש	ת	י	י	י	י	י	י	י
י	י	י	י	י	י	י	י	י	י

((الخط الآرامي المربع والابجدية العبرية))

قبل أن ندخل في مناقشة تاريخ اليهود واليهودية، علينا أن نذكر الحقيقة التالية: لقد اتفق غالبية الباحثون أجنب وعرب في العصر الحديث، على أن تاريخ

اليهودية حسب التوراة مضخم أكثر من اللازم والطروحات القومية العنصرية واللا أنسانية (كما سنبين في بحثنا)، وبالتالي لا يمكنه أن يكون متفقاً مع طروحات القرآن الكريم^(٥). ولكن المشكلة في العصر الاسلامي السابق، وبسبب الموقف الايجابي والأخوي من قبل المسلمين إزاء اليهود، فأنهم عموماً تبّنوا القصص التوراتية وأقحموها على بعض التفاسير الاسلامية الشائعة بل أضافوا إليها الكثير من المبالغات عن عظمة زعماء اليهود وسلطانهم الاسطوري (ما سمي بالاسرائيليات). لقد بينت البحوث العربية والاسلامية الحديثة، إن تاريخ اليهود حسب التوراة مختلف كثيراً عما هو وارد في القرآن الكريم. فمثلاً إن القرآن، عكس التوراة، لم يحدد تاريخ خروج اليهود من مصر ولا مكان تيهيمهم، والأهم من هذا انه لم يحدد البلد الذي استقروا فيها، فلم يذكر

(4) حول العربية والعبرية، طالع: اللغة والسياسة / شيرمه عبد الكريم اللبدي / دراسة في الانترنت / كذلك طالع الموسوعات العربية والعالمية (اللغة العبرية).

(5) طالع مثلاً: بنو اسرائيل في القرآن والسنة / محمد سيد طنطاوي / دار الشروق للنشر والتوزيع / 1977 القاهرة

- بنو اسرائيل في القرآن الكريم / محمد عبد السلام ابو النيل / دار حنين للنشر والتوزيع 2003

- هل اليهود حقاً شعب الله المختار / محمد جمال طحان / دار صفحات / بيروت 2009

(فلسطين أرض الميعاد) ولا كنعان وباقي الاقوام، بل ذكر عبارة (الارض المقدسة)^(*). أما بخصوص (مملكة داود وسليمان) التي ادعت التوراة بعظمتها وإنما امتدت من النيل الى الفرات، فإن القرآن الكريم لم يحدد مكانها ولا أتساعها ولم يذكر أورشليم ولا بيت المقدس، ولم يتحدث عن بناء (هيكل سليمان العظيم)^(†). وهكذا دواليك جميع القصص المتعلقة بتاريخ اليهود واليهودية، وكل ما أضيف من تفاسير وحكايات أسلامية هي من (الاسرائيليات) وليس لها أي دخل بالقرآن.

الاساس العراقي للثقافة اليهودية

إن المتمعن في تاريخ اليهودية يكتشف ان العراق (بابل) كان الموطن الاول الذي تأسست فيه كعقيدة كتابية ناضجة، ومنه أخذت الجزء الاعظم من مصادرها الثقافية والدينية. وفي بابل (أصيب اليهود) بـ (عشق الكتاب والكتابة) التي تميز بها العراقيون طيلة تاريخهم وحتى الآن. وفي بابل نشأ العدد الاكبر من أنبياء ومؤسسي العقيدة اليهودية. وكما يقول المؤرخ الفرنسي الكبير (جان بوتيرو): ((منذ عام 1872 بعد أن تم التمكّن من قراءة الكتابة المسمارية والكشف عن كنوز الكتابات العراقية القديمة، فقد "الكتاب المقدس" أهميته العظمى باعتباره أقدم كتاب عن تاريخ البشرية، وتحول الى كتاب أدبي ديني))^(‡).

إننا نبتغي من دراستنا هذه، الكشف عن الفكرتين التاليتين:

1- ان اليهودية لم تتكون كديانة واضحة وناضجة في فلسطين على يد (النبي موسى) الذي ينسب اليه كتاب (التوراة)^(§) بعد الخروج من مصر في أواخر الالف الثاني ق.م. بل ان بداياتها الاولى وتأسيسها كدين كتابي محدد كانت في بابل بعد سبي اليهود في القرن السابع ق.م.

2- ان اليهودية ليست هي أول (ديانة توحيدية سماوية) بل (المسيحية). لأن اليهودية في هذه المرحلة التأسيسية البابلية كانت (ديانة بابلية دنيوية)، ولم تبدأ بالتحول الى (سماوية - توحيدية) إلا بعد ظهور التيار (العرفاني - الغنوصي) ابتداءً من القرن الثالث ق.م. الذي أدخل في اليهودية المبدئين (التوحيدي والسماوي):

- التوحيد يتمثل بالايان بأن الاله ليس (يهوه) رب اليهود وحدهم، بل هو (الله) الواحد رب جميع البشر والخلقة.

- السماوي يتمثل بالايان بأن مصير الانسان ليس العدم، بل هنالك القيامة ويوم الحساب والوعد بالخلود في ملكوت

السماء.

تاريخ اليهود واليهودية

(6) تيه بنو اسرائيل بين القرآن والتوراة / نضال عباس دويكات / كتاب منشور على الانترنت

(7) أحمد عثمان : تاريخ اليهود / ج1 / مكتبة الشروق / القاهرة 1994

(8) Jean BOTTERO – Naissance De Dieu- Folio-Paris2007/P9

طالع أيضاً: من سومر الى التوراة / ص192 / كذلك: موسى والتوحيد / فرويد / ص 33

(9) ان رأينا هذا لا يتعارض مع الطرح المسيحي والاسلامي الذي يقدر النبي موسى وتوراته. فالمسيحية والاسلام يعترفان ان التوراة الحقيقية قد حرفت وان المتداوله ليست هي الاصلية.

تعتبر اليهودية من بين الاديان التي لم تتكون منذ البدء كعقيدة واضحة محددة ، بل هي أشبه بالوادي الكبير الذي تجمعت فيه مختلف الانهار والمجاري والمستنقعات والبحيرات ، التي لم تمتزج ببعضها بل تراكمت جنب بعضها ، ولكنها مع ذلك تجتمع تحت راية الوادي وحدوده وشروطه البيئية الخاصة.

يمكن تحديد تاريخ اليهود واليهودية بالمراحل الستة التالية :

1- المرحلة الشفاهية البدائية ، وهي المرحلة الفلسطينية الاولى التي يسودها الكثير من الغموض والفرضيات والمجادلات بين المؤرخين العلميين والفقهاء المؤمنين ، وهي تتعلق بكل تاريخ اليهود السابق لفترة السبي البابلي. وتبدأ منذ الالف الثاني ق.م مع حكاية خروج النبي ابراهيم من أور العراق ، ثم خروج اليهود من مصر مع النبي موسى ، ثم تكوين دولتي اسرائيل ويهوذا ، حتى السبي البابلي (القرن السابع ق.م)^(١) (لاحظ التفاصيل لاحقاً).

2- المرحلة الكتابية البابلية (بين القرن السابع والقرن الاول ق.م) ، والتي تحولت فيها اليهودية من انتماء جغرافي اقوامي لـ (دولة يهوذا في جنوب فلسطين) الى انتماء ديني واضح. ان هذا التحول الكتابي المتأثر الى حد بعيد بإنجازات الحضارة البابلية ، قد وضع اليهودية في الطريق الى تحطيم بدائيتها اللاأخلاقية والهها البشري البسيط ، نحو نوع من الاخلاق الانسانية والايمان باله سماوي وعادل. إذ قامت الجالية اليهودية في بابل بكتابة تراثها الشفاهي الحكائي والعقائدي في اسفار (أجزاء وفصول) مختلفة جمعت في كتاب واحد اسمه (الكتاب المقدس ، العهد القديم) ، الذي أطلق على اسفاره الخمس الاولى تسمية (التوراة - التراث) وهي التي نسبت الى (النبي موسى) شفاهياً أو كتابياً ، بالإضافة الى (اسفار الانبياء) وغيرها. وأعقب الكتاب المقدس كذلك تدوين شروحات وجدالات دينية جمعت أيضاً في كتاب كبير اسمه (التلمود ، أي التلمذة والتعلم)^(٢).

3- المرحلة التنظيمية الانعزالية ، وهي المرحلة الفلسطينية الثانية (بين القرن السادس والاول ق.م) وهي متداخلة زمنياً مع المرحلة البابلية. في فلسطين وتحت قيادة النخبة البابلية القادمة بزعامة (ازاريل) أولاً ، ثم بعدها بقرن تحت قيادة (ناحيم وعزرا) ، تحولت اليهودية الى ديانة محددة و متميزة عقائدية وعرقياً ، من خلال فرض سيطرة رجال الدين (الحاخامات ، أي الحكماء) وفرض الطقوس والاحتفالات وفرض العزلة والحرمة على الاختلاط بغير اليهود.

4- المرحلة العرفانية - العالمية (اليونانية - المصرية) (بين القرن الثالث ق.م حتى القرن الثاني ميلادي) حيث تحولت (الاسكندرية) المصرية الى مركز لتطوير اليهودية وانفتاحها على الفكر العرفاني الروحاني المشرقي مع الفكر اليوناني الفلسفي. كذلك ظهور الترجمة اليونانية للتوراة (الترجمة السبعينية) في القرن الميلادي الاول. وظهور الكثير من الكتابات

10) حول الاصل الشفاهي الشعبي للتوراة ، اتفق على هذا كبار الباحثين من أمثال (E.Meyer) و(H.Gunkel). طالع :

-آرام دمشق واسرائيل / السواح / ص10

11) ان تأثير بابل على نصوص الكتاب اليهودي المقدس أمر واضح ومعترف به. وكما يقول الباحث الاسرائيلي (زلمان شازار): لقد انبهر العلماء عندما اكتشفوا التشابه الكبير بين الكتابات المقدسة مع الكتابات البابلية الى حد التطابق الكامل ، بحيث فقد الكتاب المقدس قيمته المميزة ، طالع : تاريخ نقد العهد القديم /

زلمان شازار / ص 165

اليهودية الروحانية المغايرة لمضامين الكتاب المقدس ، وقد أطلق عليها (الاسفار المنحولة والاسفار غير القانونية)، وفيها ظهرت لأول مرة في اليهودية مفاهيم (خلود الروح والثواب والعقاب والجنة والنار) والتي أثرت كثيراً على الاجزاء المتأخرة من التلمود. ويبدو ان هذا التيار اليهودي الروحاني الجديد قد ساهم بالتمهيد لظهور المسيحية^(١٢). في هذه الحقبة بدأت اليهودية تتحول الى ديانة توحيدية سماوية كبرى معترف بتأثيرها الحاسم على باقي العقائد الكبرى السائدة في حوض البحر المتوسط والعالم القديم (اليوناني - الروماني).

5- المرحلة العربية - الاسلامية (بين القرن السابع والسادس عشر م) حيث انتعشت اليهودية في بغداد والاندلس والقاهرة. وبرزت تيارات اجتهادية شبيهة بالتيارات الاسلامية، مثل مذهب (القرائين) الرافضين للتلمود، المتأثرين بالمعتزلة في بغداد. وفي هذه الحقبة تأثرت اليهودية كثيراً بالتيار الروحاني (العرفاني التصوفي) الاسلامي، حيث برزت أسماء كبرى من أمثال (ابن ميمون) في الاندلس وكذلك تكون مذهب (القبالا) الذي أضاف لليهودية بعدها الروحاني الاشرافي.

6- المرحلة الاوربية - الصهيونية، (منذ سقوط الاندلس في القرن السادس عشر وحتى الآن). حيث بدأت خلالها اليهودية تتحول بالتدريج الى حركة قومية متعصبة بتأثير التطورات القومية الحاصلة في اوربا وكذلك معاناة اليهود من حياة العزلة (الغيتو) والعنصرية الاوربية التي بلغت ذروتها في إبادة ملايين اليهود في الحرب العالمية الثانية. وهذا الامر سهّل كثيراً للحركة القومية اليهودية (الصهيونية) المتأثرة بالفكر العنصري والاستعماري الاوربي، أن تفرض سيطرتها على يهود العالم وتقودهم الى نوع من التعويض عن العنصرية والمذابح الاوربية، من خلال الانتقام من اخوتهم الفلسطينيين وتبرير طردهم وبناء دولة اسرائيل.

تاريخ اليهود قبل السبي

ان حال اليهود واليهودية قبل السبي البابلي غامض جداً، فما عثر الآثاريون والمؤرخون إلا على نتف من الآثار والمصادر الصغيرة التي تمنح بعض المعلومات غير المؤكدة عن تاريخ اليهود قبل السبي. يبقى (التوراة) هو المصدر الوحيد المتوفر حتى الآن عن تاريخ اليهود في تلك الحقبة. لكن المشكلة ان (التوراة) لم يكتب إلا بعد السبي في بابل. لقد اتفق المؤرخون والآثاريون على ان التاريخ الوارد في اسفار (التوراة)، ليس له أي دخل بالحقيقة، لأنه تاريخ شعبي فيه الكثير من الخيال والمبالغات، حاله حال كل أساطير وسير الشعوب، مثل اسطورة كلكامش، والالياذة، وسيرة بني هلال وسيرة عنتره^(١٣). فمثلاً لقد اقتنع المؤرخون بأن مملكة داود وسليمان العظيمة التي ملكت الجن والانس وأجبرت بلقيس

12) الرحمن والشيطان / فراس السواح / ص 155 - 156

13) ان مسالة التشكيك بصحة التاريخ الوارد في التوراة أصبح أمراً شائعاً منذ عدة قرون، حتى لدى المؤرخين الاسرائيليين، أو الذين أطلق عليهم (المؤرخون الجدد). وان شعبية هذا التشكيك جعلت حتى (التايم الامريكية) وهي مجلة جادة ومقربة من اليهود، أن تخصص ملفاً عن هذه القضية تحت عنوان (الكتاب المقدس، حقيقة أم خيال) وقد اتفق غالبية المختصين على لا تاريخية الكتاب المقدس / تاريخ 18 - 12. 1995 / طالع أيضاً مقالة (احمد عثمان) في جريدة

الحياة اللندنية / 24 - 12. 1995

ملكة سبأ على المجيء طلباً للأمان (حسب التوراة) ماهي إلا مشيخة صغيرة (دويلة صغيرة) مثل مئات المشيخات المتناثرة في المنطقة، بل ان هذه المشيخة من صغرها لم يرد لها أي ذكر في جميع المصادر والآثار التاريخية المكتشفة ولم تترك أي أثر حتى لو كلمة على صخرة أو قطعة نقدية أو اشارة واحدة في أي من الكم الهائل من الرسائل والوثائق المتبادلة حينذاك بين الدول. وليس لها أي ذكر إلا في التوراة وحدها لا أكثر. وهذا هو حال 80% من الحوادث والشخصيات التاريخية المذكورة في التوراة^(*). فمثلاً، من المبالغت المعروفة في اليهودية ادعائهم بأن (النجمة السداسية) هي (نجمة داود)، بينما كل البحوث التاريخية تؤكد إنها لم تستخدم من قبل اليهود إلا بعد القرون الوسطى في اوربا^(†). بالاضافة الى أنها رمز عالمي قديم وجد لدى المصريين والهنود.

ان التاريخ الحقيقي لليهود والمثبت آثارياً وتوثيقياً يبدأ منذ السبي البابلي في القرن السابع وحتى العصر الحديث، أما قبل ذلك، أي التاريخ التوراتي، فهو افتراضي وخيالي ومضخم جداً وقد استخدمته اسرائيل والصهيونية من أجل تبرير مشاريعها العنصرية الاستيطانية.

عقيدة اليهود قبل السبي



في كل الاحوال، إن كانت (التوراة) لا تصلح أن تكون مصدراً لكتابة التاريخ، فهي على الاقل تصلح لأن تكون مصدراً للكشف عن العقيدة التي كان يتبناها اليهود قبل السبي. ان قراءة الاسفار الخمسة التي تشكل التوراة، تكشف لنا على ان العقيدة السائدة في تلك المرحلة تتسم بصفتين: (الاخلاقية، والوثنية)^(‡).

أولاً - الروح البدائية الحربية القائمة على القوة والمنافسة والخداع والتعصب، وممارسة طقوس الخضوع دون حس أخلاقي وأنساني: في (سفر الخروج 12: 10-15) على لسان موسى يذكر أول دعوة لتنفيذ عقوبة الاعدام، ليس بحق من يعتدي على الآخرين أو يتجاوز الاخلاق، بل بكل بساطة بحق من (ياكل خميراً)! وهذا دليل على ان الجانب الطقسي الشكلي وليس الاخلاقي والانساني كان هو

الاساس في تلك العقيدة. كذلك، يمكن لليهودي مسح الخطايا الاخلاقية من اعتداء وسرقة وفحش وخيانة، بواسطة تقديم القرابين (سفر اللاويين 6: 1-7 / كذلك 16: 20-12). وهنالك قسوة وحشية في فرض الطقوس: إذ يكفي أي سلوك شعائري غير متقن ليستحق فاعله الموت حرقاً، كما حصل لأبني هارون عندما حرقهما (الرب يهوه) لمجرد انهما لمسا خطأ الموقد المقدس (سفر اللاويين 10: 1-2). وحصل نفس العقاب الوحشي لرجل آخر لمجرد انه لمس خطأ تابوت العهد! (6: 3-8). ونكتشف الى أي مدى تسيطر الطقوس الشكلية البدائية، عندما نقرأ في (التوراة)، ذلك العدد

14) طالع أيضاً: تاريخ اسرائيل القديمة / كيث وايتلام / عالم المعرفة / الكويت 1999

15) طالع موسوعة ويكيبيديا / نجمة داود

16) لقد أسهب بتفصيل هاتين الصفتين: فراس السواح / الرحمن والشيطان / الفصل الخامس. لقد اعتمدنا نحن عليه في هذا القسم. / طالع كذلك: Dieu

Obscur- Thomas Romer- Labor et Fides- Geneve 1998

الكبير من الاسباب التافهة التي يستحق عليها اليهودي عقاب الموت، منها: عدم غسل الكاهن ليديه ورجليه قبل الصلاة (الخروج 30 : 17 - 20). كذلك العمل يوم السبت. (الخروج 31 : 15). كذلك العمل يوم الغفران (اللاويين 23 : 27). كذلك أكل الدم (اللاويين 17 : 10 - 11). كذلك معاشره الزوجة الحائض (اللاويين 20 : 18). كل هذه الامور تبرر موت الفاعل، فأية شريعة رحمة ربانية هذه؟!

وهناك وصاية بدائية ساذجة وقاسية ودموية كثيرة في التوراة، منها مثلاً طلب الرب من موسى : (لا تصعد الى مذبحي على درج لثلاث تنكشف عورتك) (الخروج 20 : 18-26). كذلك تبرير معاقبة الابناء حتى الجيل الرابع، للرجل الذي يقترب خطأ. (الخروج 2 : 5). كذلك الدعوة للانتحار الجماعي لمجرد تهدة غضب الرب، بحيث أمر آلاف اليهود بأن يقتلوا بعضهم البعض حتى اخوتهم وأبنائهم. (الخروج 32 : 27 - 29). كذلك حللت عمليات الابادة الجماعية، كما فعل اليهود مع أهل مديان الكنعانية، إذ أمر موسى بقتل حتى الاطفال الاسرى من الذكور، وكل امرأة يمكن أن تحمل. (العدد 32 : 8 - 18). نفس الامر حصل لمدينة أريحا الفلسطينية من مذابح جماعية سادية ومجانبة شملت حتى المواشي، انتهت بحرق المدينة وأهلها. (يشوع 6 : 21). نفس المصير لأهل مدينة عاي حيث تم ذبح 12 ألف انسان. (يشوع 8 : 23 - 24). وقام الرب بقتل سبعون ألف اسرائيلي لمجرد أن يسخر من داود. (24 : 1 - 17) على هذا المنوال فأنت التوراة تمتلئ بهذه الجرائم وسفك الدماء والمحاق الجماعية المباركة من الرب يهوه.

كذلك تمتلئ التوراة بقصص الزنا وفساد المحارم والخيانات التي اقترفتها أنبياء اليهود وشخصياتهم المقدسة، والغريب انها تظهر على انها مقبولة تماماً من قبل الرب : فهي هو أبراهيم يرحل الى مصر ويدعي بأن زوجته ساره هي أخته ويوافق على أن تصبح زوجة للفرعون، لقاء حصوله على المال. (التكوين 12 : 17 - 20). نفس الفعل كرره اسحاق، لكن الملك اكتشف الامر وأثبه على ذلك. (التكوين 26 : 3 - 11). كذلك يقوم الشيخ يهوذا بممارسة الفحش مع زوجة ابنه تمارا وينجب منها طفلاً. (التكوين 38). لقد غفر الرب لداود الذي استولى على زوجة أحد قاداته الذي بعته الى الموت، ثم أنجب منها ابنه سليمان (صموئيل الاول : 11 و 12). كذلك يقوم النبي لوط بالفحش مع ابنتيه وتحملان منه. (التكوين 19 : 36 - 38).

ولكي نكون عادلين في وصفنا للتوراة يتوجب التنبيه الى انها رغم امتلائها بالافعال اللا أخلاقية والدموية واللا أنسانية، إلا أنها تحتوي أيضاً على الكثير من الوصايا الاخلاقية والانسانية، التي تتناقض تماماً مع المضامين والافعال السلبية السائدة. فهي هو عاموس يقول : ((اطلبوا الخير لا الشر لكي تحيوا.. وليجر الحق كالمياه، والبر كنهز دائم)). (5 : 14، 21 - 24).

ثانياً - غياب التوحيد والبعد السماوي عن الرب : إذ تكشف لنا التوراة عن اله بدائي جداً وقومي خاص باليهود يحمل عدة أسماء (يهوه) وأحياناً (ايل)، وكذلك (ايلهيم، جمع ايل) ان الاله اليهودي أقرب الى الانسان العادي منه الى الاله، فهو يعيش بين البشر ويأكل ويشرب ويغار ويخضع، بل هو حتى يشتهي النساء!! (انك لا تسجد لإله آخر، لأن الرب اسمه غيور، اله غيور) (الخروج 34 : 14). (إذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع ويؤذيكم ويفنيكم) (يشوع 34 : 14 - 20) (اله الآلهة. الرب إله الآلهة) (يشوع 22 : 21). (الله قائم في مجمع الآلهة. في وسط الآلهة يقضي) (المزمور 82 : 1 - 6). وفي سفر التكوين في الاصحاح (18 : 6 - 9)، يقوم الله بزيارة ودية لابراهيم ومعه اثنان من

أتباعه، ويأكلون عَجلاً ما طبخته سارة. كذلك في سفر التكوين (32 : 22 - 30) يتصارع الرب (يهوه) مع يعقوب ويبدأ يصرخ من الألم والخسارة. وفي سفر الخروج (33 و 24) يشاهد موسى وجماعته الرب على جبل سيناء، وأكلوا وشربوا في حضرته.

والغريب إن هذا الرب له علاقة إيجابية مع الشيطان رمز الشر. فهذا هو الرب يقول: ((أنا الرب وليس آخر، مصور النور وخالق الظلمة. صانع السلام وخالق الشر..)) (45 : 76). واتخذ رمز الشر أسماء عدة، فهو تارة أسمه (عزازيل) وهو على علاقة صداقة بالرب، بحيث إن هارون يكلف الرب بأن يأخذ له قربانه (اللاويين 16 : 5 - 10). وتارة اسمه (بلعيا)، فهاهم أتباعه يحاولون أن يغتصبوا ضيفاً. (19 : 22 - 23). وهناك حالات كثيرة قام فيها الرب باستخدام الشيطان من أجل معاينة الآخرين، كما فعل مع المصريين (12 : 23)، وهو يحمل أحياناً أسم (المهلك)، فيقول الرب: ((أنا خلقت المهلك ليخرب)) (54 : 16). كذلك يحمل أسم (شطن) أي الشيطان. وفي سفر أيوب يتفق الرب والشيطان على إقامة رهان لتجربة أيوب بتحمل المصائب. (1 : 13 - 22).

ما ذكرناه أعلاه، هو بعض الامثلة من الشواهد التي تمتلئ بها التوراة عن لا أخلاقية عقيدة تلك الحقبة، وكذلك بدائية الرب وفساده وتعدده وتخصصه بالعبرانيين وحدهم^(*).

الجدير بالذكر أن التلمود، لم يكن أقل سوءاً من التوراة، فهو يمتلئ بالحق على غير اليهود (الغويوم، العوام) و ضد المسيحيين خصوصاً. أقلها ان غير اليهود ليسوا بشر، بل ان الله منحهم هيئة بشر ليصبحوا عبيداً لليهود! والطريف إن ترجمات التلمود كانت تبدل تسمية (الغويوم) و (النصارى) بتسمية أخرى حسب البلد والحقبة. ففي أنكلترا الاستعمارية أبدلت بـ (الهنود)، أو (الزواج)، ولكن في أغلب الاحيان كانت تبدل بـ (أهل بابل) باعتبارهم يستحقون العنصرية واللعنة. كذلك (الاشماعيلي) أي العرب!^(†).

الاصل البدوي البدائي للتوراة

ان قرائتنا لمضامين التوراة الذي ينسب الى موسى، ويعتبر المصدر الاقدم لثقافة اليهود، يدلنا على ان ثقافة اليهود الاولى وقناعاتهم الدينية التأسيسية، كانت بدائية جداً قائمة على مفاهيم القوة والحرب وانعدام البعد السماوي وهي أقرب الى العقائد البشرية الاولى قبل أن تمسها أخلاقيات الحضارة. وهذا يجعلنا نتفق مع الطروحات القائلة:

17) ان لا اخلاقية (العهد القديم) أمر جلب انتباه العديد من المعنيين، قديماً وحديثاً. نشير هنا الى هذا الكتاب الهام الذي صدر بالانكليزية، والذي اعتبر فيه الباحث ان التوراة هي التي منحت التبريرات الدينية للحكومات الغربية للقيام بحروبها الاستعمارية وممارسة العبودية والتصفيات العرقية :

Bible and Colonialism: A Moral Critique Michaël Prior

وقد ترجم الى العربية بعنوان: الكتاب المقدس والاستعمار / مكتبة الشروق / وصدر أيضاً بالفرنسية :

BIBLE ET COLONIALISME- Critique d'une instrumentalisation du texte sacré

18) اليد الخفية / عبد الوهاب المسيري / ص 24 - 29 / دار الشروق / القاهرة 1998

1- ان اليهود ما عاشوا في مصر طيلة قرون كما تدعي التوراة، وانما نسبوا لأنفسهم حكاية قديمة ربما اقتبسوها من إحدى الجماعات التي جاورتهم أو امتزجت بهم فيما بعد^(*). ليس من المعقول أن يعيش العبرانيون في مصر لعدة قرون ويمتزجوا بأهلها وحتى يصعدوا في نخبها الحاكمة (مثال يوسف مستشار الفرعون، وموسى ربيب الفرعون والقائد العسكري الكبير) ويتنعموا بكل مباهجها الحضارية، ولكنهم رغم ذلك ظلوا في ثقافتهم وفي عقائدهم بدائيين بدويين جداً، ولم تؤثر عليهم الحضارة المصرية قيد أنملة، إلا ربما في اكتساب عادة الختان المصرية وتحريم لحم الخنزير، لا أكثر!^(†). فهم لم يكتسبوا من المصريين أهم خصلتين في ديانتهم : التوحيد والايان باله الشمس الرحيم (آتون)، والايان بيوم الحساب^(‡).

2- ان اليهود ما كانوا جزءاً من الحضارة الكنعانية الفلسطينية - الشامية. علماً بأن عقيدة الكنعانيين تتشابه كثيراً مع عقيدة العراقيين حتى بأسماء الآلهة، إلا بعض الاختلافات الطفيفة. ان التوراة لم تحتوي من عقيدة الكنعانيين الدينية إلا نتف قليلة ليس لها حضور واضح : مثل أسم (ايل، وجمعه ايلهيم) ويعني (العالي) وهو أسم كبير الآلهة الكنعاني - العراقي، الذي تحول فيما بعد الى أسم (الله) باللفظ الآرامي. وأوضح الأدلة على رفض التوراة لعقيدة الكنعانيين، انها تذكر (عشتار) الهة الانوثة والامومة (الكنعانية - العراقية)، بصورة سلبية وتأثيمية. فمثلاً يغضب (يهوه) من (سليمان) عندما يميل الى (عشتاروت) (سفر الملوك الاول 11 : 1 و4 و5 و33 / كذلك الملوك الثاني 23 و11). وهذا يدل على أن العبرانيين، كانوا عبارة عن تحالف قبائل بدوية تمكنوا من السيطرة العسكرية على مدن فلسطينية كنعانية، مثل أورشليم والسامرة، ولكنهم ظلوا كعشائر حاكمة منعزلة عن السكان الاصليين وثقافتهم وعقيدتهم. ولنا في التاريخ القديم وحتى الحاضر أمثلة كثيرة على تكوين بعض العشائر لسلاسل حاكمة تبقى شبه منقطعة عن السكان. بل إن غالبية دول العالم القديم كانت قائمة على هذا المبدأ. لتأخذ مثال غالبية السلاسل الملكية الحالية في اوربا، التي تعود الى عشائر جرمانية وأسكندنافية (الفيكنغ) بدائية محاربة غزت اوربا وفرضت سيطرتها منذ القرون الوسطى. كذلك حال بلدان الخليج والجزيرة العربية، حيث تمكنت عشائر بدوية محاربة من تكوين سلاسل حاكمة تتمايز أحياناً حتى بمذهبها عن غالبية السكان الاصليين.

19) يفترض (فرويد) ان (موسى) هو نفسه (تخومس) ضابط مصري من أتباع الفرعون (اخناتون) صانع عقيدة التوحيد المصرية. وبعد موت الفرعون وفشل مشروعه التوحيدي، هرب (تخومس) بأنصاره الى سيناء واندمجوا مع قبائل عبرانية بدوية / طالع : موسى والتوحيد / ص 84 - 87 / يبقى أن نشير الى اختلافنا كثيراً مع العديد من طروحات (فرويد)، وبالذات فيما يخص تقليده من روحانية المسيحية وسوء فهمه للعرفانية.

20) حول الختان: موسى والتوحيد / فرويد / ص 36 و 46 / أيضاً حول الختان وتحريم الخنزير: ص 40

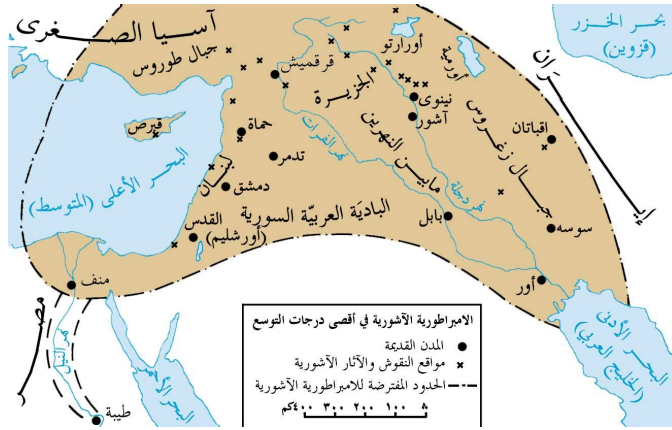
21) موسى والتوحيد / فرويد / ص 68 - 69

سياسة التهجير والسبي العراقية

عكس ما يشاع، فإن (سبي اليهود) الى (بابل) لم يكن حالة استثنائية وخاصة باليهود وبغاية أستعبادهم، بل كان جزءاً من سياسة ظلت تمارسها السلطات العراقية، الآشورية ثم الكلدانية، طيلة قرون طويلة. فكان يتم نقل السكان من منطقة الى أخرى بطرق سلمية أو عقابية، من أجل تعمير الاراضي والمناطق. فمثلاً في القرن الثامن ق.م، تم نقل (30)

السورية الى المناطق الشرقية
زاغاروس من أجل تعميرها

ألف من سكان (حما)
العراقية المحاذية لجبال
ولصد تسربات القبائل



الوقت قد تم نقل (18) ألف
ليستوطنوا (حما) المسيية. في
وعلى حملتين متتاليتين، تم

الجبلية، وبنفس
من سكان دجلة
نفس هذا القرن أيضاً

وسط وجنوب العراق من أنصار
كاملة، الى شمال العراق، عقاباً لهم

أكثر من أربعة ملايين شخص تم تهجيرهم في أنحاء
الامبراطورية الآشورية، خلال ثلاث قرون

نقل حوالي ربع مليون من سكان
المتمردين الكلدان، أفراد وعوائل

ومن أجل تعمير الاراضي والمستوطنات الجديدة. إن سياسة التهجير هذه كانت من القوة والاستمرارية بحيث بلغ عدد الذين تم نقلهم خلال ثلاثة قرون، داخل حدود الامبراطورية الآشورية التي شملت العراق والشام، (أربعة ملايين) شخص، أفراد وعوائل وعشائر. وهذا رقم هائل يدل على قوة سياسة التهجير المتبعة^(*)!

سبي اليهود

من المعلوم ان عموم بلاد الشام (بلاد الكنعانيين) وبالذات منطقة (فلسطين) ظلت دائماً وفي كل حقب التاريخ ساحة صراع على النفوذ بين الدولتين العراقية والمصرية. وكانت هنالك دائماً أحزاب وأطراف من أنصار إحدى القوتين. إن عمليات سبي الفلسطينيين لم تشمل العبرانيين وحدهم كما يشاع، بل عموم شعوب منطقة الهلال الخصيب، بما فيهم سكان العراق. أما فلسطين فعمليات السبي شملت كنعانيين وعبرانيين وغيرهم، وانها تركزت على أنصار دويلة (يهودا -

(22) لمطالعة تفاصيل عمليات التهجير، راجع:

la Mesopotamie/Georges ROUX/P270-271

كذلك : فراس السواح / آرام دمشق / ص 250 - 252

أورشليم) جنوب فلسطين، ودويلة (اسرائيل - السامرة) شمال فلسطين، بسبب ارتباطهما بمصر^(*). تحدثنا المصادر التاريخية عن فترتين من عمليات السبي:

- الفترة الآشورية بين القرنين التاسع والسابع ق.م واشتملت على عدة حملات سبي ضد يهودا واسرائيل، وإن تركزت أكثر على (اسرائيل)، التي اختفت بعدها من الوجود عام 721 ق.م. وتتفق المصادر على رقم مبالغ بعدد المسيبين يبلغ عدة مئات من الآلاف! لكن ميزة هذه المرحلة ان المسيبين قد اختفوا من التاريخ لأنه تم توزيعهم في أنحاء المناطق الجبلية العراقية والایرانية، وذابوا وأصبحوا جزءاً من سكان المنطقة^(†).

- الفترة الكلدانية، على يد (نبوخذ نصر)، في حملتين (597 و 586 ق.م) وقد تركزت على (يهودا)، وقد بلغ عدد المسيبين أكثر من 50 ألف، بغالبيتهم من النخب العليا: ((كل الرؤساء وجميع جبابرة الناس... وجميع الصناع والاقيان. ولم يبق أحد إلا مساكن شعب الارض)) (سفر الملوك الثاني 24 : 14). في هذه المرحلة لم يتم تشتيتهم، بل جمعوا في منطقة بابل (وسط وجنوب العراق) مما سمح بتشكيلهم كجالية متميزة. بما أنهم كانوا كلهم من سكان يهودا، لهذا شاعت تسمية (اليهود) كتسمية أقوامية وليست دينية، ولكن مع الزمن تحولوا الى طائفة دينية خاصة^(‡).

ظهور النخب اليهودية العراقية

(ان بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر كل الارض . من خمرها شربت الامم)

(التوراة - أيرميا 51 : 7)

على عكس الصورة السائدة، ان يهود بابل ما كانوا مسييين مضطهدين، بل هم مندمجين في المجتمع البابلي حتى بلغوا طبقاته العليا. وقد منحهم (نبوخذ نصر) أراض خصبة على الفرات وقدم لهم الدعم من أجل أن يسكنوا فيها ويعيشوا بسلام^(§). ان المصادر التاريخية ومن ضمنها مصادر يهودية تعترف بأن (نبوخذ نصر) قد سمح للأسرى أن يصبحوا عائلاتهم وينقلوا معهم ممتلكاتهم ومواشيهم، وانه وهب اليهود أخصب مقاطعاته وأسكنهم فيها مثل منطقة (نفر) (نيبور) التي كانت تُعد من أغنى مقاطعات بابل، ومنحهم كذلك أوسع الحريات في العمل وممارسة طقوسهم الدينية، وكانت السلطات الحاكمة تعاملهم على أحسن وجه. ولقد استفاد اليهود كثيراً من الامتيازات التي منحهم إياها الكلدان، فأتقنوا الحرف والصناعات المختلفة، وتدرجوا في الطبقات العليا وعظم شأنهم بين البابليين. أصبحوا في غضون مدة وجيزة أغنى أهل بابل، فبعضهم امتلك الأراضي الزراعية والبعض الآخر كان يزرع بالفعل على الأراضي التي أقطعت لهم، وقد حفروا شبكة من جداول الري والقنوات لإيصال المياه السحيحة إلى مزارعهم، وأنشأوا الحقول والبساتين ووجهوا عنايتهم لوقايتها من الغرق، فأقاموا السدود ونظموا أعمال الري على أحسن وجه، وقد اعتنوا عناية خاصة بتطهير الجداول والمبازل من الراسبات الغرينية، بحيث تحولت هذه المنطقة إلى حقول مثمرة، وكان يعمل بعضهم في حقل التجارة، ويرى البعض أنه لولا أنبياء المهجر الذين كانوا لا ينفكون عن تنبيه اليهود إلى أخطار الانصهار وحثهم على

23) الاديان الحية / أديب صعب / ص 129

24) ملامح التاريخ القديم ليهود العراق / أحمد سوسة / ص 57 / كذلك فيليب حتى / ج 2 / ص 213

25) نفس المصدرين: سوسة / ص 125. 126 / ثم حتى / ص 220

26) الاديان الحية / مصدر سابق / ص 130

ضرورة التفكير في العودة إلى يهوذا لانصهر اليهود في الشعب الكلداني إنصهاراً تاماً بسبب ما توافر لهم من رغد العيش والأمن والاستقرار.

إن النقطة المهمة التي تستحق التذكر، إن هؤلاء اليهود المسيبين في بابل، كانوا بغالبيتهم الساحقة من أفراد النخب العليا في فلسطين، من رجال دين ومتعلمين وحرفيين وغيرهم. علماً بأن هذا الاختيار النخبوي كان شائعاً في سياسة التهجير العراقية، لأن السيطرة على النخب العليا تسهل السيطرة على الناس والبلدان. لكن هذه النقطة بالذات كانت العامل الحاسم في جعل الجالية اليهودية في بابل، نشطة وفعالة وقادرة على الاستيعاب السريع والكبير للحضارة البابلية والصعود في نخب المجتمع البابلي العليا، وبالتالي التمكن من لعب الدور الحاسم بتأسيس العقيدة اليهودية. جميع دلائل التاريخ تؤكد هذه الصورة الايجابية :

- ان الثقافة اليهودية وكتبها ومدارسها ومبديعتها، نشأت في بابل. فيها ظهر نبيهم حزقيال (586 و 538 ق.م) الذي كتب (سفر حزقيال). كذلك ظهر (النبي إشعييا الثاني 550 سنة 540 ق.م) الذي يعتبر من أهم اللذين طُوروا اليهودية ومنحوها بعدها القومي والخلاصي. (طالع سفر إشعييا). كذلك قام (عزرا) بتنظيم اليهودية في فلسطين وجعلها ديناً محمداً بالطقوس والواجبات، وقام بجمع اسفار التوراة (القرن الخامس ق.م) ومات في العراق، كذلك (النبي ناحوم) الذي قاد حملة العودة الى فلسطين وأعاد بناء الهيكل⁽⁷⁾. كما أسست في العراق معابد ومدارس دينية يهودية لعبت دوراً حاسماً في بناء الثقافة اليهودية. وان (الكتاب المقدس - العهد القديم)، قد كتبه فعلياً اليهود المقيمون في بابل، حيث استلهموا أولاً تراثهم الشفهي البدوي البدائي الذي جلبوه معهم من فلسطين، ومزجوه مع تراث الديانة العراقية (البابلية) وأساطيرها المعروفة، مثل أسطورة التكوين والطوفان وقصة موسى، وآدم وحواء. أما كتابهم التشريعي (التلمود البابلي) فقد كتبه أيضاً في بابل مستلهمين الثقافة القانونية العراقية ومن أهمها (شريعة حمورابي).

ثم ان غالبية اليهود رفضوا العودة الى فلسطين، بعد سقوط بابل وتشجيع المحتلين الفرس لهم. بل ان بابل بقيت محطة إنقاذ لليهود حيث كانوا يلجأون إليها كلما ساءت أحوالهم في فلسطين. لكن الموقف السلبي من بابل ظهر بعد سقوط بابل لدى بعض الأقليات المتعصبة، فأدعوا إنهم كانوا مسييين مضطهدين في بابل : ((على ضفاف أنهار بابل جلسنا، وذرفنا الدموع حينما تذكرنا صهيون. / المزامير - 137 - 1)). وقد بلغ التعصب لدى هذه الأقلية المتشددة إلى حد أنهم دعوا إلى الانتقام من البابليين بل وحتى قتل أطفالهم :

(يا إبنة بابل الراحلة الى الخراب، طوبى لمن يجازيك ما كافأتنا به، طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة / المزامير 136 : 8 : 9).

(27) جميع هؤلاء الانبياء لهم مراقدهم في العراق وهي مقدسة من قبل المسلمين واليهود: مرقد حزقيال (ذي الكفل) قرب الحلة / مرقد العزيز، في مدينة (العزيز) في الجنوب / مرقد ناحوم في قرية (القوش - نينوى) / بالاضافة الى (يوشع) الكاهن في بغداد.

وأكبر دليل يدحض هذا الادعاء بمعاناة اليهود في بابل ، إنهم استمروا باللجوء الى العراق ، حتى قيل إن عددهم بلغ المليون ، بعد خراب أورشليم على يد الرومان عام 70 م^(٢٠).

إن دور النخب اليهودية البابلية الحاسم والقيادي في إبداع وتطوير اليهودية ، لم يقتصر فقط على المرحلة الاولى للتأسيس الديني ، بل استمرت على مراحل متواصلة عدة بلغت أكثر من 1500 عام ، أي من الحقبة البابلية في القرن السابع ق.م حيث تكونت الجالية اليهودية في بابل ، مروراً بالحقبة الآرامية المسيحية في ظل السيطرة الخارجية الاجنبية ، حتى الحقبة الحضارية العربية الاسلامية ، الى أن انتهى الدور اليهودي العراقي الابداعي مع انتهاء الدور الحضاري للعراقيين عموماً مع سقوط بغداد العباسية عام 258م.

* * *

الدور العراقي في تأسيس اليهودية



الشمعدان اليهودي بفروعه السبعة، ويعتقد اليهود إنه رمز الشمعدان الأكبر القديم - المصنوع من الذهب الخالص الذي كان يوضع داخل خيمة الاجتماع في هيكل سليمان. وجاء في سفر زكريا (4/ 11-13) أن شعلاته السبعة - أعين الإله الجائلة في الأرض كلها. لكن بعض اليهود يعتقدون بأن شعلاته السبعة ترمز إلى الكواكب السبعة. علماً بأن الرقم سبعة مقدس لدى العراقيين القدماء لأنهم كانوا يعبدون الكواكب المقدسة السبع التي كانت معروفة في تلك الحقبة

تدل جميع الوثائق الآثارية والتاريخية التي تم العثور عليها في الشرق الاوسط ، على ان اليهود واليهودية قبل السبي البابلي (القرن السابع ق.م) لم يرد لهم إلا تنف عابرة وغامضة لاتوحي بأية أهمية أو دور واضح. فليس هنالك أية إشارة تدل على وجود ديانة ما أسمها (اليهودية). وكل ما تذكره المصادر هي إشارات عابرة عن دويلات صغيرة

(مشيخات) في فلسطين إسمها (إسرائيل) و (يهودا). يعني مثل جميع الدويلات التابعة التي تأسست في المنطقة عبر التاريخ، مثل مواب وادوم والبتراء والحضر وبصرى والحيرة، وغيرها. ولم يدخل اليهود التاريخ السياسي والديني، إلا بعد السبي البابلي ومن خلال الدور الفعال والحاسم للجالية اليهودية في بابل، بحيث يصح إن تأسيس اليهودية كديانة متكاملة تم في بابل، وان اليهودية تعتبر ديانة عراقية أولاً قبل أن تأخذ بعدها العرفاني الروحاني العالمي. يمكن تحديد الدور العراقي في تأسيس اليهودية بالمراحل الثلاثة التالية: أولاً : تدوين الكتاب المقدس في بابل // ثانياً : قيام يهود بابل بنقل اليهودية الى فلسطين // ثالثاً : كتابة التلمود البابلي.

أولاً : تدوين الكتاب المقدس في بابل

إن (الكتاب المقدس - العهد القديم) يتكون من قسمين : (التوراة) وتضم الاسفار (أي الكتب أو النصوص) الخمسة الاولى التي تنسب الى النبي موسى. ثم اسفار الانبياء، وهي كتب أنبياء اليهود، ونصوص تاريخية وتسيبكية متنوعة، مثل (المزامير - الزبور) داود. ويدعي اليهود ان هذه الاسفار قد كتبت بالعبرية (فرع من الكنعانية الفلسطينية)، لكن الوثائق التاريخية تميل الى انها قد كتبت في بابل باللغة الآرامية الشرقية (العراقية). يتفق غالبية الباحثين في تاريخ الكتاب المقدس، إنه قد كتب من قبل اليهود أثناء سبيهم في (بابل) بين القرن السابع حتى القرن الثالث ق.م^(*). أو في أحسن الاحوال، انهم أعادوا كتابته بالاعتماد على ما ورثوه من لفافات متنوعة المصادر والتواريخ والحاوية على معلومات متناقضة ومتكررة، بالإضافة الى ما حفظته ذاكرتهم. ان هذا التناقض والتكرار في أخبار وحكايات التوراة هو الذي جلب انتباه الباحثين الاوربيين منذ القرن السادس عشر، بل إن أول من أعلن شكّه بأن كاتب التوراة هو (موسى)، الفيلسوف اليهودي (سبينوزا)^(†). لقد دونت باللغة الآرامية العراقية، وبالاعتماد على المصدرين التاليين :

1- الميراث الشفاهي الفلسطيني المحفوظ في ذاكرة العبرانيين من حكايات وأساطير ومعتقدات، جلبوها معهم من حياتهم السابقة في فلسطين. وهذا التراث الشعبي، حاله حال أي تراث شفاهي فيه الكثير من الصحيح والكثير الكثير من الخيالي والمضخم. ولنا مثال على ذلك السير الشعبية العربية عن عنتر والبسوس وبني هلال، التي أخذت أحداثاً وشخصيات تاريخية حقيقية ولكن ضخمتمتها أضعاف وأضعاف وترتيبها زمانياً ومكانياً. وهذا يفسر ما جرى مع التاريخ اليهودي الفلسطيني الوارد في التوراة عن خوارق النبي موسى وبطولات داود والملك سليمان الذي حكم الانس والجن، وغيرها من المآثر المضخمة والمتخيلة، والتي لم يتم العثور أي سند آثاري ولا تاريخي يؤكد صحتها. فالتوراة لها قيمة أدبية ودينية وتراثية، ولكنها لا يمكن أبداً أن تصلح كسند تاريخي.

(29) حول اتفاق الباحثين على كتابة التوراة في بابل، راجع : موسوعة ويكيبيديا باللغات العربية والفرنسية والانكليزية (اليهودية). / كذلك : فراس السواح / آرام ودمشق واسرائيل / ص 10 / كذلك دراسات منشورة في الانترنت، لكل من : الدكتور زغلول النجار / ود. علي حليل / اليهودية بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التلمود والتوراة / منشورات اتحاد الكتاب العرب 1997 / كذلك باللغة الفرنسية :

L'histoire de la Bible : J. H. Alexander La Maison de la Bible

Sur les traces de la Bible : Dr W.J. Ouweneel La Maison de la Bible

(30) تاريخ نقد العهد القديم / زلمان شازار / ص 93

2- الثقافة البابلية العراقية بجميع مخزونها العريق الديني والادبي والعلمي ، التي شكّلت المصدر الثاني الكبير أو المصدر الذي أعاد فيه اليهود صياغة ميراثهم الشفاهي وتجديده شكلا ومضمونا. وبسبب تأثير الثقافة البابلية عليهم ونشوء نخبة متعلمة قرر اليهود حينها كتابة تاريخهم الشعبي وعقيدتهم الدينية الشفاهية ، في كتاب أسموه (التوراة ، أي التراث) وهذه التسمية بحد ذاتها تدلنا على الغاية من هذا الكتاب ، أي (حفظ تراث الاسلاف)^(*).

وهذا يفسر إحتواء التوراة على الكثير من الميراثات العقائدية والثقافية العراقية ، بحيث يصح القول ان التوراة أقرب ما يكون كتاباً بابلياً. إذ يتفق الباحثون على اقتباس التوراة للأمر التالية من الميراث العراقي القديم :

- اسطورة خلق الكون والانسان / جنة عدن والفردوس المفقود / الطوفان ونوح / قصة هابيل وقابيل / أصل الانسان واللغات وبرج بابل / طفولة سرجون وطفولة موسى / محاربة قوى الشر / غضب الرب وانزال الكوارث / العهد بين الرب والعبد / قوانين حمورابي والوصايا العشر / البكاء على تموز وانتظار المخلص / أناشيد الزواج المقدس والمزامير ونشيد الانشاد / صبر أيوب / وغيرها من الحكايات والرموز التي لا تعدّ. أما من الناحية الدينية فأنهم اقتبسوا الكثير من الميراث العراقي ومعتقداته الدينية : اقتبسوا يوم (السبت)^(†) الذي كان يوم عطلة (سبوت وراحة) ونهاية الأسبوع لدى العراقيين. والطقوس والأزياء^(‡). أما عادة الختان فقد جلبها معهم اليهود من فلسطين وربما هي بتأثير مصري.

ثانياً : يهود بابل يعيدون تشكيل اليهودية في فلسطين

تمكن الفرس من اسقاط (بابل) سنة 539 ق.م التي كانت آخر دولة عراقية في العصر القديم. أصدر الملك قورش مرسوماً بدعوة اليهود وتشجيعهم من أجل الرجوع إلى ديارهم وإعادة بناء الهيكل في أورشليم ، لكن غالبية اليهود رفضوا العودة ، بل فقط فريق منهم بقيادة (زوربايل) حفيد (يهوياقيم) ملك يهودا الأخير. هكذا جاءت القافلة الأولى الى فلسطين مؤلفة من عدة عشرات الآلاف من اليهود ومعهم الآلاف من عبيد بابل من غير اليهود. إن رفض الغالبية هجر بابل يعود الى أنهم كانوا يعيشون حياة رخاء ، وخصوصاً الأثرياء منهم وأصحاب المناصب. كما إن غالبية الجيل الأول من السبي قد توفوا ، حيث مضت أكثر من ستين عام على السبي ، ولم يكن الجيل الثاني المولود في العراق يشعر بالحنين إلى فلسطين.

عزرا البابلي منجز الدين اليهودي

كان اليهود العائدون الى فلسطين ، متعصبون حتى ضد إخوانهم الذين بقوا في فلسطين ، بحيث عاملوهم باحتقار باعتبارهم منحرفين لأنهم قد تزوجوا مع إخوتهم الكنعانيين^(§). ولكن رغم ذلك التعصب والحماص ، فإن مشروع إعادة بناء الهيكل ما كان ناجحاً ، حتى بعد مرور أكثر من قرن على العودة. بعد ذلك قام (نحميا وعزرا) بمحاولة ثانية لترتيب حال اليهود هناك. في عام (444 ق.م) رحلوا من بابل الى فلسطين وقد اصطحبا معها ألف وسبعمئة يهودي بابلي. لقد

31) فيليب حتي / تاريخ سوريا / ج 2 / ص 242- 245

32) كان يوم السبت لدى العراقيين اسمه (شباتم) وهو (يوم نواح لبيبي) أي (يوم راحة القلوب) / طالع : دراسات في التاريخ / فريجة / ص 114

33) للاطلاع على تفاصيل الأثر البابلي في التوراة ، راجع : من سومر الى التوراة / الفصل الرابع) / كذلك : أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية / الاب سهيل قاشا / كذلك : كتاب المؤرخ الاسرائيلي : زلمان شازار / تاريخ العهد القديم / القسم الثاني.

34) الاديان الحية / أديب صعب / ص 132

تمكن (عزرا) بعد جهود كبيرة من إنشاء تنظيم ديني صارم أجبر يهود فلسطين بالقسم على التمسك بعهد موسى ، ورفض تزويج بناتهم لغير اليهود ، بل حتى التخلي عن زوجاتهم غير اليهوديات واعتبار نسلهم أبناء زنا. وصار الكهنة هم الحكام الأمرين. إن هذه المجموعة البابلية بقيادة عزرا هي التي قامت بكتابة ما سمي فيما بعد بـ (التلمود الفلسطيني). ومنذ ذلك الحين صارت اليهودية ديانة محدودة ومتميزة ، تحمل صفات الانغلاق العرقي والديني. وأمست الطقوس الشكلية مقدسة وصارمة مثل يوم السبت والصلاة في هيكل أورشليم والاحتفال بالاعياد والمناسبات اليهودية المعروفة^(*).

ثالثاً : كتابة التلمود الفلسطيني والبابلي

التلمود كتاب ضخيم جمعت فيه أحاديث اليهود وأحكامهم وفقههم وكل كتاباتهم التي أعقبت انجاز التوراة ، خلال حوالي ألف عام ، أي من القرن الخامس (ق.م) حتى القرن الخامس الميلادي. إن كلمة (التلمود) تعني (التلمذة والتعلم). لقد بقي العراق المقر الاساسي للديانة اليهودية ، حتى بالنسبة ليهود فلسطين. فرغم انتقال الكثير من اليهود الى فلسطين (أرض الميعاد) ، إلا أنهم بقوا دائماً متعلقين بأرض بابل ، لهذا تراهم كانوا ما أن يتعرضوا الى ضائقة في فلسطين ، سرعان ما يلجأوا الى العراق ، وهناك وقائع كثيرة تؤكد هذه الحالة. ففي سنة 63 ق.م عندما سقطت الدولة الماكية اليهودية في فلسطين على يد الرومان ، هاجر الآلاف من اليهود ولاسيما من رجال الدين إلى أرض بابل^(†). لقد ظل علماء يهود بابل فعالين حتى في المدارس اليهودية في فلسطين. فهاهو الرابي (أبا عريقا) ينتقل من العراق إلى فلسطين ويؤسس أكاديمية (سورا) ويذكر عادة بلقبه الشائع (راب) كذلك (صموئيل) الفلكي والطبيب.

لقد ظهرت في بابل جماعة أطلق عليها (سوفريم) وتعني الكتاب وهم الذين أولوا إهتماماً بكتابة التوراة والاحكام الدينية ، ومن أبرزهم الكاتب عزرا الذي جاء الى فلسطين من بابل ، في القرن الخامس ق.م ويعتبر أبرز شخصية ظهرت في أوساط اليهود بعد شخصية النبي موسى. إذ قام بتطوير العقيدة اليهودية من خلال استخراج نصوص من كتاب العهد القديم تعنى بمتطلبات المجتمع اليهودي ، وكانت خطوته تلك بداية للسنة الشفوية. ثم راج بعد عزرا أسلوب في تفسير وتأويل النصوص الدينية يسمى (مدراش) ومعناه (البحث والتتبع) ، لأن العلماء تبعوا على ضوءه المعاني الكامنة في التوراة ، بغية وضع الحلول لجميع المسائل والمستجدات.

وكانت هناك مجموعتان من تلك الخلاصات ، إحداها تكونت في فلسطين وتسمى تلمود أورشليم ، والأخرى كتبت في العراق وتسمى التلمود البابلي ، وهو أكثر استفاضة وأهمية. وبينما انتهى التلمود الفلسطيني بحدود عام 400 ق.م. ، فإن التلمود البابلي قد ضم إضافات إلى نحو عام 500 م. إن التلمود البابلي ثلاثة أضعاف التلمود الفلسطيني ، حيث تبلغ صفحاته أكثر من خمسة آلاف ، وقد ترجم إلى العديد من اللغات^(‡).

(35) عزرا 3 : 10 - 5 ، 10 وما بعده / كذلك نحيا 13 : 35 / كذلك الاديان الحية - ص 133

(36) أنظر الموسوعة الفلسطينية / الأطماع الصهيونية في القدس / تأليف عبد العزيز محمد عوض / القسم الثاني / المجلد السادس / الطبعة الأولى بيروت 1990 ص 860.

(37) الترجمة الانكليزية تبلغ في (18) مجلداً طبعة لندن.

إذن يعتبر التلمود أشبه بدائرة معارف ضخمة بكل ما يتعلق بأسس الديانة اليهودية ، وهو المصدر الاساسي للتشريع اليهودي. وبما أنه اكتمل بعد أنتشار المسيحية ، فإنه يتضمن الطعن بالسيد عيسى المسيح ، لهذا رفضه المسيحيون ، وبسببه عانى اليهود في اوربا من الاضطهاد ، وكانت عملية حرق التلمود أمر شائع لدى الكاثوليك.

تحول اليهودية الى ديانة متميزة

من المعلوم انه حتى فترة السبي كانت تسمية (اليهود) خالية من المعنى الديني ، إذ تعني (سكان يهودا - اورشليم) جنوب فلسطين ومع الزمن شملت أيضاً سكان (اسرائيل - السامرة) شمال فلسطين. لهذا فإن (يهود) بابل هم أول من بدأ بإضفاء الطابع العقائدي الديني على جالياتهم. في بابل اتخذت تسمية (اليهودية) معناً دينياً. وقد احتاجت عملية التأسيس الديني الاولى حوالي أربعة قرون (بين القرنين السابع والثالث ق.م) تمثلت بالتدوين التوراتي والجدال والتنظير البطيء. في القرن الثالث ق.م بدأت تسمية (اليهود) تتخذ معناً دينياً وإسماً لطائفة تمتلك عقيدة وكتاباً مقدساً أسمه (التوراة). أما أول من أشار بصورة رسمية وكتابية إلى (عقيدة اليهود) باليهودية هو المؤرخ اليهودي الفلسطيني (يوسيفوس فلافيوس - القرن الاول م) في الاسكندرية ، وذلك بالمقارنة مع (الهيلينية) : ((عقيدة أهل مقاطعة يهودا مقابل عقيدة سكان مقاطعة هيلاس)). فالمصطلح إذن بدء إسماً أقوامياً جغرافياً ثم بالتدريج في بابل اتخذ مضموناً دينياً^(*).

يهود بابل ينشرون اليهودية في العالم

عام 334 ق.م تمكن الإسكندر المقدوني (356 - 323 ق.م) من القضاء على الدولة الايرانية ، والسيطرة على العراق وعموم الشرق. وقد اختار (بابل) لتكون عاصمة امبراطوريته العالمية ، لكن حلمه لم يتحقق حيث مات في بابل ، المدينة التي كان يجلبها. في هذه الحقبة اليونانية بدأت تبرز مراكز ثقافية يهودية جديدة منافسة لدور بابل ، وبالذات (الاسكندرية) في مصر.

فقد نقل الاسكندر الكثير من يهود بابل وفلسطين الى مدنه الجديدة التي كوَّنها ، ومنها بالذات (مدينة الاسكندرية) ، التي تحولت الى مركزاً أساسياً للثقافة اليونانية ، وتحت ظلها انتعشت كذلك الثقافة اليهودية. كذلك قام الملك (أنطيوخس الثالث) (187- 323 ق.م) خليفة الاسكندر ، بنقل ألفي أسرة يهودية عراقية مع أجهزتها الحربية إلى ليديا وفريجيا في آسيا الصغرى لتأسيس حامية منهم هناك موالية لحكم السلوقيين. ومن هؤلاء بدأت الجاليات اليهودية تنتشر في اليونان وعموم البحر المتوسط.

يمكن القول إن (الاسكندرية) قد نقلت الديانة اليهودية الى المرحلة الرابعة المكتملة للمراحل الثلاث السابقة. في الاسكندرية برزت شخصيات يهودية استوعبت جيداً الثقافة اليونانية ولعبت دوراً كبيراً في التأثير على الثقافة اليهودية وترجمة كتبها الى اليونانية ، أمثال الفيلسوف (فيلون الاسكندري القرن الاول الميلادي) الذي أدخل الى اليهودية (العرفان - الغنوص) الاسكندري المسمى بـ (الافلاطونية الجديدة). كذلك المؤرخ الكبير (يوسيفوس فلافيوس - القرن الاول م) وهو يهودي فلسطيني عاش في الاسكندرية وكتب تاريخ اليهود وعرف به عالمياً. كذلك قامت النخبة اليهودية

(38) راجع : حتي / ج 2 / م 1 ص 244 / كذلك الموسوعات العالمية : اليهودية.

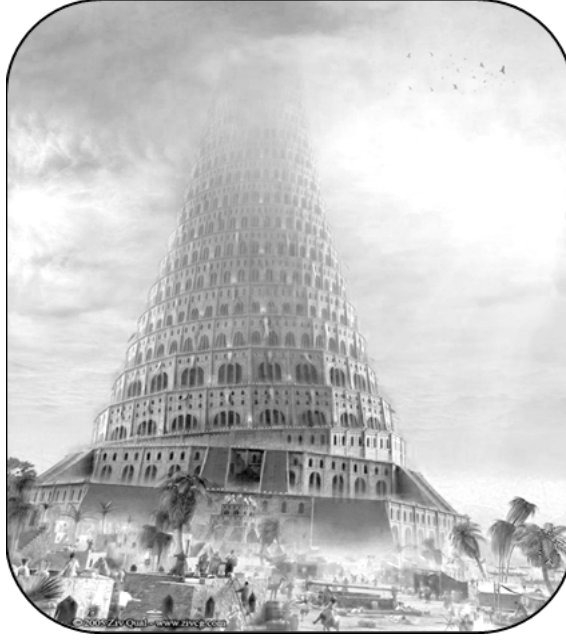
هنالك في القرن الثالث ق.م، بتكوين لجنة من سبعين شخصية لترجمة التوراة الى اليونانية، واستغرق هذا المشروع حوالي ثلاث قرون، حتى القرن الميلادي الاول، وسميت (الترجمة السبعينية) التي حولت التوراة الى مصدر ثقافي عالمي.

الخلاصة

اليهودية بين دنيوية البابلية وسماوية العرفانية

وقع به غالبية من تعاملوا مع خلطوا بين نوعين من اليهودية: أي يهودية العهد القديم والتلمود، الرسمية التي نشأت في بابل وبقيت بين الجاليتين اليهوديتين في العراق بابلية دنيوية.

اليهودية الروحانية العرفانية التي الاسكندرية وعالم البحر المتوسط. الى فلسطين والعراق مع السيطرة القرن الرابع ق.م وقد تعزز هذا والفلسفة في الاسكندرية التي للنشاط الثقافي اليهودي. وقد بلغ



هذا هو برج بابل الذي خلقه التوراة الذي (وكان لأهل الأرض كلها لغة واحدة وكلام واحد. فلما رغبوا من صنع اليهود لغة لهم سهل شنعار، فأقاموا هناك، وقال بعضهم لبعض: «تعالوا نصنع لساناً ونسوية شياً»، فكان لهم اللبن بدلوا الحجر في اليهودية البابلية الطين. وقالوا: «تعالوا نبين لنا مدينة وورجا رأسه في السماء. ونجعل اسمها بابل على عام وجه الأرض كلهم ونظير الرب ونظير اليهودية والبرج اللذين كان بنوا آدم بينونهما، فقال الرب: «ها هم شعبا اليهودية مجلد لغة أي واحدة! ما هذا الذي عملوه الأبدية، ولن يصعب عليهم شيئا لنصنعهم صوناً في فلتنزل ونبلبل هناك لغتهم، حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض». ففتتجروا من حينها على التجول الأرض كلها، فكفوا عن بناء المدينة. ولهذا سُميت بابل، لأن الرب هناك جعل لغة الناس جميعاً، ومن هناك شتت الرب على وجه الأرض كلهم)). سفر التكوين: 11

هذا التطور الروحاني - الفلسفي ذروته في العصر الاسلامي في بغداد أولاً ثم خصوصاً في الاندلس مع مذهب القبالا، وهو المذهب الروحاني التصوفي (الساوي التوحيدي) المأخوذ من التصوف الاسلامي.

يهودية العهد القديم والتلمود

الديانة اليهودية، بصورة ما، تعتبر ديانة عراقية^(*) أولاً، مع بعض التأثيرات الكنعانية الفلسطينية. ويمكن تحديد الخواص البابلية في اليهودية كالتالي:

(39) حول الفروق بين عقيدتي العراقيين والمصريين، طالع: ما قبل الفلسفة / مجموعة باحثين غربيين.

كذلك طالع: الاسطورة والمعنى / السواح / فصل 4

1- اليهودية عقيدة أرضية دنيوية وليست سماوية :

إن النقطة الاساسية التي تجمع بين العقيدة اليهودية والديانة العراقية (البابلية - الآشورية)، هي : ((الايان بالحياة الدنيا فقط والاعتماد على رب سماوي جبار بانتظار المسيح المنقذ، أي تموز لدى العراقيين)). أي أن الديانتين العراقية واليهودية، ليست سماويتين، بل (دهريتين دنيويتين) لأنهما لا تؤمنان بالحياة الأخرى^(٢). فليس هنالك يوم حساب وجهنم وجنة موعودة، بل ان الانسان خيره وشره يلاقيه في حياته، ولا تخلده إلا أعماله ونسله. ويمكن اختصار هذه الفكرة بمقولة كلكامش الشهيرة: ((لقد قدرت الآلهة الفناء للانسان / واستأثرت بخلود الحياة / فاملاً بطنك بملذات الطعام / وابتهج ماشئت ليل نهار / فهذا هو نصيبنا من الدنيا))^(٣). لكن يتوجب التأكيد على انه رغم (دنيوية) الديانة العراقية، إلا أنها كانت (أخلاقية) تبتغي العدالة والانسانية، ويكفينا دليلاً (شريعة حمورابي).

ان العقيدة السماوية الحقيقية لم تبدأ مع اليهودية الاصلية، بل مع (العقيدة العرفانية - الغنوصية) التي تعتبر المسيحية والصابئية من أولى أديانها^(٤). هنالك خطأ كبير وقع فيه معظم مؤرخي اليهودية، عندما اعتقدوا إنها متأثرة بالديانة المصرية، إعتقاداً على ادعاءات التوراة نفسها بأن المؤسس الأول لليهودية (النبي موسى) قد عاش في مصر. والحقيقة ان اليهودية الاولى خالية تماماً من جوهر الديانة المصرية: ((الايان بالحياة الاخرى ويوم البعث والحساب)). وهذا الايمان المصري هو الذي تبنته العرفانية. بينما (اليهودية) تحمل جوهر الديانة العراقية: الايمان بالحياة الدنيا فقط والاعتماد على رب سماوي جبار بانتظار المسيح - تموز - المنقذ. وان الحياة الأخرى مجهولة ويوم الحساب غائب. وإن روح الميت، كما في الديانة العراقية والكنعانية كذلك، تذهب الى (العالم السفلي) الذي يسمى بالعبرية (شيؤل) وقد ترجمت الى العربية بـ (الهاوية، والجلب الاسفل، والحفرة السفلى). واليهما يذهب الاخير والاشرار دون أي ثواب وعقاب. (طالع: سفر الامثال 27 : 207 / كذلك: أيوب 10 : 21 - 22 و 7 : 9 - 10 / كذلك التكوين 37 : 36) والكثير من السور.

حتى مفهوم الجنة في اليهودية يماثل الديانة العراقية. فأن (جنة عدن) المذكورة في التوراة، هي جنة مفقودة منذ أن طرد منها (آدم)، وهي تمثل الماضي ولا توجد في المستقبل. وموقع هذه الجنة في العراق بين آشور والفرات. (التكوين 2 : 7 - 16). وهي شبيهة بجنة (دلون) التي تحدث عنها السومريون. أما جنة المستقبل بالنسبة لليهودي هي (فلسطين الارض الموعودة). إن وعد اليهودية وعد أرضي وليس سماوي.

(40) موسى والتوحيد / فرويد / ص 26 - 27 / كذلك: نائل حنون / عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد النهرين / ص 86

(41) حول وصف عالم الموت في الديانة العراقية، طالع (ملحمة كلكامش) / اللوح السابع / العمود الرابع / اعتمدنا ترجمة السواح.

(42) بالنسبة للعرفانية راجع القسم الاول من ملف المندائية في موسوعتنا هذه / كذلك Gnostic Catholic Encyclopedia > G > / كذلك من الذين ناقشوا أصل العرفانية بصورة واضحة ودافعوا عن أصلها المشرقي، المفكر السوري: جورج طرايشي / مذبحة التراث / دار الساقى / بيروت 1993 / ص 73 - 129 / في هذا الكتاب رد طرايشي بصورة مفصلة وناجحة على المفكر الجابري الذي نجح كثيراً بتفصيل العرفانية، لكنه احتقرها واعتبرها يونانية فارسية. طالع: محمد عابد الجابري / بنية العقل العربي / المركز الثقافي / الدار البيضاء 1986 / القسم الثاني فصل خاص بالعرفانية.

وأيضاً على طريقة العراقيين والكنعانيين ، فإن الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا وليس الآخرة ، عبر زيادة الرزق والعمر والصحة : ((أكرم أبك وأمك لكي يطول عمرك في الارض التي يعطيك الرب الهك)). (الخروج 20 : 12) و ((يا ابني لا تنس شريعتي ولا ينس قلبك وصاياي ، فإنها تزيدك طول أيام وسني حياة وسلاماً)). (الامثال 3 : 1-2) ^(٢).

2- اليهودية عقيدة تعددية وليست توحيدية :

ثمّة فكرة تاريخية خاطئة فرضت نفسها لأسباب عديدة ، تعتقد بأن (اليهودية) تمثل قطيعة تامة مع الماضي (الوثني التعددي) وإنها تمثل ولادة مرحلة جديدة من الميراث الديني التوحيدي. لكن الدلائل التاريخية تشير الى العكس تماماً : ان اليهودية هي (خاتمة) لمرحلة (الوثنية) السابقة. صحيح إنها شكلياً تخلصت من تقديس (الأصنام) والصور ، لكنها لم تتخلص من التعددية ، كما يعترف بذلك كل من بحث في اليهودية. هنالك الأله (يهوه) الذي هو اله خاص باليهود وليس البشرية جمعاء. وهنالك أيضاً (ايلهم) وتعني حرفياً (الآلهة) ، وهذا دليل على الاصل التعددي لليهودية التوراة ^(٣). ثم ان الأهم من كل هذا إن اليهودية تعتبر ان (يهوه) ربها القومي الخاص بها ، وهذا يعني إنها تقر بأن لكل قوم إلههم الخاص ، وهذا ينسف تماماً فكرة التجريد والتوحيد المبنية أساساً على الاعتقاد بوجود (رب واحد) لكل الأمم ولكل الكون. وهذه الفكرة المطلقة لم تتوضح إلا فيما بعد في (العرفانية التوحيدية).

3- اليهودية عقيدة عرقية إنعزالية :

أما الخاصية الجوهرية الكبرى التي ميزت اليهودية عن جميع الاديان ، إنها جعلت (الانتماء العرقي العبري اليهودي) أمراً إلهياً مقدساً. بل الاعظم من هذا ، إنها آمنت بأن هذا (الانتماء القومي اليهودي) يجب أن يكون أمراً مقدساً من قبل الانسانية جمعاء!! والطريف إن اليهود قد كونوا هذه العقيدة القومية المقدسة في (بابل) ، بل اقتبسوها من جوهر الديانة العراقية : عقيدة تموز المخلص.. كيف؟!

إن عقيدة المخلص كانت جوهر الديانة العراقية منذ السومريين حتى مجيء المسيحية ، أي خلال أكثر من 3000 عام. وهذه العقيدة بأختصار ، إن إله السماء (ايلو- العالي) يبعث (تموز- من السومري وتعني الابن المنبعث أو المخلص) ^(٤) ابنه أو روحه أو قوى خصبه الى الارض (عشتار) لكي يخصبها وينشر الحياة لدى البشر. وهذا يحصل عادة في مطلع الربيع (21 نيسان) وهو بداية السنة العراقية. ثم يغيب عند أول الصيف والجفاف (شهر تموز) حيث يظل يعاني في ظلمات العالم السفلي) من أجل العودة الى البشر ومنحهم الخصب ، وتظل (عشتار- الهة الارض والخصب الانوثي) تكافح كل العام وتدخل العالم السفلي وتقنع الهة الموت بتحرير (تموز) الذي يعود من جديد لكي يخصب الارض ويعيد الحياة الى

43) طالع أيضاً : مغامرة العقل الاولى / السواح / ص 235

44) يبدو ان هنالك نوع من الغش في ترجمة التوراة قد شاع وتم تقبله لدى المسيحيين والمسلمين ، حيث ترجمت كلمتي (يهوه) و(ايلهم) الى (الله) أو(الرب).

45) دراسات في التاريخ / انيس فريجة / ص 43 - 47

البشر. لهذا فإن العراقيين كانوا يصلون طيلة العام من أجل (عشتار) لكي تعينها الآلهة وتتمكن من العودة بـ (تموز) المخلص مانح الخضر والحياة^(*).

إن (عقيدة المنقذ - المهدي المنتظر) هذه، قد تبناها اليهود، أولاً بصورة مقاربة للبابليين، إذ تحول (تموز) الى (مسيح - المسيح) المخلص، الذي سيأتي لكي ينقذ اليهود (الارض - عشتار) من الذل والمنفى (الجفاف والقحط)^(†). لكن فيما بعد، وفي ظل حياة المنفى في بابل، تحولت هذه العقيدة على يد النبي (اشعيا الثاني 550 - 540 ق.م) الى عقيدة خلاص قومية - عالمية فيها الكثير من العجب والخيال. (نبوءة اشعيا 40 - 55). فإن المسيح المنقذ صار اليهود أنفسهم، الذين يعانون عذابات المنفى، إذ اختارهم الرب قرباناً لخلاص البشرية، وهم (شعب الرب المختار) من أجل إنقاذ العالم: ((إني قد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي الى أقاصي الارض)) (نبوءة اشعيا : 49 - 6). وان الرب قد عاقبهم بالمنفى لأنهم ما كانوا أمناء لتلك الرسالة. وان خلاصهم يكمن في العودة الى (الارض الموعودة أورشليم) لكي تعود الحياة من جديد الى العالم أكمله، وينهض النور الازلي وتحج كل الامم الى المدينة المقدسة لعبادة الرب: ((فأنكم بفرح تخرجون وبسلام ترشدون والجبال والتلال تندفع بالترنيم أمامكم وجميع أشجار الصحراء تصفق بالأيدي... ويكون ذلك للرب إسماء وآية أبدية..)) (سفر أشعيا 55 : 12 - 13). علماً بأن هذه النبوءة تتحدث عن (رجل مخلص)، لهذا فقد فسرها المسيحيون فيما بعد بأنها تتحدث عن مجيء (المسيح المخلص)، بينما أصر اليهود على انها تتحدث عن (اليهود) أنفسهم كمخلصين للبشرية^(‡). وقد عزز التلمود هذه الفكرة، انه في عصر الخلاص (المسيحاني) سيصبح كل الناس عبيداً لجماعة اسرائيل^(§).

لهذا، يحق القول، ان كان جوهر الاسلام والمسيحية، العمل الصالح في الحياة الدنيا من اجل استحقاق ملكوت السماء والجنة الموعودة، فإن جوهر اليهودية هو تقبل العذاب من أجل بلوغ (ملكوت الارض الموعودة - أورشليم) !! إن تجربة المنفى البابلي حددت منذ البدء جوهر التوراة وأخلاقيتها. الكاتب الإسرائيلي المتمرد (اسرائيل شاحك) لخص تاريخ الاخلاق اليهودية كالتالي : من ناحية كره كل الناس غير اليهود (غويوم - العوام) وخصوصاً الفلاحين لأنهم النقيض التام للمنفين بسبب ارتباطهم المباشر والدائم بالأرض. كذلك التقرب من الحكام والمنتفذين والأغنياء والتقرب لهم مهما كانوا أجنب وغرباء عن اليهودية ودعم طغيانهم ضد شعوبهم. حسب (شاحك) هذه خصال تاريخ الجماعات اليهودية في كل مكان وزمان، مع وجود استثناءات كثيرة، لكن تبقى أقلية^(**). ان طبيعة اليهودية الانعزالية والاستعلائية

46) ان عقيدة المخلص موجودة أيضاً لدى الكنعانيين لكن بصورة مخففة، ويتحول اسم (تموز) الى (بعل أو ادوني، ادونيس: السيد)، و(عشتار) الى (عشتروت).

طالع: مغامرة العقل الاولى / السواح ص 272

47) لاحظ ان عيد الفصح المسيحي، أي يوم قيامة السيد المسيح من صلبه، هو تكرار لعودة تموز من موته، وأيضاً يصادف في المنقلب الربيعي!

48) الاديان الحية / مصدر سابق / ص 131

49) اليد الخفية / مصدر سابق / ص 27

I.Shahak-Histoir Juive-Religion juive/Paris1994 (50

صدر هذا الكتاب مترجماً الى العربية بعدة طبعات تحت اسم: اليهود واليهودية، ثلاثة آلاف عام من الخطايا / اسرائيل شاحك.

وتقدّيس المنفى فرضت على اليهود دوراً محدداً في التاريخ، هو دور (وظيفي) أي دور الوسيط والمساعد الذي يقوم بأعمال ضرورية للمجتمع لكنها غير مقبولة اجتماعياً^(*).

اليهودية والصراع المصري - العراقي

بما ان بلاد الشام عموماً وفلسطين خصوصاً كانت ساحة للصراع بين القوتين المتنافستين العراقية والمصرية، فإن التوراة تأثرت كثيراً بهذه المنافسة. يلاحظ أنه في الأجزاء البابلية من العهد القديم تلك الحكايات التي لا تخلوا من (النفاق) للعراقيين ضد خصومهم المصريين: قصة ابراهيم وسارة مع الفرعون، ثم يوسف وزليخة، ثم موسى والفرعون. بل إن قصة نوح مع ولديه سام وحام وخلق الجنسين الابيض والأسود، يمكن وضعها في هذا السياق العنصري ضد المصريين (أبناء حام!). من أكثر الأمثلة طرافة على رغبة هؤلاء المنفيين الفلسطينيين العبرانيين للتقرب من العراقيين، انهم ابتدعوا فكرة جدهم (ابراهيم) الذي نزح من (أور الكلدانيين) وكذلك زوجته سارة من نفس الأصل. ولكي يميزوا أنفسهم عن (القبائل البدوية) رغم انهم هم أنفسهم من أصول بدوية. قالوا بحكاية اسماعيل وأمه هاجر الجارية المصرية!! وللتعويض عن حالة الشعور بالضعف التي ظل يعاني منها هؤلاء المنفيين أمام أهل بابل، فإن التوراة لا تخلو من الحكايات البطولية والمفاخر الاسطورية: بطولات داود وشمشون وامبراطورية سليمان ومغامرته الشهيرة مع بلقيس.

اليهودية والعرفانية التوحيدية السماوية

إن اليهودية لم تبق معزولة عن التيار العرفاني الذي اكتسح منطقة المشرق بعد أن حل محل العقائد الدينية السابقة واستوعب العقائد الآسيوية واليونانية. وقد لعبت الجالية اليهودية في الاسكندرية دوراً مهماً في هذا النشاط العرفاني - الفلسفي، منذ القرن الثالث ق.م. فبعد أن اكتملت كتابة التوراة (اسفار موسى) في بابل في مطلع القرن الثاني ق.م، ثم ترجمته عام 150 ق.م الى اللغة اليونانية في الاسكندرية (الترجمة السبعينية)، أغلق ما يسمى بباب الوحي وأخذت التوراة شكلها النهائي. لكن حركة البحث والاجتهاد استمرت خصوصاً في الاسكندرية بتأثير العرفانية المشرقية والفلسفة اليونانية، فظهرت الاسفار والكتابات الجديدة التي منحت بعداً توحيدياً روحياً لليهودية، مثل (سفر أخنوخ الاول / القرن ق.م) و(سفر عزرا الرابع / القرن الاول ق.م). و(كتاب اليوبيليات / القرن الاول ق.م) و(وصايا الاسباط الاثنى عشر / القرن الاول الميلادي) وكتب عديدة من أشهرها (نصوص قمران)^(†) وقد جهد هذا التيار الروحاني العرفاني، الى اصلاح النواقص الكبيرة في اليهودية:

- تخطي محدودية الرب (يهوه) الذي كان خاصاً باليهود، واعتبار الله رباً واحداً للخليقة جمعاء وهو معني بخلاص الانسان من عذابه. وهذا يعني التخفيف من التعصب الديني والعرقي والتقرب من المفهوم الانساني الشمولي.
- تبني فكرة الشيطان الكوني المسؤول عن إغواء الأنسان ودفعه للخبيثة. واعتبار التاريخ بغاية كبرى هي الخلاص من الشر والصعود الى ملكوت السماء والنور.
- الايمان بفكرة القيام ويوم الحساب والجنة والنار. وتوضيح فكرة المخلص (المسيح المنتظر).

51) اليد الخفية / مصدر سابق / ص 319

52) الرحمن والشيطان، السواح / الفصل السادس

• إعادة النظر بالموقف الاخلاقي الغامض في اليهودية. حيث احتوت التوراة على أحداث ومواقف لا أخلاقية وغير أنسانية نسبت الى الانبياء والشخصيات المقدسة. مثل أفعال الزنا والزنا بالمحرم وإبادة غير اليهود والخداع والغيرة، وغيرها الكثير الكثير من الامور اللا أخلاقية. وقد قام هذا التيار الجديد بالتأكيد على مسؤولية الانسان الاخلاقية وعدالة الاله، وجعل الاخلاق والانسانية ضرورية مثل الطقوس والشريعة^(*).

وقد بلغ هذا التيار العرفاني الروحاني ذروته في العصر الاسلامي مع تكون (مذهب القبالا) التصوفي، الذي أصبح مصدراً أساسياً معارضاً للتلمود^(†).

لقد تجلّى هذان التياران، الدينوي والروحاني، في ظهور طائفتين في فلسطين :
- الفريسون، وهم متشددون ويسمون بالأحبار أو الربانيين، هم زهاد رهبانيون لا يتزوجون، لكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث والملائكة وبالعالم الآخر^(‡).
- الصديقون، وهي تسمية تهكمية إذ تعني عكسها فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار، ولا يعترفون بالتلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر. وهم التيار الدينوي الواقعي وقد شكلوا طبقة الاغنياء^(§).

مذهب القبالا، أو التصوف اليهودي

(القبالا - קבלה) ومعناها (القبل والسابق، أي الموروث) وهو الاسم الذي يطلقه اليهود على تيار(العرفانية والتصوف) لديهم. والتصوف اليهودي يركز على كتابين مهمين الأول كتاب (نشيد الأنشاد) في العهد القديم والثاني كتاب (زوهار - الظهور) (6767) (المظهر والمفخرة). وينسب تأليف هذا الكتاب إلى الكاهن العراقي (شمعون بن يوخاي) من القرن الثاني للميلاد، ولكن المؤرخين يعتقدون بأنه من تأليف موسى الغرناطي (1250 - 1305)، في الاندلس. ان (القبالا) أكثر روحانية وحرية في تفسير اليهودية وربطها بالعرفانية من تلك التي اتبعتها الفلاسفة المتدينين اليهود مثل (ابن ميمون وابن غابريول وإبراهيم ابن عزرا) وغيرهم. ومن الواضح انها متأثرة كثيراً بتيار الاشراف الاسلامي وفلسفة (ابن عربي). لكن من أهم خصوصيات هذه (القبالا) انها تميل الى السرية والسحر والاعتقاد بما يسمونه بـ (العلم السري)، وأعداد الحروف ورموز الطبيعة وألغاز الرياضيات. ويؤمنون بأن الذات الالهية العليا (איןנסו) تتجلى من خلال (العوالم العشرة) (לשאר הספירות)^(**). ويبدو إن هذه (القبالا) وكتابها (زوهار) قد بدأ يحل محل (التلمود) الذي خلق مشاكل كثيرة لليهود في العالم وخصوصاً في المجتمعات المسيحية وبرّر العنصرية ضدهم^(††).

53) الرحمن والشيطان / السواح / ص 156 - 157

54) اليد الخفية / مصدر سابق / ص 23 - 25

55) بسبب تعصبهم حاربوا السيد المسيح وطالبوا بصلبه.

56) وكان الخلاف من الحدة بين الطرفين، إن قامت حرب أهلية بينهم ولم تخمد إلا على يد الرومان عام 63 ق.م.

57) الدكتور عبدالرحمن السليمان. موقع جمعية الترجمة العربية

- يشاع بان هذه (القبالا) من مصادر العقيدة السرية للحركة الماسونية العالمية.

58) اليد الخفية - عبد الوهاب المسيري - ص 23



السيد المسيح يبشّر في فلسطين

المسيحية أول ديانة توحيدية - سماوية

إن من يطالع كتاب اليهودية (التوراة) وكتاب المسيحية (الإنجيل)، سوف يندهش من هذا التناقض العجيب والحاد بين مضموني الكتابين والرسالة الاخلاقية والالهية لكل منهما. فكما بيّنا في أول دراستنا هذه، إن (التوراة) مليئة بالمضامين اللاأخلاقية واللاأنسانية التي تبرر كل الأفعال المشينة ضد الانسان. وإن رب اليهود (يهوه) لا أخلاقي ودموي وغيور ومزاجي ومخادع ولا يعرف الرحمة أبداً. وهو رب قومي عنصري خاص باليهود ويبرر لهم كل جرائمهم ضد غير اليهود (الغويوم - العوام).

أما كتاب (الإنجيل) فهو يعتبر خلاصة الروحانية العرفانية المفعمة بالدعوة الى السلام والتسامح ومحبة الانسانية جمعاء. وإن المسيح نقيض (يهوه) المطلق، إذ أتى من أجل خلاص الأنسانية والتضحية بذاته من أجلها. وإذا كانت التوراة تدعو إلى تبرير كل السلوكيات ألاماً أخلاقية من أجل الاستفادة من الحياة الدنيا، فإن الإنجيل نقيضها التام إذ يدعوا الى الزهد بالحياة الدنيا من اجل الفوز بالحياة الآخرة ملكوت السماء.

إذن هنا يفرض هذا السؤال المحير والخطير نفسه: ما الذي دعى المسيحية أن تتبنى التوراة (وباقى اسفار العهد القديم) وتعتبرها المصدر المساوي بأهميته للإنجيل!؟

علماً بأن هذا الاستغراب من تبني المسيحية لكتاب اليهودية، ليس بدعة حديثة من قبلنا، بل كان أمراً شائعاً لدى المسيحيين خصوصاً في قرون التأسيس الأولى. وجرت محاولات عدة خصوصاً من الجماعات المسيحية الروحانية. فهذا هو المصلح المسيحي الكبير (مريقيون) من القرن الثاني م، وهو سرياني من آسيا الصغرى (تركيا)، وقد كتب ما سمي بـ (إنجيل مريقيون) أو (إنجيل الرب) وقد نظفه من كل أثر يهودي، وأعتبر (يهوه) أله الشر. لكن الكنيسة الكاثوليكية قد أعتبرته مارقاً وأحرقت كتبه^(*).

ليس لدينا جواب مفصل حول هذا التساؤل المشروع، ونحن غير مؤهلين للدخول بمثل هذا المعترك البحثي التاريخي والعقائدي من أجل بلوغ الجواب الشافي. لكننا نطرح الجواب الأولي التالي:

- ان تبني المسيحية للتوراة، يعود الى سبب سياسي فرضه الواقع التاريخي الذي ولدت فيه المسيحية. فهي ولدت في فلسطين حيث كان اليهود هم الحكام المخولين من قبل الامبراطورية الرومانية المهيمنة على فلسطين وعموم البحر المتوسط. لهذا فإن المسيحية من أجل أن تمنح نفسها بعض المقبولية بين الحكام والنخب الفاعلة في فلسطين اضطرت أن تدّعي بأنها لم تأت كنقيض لشريعة موسى، بل مكملة لها. يقول السيد المسيح: ((لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل.. الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من

الناموس حتى يكون الكل)) (الإنجيل متي 5 : 17 و 18) وقد فسر ورثة المسيحية على أن المقصود بالناموس (شريعة موسى)، ولكن بعض المذاهب المسيحية العرفانية، أمثال (مارقيون) قد عارضت هذا التفسير، وان المقصود شريعة الله. لقد أصبح هذا الارتباط باليهودية ضرورة عندما انتشرت المسيحية في نواحي البحر المتوسط، لأن الرومان كانوا يرفضون الأديان الجديدة، لكنهم يتسامحون مع الطوائف التي تدّعي بأنها فروع مجددة داخل أحد الأديان المعترف بها في داخل الامبراطورية، وهذا ما دعى المسيحية الى الأبقاء على المصدر اليهودي لتبرير إدعائها بأنها طائفة يهودية مجددة. ثم بعد أن تحولت المسيحية الى (دين دولة) بعد القرن الرابع م، كان من الضروري الإبقاء على الكتاب اليهودي، لأن الإنجيل بروحانيته وزهده ودعوته الى المحبة، لا يصلح أن يكون كتاب أمبراطورية تمارس التوسع والهيمنة والقمع الديني والسياسي^(*).

عظمة اليهودية

إن سر اليهودية وقدرتها على التأثير في الأديان التي أعقبتها واستمرارها كمصدر ميراثي ديني أساسي في العالم، وتأثيرها الكبير في المسيحية والاسلام، إنها جمعت في اسفارها خلاصة ثلاث عقائد أنسانية كبرى:

- 1- الميراث العقائدي الشفاهي البدائي المعبر بصورة صادقة وساذجة عن أولى معالم الايمان الديني لدى البشر. وقد عبّرت الاسفار الخمسة (التوراة) بصورة صادقة وأدبية ناجحة عن هذا الأيمان البدائي.
- 2- الديانة العراقية القديمة المسجلة بكل أساطيرها الكبرى مثل الخليقة والظوفان والجنة المفقودة والمهدي المخلص وغيرها الكثير، بالإضافة الى ثقافتها ورموزها وشرائعها.
- 3- الديانة العرفانية بكل تنوعاتها الروحانية والفلسفية والتي بلغت ذروتها في التصوف اليهودي (مذهب القبالة). لقد نجحت اسفار (اليهود) بصورة أدبية فائقة بالتعبير عن نهاية المرحلتين العقائدية البدائية والحضارية العراقية والمشرقية، وميلاد مرحلة دينية جديدة: (الديانة السماوية التوحيدية).

هنا يكمن سر عظمة اليهودية وسر هذا التأثير السحري الذي مارسه على شعوب المنطقة بحيث تم إعتبارها (خطأ) أساس الأديان التوحيدية. إن الصدفة التاريخية مكّنت اليهودية من معايشة آخر زفرات العقيدة البدائية البدوية الموروثة منذ حقبة عميقة بقدمها، ثم آخر زفرات الحضارة العراقية وعموم الحضارة المشرقية التي دامت أكثر من ثلاثة آلاف عام شبه مستمرة. تمكنت التوراة بكل براعة ومساوية أن تسرد خلاصة هذه العقائد والحضارات التاريخية التأسيسية الكبرى، بكل آلام احتضارها وخيباتها ولعناتها ونكساتها وخياناتها. إن الصور المأساوية الفنية العميقة والصادقة السائدة في نصوص التوراة، لم تعبّر عن معاناة اليهود قدر ما عبّرت عن معاناة جميع شعوب المشرق وشعورهم بالأثم لأنهم خانوا ذواتهم ولم يتمكنوا من الحفاظ على سلطانهم وانحدروا الى أسفل مراتب الانحطاط.

وكان ذكاء النخب اليهودية، إنهم سرعان ما أدركوا قصور يهودية التوراة عن مجارات التطورات العقائدية الكبرى الجارية في المنطقة في القرنين الأخيرين السابقين للميلاد، لهذا سارعوا الى تبني (العرفانية) التي بلغت ذروتها بمذهب (القبالا) معتبرها جزءاً حيوياً وأساسياً من الديانة، بحيث ان الكثيرين ينسبون خطأ الى التوراة، الكثير من التصورات الروحانية السماوية الموجودة في العرفانية. في هذا الجمع الثنائي الخلاق يكمن سلطان اليهودية.

سر تاريخ اليهود يكمن في جوهر ديانتهم

لو تمعننا جيداً في تاريخ اليهود منذ ألفي عام وحتى الآن، للاحظنا الاستمرار العجيب لخاصيتين متناقضتين تماماً، نابعتين أساساً من طبيعة إيمانهم اليهودي نفسه :

1- خاصية التفوق: إنهم دائماً متميزين ونشيطين ويلعبون أدواراً أساسية ومعروفة في تاريخ الشعوب التي يعيشون بينها، سواء في الشرق أم في الغرب، وفي كل العصور. رغم إنهم أقلية، فإنهم في العصر الحديث يلعبون دوراً متميزاً في العالم، وخصوصاً في الغرب، على كل الأصعدة الحضارية والسياسية. ننظر الى اسرائيل التي تعامل وكأنها قوة عظمى، رغم حجمها الصغير جداً. وهذه الخاصية التفوقية نابعة من إحساسهم بالتفوق على باقي البشر لأن الله ميزهم واعتبرهم أسياداً على البشرية جمعاء، فهم (شعب الله المختار).

2- خاصية جذب العدا: رغم هذا التفوق فأن اليهود في كل المجتمعات التي عاشوا فيها، عانوا من الذم والعزلة والعنصرية التي تبلغ أحياناً حد القتل والتصفية الجماعية، كما حدث لهم مرات عدة في اوربا، آخرها مجازر (هتلر) في الحرب العالمية الثانية. حتى الآن ورغم كل التأثير السياسي والاعلامي الذي يمارسون على الانسان الغربي، الذي بلغ حد فرض القوانين الجزائية المرعبة على كل من يمس بكلمة واحدة سمعة اليهود (معادات السامية)، إلا أنه مع ذلك لا زال كره اليهود مخبئاً في أعماق غالبية الغربيين، ويعبرون عنه همساً. إن خاصية جذب العدا، أيضاً نابعة من إيمانهم الديني. فأن الله الذي جعلهم (شعب الله المختار) أيضاً جعلهم (شعب الله المختار) الذي عانى مشاعر ثقيلة من الأثم لأنهم إرتكبوا الخطايا وخانوا الانبياء ولم يتقيدوا بوصايا الرب. وان الرب جعلهم يتحملون العذابات نيابة عن باقي البشرية، حتى بلوغ (الارض الموعودة)، وعندها يتحقق الخلاص لليهود وللبنية جمعاء. إن إحساسهم بالخطيئة وتأثيم الذات والضياح يجعلهم يفتشون بصورة لا واعية عن يعاقبهم ويمارس القسوة والاضطهاد ضدهم. إذن هذا هو جوهر اليهود واليهودية: الثنائية التناقضية، بين الاحساس بالعظمة والتفوق، والاحساس بالاثم والضعف!

* * *

اليهودية العراقية في العصر العباسي



إستمر اليهود مقيمون في العراق ويشاركون في صنع تاريخه وحضارته طيلة أكثر من 2500 عام، وقد اعتبروا أنفسهم مثل باقي العراقيين. كذلك استمر أيضاً دورهم الريادي الاول في الديانة اليهودية في أنحاء العالم وتطويرها من كل النواحي.

حالة اليهود في العصر - الآرامي - المسيحي

بعد سقوط بابل، آخر دولة عراقية في العصر القديم، على يد الفرس، بدأت الحضارة العراقية بالخفوت. ومع بروز الرومان، بدأت تتكون مراكز حضارية مهمة جديدة في البحر المتوسط، وخصوصاً في الاسكندرية، التي أصبحت مركزاً للثقافة الهيلينية التي كانت تجمع بين عرفانية الشرق الروحانية وفلسفة الاغريق. وأصبحت الاسكندرية أيضاً مركزاً لنشاط اليهود وتطوير اليهودية، وخصوصاً بعد أن تمت فيها الترجمة السبعينية للتوراة الى اللغة اليونانية في القرن الثاني ق.م.

أما في العراق فقد شارك اليهود باقي الطوائف العراقية معاناتهم ومباهجهم. فخلال الدولة الفارسية الساسانية (226 - 651 ميلادية). فقد تعرضت الطوائف العراقية (غالبية مسيحية نسطورية مع أقليات من الصابئة والمناوية واليهود) الى حملة قمع وإعدامات من قبل ملوك فارس، بسبب رفض العراقيين اعتناق المجوسية. وتعتبر الفترة الواقعة بين عام 339 - 379 ميلادي من أكثر عهود الاضطهاد المسيحي حيث سميت بفترة الاضطهاد الأربعيني، حيث دامت أربعين عام، إبان فترة الملك سابور الثاني. فقد حدثت ما تعرف بمذبحة الاضطهاد الأربعيني سنة 341 م واستمرت عشرة أيام وراح ضحيتها 130 رجل دين مسيحي، وفي سنة 345 م حدثت مذبحة أخرى راح ضحيتها 120 قساً وكاهناً. إلا أن وضع المسيحيين في العراق تحسن في عهد الملك الساساني يزدجر الاول (399 - 420) بعد أن تحقق الصلح مع الرومان. إلا أن الملك بهرام الخامس (421 - 438) عاد الى ممارسة اضطهاد المسيحيين في العراق موغلاً في قتل القساوسة والرهبان موجهاً حملة دموية على منطقة (كرخ سلوخ) أي كركوك كانت نتيجتها مقتل 446 من القساوسة هناك. وشملت إعدامات الكهنة من جميع الاديان وخصوصاً المسيحيين. كذلك في زمن الملك (فيروز 459 - 486 م) بلغ الاضطهاد ذروته، فأغلقت المدارس الدينية ومنها أكاديمية صور اليهودية. وفي أول القرن السادس 501 م طغى مذهب مزدك الذي جعل الممتلكات والنساء حظاً

مشاعاً بين الناس ، ولحق بغير المجوس اضطهاد عنيف ، ولكن مدة مزدك لم تطل ، فقد مات سنة 528 م ، فتنفس العراقيون الصعداء من جديد. لقد ظهر بين اليهود معلمون جدد كانوا يسمون ساباريم (السابرون أي المفكرون).

دور اليهود في العصر العباسي العراق

وبعد سقوط الدولة الفارسية بعد الفتح الاسلامي سنة 636 م قابل العراقيون (مسيحيون ويهود ومانوية وصابثيون) وصول العرب المسلمون الفاتحون بارتياح وترحيب كبيرين لأنهم سأموا ما تعرضوا له من ظلم إبان العهد الفارسي. عاش اليهود بنوع من السلام والازدهار ، لأن الاسلام اعترف بهم كدين كتابي مثل باقي الطوائف. ولقد ازداد عدد اليهود في العراق بعد إجلاء يهود نجران (اليمن) إلى الكوفة حوالي سنة 20 هجرية. وبحكم وجودهم العريق في العراق ودورهم الثقافي والمالي المتميز فأنهم تمكنوا من العمل تحت إمرة الولاة العرب في مجالات إدارية عديدة ، بل ومنهم من عمل في مجال علوم اللغة العربية كالأدب والنحو. وتحسن أوضاعهم أكثر مع الخلافة العباسية والحصول على رعاية الخليفة. كما كانت ليهود العراق لهجة عربية خاصة بهم ، وكتبوا كذلك بعض مؤلفاتهم بلغة عربية وبحروف عبرية وخاصة في مجال العلوم الدينية ، كما برز منهم أدباء وشعراء كتبوا بلغة عربية فصحة ، وترجموا إليها من لغات كانوا يعرفونها كالآرامية واليونانية. وقد أصبح لهم رئيس يتولى شؤونهم كان يسمى (رأس الجالوت - رئيس الجالية) ، الذي اعتبر رئيس الطائفة اليهودية في العالم أجمع. لقد استفاد اليهود من جو التسامح والرعاية ، فلمع منهم العديد من العلماء والأطباء والحرفيين والحازنين ، ورجال المال ، وكان منهم الطبيب (فرات بن شحناثا) و(حسداي بن أسحق). وقد ازدهرت معابدهم في عهد الخليفة المعتضد خصوصاً (أكاديمية سورا التلمودية) ، ولمع من الأبحار والعلماء (سعديا بن يوسف الفيومي) و(هارون بن يوسف) وغيرهم.

لكنهم أيضاً مثل باقي الطوائف العراقية كانوا يتعرضون لفترات اضطهاد ، لكونهم من (أبناء الذمة) ، كما حصل في عهود بعض الخلفاء المتعصبين ، مثل عهد المتوكل (القرن التاسع) وكذلك القادر بالله (القرن 11) حيث فرضت عليهم التمايز ببعض المظاهر. ولقد تحدث (الرابي بنيامين القبطلي) الذي زار العراق في عهد خلافة المستنجد بالله (القرن 12) عن حالة اليهود المزدهرة في هذا العهد ، حيث يقول :

((ويقيم ببغداد نحو أربعين ألف يهودي ، وهم يعيشون بأمان وعز ورفاهية في ظل أمير المؤمنين الخليفة ، وبين يهود بغداد عدد كبير من العلماء وذوي اليسار ، ولهم فيها ثمانية وعشرون كنيساً ، قسم منها في جانب الرصافة ، ومنها في جانب الكرخ على الشاطئ الغربي من نهر حدقل (دجلة) الذي يمر في المدينة فيشطرها شطرين. وكنيس رأس الجالوت بناء جسيم ، فيه الأساطين الرخام المنقوشة بالأصباغ الزاهية المزوقة بالفضة والذهب ، وتزدان رؤوس الأساطين بكتابات من المزامير بحروف من ذهب ، وفي صدر الكنيس مصطبة يصعد إليها بعشر درجات من رخام ، وفوقها الأريكة المخصصة لرأس الجالوت))^(*). وتذكر المصادر أنه كان لليهود في العراق كله خلال القرن الثاني عشر الميلادي 10 مدارس دينية و 238 كنيساً.

مترجموا التوراة الى العربية في القرن العاشر

(61) ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق / أحمد سوسه / ص : 193-194
239

برز العديد من المترجمين للكتب اليهودية (الآرامية والعبرية) الى العربية أو العكس منهم: (يهوذا ابن يوسف) المعروف بـ (ابن أبي الثناء) تلميذ (ثابت بن قرة الصابئي) في الفلسفة والطب وفي الرقة // (سعيد بن علي المعروف بابن أشلميا بالرقة أيضاً // يعقوب بن مردويه ويوسف بن قيوما // إبراهيم اليهودي التستري // العلامة سعيد بن يعقوب الفيومي (عاش ومات في بغداد)⁽⁶²⁾.

تأسيس فرقة القرائين في بغداد

في القرن الثامن تكونت طائفة القرائين (קריאים: قرائيم) اليهودية في بغداد على يد الكاهن اليهودي العراقي (عنان بن داود). وتعتبر امتداد للتيارات اليهودية التي رفضت الاعتراف بالتلمود، بأعتبره كتاباً غير مقدس موضوع من قبل الكهنة. وقد تأسست أيام الخليفة (أبي جعفر المنصور) (القرن الثامن).

إن إيمان القرائين يقتصر على التوراة وسفر يوشع بأعتبرهما المصدرين الوحيدين للفكر الديني اليهودي ولتشريع الفرائض. انتشرت الفرقة القرائية إنتشاراً واسعاً بين جمهور اليهود وكادت أن تطغى على التلموديين حتى قام الحبر المتكلم سعادي بن يوسف الفيومي وبدأ بمجادلة القرائين معتمداً في ذلك على مناهجهم العقلية التي أخذوها عن متكلمي المسلمين وخصوصاً المعتزلة.

كذلك تآثر الدين اليهودي بالتطور الحاصل في الاسلام والتيارات المختلفة التي ظهرت فيه. فظهر مجددون من أمثال الفيلسوف (بنيامين النهاوندي) الذي جدد التعاليم التوراتية، ومنحها بعداً روحياً فلسفياً. وعاصر النهاوندي متفلسف آخر هو (دانيال الخوميسي)، وكان صاحب نزعة مخالفة لصاحبيه معاً، سواء في العقيدة أو الشريعة، فقد أنكر النزعة التأملية التي دعا (عنان) إليها، وكذلك أنكر النزعة الرمزية التي نادى بها (النهاوندي).

تطوير اللغة العبرية وابداع نحوها في بغداد

كان للثقافة العربية الاسلامية في العراق خصوصاً، وكذلك في الاندلس ومصر، أثر فعّال في العصور الوسطى في تطوير اللغة العبرية والمحافظة عليها من الانقراض، وقد دأب علماء اليهود على تأليف الكتب اللغوية على غرار المؤلفات العربية في قواعد اللغة من صرف وبلاغة وعروض، حتى إن الشعراء اليهود لا سيما الأندلسيون منهم قرضوا الشعر العبري وفقاً للأبجديات الشعرية المألوفة في اللغة العربية. وتناولت فنون الشعر العبري جميع الأغراض المعروفة في الشعر العربي من مدح وهجاء وفخر وثناء وحكمة ووصف وغزل. لقد حاكى الشعراء اليهود الشعراء العرب في النظم العلمي التعليمي، وفي نظم الأحاجي والألغاز، وانفرد الشعراء العبريون في فن واحد هو الحنين إلى أرض الميعاد.

ويعتبر (سعديا بن يوسف الفيومي) من القرن العاشر م. من مؤسسي النحو العبري بالاعتماد على النحو العربي. وهو علامة يهودي مصري انتقل الى بغداد وأبدع في علوم الدين واللغة العبرية. وترجم اسفار العهد القديم من الآرامية الى العبرية. ثم وضع كتابي اللغة العبرية والفصاحة. كذلك تأثر سعديا بالعلوم الدينية الاسلامية وخصوصاً بمذهب المعتزلة، ويظهر هذا التأثير جلياً في معالجته الديانة اليهودية، ويعتبره النحاة اليهود (أبا النحو العبري)، وجاء من بعده من النحاة (مناحيم بن سروق) الذي ألف كراسة في قواعد العبرية، و(دوناش بن لبراط) و(يهودا بن داود حيوج) المشهور عند

(62) التنبيه والاشراف / ص 98-99 / المؤرخ العراقي العباسي (أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي).

العرب بـ (أبي زكريا يحيى)، وغيرهم، وقد ألفوا كتبهم من لغوية وغيرها باللغة العربية، وسلك جميعهم في كتبهم النحوية مسلك النحاة العرب. وقد نقل اليهود إلى لغتهم العلوم الإسلامية كاللاهوت والطب والفلسفة وغيرها ككتب ابن سينا وكتّابي: (تهافت الفلاسفة للغزالي وتهافت التهافت لابن رشد)، وقد أدى هذا الاحتكاك إلى تهذيب العقيدة اليهودية فيما يتعلق بالذات الإلهية وصفاتها، ويسمى مؤرخوا الأدب العبري العصر الأندلسي بالعصر الذهبي للغة العبرية.

* * *

ملاحق معلوما تية عن أوضاع اليهود

في العصرين العثماني والحديث



مرقد النبي حزقيل (زو الكفل) في الحلة

هكذا إذن، ظلت اليهودية في العراق تزدهر مع ازدهار الوطن، وتراجع بتراجع بغداد على يد المغول عام 1258 م، عانى اليهود مثل باقي العراقيين، من الاضطهاد والانحطاط الحضاري. وفقدوا دورهم الريادي في قيادة يهود العالم. ولم تبدأ أوضاعهم بالتحسن إلا بعد استقرار الاوضاع في الدولة العثمانية. نسجل هنا هذه المقاطع المختلفة التي تكشف عن أحوال اليهود الانسانية والثقافية حتى هجرتهم الى إسرائيل في خمسينات القرن العشرين :

أحوال اليهود في العصر العثماني

في ظل العهد العثماني تمتعت الأقليات الدينية باستقلالها الذاتي في الإشراف على أمورها الدينية وإدارة مؤسساتها الخيرية والتعليمية مع اتصال هذه الأقليات في النهاية بجهاز الدولة العام. وقد كان على رأس الطائفة اليهودية جهاز ديني مدني، وكانت الأمور الدينية بيد رئيس الحاخامية (حاخام باشا) الذي يعين من قبل الباب العالي. أما الإدارات الطائفية فكانت بيد إحدى الشخصيات التي تنتمي إلى عائلات يهودية رفيعة المقام ويسمى (ناسي) أي الرئيس. ويأتي بعد هاتين

الشخصيتين مجلس مكوّن من عشرة أشخاص ومحكمة حاخامية برئاسة الحاخام باشا، كما كانت للطائفة اليهودية في بغداد مؤسساتها التي تتلقى الدعم المادي من صندوق الطائفة.

النشاط الاقتصادي

برزت مكانة اليهود (خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني) في مجال التجارة والأعمال، وكان رئيس صيارفة الوالي المعروف باسم (صراف باشا) يهودياً، وأشتهر من بين هؤلاء الصيارفة ساسون بن صالح بن داود الذي تقلد هذه الوظيفة أعواماً طويلة. وقد انتشر يهود العراق في المدن والقرى العراقية ولا سيما بغداد والموصل والبصرة وكركوك، وكانوا يقومون بالأعمال الاقتصادية المختلفة، وكانت لهم علاقات تجارية وثيقة بالهند وإيران. وازدهر هذا الدور إثر افتتاح قناة السويس في مصر عام 1868، وتعاضم دورهم في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق بعد الحرب العالمية الأولى عام 1919. وتولى العديد من يهود العراق رئاسة المصالح الاقتصادية والمكاتب الحكومية، وكان لهم بنوك عديدة منها بنك زلخه وبنك كريدية وبنك إدوارد عبودي وغيرها، كما احتكروا عدة صناعات كالأبسطة والأثاث والأحذية والأخشاب والأدوية والأقمشة والتبغ والجلود وغيرها، واحتكروا استيراد بعض السلع مثل منتجات شركة (مويل أويل) الأميركية، كما عملوا في معظم المهن الحرة كالطب والصيدلة والصحافة والطباعة. وبلغت مساهمة يهود العراق في الحركة الاقتصادية أوجها قبيل الحرب العالمية الثانية، إذ كان أكثر من نصف الأعضاء الثمانية عشر بغرفة تجارة بغداد من اليهود وكان من بينهم الرئيس والسكرتير.

النشاط الاجتماعي والسياسي

كان للطائفة اليهودية في العراق مؤسساتها الخيرية الخاصة التي تقدم لأفرادها الخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية، مما جعل المستوى الاجتماعي العام للطائفة فوق المعدل العام للسكان. وبرزت في ذلك المجال جمعية شومري متسفا (المحافظون على الشريعة) حيث كان لها دورها في مجال النشاط الاجتماعي. كما تعددت الجمعيات الخيرية اليهودية في بغداد، وكانت لها نشاطاتها المتعددة وخدماتها المتميزة لأبناء الطائفة. ولم يكن مصرحاً لليهود بالخدمة العسكرية، وكانت الحكومة التركية تقدر مبلغاً سنوياً تدفعه الطائفة ويعرف بـ (بدل العسكرية) مع إعفاء لرجال الدين وأولادهم من دفع هذا المبلغ. وظل هذا الوضع قائماً حتى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث أصدرت الحكومة بياناً تضمنت الفقرة الأولى منه ضمان حقوق الأقليات ومنحها المساواة في الحقوق المدنية والسياسية وغيرها.



يهودي من الرمادي عام 1918

ويمكن القول إن الطائفة شهدت تغييراً كبيراً في جوانب حياتها الاجتماعية المختلفة في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق، حيث ظهرت علامات الانفتاح على الغرب وتناقص التمسك بالشرائع اليهودية. وكان للطائفة بالعراق مجلس ينتخب أعضاؤه من بين أفراد الطائفة كل أربع سنوات، ثم أصبح كل سنتين فيما بعد.

أما فيما يتعلق بمشاركة الطائفة في الحياة السياسية العامة ، فقد كان لليهود مندوب تنتخبه الطائفة ليمثلها في مجلس (المبعوثين) الذي أفتتحه الأتراك عام 1876. ولما أعلن الدستور العثماني عام 1908 قابله اليهود بالترحاب ، كما رحبوا بالحكومة العراقية الجديدة تحت الانتداب البريطاني ، وتم تعيين اليهودي ساسون حزقيال أول وزير للمالية العراقية عام 1921 بالإضافة إلى يهود آخرين تولوا مناصب حكومية مهمة في العراق.

وكشأن سائر الأقليات كان لليهود ممثلون في مجلس النواب والأعيان بالعراق. وقد نصت الفقرة الثانية من المادة الثالثة من قانون المجلس التأسيسي عام 1922 على أن يكون من بين الأعضاء يهوديان من بغداد وواحد من كل من البصرة والموصل وكركوك ، كما نصت المادة التاسعة من قانون انتخاب النواب (رقم 11 لعام 1946) على أن يمثل اليهود العراقيين ثلاثة نواب من بغداد ، ونائب عن الموصل ، إلى جانب من يمثلهم في مجلس الأعيان.

وباستثناء بعض الحوادث التي وقعت نتيجة عوامل خارجية ، لم يواجه يهود العراق أي مصاعب من قبل المسلمين وبخاصة في الفترة الواقعة من منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر وحتى الهجرة الجماعية من العراق في منتصف القرن العشرين. وقد كان للقوانين التركية التي صدرت منذ عام 1839 وحتى عام 1914 الفضل في تحسين أوضاع يهود العراق أسوة بغيرهم من يهود البلاد الإسلامية الأخرى الخاضعة للدولة العثمانية ، حتى أنهم توقفوا عن دفع الجزية التي كانت مقررة عليهم.

التعليم والثقافة

بالإضافة إلى المدارس اليهودية الخاصة ، مثل الاليناس ، كان أيضاً من المسموح به لليهود العراق الالتحاق بالمدارس الحكومية ، ودأبت الحكومة على إرسال مدرس للدين اليهودي في كل مدرسة بها تلاميذ يهود ، كما أقامت الحكومة عام 1933 مدرسة حكومية للبنات خاصة باليهود أسوة بالمسيحيين وأسمها (مدرسة منشى صالح) ثم أنشئت أخرى للبنين عرفت بأسم (رأس القرية). ويمكن ملاحظة الاهتمام الخاص بتدريس اللغة العبرية وبخاصة في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق ، كما كانت الدعوة توجه إلى مدرس العبرية من فلسطين إلى العراق. وقد ظهرت آثار كبيرة لتغيير مناهج التعليم في المدارس اليهودية وتدريس اللغات الأجنبية والحية ودروس المحاسبة ومسك الدفاتر وتعليم المهن والحرف والمساعدات المالية التي تتلقاها هذه المدارس اليهودية من الأثرياء والأوقاف ووزارة المعارف.. وهو ما أسهم في خلق وضع متميز للمدارس اليهودية في العراق عامة وفي بغداد خاصة ، وانعكس ذلك كله على المجال الأدبي ، فظهر من بين أبناء الطائفة شعراء وأدباء كتبوا بالعربية ، كما أعطت الصهيونية (التي بدأت تمارس نشاطها بالعراق) دفعة قوية للغة العبرية ، وإن كان ذلك في معظم الأحيان قد اتخذ صورة غير رسمية.

ولعل أول مطبعة عبرية تأسست في العراق كانت عام 1863 على يدي موسى باروخ مزراحي حيث قامت بطباعة أول جريدة عبرية وسميت (هادوفير) أي المتحدث ، كما نشرت بعض الكتب. ومع أوائل القرن العشرين أنشئت مطابع أخرى قامت بطباعة العديد من الكتب العبرية ، وكانت أشهر دور النشر اليهودية دار (رحمايم) في بغداد ، وكان إنتاج هذه الدور يلقي رواجاً بين الطوائف اليهودية في الهند والصين.

وشهد القرن العشرين نهضة يهودية فيما يتعلق باستخدام اللغة العربية ، إذ اتجه الشباب اليهودي في العراق إلى البحث العلمي والتأليف الأدبي بالعربية ممثلين بذلك انتصاراً للتيارات العلمانية التي سادت الطائفة في ذلك الوقت. وكان أول كتاب صدر بالعربية الفصحى في هذا القرن عام 1909 وعنوانه (الثورة العثمانية) لليهودي العراقي سليم إسحاق ، كما صدرت صحيفة عربية تركية هي صحيفة (الزهور) التي حررها اليهودي نسيم يوسف سوميخ وغيره.

العلاقات الإسلامية اليهودية



يهود عراقيون مهجرون
في مطار تل أبيب عام 1951

من خلال عرض أحوال الطائفة اليهودية بالعراق يمكن القول إن العلاقة بين مسلمي العراق ويهودها على المستوى الرسمي والشعبي كانت جيدة للغاية ، إذ لم يكن هناك ما يعكر صفوها ، حيث كانت الطائفة تنعم بالحياة الآمنة المستقرة مع سائر سكان البلاد. ولم تكن الشدائد والصعاب التي مرت بالعراق في بعض فترات تاريخه لتمييز بين مسلم ويهودي ومسيحي. وقد انعكست هذه العلاقات الطيبة في أدبيات يهود العراق على نحو ما نجد عند القصاص أنور شاؤول وسمير نقاش وإسحاق بار موشيه وغيرهم. ولم يفكر يهود العراق في ترك البلاد خلال العصور المختلفة ، وجميع من هاجر خلال القرنين الماضيين (مثلاً) كانت دوافعهم إما تجارية حيث اتجهت بعض العائلات نحو الهند والشرق الأقصى ، أو دينية إذ هاجرت بعض العائلات أيضاً إلى فلسطين منذ منتصف القرن 19. وبسبب تسرب الفكرة الصهيونية القومية إلى يهود العراق وإقامة إسرائيل شهد العراق في أعوام الخمسينات هجرة جماعية لمواطنيه اليهود ، ولم يبق منهم إلا القليل لا تتوفر أي معلومات موثقة عنهم خاصة بعد الأحداث الأخيرة التي ألمت بالعراق.

((مقطع من دراسة: الأقلية اليهودية في العراق / محمد جلاء إدريس (باحث مصري) / المعرفة))

* * *

من أدباء اليهود في العصر الحديث



لقد شارك اليهود في الحياة الثقافية وأصدروا الصحف والمجلات (مجلة المصباح والحاصد) وكتبوا نتاجهم باللغة العربية ومن أبرزهم الأديب مير بصري والشاعر أنور شاؤول ومراد ميخائيل ويعقوب بلبول وسالم درويش وأخوه سلمان وإبراهيم يعقوب وعبيده وسالم الكاتب وسالم قطان.

• أنور شاؤول : شاعر وقاص ومحام ولد في الحلة عام 1904 واستقر في بغداد، زاول المحاماة وأصدر مجلة الحاصد الأسبوعية، غادر العراق في عام 1971 وتوفي عام 1984، له مؤلفات كثيرة كان من أبرزها قصة الفلم السينمائي (عليّة وعصام)، كما قام بنظم قسم من ملحمة كلكامش شعراً، وترجم بعض الأعمال الأدبية، حتى عدّه المهتمون بالقصة من رواد القصة الحديثة.

• الدكتور مراد ميخائيل : ولد في بغداد 1906 واشتغل في سلك التعليم حتى أصبح مديراً لعدة مدارس ثم درس الحقوق ورحل إلى طهران لإدارة المدرسة العراقية هناك ثم إلى باريس وفلسطين مشغلاً بالصحافة ونال شهادة الماجستير في العربية والحضارة الإسلامية ثم الدكتوراه في عام 1965 واشتغل بتدريس العربية في يافا ومحاضراً في الجامعة. كان ميالاً للأدب منذ الصغر وقد أخذ ينشر مقالاته وشعره تحت أسم (نزيل الشرايط) وقد غلب على شعره طابع الحزن والأسى وبعده عن الجمل المعقدة متأثراً بأدباء المهجر.

نشر مجموعتين شعريتين وألف تاريخ الأدب العربي في ثلاثة أجزاء. توفي في عام 1986.

• شالوم درويش : ولد في ميسان وانتقل إلى بغداد ونال شهادة الحقوق عام 1938 وشارك في الحياة السياسية والأدبية حتى أصبح عضواً في مجلس النواب، وبعد حرب 1948 نزع إلى فلسطين متسللاً عبر إيران ليعمل في الصحافة ويواصل عمله الأدبي بعد الانقطاع. تميزت قصصه بالمبالغة في الوصف وأعتنائه بأختيار شخصيات من الحياة وتصوير عالمها الداخلي، وهي غالباً ما تكون محبطة وهامشية، ومن أبرز مجاميعه القصصية (أحرار وعبيد) ومجموعة (بعض الناس).

• مير بصري : ولد في بغداد 1911 ودرس اللغة العبرية والاقتصاد والأدب العالمي وتاريخ العراق والعروض، وبدأ بنظم الشعر باللغتين (العبرية والفرنسية) ما لبث أن تحول إلى العربية، ويعتبر مؤلفه (أعلام اليهود في العراق الحديث) الأول من نوعه في اللغة العربية كونه كتبه عن شخصيات عاشرها وعرفها عن كثب وترجم لها بصدق وموضوعية. بدأ (مير بصري) بنشر نتاجه الأدبي في الصحف والمجلات ثم قام بنظم العديد من الملاحم الشعرية، وقد نظم شعراً بأغراض متعددة، ومن أبرز شعره قصيدته (يهودي في ظل الإسلام) التي يقول فيها (إن كنت من موسى قبست

عقيدتي / فأنا المقيم بظل دين محمد ، وسماحة الإسلام كانت موثلي / وبلاغة القرآن كانت موردي ، ما نال من حبي
لأمة أحمد / كوني على دين الكليم تعبدي).
هذا وله مؤلفات عديدة في مختلف الاختصاصات.

مقطع من محاضرة في دار المرتضى عن كتاب الدكتور (طالب مهدي الخفاجي)
أستاذ الأدب العبري القديم في كلية اللغات / جامعة بغداد
الموسوم بـ (أدب اليهود العراقيين وثقافتهم في العصر الحديث)

* * *

مدارس الالينس اليهودية العالمية



الملك فيصل الاول في أعوام العشرينات يزور مدرسه الالينس
وبجانبه الحاخام عزرا دنكور والحاخام ساسون مع شخصيات يهودية

يرجع تاريخ هذه المدارس إلى عام 1860 م عندما قامت جمعية (التحالف الإسرائيلي العالمي) إسرائيل يونيفرسل
Alliance Israelite Universelle التي عرفت إختصاراً بأسم (الالينس) وتعني بالفرنسية (التحالف)، وهي منظمة
يهودية فرنسية تأسست في باريس بهدف الدفاع عن الحريات المدنية والدينية للجماعات اليهودية وسعت لتنمية مجتمعاتها
المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني وإغاثتهم في الأزمات، وهي مدعومة من قبل المليونير اليهودي الماسوني
الشهير (آدم دي روجيلد) وقد أسست لها هذه المدرسة مدارس فرعية في جميع أنحاء العالم حيثما وجدت جاليات
يهودية. وكانت الغاية طبعاً بث روح الثقافة الغربية والتبعية للمشاريع القومية والانفصالية للزعامات اليهودية الاوربية.
في العراق تأسست أول مدرسة في بغداد عام (1865) ثم توالى المدارس في كل من البصرة والموصل والحلة والعمارة
والموصل.

ومع الزمن راحت تتكشف سياسة الأليانس في دعم الصهيونية من خلال حث الطلاب على الهجرة إلى فلسطين وتوجيههم إلى العمل من أجل الوطن الموعود. وأما من حيث المناهج الدراسية فأن المدارس كانت تطبق الخبرة الفرنسية إلى جانب الخبرة اليهودية بما فيها من تطور وتقدم، وقد أنفقت جمعية الأليانس على أن يكون التعليم في المدارس باللغة الفرنسية وأن تكون المناهج علمانية إلا أن قوة الأليانس جعلت فرنسا توافق على تدريس المواد الدينية وباللغة العبرية!! أما اللغة العربية التي يدعي اليهود أنهم ينتمون إلى بلدانها وأنها لغتهم الأصلية فلم يكن لها حظ يذكر أو كانت في هامش تفكيرهم، وكان الحرص على تعلم اللغات الأجنبية والتحدث بها بطلاقة في المدارس اليهودية، أشد كثيراً من الحرص على تعلم اللغة العربية، كل ذلك، من أجل قطع رابطة الطالب اليهودي والطالبة اليهودية باللغة العربية، أو لتهمل دراستها وإجادة الكتابة بها. فأن مدير مدرسة الأليانس اليهودية في مدينة العمارة على سبيل المثال، كان يُقاصص كل طالب يتكلم اللغة العربية، ويجبرهم على التكلم باللغة الفرنسية.

مقطع من دراسة: (الأليانس مدارس يهودية في قلب العالم العربي / خليل محمود الصمادي / الرياض / مجلة المعرفة / العدد 155
<http://www.almarefh.org/news.php?action=show&id=65>

* * *

يبقى أن نشير الى أنه من دلائل الحضور اليهودي الحالي في العراق، وجود هذا العدد الكبير من المراقدين اليهودية المقدسة، التي أصبحت مع الزمن مقدسة أيضاً لدى المسيحيين والمسلمين، منها: ((مرقد النبي ناحوم في القوش - شمال نينوى // قبر عزرا أو العزير - بين القرنة والعمارة // مدفن النبي حزقيال أو ذي الكفل قرب الحلة // مرقد يوشع كوهين بجانب الكرخ - بغداد // مرقد الشيخ اسحق الغاوني - بجانب الرصافة - بغداد)).
 بالإضافة الى أن هنالك مقامات مقدسة لدى العراقيين مسلمين ومسيحيين وهي تنسب الى أنبياء يهود، منها (مقام النبي يونس) في الموصل، و(مقام النبي دانيال) في كركوك.

المصادر

- 1- اللغة والسياسة / شبرمه عبد الكريم اللبدي / دراسة في الانترنت.
- 2- الموسوعات العربية والعالمية (اللغة العبرية).
- 3- من سومر الى التوراة.
- 4- موسى والتوحيد / سغمووند فرويد.
- 5- تاريخ اللغات السامية / أ. ولفنسون.
- 6- آرام دمشق واسرائيل / فراس السواح / دار علاء الدين / دمشق 1995
- 7- تاريخ نقد العهد القديم / زلمان شازار / المجلس الاعلى / القاهرة 2000
- 8- الرحمن والشيطان / فراس السواح / دار علاء الدين / دمشق 2000
- 9- جريدة الحياة اللندنية / 24 - 12 - 1995 / مقالة أحمد عثمان.
- 10- تاريخ اسرائيل القديمة / كيث وايتلام / عالم المعرفة / الكويت 1999
- 11- الكتاب المقدس / المكتبة المشرقية / بيروت 1986

- 12- اليد الخفية / عبد الوهاب المسيري / دار الشروق / القاهرة 1998
- 13- الاديان الحية / اديب صعب / دار النهاض / بيروت 1993
- 14- ملامح التاريخ القديم ليهود العراق / أحمد سوسة / المؤسسة العربية / بيروت 2001
- 15- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين / فيليب حتي / دار الثقافة / بيروت 1958
- 16- اليهودية بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التلمود والتوراة / زغلول النجار ، ود. علي حليل / منشورات اتحاد الكتاب العرب 1997
- 17- جورج طرابيشي / مذبح التراث / دار الساقي / بيروت 1993
- 18- دراسات في التاريخ / انيس فريجة / جريس بريس / طرابلس 1991
- 19- أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية / الاب سهيل قاشا / بيسان 1998
- 20- محمد عابد الجابري / بنية العقل العربي / المركز الثقافي / الدار البيضاء 1986
- 21- الموسوعة الفلسطينية / الأطماع الصهيونية في القدس / تأليف عبد العزيز محمد عوض / بيروت 1990
- 22- ماقبل الفلسفة / مجموعة باحثين غربيين / المؤسسة العربية / بيروت 1982
- 23- الاسطورة والمعنى / فراس السواح / دار علاء الدين / دمشق 1997
- 24- نائل حنون / عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد النهرين / المؤسسة العربية / بيروت 2001
- 25- ملحمة كلكامش / فراس السواح / دار الكلمة / بيروت 1983
- 26- مغامرة العقل الاولي / السواح / دار الكلمة / بيروت 1982
- 27- عبد الرحمن السليمان / القبلا / موقع جمعية الترجمة العربية
- 28- بنو إسرائيل في القرآن والسنة / محمد سيد طنطاوي / دار الشروق للنشر والتوزيع 1977 القاهرة
- 29- بنو إسرائيل في القرآن الكريم / محمد عبد السلام ابو النيل / دار حنين للنشر والتوزيع 2003
- 30- هل اليهود حقاً / شعب الله المختار / محمد جمال طحان / دار صفحات / بيروت 2009
- 31- تيه بنو اسرائيل بين القرآن والتوراة / نضال عباس دويكات / كتاب منشور على الانترنت
- 32- تاريخ اليهود / أحمد عثمان / مكتبة الشروق / القاهرة 1994
- مصادر فرنسية وأنكليزية

- Mireille Hadas-Lebel- Histoire de la langue hébraïque, Des origines à l'époque de la Mishna, Collection de la Revue des études juives, Éditions E. Peeters, 1995
- The Septuagint versus the Masoretic / Genesis
- Jean BOTTERO – Naissance De Dieu- Folio - Paris 2007
- La Bible – Reperes Pratiques – Nathan-Paris1998
- Catholic Encyclopedia > G > Gnosticism
- Michaël Prior - Bible and Colonialism: A Moral Critique-
- L'histoire de la Bible : J. H. Alexander La Maison de la Bible
Sur les traces de la Bible : Dr W.J. Ouweneel La Maison de la Bible.
- I .Shahak-Histoir Juive-Religion juive / Paris1994
/ - la Mesopotamie / Georges ROUX/P270-271
- Dieu Obscur- Thomas Romer- Labor et Fides- Geneve 1998
- Michaël Prior Bible and Colonialism : A Moral Critique

ملف اللغة الفيديية



❖ الفيديية هم عراقيون شيعة ناطقون بالعربية..

- الفيديية وفرضية الأصل الآرامي!
- منا طقهم
- دور الفيديية في النهضة العراقية
- المؤسسة الفيديية
- شخصيك فيديية
- سياسة الاضطهاد

❖ اللغة الفيديية

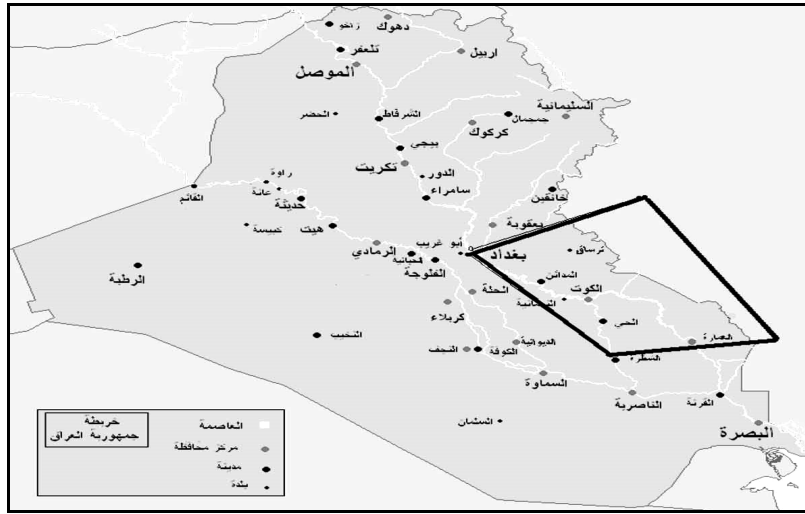
- من الامثال الفيديية

العراق يمنح الجنسية للضليّة المرّحلين الى إيران

وكالات 2009/5/27



الفيلية، هم عراقيون شيعة ناطقون بالعربية ..



مناطق تواجد الفيلية حول دجلة في العراق وإيران
علماً بأن الجزء الإيراني هو امتداد طبيعي لسهل النهرين وحضارته منذ القدم

المغالطة الكبيرة التي شاعت عنا نحن الفيلية، انه تم احتسابنا على أكراد العراق، بينما علاقتنا بأشقائنا الاكراد لا تتعدى الاسم. أما الأصل العرقي المشترك مع الاكراد، فهو غير مؤكد علمياً وأثارياً ولا حتى شكلياً. بالحقيقة، أننا واقعياً وتاريخياً عراقيين مستعربين، مثل غالبية العراقيين في الوسط والجنوب. فنحن أولاً نعيش في مناطق كلها ناطقة بالعربية، ونتعايش وبتزاوج وبتشاقق مع العراقيين الناطقين بالعربية، ثم الاكثر من هذا ان مذهبنا الاسلامي هو المذهب الشيعي الجعفري، وهو مذهب غالبية العراقيين وخصوصا الناطقين بالعربية.

ان الناظر لتاريخ الفيلية ومناطق تواجدهم يكتشف حقيقة أصولهم العراقية حتى الذين يقطنون في الجانب الإيراني من الحدود. أن منطقة الفيلية ظلت جزءاً من جغرافية العراق ومن حضارته وتمازجه السكاني. لكن العقلية العروبية العنصرية تعاملت بحذر مع كل من لا ينطق العربية أباً عن جد، ثم دفع هؤلاء الى البحث عن هويات قومية عرقية مغايرة للانتماء العراقي..

أفيلية وفرضية الأصل الآرامي!

من المعروف ان المناطق التي يقطنها الفيلية على الحدود بين إيران والعراق، تسمى تاريخياً (اقليم حلوان) التي ظلت دائماً جزءاً من العراق. حيث ان هذه المنطقة جغرافياً هي امتداد طبيعي لسهل بلاد النهرين. ويكفي التمعن في وجوه الفيلية وشخصياتهم، لنجدها لا تختلف أبداً عن وجوه باقي العراقيين وخصوصاً من أهل الجنوب.

نحن مع الفرضية التي تقول بأن الفيلية هم من أصول سورية، من تلك الجماعات الآرامية التي قام بتهجيرها الآشوريون الى الحدود الشرقية العراقية من أجل توطينها ومواجهة زحف القبائل الجبلية. ففي القرن الثامن ق.م، من مدينة (حماء) السورية وحدها تم تهجير (30) ألف شخص (أفراد وعوائل)، الى مناطق الفيلية الحالية. مع الزمن امتزج

هؤلاء السوريين مع الجماعات الآرية واكتسبوا لغتها، لكن لغة الفيلية بقيت تحمل الكثير من أصولها الآرامية والعربية. وهذه الفرضية تستند أيضاً إلى أن أشكال الفيلية وهياتهم البدنية تختلف كثيراً عن أهل الجبال، بل هي تشبه كثيراً أشكال وهيئات السوريين الآراميين وأبناء البحر المتوسط. (عن تهجير الآراميين إلى الحدود الشرقية (راجع: فراس السواح - آرام دمشق ص 250 - 252. كذلك: (la Mesopotamie – Georges ROUX- P270-271).

من الناحية الجغرافية والثقافية يعتبر (الفيلية) قريين من (اللور) الممتزجين بالعرب في المنطقة الممتدة على الجزء الوسط من الحدود الشرقية بين العراق وإيران، من بلدات جلولا و خانقين ومندلي شمالاً، إلى بلدة (علي الغربي) في محافظة ميسان) جنوباً، مروراً بمناطق (بدره وجصان والكوت والنعمانية والعزيزية) والتي تقع أغلبها في محافظة واسط العراقية إضافة إلى بعض قرى محافظة ميسان. أما من الجانب الإيراني فأن مناطق الفيلية والذين يسمون (اللور) فتشتمل على محافظات (كرمانشاه وأجزاء من عيلام والاحواز).

يقول الباحث والعسكري الانكليزي (ادموندز) في كتابه الشهير (كرد وترك وعرب) عن الفيلية:

((ان الطريق السلطانية الممتدة من كرمشاه إلى كرنديليها الخط المنتهي بمندلي وهو على وجه التقريب الحد الفاصل بين بلاد الكرد الاصلية وبين أقربائهم - اللر، الك - وهم لا يعدون ضمن الشعب الكردي... هم ليسوا من الكرد وإنما من اللر اللذين جاءوا من منطقة بشتكوه الواقعة غرب إقليم كردستان)).

كذلك (مينورسكي) المستشرق الألماني أوسكار مان الذي زار المنطقة عام 1903 فإن اللهجة اللورية أقرب إلى الفارسية منها إلى الكردية، حيث يقول أوسكار مان: ((إن اللهجات اللورية خالية من النبرة الكردية ولكنه يضيف: إن اللهجة اللورية تختلف عن الفارسية أيضاً اختلافات غير قليلة، خاصة في نطق بعض الكلمات وتلفظ مجاميع الحروف وصياغة الجمع وتصريف الأفعال)).

يعتقد الكثير من الباحثين ان اسم (الفيلية) متأني من تواجدهم في منطقة تعرف بأسم (بهلة) تقع في الحد بين منطقتي بشتكوه والاحواز، فيها تختلط العشائر العربية والفيلية. هذه العشيرة العربية تسمى بالفيلية أيضاً، نسبة إلى منطقة (بهلة)، والعرب تقلب الباء (P) إلى فاء، فالبهلية تنقلب إلى فهلية وفيلية.. يقطن هذه المنطقة عشائر بشتكوه الناطقة بلغة تتشابه بصورة ما مع اللغات الكردية، ولهذا مد عرب المناطق المجاورة، سواء في الاحواز أو جنوب العراق صفة الفيلية على بقية سكان بشتكوه غير الناطقين بالعربية. ينتشر الفيلية في المنطقة الممتدة من مسجد سليمان إلى مهران جنوباً (داخل إيران). وشيخ سعد و باقصابا وعلي الغربي وزرباطية وبدره وجصان ومندلي جنوباً وغرباً (داخل العراق)، وإلى محافظتي كرمشاه وإيلام شمالاً (داخل إيران)، و خانقين شمالاً (داخل العراق).

إن علاقة الفيلية بعرب الاحواز وجنوب العراق علاقة متينة متداخلة فرضتها علاقة الجوار وضرورة التعايش. وعزز من استقرارها وجود تجانس إسلامي شيعي بين الجانبين لم تؤثر عليها الصراعات الشيعية - السنية بين الدولتين الإيرانية والعثمانية، رغم تواجد هذه العشائر على جانبي الحدود بين الدولتين.. ناهيك عن العامل الاقتصادي الذي يبدو واضحاً وجلياً في هذه العلاقة الكردية - العربية في هذه المنطقة. فرعاة هذه العشائر يجدون الحرية المطلقة بجوب مناطق بعضهم البعض في مواسم الجفاف إذا كان الموسم في مناطق الطرف المقابل صالحاً للرعي.

ففي أبعد منطقة من بشتكوة عن مناطق العرب ، أي في شماله وبالتحديد في منطقة شيروان – جرداول ، استوطنت عشيرة عربية الأصل ، لا زالت تسمى بعشيرة (نقره و – ريوار) أي (العرب الرحّل) ، رغم كون هذه العشيرة قد استكردت ونست لغتها الأم ، إلاّ عبارات لا زالت تختلط بلغتها الكردية المكتسبة. من جانب آخر فهجرة كرد بشتكوة للعمل في ميناء البصرة وأسواق بغداد وبعض المدن الأخرى في مواسم الجفاف وعلى مدى القرون ، نتج منها سكن واستقرار مجموعة منهم في هذه المدن وخاصة في بغداد منذ القرون الوسطى ، وتحدد تسمية (الفيلية) بشكل عام بهم.

مناطقهم

غالبية الفيلية كانت تقطن مدينة بغداد وخاصة قبل حملات التسفير المتكررة ، كانوا متمركزين في حي الاكراد (عكّد الاكراد وبعض الاحياء الشعبية المجاورة لها) وعند تحسن حالتهم الاقتصادية كانوا ينتقلون الى أماكن اخرى من بغداد أكثر رفاهاً ، مثل حي العطيفية وحي جميلة والاحياء الممتدة على طول شارع فلسطين وغيرها. كما كان الفيلية يقطنون بأعداد أقل في البلدات العراقية الواقعة على الخط الحدودي مع ايران من الكوت الى العمارة.. أما على الجانب الايراني فأن الفيلية (بالرغم من عدم اطلاق هذه التسمية عليهم هناك) يقطنون محافظة ايلام ومتداخلين في علاقات تزواج وتثاقف مع العشائر العربية في الاحواز. وبعد التسفيرات الجماعية للفيلية من العراق في السبعينيات والثمانينيات تقيم جالية فيلية كبيرة من أصول عراقية في طهران أيضاً يطلق عليهم الايرانيون اسم (عرباها) (أي العرب).. ويقدر عدد الفيلية بمئات الآلاف.

هنالك من يحاول أن يحتسب على (الفيلية) السكان المحسوبين على (الاکراد) في بلدات محافظة ديالى ، مثل خانقين ومندلي وجلولاء وغيرها ، لأن لغتهم (الكلهورية) قريبة على الفيلية ، وكذلك هم من المذهب الشيعي ، بالإضافة الى أنهم ممتزجين بأخوتهم العرب والثقافة العربية. إلاّ أن مثل هذا الرأي لم يتم الاتفاق عليه.

دور الفيلية في النهضة العراقية



يسكن الفيلية في العراق منذ زمن بعيد ، حيث شكلوا دائماً جزءاً من سكان العراق في كل الازمان ، فمناطقهم هي جزء من وادي النهرين. وتسلم كثير منهم مراكز ثقافية واجتماعية وسياسية وتجارية بارزة. وساهموا في الحياة العامة بشكل فعّال ، باستثناء دوائر وزارات الدفاع والخارجية والداخلية ، والقوات المسلحة عدا دورات ضباط الاحتياط ، والجنود المكلفين. ولهم شهداء وضحايا في ثورات وانتفاضات وحروب العراق.

عانى الفيلية من التمايز الحكومي ضدهم بسبب انتمائهم الشيعي وتهمة الايرانية بحجة ان بعض مناطقهم الاصلية جزءاً من ايران. وبسبب حرمانهم من العمل الحكومي أتجه غالبيتهم إلى الأعمال الحرة المختلفة والتي كانت شائعة بين العراقيين في فترات العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي. وكانت غالبية هذه المهن وهي حرف شعبية كأمتلاك المقاهي والمطاعم والسياسة والتصوير والعمل في الخانات إلى جانب الحدادة والنجارة. وكانت مهنة (الحمالة) من أشهر المهن التي مارسوها بسبب قوة تحملهم. وكان عدد المتعلمين من الفيلية قليلاً ، ولكن مع النزوح اليهودي من العراق بعد تأسيس اسرائيل وخلال أعوام الخمسينات ، بدأ الفيلية ينشطون في مجال

التجارة وبلغوا مستويات عالية كتجار. العديد من حرفيهم إلى صفة التجار. هكذا شرعوا بوضع (بالة الحمالة) في صدر حوانيتهم التجارية تعبيراً عن عصاميتهم وانهم ما بلغوا هذا المستوى إلا بالجهد والكفاح .
هكذا شكّل الفيلية نسبة كبيرة في الغرف التجارية العراقية في
الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ، كما شكلوا نسبة كبيرة من تجار الجملة وخاصة أسواق تجارة الفواكه والخضر وتجارة الحبوب في علاوي جميلة وتجارة الخشب في شارع الشيخ عمر وتجارة الأقمشة في شارع الرشيد ، كذلك العديد من المشاريع الصناعية والغذائية.

المؤسسات الفيلية

في عام 1946 تم تأسيس (المدرسة الفيلية) لمساعدة أبناء الفيلية من الفقراء على التعلم. وفي عام 1957 تأسس نادي الفيلية الرياضي بإجازة من وزارة الداخلية (مديرية الجمعيات) ، وكان من الدرجة الممتازة ويعتبر فريق السلة من أبرز فرق النادي إلى جانب الملاكمة ، أما فريق كرة القدم فقد أستطاع الإنتقال إلى الدرجة الأولى بعد فوزه بدوري الدرجة الثانية وكان مدرب الفريق هو رئيس إتحاد الكرة العراقي (هادي عباس). وأسهمت المدرستان في النهوض بالواقع التربوي لأبناء الفيلية ، ولهذا أتسعت نسبة المتعلمين والمثقفين بعد أعوام 1960 وما تلاها.
بعد عام 1958 وقيام الجمهورية شهدت أوضاع الفيلية تحسناً كبيراً ، حيث تم تأسيس (الثانوية الأهلية الفيلية). كذلك أقرت الحكومة منح الجنسية العراقية لجميع طالبي الحصول عليها.
علماً بأنه في عام 1973 تم اغلاق المدرستين الفيليتين بعد تأميم المدارس الأهلية.

شخصيات فيلية



الفنان الكبير الراحل رضا علي، افيلي بغدادي



المغني صلاح عبد الغفور

ظل الفيلية دائماً يشعرون بالانتماء التام للمجتمع العراقي بحكم اختلاطهم الكبير بجميع مكوناته. لهذا فقد برزت شخصيات فيلية في الكثير من مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية الابداعية العراقية. ومن الشخصيات البغدادية المعروفة المرحوم (حافظ القاضي)، وبعض (آل قنبر) وهم من أكابر التجار في أسواق بغداد. في المجال الرياضي لن ينسى العراقيون نجوم الرياضة العراقية من الفيلية كجلال عبد الرحمن حارس مرمى الفريق الوطني العراقي. وكذلك اللاعب شاكر علي لاعب نادي الطلبة والأخوين اللاعبين محمود أسد وصمد أسد لاعبي المنتخب العراقي وكذلك المرحوم محمد علي قنبر لاعب منتخب العراق بكرة القدم ومدرّب نادي الفيلية الرياضي. وكذلك مدرّب نادي الشرطة المرحوم عبد كاظم.

كما نجد مسحات الشخصية الفنية الفيلية المرفهة على الفن العراقي واضحة. كالمطرب صلاح عبد الغفور. والموسيقار نصير شمة. أما في مجال الرسم والتمثيل فهناك أسماء لامعة أمثال اسماعيل خياط، ماجد شاليار، والنحات حسين مايجان .

سياسة الاضطهاد

يبدو ان هذا الغنى الذي حصل عليه الفيلية وكذلك مساهمتهم بتمويل المرجعيات الشيعية ودورهم الفعّال في الحركات الاسلامية واليسارية المعارضة، أثار نقمة الحكومات الطائفية ضدّهم، فراحت تشن بين حين وآخر حملات تهجيرهم لأيران، بعد مصادرة أموالهم طبعاً.

بدأ الاضطهاد واضحاً ضد الفيلية بعد عام 1968 ومجئ حكم البعث. إذ تم شطب التجار الفيلية من سجلات غرف التجارة ولم يمنحوا إجازات تأسيس المشاريع الصناعية. وأدى هذا إلى إقامة العديد من هذه المشاريع بأسماء آخرين والتي نهب قسم منها بعد تسفيرهم. أما العاملون في المجال التربوي كمدرسين ومعلمين، فقد نقلوا إلى وظائف في وزارات أخرى ليصبحوا بعد فترة مطرودين من الخدمة. ومن الأمور العجيبة هي حرمان خريجو الدراسة الإعدادية (البكلوريا) المتفوقين من الفيلية من القبول في الكليات لعدم إمتلاكهم شهادة الجنسية العراقية، ولكن في نفس الوقت يساقون إلى الخدمة في الجيش! كذلك منع الفيلية من مبيع ممتلكاتهم وعقاراتهم لأن القوانين كانت تنص على ضرورة إبراز شهادة الجنسية في حالات البيع والشراء.

قامت الحكومات المتعاقبة العنصرية والطائفية بحملات تهجير جماعي ضد الفيلية. وذلك بمصادرة أموالهم وتجريدهم من مستمسكات مواطنتهم ورميهم على الحدود الإيرانية، بعد حجز الألوف من شبيبتهم في غياهب السجون سنة 1980 دون أثر أو خبر عنهم الى الآن. ما بين الأعوام 1971 و 1982 جرى تهجير أكثر من ثلاثمائة ألف فيلي من بغداد ومدن الوسط والجنوب، ومات من مات من المهجرين على الحدود، لا سيما بين كبار السن، ونهبت ممتلكات الجميع بعد أن قضاوا في العراق (وطنهم) أجيالاً وخلفوا فيها الأولاد والأحفاد. كما حجزت الحكومة ما لا يقل عن ستة آلاف من شباب الفيلية في السجون والمعتقلات دون ذنب وبلا تهمة رسمية، بعد أن جرى تهجير آبائهم وأخواتهم وأمهاتهم. وجرى في الوقت نفسه تهجير آلاف من العرب العراقيين الأفحاح من جنوب العراق ووسطه بحجة (التبعية) وبينهم الكثيرون من أبناء العشائر. ولكن (الذنب) الوحيد الذي اقترفوه هو انتمائهم الشيعي وتمسكهم بوطنيتهم العراقية.

المصادر

- اللور ولورستان / علي سيدو الكوراني / مجلة المجمع العلمي الكردي بغداد 1974
- نجم سلمان مهدي / من هم الفيلية / دار الشمس استوكهولم / السويد 2001
- خسرو الجاف / من لور كورده يا لره / بغداد 2000
- اللغة الكردية..دراسة جغرافية / الدكتور فؤاد حمه خورشيد / وزارة الثقافة / دار الثقافة والنشر الكردية / بغداد 2005
- ثامر عبد الحسن / موسوعة العشائر العراقية / دار الشؤون الثقافية بغداد 1994
- جعفر فيتال / مجموعة آراء مورد سرزین / بشتكو إيلام / مطبعة فرهنك ط 1، 1990
- المدارس اليهودية والإيرانية في العراق / فاضل البراك / بغداد
- تاريخ العراق بين احتلالين / المحامي عباس العزاوي / شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد 1954
- (اللور) الكرد الفيليبون في الماضي والحاضر / عبد الجليل فيلي / مالو - السويد 1999
- محمد توفيق وردی / الأكراد الفيلية في التاريخ / بغداد 1971.
- جواد علي / تاريخ العرب قبل الإسلام / بيروت 1976.
- مجيد خدوري / العراق الجمهوري / إنتشارات الشريف الرضي / قم - إيران 1998

- حسن العلوي / الشيعة والدولة القومية / دار الثقافة / قم - إيران 1990 ص 149.
- حنا بطاطو / الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العراق ج 1 ص 32.
- فرهاد إبراهيم / الطائفية والسياسة في العالم العربي / مكتبة مديبولي 1996 ص 359.

اللغة الفييلية *



نساء فيليات

اللغة الفييلية ليس لها تراث كتابي بل هي لغة شفاهية. فالفييلية في العراق عادة يستخدمون اللغة العربية كلغة ثقافة، أما إخوتهم (اللور) في إيران فيستخدمون الفارسية. وبتوافق الباحثين تعتبر الفييلية لغة مستقلة تماماً عن اللغات الكردية، وهي أقرب إلى الفارسية، بالإضافة إلى الكثير من التأثيرات القادمة من العربية واللهجة العراقية بالذات.

هنالك تشابهاً وتداخلات كثيرة بين الفيلية ولغة (خانقين والكلهور) بحيث يصح القول تقريباً بوجود لغة فيلية مشاركة بلكنات مختلفة لكنها مفهومة من سكان هذه المناطق ، وأن الجيل الحالي في العراق نسوا إلى حد كبير لهجتهم واتخذ مثقفوهم ومبدعوهم (اللغة العربية لغة خلق وإبداع ودراسات) وبرز رموز عظام للثقافة العراقية من أبناء هذا المكون من مكونات المجتمع الكردي.

وقد كتب (بابا طاهر الهمداني) بعض قصائده بهذه اللهجة ، والذي بقي من هذه اللهجة هو شيء من التراث من حكايات وأغان. وفي إيران ثمة شعراء وقاصون يكتبون الشعر المعاصر والقصص بهذه اللهجة. ويبقى هناك الكثير من اللهجات التي لم نشر لها لعدم بروزها وتداولها من قبل الناس وبقيت محسورة في بعض المناطق الريفية والجبلية والتي يتداولها سكان تلك المناطق.

في الاعوام الاخيرة جرت محاولات لوضع أبجدية فيلية ، بالاعتماد على الحروف العربية ، منها محاولات الدكتور اسماعيل قمندار ، كذلك المهندسة (بتول شير اميري ملكشاهي) التي قامت وبمساعدة مجموعة من الاساتذة الفيلية ومنهم الدكتور فؤاد جواد وعبد الواحد الفيلي بوضع أبجدية للهجة الفيلية. وقد قامت هذه السيدة بنشر أبحاثها كدروس في اللغة الفيلية عبر مواقع الانترنت.

* ان هذا الموضوع اعتمد أساساً على ما كتبه في هذا المجال الباحثة القديرة (بتول ملكشاهي) وقد نشر في مواقع أنترنت عديدة.
هنا عرض للمحاولة الجارية من أجل إيجاد كتابة خاصة باللغة الفيلية وللدروس التي نشرتها الاستاذة القديرة.
* * *

تضم الابجدية الفيلية المقترحة 38 حرفاً ، وهي :

ا ء ب پ ت ج چ ح خ د ذ ر ز ژ س ش ص ط ع غ ف ق ك گ ل م ن ه و و ی ئ ی ی .

ملاحظة : استفدنا من العلامة (ˆ) للحروف المكررة

وعلامة (ˆ) لتلفظ الصوت (آ) العربي أو (ä) الالمانى

وعلامة (ˆ) (السبعة الصغيرة فوق الحروف) للحروف الثقيلة

بعض الحروف عادةً يمكن أن تكتب ولكن لا تلفظ بالفيلية.. مثل حرف التاء وحرف ال (گ) في آخر الافعال ، وحرف الراء في وسط الكلمة مثل كلمة خوه رم ، أو حرف النون في آخر الافعال في صيغة الجمع... لذا سوف نكتب لفظ الكلمات بعد كتابة الكلمة مباشرة وبين قوسين.

• أمثلة :

- هامسا = هامساگه مان حکیمیگه..... جارنا طیب.
- زارو = روناك دوزارو دیرینگ (دیری)..... روناك عندها طفلین.
- خاس = خاس کردیت (کردي) هاتیت (هاتي)... حسناً عملت بمجیئك.
- ثمرو = ثمرو میمان دیریمین (دیریم)..... الیوم عندهنا ضیوف.
- ئاو = ئاو خوه ریت (خوه ري ؟) ، (خوه ی ؟؟) ... هل تشرب ماءً ؟.

- ئاساره ، ئاسمان= ئمشه و ئاساره ده ئاسمان نيه... لاتوجد نجوم في السماء الليلة.
 - بيا = بيا بچيمن (بچيم) ئه را مأل تعال نذهب الى البيت.
 - بچو= بچو ئه را مألاذهب الى البيت.
 - باور= باورئ كرديت (كردي؟)..... هل صدقته.
 - په نير= له يلا په نير دوست (دوس) ديرينگ (ديريئ)..... ليلي تحب الجبنة.
 - باپير= باپيرم عه مري (ئه مري) هه شتا صالحه..... جدي عمره ثمانين سنة.
 - ((حرف العين تلفظ (ئه دائماً))
 - په لنگ = چه نه په لنگئ زور ديرينگ (ديريئ)..... إنه قوى كالنمر.
- العائلة :

المعنى بالعربي	الكلمة الفيلية	المعنى بالعربي	الكلمة الفيلية
الام	دانگ	الاب	باوگ
الابنة	ديوت	الأبن	كور
الجددة	داپير	الجد	باپير
الاخ	برا	الاخت	خوه شك
ابن الاخ أو بنت الاخ	برا نزا	ابن الاخت أو بنت الاخت	خوارزا
ابن الخال أو بنت الخال	خالوزا	خال	خالو
ابن العم أو بنت العم	ئاموزا	العم	تاتگ (مه مو)
ابن الخالة أو بنت الخالة / ابن العممة أو بنت العممة	ميمزا	الخالة، أو العممة	ميمگ
الحفيد أو الحفيدة (ابن الابنة، أو بنت الابنة)	ديوته نزا	الحفيد أو الحفيدة (ابن الابن، أو بنت الابن)	كوره نزا
زوجة الابن (الكنة)	وه يو	الصهر	ذاما (زاما)
أخت الزوج	دش	والد أو والدة	خه سيوره

		الزوج أو الزوجة (الحمأة)	
زوجة أخو الزوج	هام وه يؤ	أخ الزوج	شيؤرا
الاهل (عندما يتحدث الشخص المتزوج يذكر كلمة باوانم - أى أهلى)	باوان	عديل	هام ذاما (زاما)
الاعمام (العمومة)	تاتگان	أهل الزوج أو الزوجة	خه سيؤران
أقارب	قوم	الاحوال (خؤلة)	خالؤان
غريب (بعيد) عنّا	ديؤر	يتتمى الينا	خومانى

• كلمات أخرى :

المعنى بالعربي	الكلمة الفيلية
رجل	پياك
أمرأة	ژن
ولد	كور
بنت	ديؤت
ذكر	نير
أنثى	ما
خنثى	نيرما

• الاوقات :

- روژ : النهار أو يوم
- يه دورؤزه فيرى كه رم منذ يومين وأنا أبحث عنه
- مانگ : الشهر
- مانگى تر چم ئه را عراق بعد شهر سأذهب الى العراق

- صال : السنة
- يه چه ن صاله هايته نه لمانيا؟..... منذ كم عام أنت في المانيا ؟
- شه وه كي : الصباح
- شه وه كي زيوده خه و نه لصام استيقظت مبكراً في الصباح
- نيمه رو : الظهر
- نيمه رو هايته مال؟ هل تكون موجوداً في الظهر؟
- نيواره : العصر
- ديايت نيواره بچيم نه را ماليان؟ هل تأتي العصر لنذهب الى بيتهم؟
- شه و : الليل
- شه و زمسان دريژه..... ليالي الشتاء طويله
- نيمه شه و : منتصف الليل
- نيمه شه و حالي خاس بي و..... في منتصف الليل تحسنت صحته
- شه فته ق : وقت شروق الشمس
- شه فته ق درات نه را كار..... من الفجر خرج الى العمل
- سو: غداً
- سو ديايت نه را بازار؟..... هل تأتي غداً الى السوق؟
- دو سو: بعد غد
- دو سو كار ديريمين بعد غد عندنا شغل
- ديوكه : امس
- ديوكه دو كتاو سه نم امس اشتريت كتابين
- پيره كه : قبل امس
- نه را پيره كه ناتيت؟ لماذا لم تأتي قبل امس؟
- پاره كه : السنة الماضية
- پاره كه ده نمصال گرم تريو..... السنة الماضية كان الحر أشد من هذه السنة
- پيرار: قبل سنتين
- پيرار كوري هاورد..... قبل سنتين ولدت ولداً
- په س پيرار: قبل ثلاث سنوات
- په س پيرار ده كردستان ديمى رأيتنه في كردستان قبل ثلاث سنوات
- زمسان : الشتاء
- زمسان كردستان سه رد شتاء كردستان بارد
- پايّز : الصيف
- پايّز به غدا كه رمه..... صيف بغداد حار

- سه رده وا : الخريف
- مه سه رده وا دوس نيرم أنا لا احب الخريف
- وه هار : الربيع
- وای وه هار خوشه هواء الربيع منعش

• جسم الانسان :

المعنى بالعربي	الكلمة الفيلية	المعنى بالعربي	الكلمة الفيلية
جانبي العمود الفقرى	مازگ	رأس	سه ر
عظم الحوض	تیه تگ	شعر الرأس	گیس
يد	ده س	وجه	ریو
اصابع اليد	کلگ ده س	الصدر	سینگ
الاذافر	نوخان	رقبة	مل
معصم	میج ده س	اذن	گوش
فخذ	ران	فم	ده م
عضلة الساق	پیوز	اسنان	دنان
ركبة	كه شكله	لسان	زوان
قدم	پا	شفه	لج
كعب	قنچگ پا	خد	گوپ
عظم الكاحل	قاپ	الفك	چناوه
أصابع القدم	کلگ پا	الذقن	زنج
مرفق	به له چق	عين	چه م
ذراع	بال	الجفن	پلک
بطن	زگ	الرمش	بژانگ
صره	نه وك	الحاجب	بریه

المنطقة السفلى من البطن	وه ر زايور	انف	ليوت
قلب	دل	كتف	شان
مرئ	ملازگ	صدر	سي ننگ
حنجره	قورگ	عظم الصدر	ده نيگ
البلعوم	قروژنه ك	ظهر	پشت
الرئه	سيويه	الخصر (الوسط)	نام قه ي
الكلية	گورچك	أمعاء	ليخه رو
الطحال	نسيں	الكبد	چگر
دم	خيون	الرحم	زارودان
جلد	پوس	لحم	گوشت
شعر	ميؤ	عظم	سوخان

من الامثال الضيلية :



ادارة المدرسة القيلية أعوام الستينات

❖ نو خورما تو خوارديته سه ئ ، مه وه چننگه ئ بازي كردمه

التمر الذي أكلته أنت، أنا لعبت بنواته

أي لا تتصور بأنك ذكي جداً، فأنا أذكى منك

❖ ناويگ رشيا گرده و نيه و

الماء المسكوب لا يتجمع.

يعني لقد فات الاوان ولا فائدة من المحاولة لحل المسألة

- ❖ نشترينگه ده ده ر هه ر مآي
جَمَلْ يذهب الى ابواب كل البيوت
أي انه شئ لا بد منه فيشمل كل شخص ويقال للموت
- ❖ نهر (نه گهر) كهله شير نه فيولني ديه ر رُوژه و نيهو؟
هل النهار لا ياتي دون صياح الديك؟
يقال للشخص الذين يوجدون الاعذار حتى لا يقوموا بأبي عمل
- ❖ نهر (نه گهر) خوازي عزيز بوى يا بمرى يا ديور بوى
إن كنت تريد أن تصبح عزيزاً، أما أن تموت أو تبتعد (أي تسافر أو تعيش بعيداً)
يشير الى معزة الشخص عندما يكون غائباً أو ميتاً
- ❖ نهر (نه گهر) جهنگ كهر بزاني بيه س كهر چه نهرای كى (كيگ) سهر خوهى كهئى وه خرئ
لو كان طرف النزاع يعرف ما يفعله الوسيط لأجله لكان يفديه بنفسه
يقال للشخص المتنازعة بان يقدروا موقف الوسيط منهم
- ❖ نهر (نه گهر) تو يى مهنى مه صهد مهنم
(مَنْ: هي وحدة وزنية)
إذا كنت أنت (مَنْ) واحد فانا مئة (مَنْ)، أي أنا أحسن منك
كن مغوراً أمام الشخص المغرور. وهو يشبه المقولة (التكبر على المتكبر هو التواضع بنفسه)
- ❖ نهر (نه گهر) تو فكرئ ديري (ديريت) مه فكر ونيمى ديرم
إذا كانت لديك فكرة، فأنا عندي فكرة ونصف (أي أكثر منك)
أنا أذكى منك ولي تجارب أكثر منك
- ❖ نهر (نه گهر) تو نه يوشى كورى خوهم نيهرانم دانهئ ها چه مم؟
إن لم تقل لي بأني أعمى، ألا أعرف بوجود عيب في عيني؟
أي شخص يعرف عيوب نفسه أكثر من البقية
- ❖ نهر (نه گهر) ليوه چگ وه گژ دار، تو بياو خوار
إذا صعد المجنون على الشجرة فالأفضل لك أن تنزل أنت
أي لا تعرض نفسك الى الخطر، تصرف معه بعقلانية
- ❖ نهر (نه گهر) بوگ وه ناگر ههم كهسى نيه سوزنى
حتى لو أصبح كله من ناراً فلا يحرق أحد
يعني انه ضعيف ولا يُشكل أي خطر لأحد
- ❖ نهر (نه گهر) بكمهته دوسم هه دهست هاده پوسم

- لو اتخذتك كصديق لي، فسوف تجتث جلدي دائماً
يقال للشخص الذي يستغل رابطة الصداقة دائماً لمصلحته
- ❖ نهر (نه گهر) به دگو نه و شهل و کور ده باوان نيه مينينگ (نيهميني)
لو لم يتواجد اللنام - لما بقيت الفتيات ذوات العيوب (الرجاء والعمياء) في بيت الاهل
(أي يتزوجن بالرغم من عاهاتهن).
- يقال في نم الاشخاص اللنام الذين يقفون كمانع أمام أعمال الخير
- ❖ نهر (نه گهر) به دگو نهو ميه و گورگ ده يهئ جا ناو خوهرن(خوهن)
لولا وجود اللنام، لشرب الذنب والخروف من مكان واحد
الشخص اللنيم هو الذي يقوم بتخريب العلاقات بين الناس
- ❖ نهر (نه گهر) بومه وه يو زانم چيو چويي بگرم
إن أصبحت عروساً، فسوف أعرف كيف أمسك المنديل عند الرقص.
- (چويي): هو منديل يحمله الراقص الذي يشغل الصف الاول من المجموعة ويدور المنديل أثناء الرقص وحسب النغمة
القيام بعمل ما يحتاج الى تحويل وأمكانات كافية
- ❖ نهر (نه گهر) بيل زهني، بيل خوهت بزهن
ان كنت حارث فاحرث لنفسك
عليك بعملك فقط ولا تتدخل بأمور الآخرين
- ❖ نهر (نه گر) ديرى دريغ نهكه نهر نيرى قهرت نهكه
ان كان عندك المال فاستفد منه وإلا فلا تأخذ قرضاً
صرف المال والاستفادة منه عند وجود الامكانية المالية، والقناعة عند عدم وجودها. يشبه المثل الشعبي (مدّ رجلك على
گد غطاك)
- ❖ نهرا يه نيبو شمهت كاكه، مهليچگي نهرام بورشني
اناديك بالاخ الكبير لكي تشوي لي عصفوراً
عندي غاية وهدف عندما أهتم بك واكن لك الاحترام
- ❖ نهراً زگم نيئه نهراً قهدرمه
ليس لاشباعي بل من أجل عزة نفسي
يقوله الشخص معاتباً الآخر لما لاحظته من عدم التقدير وسوء الاستقبال
- ❖ نه را شيشه ي (شيشه ي ت) بشكى (بشكيت)؟؟
أنت مصنوع من الزجاج لكي تنكسر؟؟

- يقال للشخص الذي يتظاهر بالدلال وعدم تحمله للصعاب
- ❖ نهرًا مهردم دالگ ، نهرًا نيمه باوهژن
- هي لجميع الناس كالأم، ولنا كزوجة الاب
- يكون حنون وسخي مع بعض الناس، وعكسها مع البعض الآخر
- ❖ ناسمان و زه مين ته ك داو يه ك
- لقد انطبقت السماء على الارض
- أي لقد قامت القيامة، يقال عندما يكون الحدث عظيماً جداً وغير عادي
- ❖ ناييم فريه خوهر دو جا(جار) مرئ (مريگ)
- الانسان الاكول يموت مرتين
- يشبه المثل القائل: أسير البطن لاينام ليلتين، ليلة بسبب التخمة و ليلة أخرى من الشوق للطعام
- ❖ نايه م خوهرش حساو شريك مأل مهردمه
- الانسان الامين ذو السمعة الطيبة شريك الناس في أموالهم
- يشير الى ثقة الناس بالانسان الامين
- ❖ ناگر خاسه بي ته پ ديؤ ، پرا خاسه نه چيو شيو
- النار جيدة بدون دخان، والاخ جيد لكن ليس بقدر الزوج
- يشير الى معزة الزوج عند الزوجة
- ❖ ناگر پشكول گوشت نيه ورشني
- نار البعرور (فضلات الخروف) لا يشوي اللحم
- أي ان الموضوع يحتاج الى تدارك أكثر
- ❖ نيوشمه ي نيريگه نيوشمي بوشمه ي
- أقول له انه ذكر، يقول لي أحلبه. أو (أقول له إنه ثور يقول أحلبه)
- أي لا يفهم ما أقول له مُصراً على كلامه
- ❖ نهر كور خاسيگه وهر خوهر ده ناو دراري
- لو كان ولداً جيداً لأخرج سجاده من الماء
- يقال للذي يدعي بأنه يستطيع القيام بأعمال الآخرين علماً بأنه لا يقوى حتى على القيام بأعماله
- ❖ نهر(نه گر) لاف نهيري كهيخوداي نهكه
- إذا لا تملك غطاء (لحاف) فلا تطمع أن تكون رئيساً للمجموعة
- يجب أن تكون كفوءاً لتحصل على منصب عالٍ
- ❖ نهر(نه گر) مه ده به غدا ناتام شيو دالگت كي يو؟

- ان لم اكن اتي من بغداد فمن كان يصبح زوجاً لامك
يظهر التفضّل (المنة) على الناس بدون أي داعٍ
❖ نهگر ناتام وه باخت دمردم ده داخت
ان لم اكن اتي الى مزرعتك لمت قهراً
الواقع لم يكن كما سمع، أي لم يكن الاطراء واقعيّاً
❖ نهرام بگيرن سيورم نهرا بهولى وه ن
إبكوا عليّ سيأخذوني عروساً الى بهولى
(بهولى) اسم قرية قديمة من القرى الفقيرة
يعني ان مشاكلي هي أكبر من مشاكلكم
❖ نايم تا ده نهسب نهكهفيگ (نهكهفي) نهسب سوارى هوكاره نيهو
لا يمكن للانسان تعلم ركوب الخيل دون أن يسقط من عليه
الخبرة تحتاج الى وقت واجتهاد
❖ ناو وسى تو نهؤس
الماء يتوقف، أما أنت فلا تتوقف
الجِد والسُرعة في العمل وعدم اليأس
❖ ناومان وه يهئ جو نيهچوگ (نيهچو)
لايصب ماعنا في ذات الساقية
الإشارة الى عدم الاتفاق في الرأي
❖ منيگ(منى) وه ناو ژير كئ ه
يشبه الماء تحت التبتن
يقال للشخص المكار والحيال
❖ ناو ده يهئ جا بمينيگ (بميني) گهنى
الماء الباقي في مكان واحد يتعفن
البقاء في وضع واحد مضر..
❖ ناو ده دسى نيه رشيگ(نيهرشى)
لا ينسكب الماء من يده
اي انه بخيل جداً
❖ ناو ده ناو تهكان نيهخوهيگ (خوهئ)
الماء ساكن

- الوضع كما هو لا تغيير فيه
- ❖ تا ناو ده ناسياو بكه فيگ (بكه في)
- الى ان ينسكب الماء من الناعور
- الانتظار حتى تهدأ الامور
- ❖ ناگر ده نام ناو نهو كه يگ (كه ئ)
- يشعل النار في الماء
- اي انه نشيط ونكي وجرئ
- ❖ ناش نه خواردگ ، دهس و دهم سوزياگ
- لم يتحسى الحساء، يده وفمه محروق
- لم تنله أية فائدة من الموضوع بل نالته الخسارة
- ❖ ناسياو وه نهوبه ت
- الطحن بالتناوب
- التقيّد بالنظام ورعاية دُور الاخرين في الاستفادة من عمل ما
- ❖ نارد ده تهيره قهرت كه يگ (كه ئ)
- يطلب الطحين من قطاع الطرق
- طلب الشيء من الشخص الذي لا يملك شيئاً
- ❖ ناخر عمر و نهول مالدارى
- فى أواخر عمره وأول بيت بينيه
- القيام بعمل ما بعد فوات الاوان، يشبه المثل القائل (بعد ما شاب راح للكتّاب

هذا الملف بالتعاون مع الباحثة لمياء الصافي

ملف اللغة المندائية



- ◆ الصابئة المندائيون تار يخأولغة
- ◆ اللغة المندائية تار يخها وحاضرها
- الكتابة المندائية ونصوصها
- من جماليك الخط المندائي

الصابئة المندائيون تاريخاً ولغة



الصابئة المندائيون، من الطوائف العراقية الاصلية، وهم يقطنون منذ القدم في أهوار جنوب العراق وكذلك الاحواز التي تعتبر امتداداً طبيعياً جغرافياً وسكانياً وتاريخياً لجنوب العراق، رغم تبعيتها الآن الى ايران. لقد ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاث سور، هي (البقرة، المائدة، سورة الحج). تعتبر المندائية، من العقائد الروحانية العرفانية الخالصة. فأن تسميتهم نفسها (مندائي) تحمل هذا المعنى، حيث اشتقت الكلمة من (مندا، أو مندع) وجذرها باللغة الآرامية - السريانية (دعي) وتعني (علم، معرفة)⁽¹⁾، وكذلك بالعربي (دعا) منها (دعوة وداعية ودعاية) وتعني النشر والتعليم. أما كلمة الصابئة فهي مشتقة من الجذر (صبا) والذي يعني باللغة المندائية: اصطبغ، تعمد، غط أو غطس في الماء، وهي من أهم شعائرهم الدينية. بذلك يكون معنى (الصابئة المندائيين): المتعمدين العرفانيين!

ما هي العرفانية - الغنوصية؟

لكي نفهم (المندائية) عقيدة وتاريخاً، علينا أن نفهم (العرفانية - الغنوصية) عقيدة وتاريخاً⁽²⁾.

ان (العرفانية) بكل بساطة، هي العقيدة التي شكلت أساس الاديان (السماوية التوحيدية). فهي تعني: (الايان بوحداية الوجود، والتسليم بإله الخير والمحبة في ملكوت السماء والنور. واعتبار الحياة الدنيا والبدن المادي ملكوت الظلام والشيطان. وان الخلاص يكمن في الزهد والتقشف وكبح غرائز البدن من اجل التطهر والارتقاء بالنفس الى ملكوت النور)⁽³⁾.

بسبب تبعيتنا للتفسير الغربي (الاستشراقي) لتاريخنا، فقد تم في العصر الحديث عكس أصل (العرفانية)، بحيث اعتبرت التسمية اليونانية (الغنوصية - GNOSE) هي الاصل، بينما الحقيقة ان التسمية الآرامية العراقية - الشامية (دعيو - عرفان)، هي الاصل، واليونان هم الذين ترجموها، كما ترجموا فيما بعد تسمية (المسيحية). أن المذهب العرفاني وليد الشرق العراقي الشامي المصري. وأكبر دليل على مشرقية العرفانية، إن جميع المصادر التاريخية تنفق على انه في هذه البلدان (العراق والشام ومصر) ظهرت أولى أخبار العرفانية، وفيها نمت وتنوع واغتنت وانبثقت أديانها (المندائية والمانوية والمسيحية والاسلام) ومدارسها ومبديها وأنبياؤها. وما المصادر اليونانية والايرانية والهندية إلاّ مكمله ومؤثرة مثل أنهار تصب في بحر عظيم. ففي القرون السابقة واللاحقة للميلاد، كان مذهب اليونان: المنطق، ومذهب الهند: الهندوسية، ومذهب ايران: الزرادشتية، وكلها صبّت في مذهب (المشرق العراقي الشامي المصري): العرفانية⁽⁴⁾.

البعض يرجع جذور العرفانية الاولى الى (نبونيد) آخر ملوك بابل (556 - 539 ق.م) الذي كان روحانياً زاهداً داعياً الى عبادة إله واحد هو (سين) إله القمر وأسرار الليل ورمز الانوثة والروحانيات. وهو الذي جعل من (حران) قبلة المؤمنين. وقد أمضى حياته معتكفاً مع أتباعه في البادية في (واحة التيماء) شمال السعودية حالياً⁽⁵⁾.

إن العرفانية عقيدة انسانية روحانية حاولت أن تمزج بين العقائد والافكار الكبرى السائدة في العالم حينذاك. فبعد سقوط آخر دولة عراقية في القرن السادس قبل الميلاد على يد الفرس، واحتلال الشام ومصر من قبل الاغريق ثم الرومان، بدأ يتغلغل في الشرق الاوسط تياران دينيان جديان: التيار الديني الآسيوي (الهندي - الزرادشتي) المتضمن عقيدة وحدة الوجود وخلود الارواح الهندوسية، وثنائية الخير والشر الزرادشتية)، ثم التيار الفكري اليوناني (علم المنطق) عن طريق اليونان أنفسهم ثم الرومان. لقد امتزج هذان التياران الجديدان مع عقيدتي المنطقة الاصليتين: الديانة (العراقية - الشامية) القائمة على أساس تقديس الكواكب السبعة وانتظار المهدي المخلص (تموز) أو المسيح. ثم الديانة (المصرية) القائمة على أساس تقديس اله واحد هو (الشمس) والايان بيوم الحساب والخلود الآخروي وبالجنة الموعودة). وكانت المحصلة النهائية لهذا المزيج، هو (التيار العرفاني - الغنوصي) الذي اعتبر أساس الديانات التوحيدية السماوية، وبالذات مذاهب الزهد الروحاني والرهبة والتصوف.

تمثل هذا التيار العرفاني في عدة مذاهب وأديان، مثل (الافلاطونية الجديدة والهرمزية) في مصر التي كانت تميل أكثر الى المنطق الاغريقي. كذلك (الطوائف الروحانية المختلفة منها العيسانية) في فلسطين التي كان ينتمي اليها (يوحنا المعمدان) وهي التي هيأت لانبثاق المسيحية⁽⁶⁾، وربما لها علاقة مباشرة مع المندائية العراقية. علماً أن المسيحية تمثل ذروة العرفانية، حيث اعتبر السيد المسيح روح الله الذي أتى يخصب نفوس البشر (تموز المنقذ - العراقي) وينقذ أرواحهم الالهية (الحلولية الآسيوية) من سجن البدن ملكوت الشيطان (الثنائية الزرادشتية) الى خلود الآخرة حيث ملكوت السماء (الآخروية المصرية).

أما في العراق فقد ظهرت العرفانية من خلال (طائفة الصابئة) التي انبثقت منها فيما بعد (المانوية البابلية). أما بالنسبة لليهودية، فبعكس الاعتقاد السائد، فهي لم تكن في أساسها التوراتي ديانة سماوية توحيدية لأنها لم تكن عرفانية، بل اكتسبت العرفانية فيما بعد وخصوصاً مع مذهب (القبالة)⁽⁷⁾. كذلك شكلت العرفانية أساس الاسلام لانه دين توحيدي

سماوي، رغم الميل السائد في الإسلام الرسمي باعتبار (العرفانية) مذهب فلسفي زهدي متميز حمل مسميات عدة مثل (التصوف) و(الحلولية) و(الاشراقية) بالإضافة الى تسمية (العرفانية) السائدة في التشيع⁽⁸⁾.

المنداثية ديانة عرفانية (غنوصية)

من أبرز الجوانب العرفانية في المنداثية، انها تؤمن بأن للانسان ثلاث مكونات: (الروح)، وهي نفحة نور الهي خالد تربط الانسان بملكوت السماء. ثم (النفس) وهي طاقة دنيوية تنشأ مع الانسان وفيها المشاعر والشهوات. ثم (البدن) وهو مقر الغرائز والحاجات والآثام. يكمن سر عذاب الانسان في معاناة روحه (نفحته الالهية) من سجن البدن وغرائزه ومغريات النفس وشهواتها. لهذا فان الخلاص يكمن في تحرير الروح النورانية من هذا البدن المظلم الفاني، عبر حياة الزهد والتقشف، حتى بلوغ الموت المحتم والخلاص الابدي.

ان كتاب (الكنزاري) يتحدث عن عودة آدم إلى ملكوت النور: ((يا آدم.. أمرت أن أحررك من جسدك، وأخرجك من هذا العالم. أحررك من سجن البدن، من سلاسل الدم والعظام.. لأصعد بك إلى بيت أبيك، بيت النور والسلام.. حيث لا بُغض ولا ظلام)).

في الحياة الأخرى أي بعد التحرر من البدن، فإن (النفس) هي التي تتحمل وزر الآثام وتخضع للعقاب والثواب، فتمر عبر المطهرات، وهي مراحل تؤدي بالتدرج إلى عالم النور. أما الروح فبما انها نفحة نور الهي، فأنها تظل بريئة طاهرة نقية فترجع مباشرة إلى ملكوت النور.

وهم يعتقدون بـ (عالم الشبيه أو النظير)، أي عالم أمثل يشبه دنيانا ولكنه بلا مغريات ولا آثام. وان لكل انسان في هذه الدنيا نظير له في العالم الامثل. وتوزن الأرواح بعد الوفاة بميزان يسمى ميزان (أواثر) وهذا اسم أحد الملائكة، وهو الذي يزن الأرواح مقارنة بروح نبي الله (شيتل برآدم) أي شيت ابن آدم. وشيتل تعني النبتة الطيبة التي وهبها الله لآدم بعد أن قتل قابيل أخاه هابيل. فمن نُقلتُ روحه عن وزن شيتل كان عقابه بقدر هذه الزيادة، ولا ترتقي روح إلى روح شيتل إلا أرواح الأنبياء والأصفياء. وهذا يذكر بـ (نبتة الخلود) التي حاول (كلكامش) أن يمتلكها، لكن الخلود هنا يتحقق في الحياة الأخرى.

أصل الصابئة

مشكلة المنداثيين انهم مثل كل الجماعات العراقية، قد فرض عليهم هذا السؤال المفتعل: من أين أتوا؟ وهذا السؤال لا يفرض بهذا الأحاح والحدة إلا على الجماعات العراقية. وكأن العيش لقرون وحتى آلاف الاعوام لا تكفي لكي تنتمي الجماعة للعراق، بل عليها دائماً أن تبحث عن موطنها السابق المفترض حتى لو كانت قد هجرته قبل مليون عام! فهذه مثلاً مشكلة (أصل السومريين) المفتعلة.

ضمن هذا السياق، فإنه كان من الاجباري البحث عن (وطن أصلي) آخر غير العراق، وقد افترض الباحثون الى أن أصل الصابئة يعود الى احتمالين:

1- الصابئة الحمرانية

نسبة الى مدينة (حران) الواقعة شمال بلاد النهرين ، وقد أصبحت جزءاً من جنوب تركيا في القرن العشرين وتقع عند الحدود مع سوريا. وهذه المدينة معروفة تاريخياً بأنها مركز للثقافة السريانية المسيحية ، وكذلك هي المدينة التي استوطنها النبي ابراهيم (ع) بعد هجرته من (اور) في طريقه الى (فلسطين). وقد عرفت حران في العصر العباسي بـ (الصابئة الحرائين) ، وحسب (ابن النديم) بأن هؤلاء الصابئة هم في الحقيقة (كلدانيون من عبدة النجوم البابلية) ، وقد ادعوا بأنهم (صابئة) أمام الخليفة (المأمون) لكي لا يقال عنهم بأنهم زنادقة⁽⁹⁾. وقد دلت البحوث الحديثة عن وجود فوارق عديدة بين صابئة الجنوب العراقي وصابئة حران. لكن في كل الاحوال أن هؤلاء الحرائين كانوا (عرفانيين) لهذا فإن ادعائهم بأنهم (صابئة) لم يكن اختياراً اعتبارياً بل لأنهم كانوا فعلاً يشتركون معهم بالايان الروحاني العرفاني وتقديس الكواكب السبعة التي كان يقدها العراقيون القدماء. وقد اشتهر صابئة حران بأنهم قدموا للحضارة العربية الاسلامية الكثير من الشخصيات المبدعة ، مثل (الطبيب ثابت بن قرة) و(أبو إسحاق الصابي) و(البتاني) الذي سمي المرصد الفلكي العراقي بأسمه ، وغيرهم.

2- طوائف فلسطين الروحانية

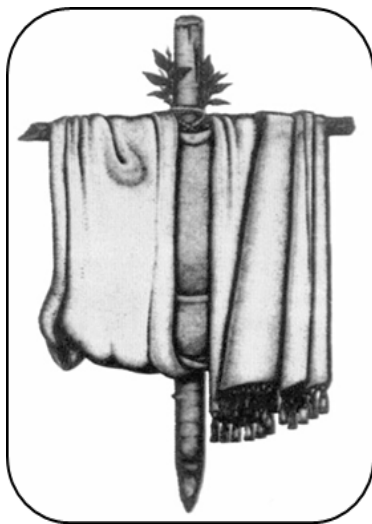
هنالك من يعتقد بأن أصل الصابئة يعود الى الطائفة العرفانية العيسانية (الاسينيون) الفلسطينية ، وإنهم هاجروا منها قبل الميلاد الى جنوب العراق بسبب الاضطهاد الذي لحقهم على أيدي المؤسسة اليهودية الرسمية ومن قبل الحكام الرومان. وقد رفض غالبية المؤرخين اعتبار هذه الطائفة من (اليهود) بل هم من الآراميين العرفانيين⁽¹⁰⁾. ان الخلاصة العقلانية التي يمكن بلوغها رغم كل هذه الفرضيات الخارجية ، هي : ان الصابئة المندائية ، هم من أول الطوائف العرفانية العراقية ، ولغتهم الاصلية ولغة كتبهم هي الآرامية الشرقية العراقية. وبما أن مذهبهم يميل الى الزهد والروحانية وتقديس التعميد بالماء ، فإنهم اعتزلوا المدن ولجأوا الى الاهوار حيث السلام الروحي ووفرة المياه. وغالبية تقاليدهم وطقوسهم ورموزهم المقدسة ، لها أصول عراقية قديمة.

بلاد النهرين

لقد اتفق الكثير من المؤرخين على أن معتقدات الصابئة المندائية برزت لأول مرة في جنوب العراق. ويعتقد ان هنالك مؤثرات واضحة من الديانة العراقية القديمة⁽¹¹⁾. وهنالك عدة مشتركات بين المندائية والعقيدة العراقية القديمة (السومرية الآشورية البابلية) ، منها :
- التعميد والوضوء بالماء⁽¹²⁾ وتقديسه / حمل الاشخاص أسم ديني خاص مختلف عن الاسم المعلن من اجل الحماية من الشر / تقديس الشمس / وارتداء الثياب البيضاء ، وأمور أخرى عديدة⁽¹³⁾.

كتبهم المقدسة

هذه بعض من الكتب الاساسية وهي جميعها ناطقة باللغة الآرامية المندائية ، ولكن يبدو انها لم تكن مدونة ، الا في العصر الحديث. وقد ترجم بعضها الى العربية :



- الكتاب المقدس (كنزا ربا) : ويعني الكنز العظيم ويعتقدون أنه يجمع صحف (آدم وشيت وسام) ويقع في 600 صفحة وهو بقسمين ، أولهما يتضمن سفر التكوين وتعاليم (الحي العظيم) والصراع الدائر بين الخير والشر والنور والظلام وكذلك هبوط (النفس) في جسد آدم ، كذلك تسييحاً للخالق وأحكام فقهية ودينية. أما الثاني ، فيتناول قضايا (النفس) وما يلحقها من عقاب وثواب.
- السيدرا : وهو كتاب عملي يعنى بالطقوس الدينية ، ويشمل بعض المعلومات الزراعية (مواعيد الزراعة ، ومواعيد المطر... الخ).
- أسفر ملوasha : أي سفر الأرواح أو الأسماء الروحية حيث أن لكل صابئي أسم ديني بجانب أسمه المتعارف عليه مأخوذ من ساعة الولادة ويومها مضافاً إلى اسم الأم. وهو كتاب فلكي يعنى بمسيرة الفرد أو سفره خلال الحياة ، ويعتقدون أنه علم مأخوذ عن النبي (إدريس)(ع).
- كتاب النيانى : وهو خاص بطقوس التعميد والوفاة.
- القلستا : ويعنى بشؤون الزواج.
- حران كويثا : أو حران السفلية ويشرح في كثير من فصوله هجرة الصابئة من فلسطين إلى تخوم العراق.
- ادراشة يهيا : أي تعاليم يحيى ، وهو محاضرات كان يلقيها يوحنا على تلاميذه.
- اتسر سالف شياله : أي كتاب ألف واثنان عشر سؤالاً ، ويحتوي على الاسئلة الفقهية الخاصة بالصابئة.

أركان الديانة⁽¹⁴⁾

ترتكز الديانة المندائية على خمسة أركان هي :

- 1- التوحيد (شهدوثا اد هيبى) : وهي الاعتراف بالحي العظيم (هيبى ربي) خالق الكون. حيث جاء في كتاب المندائيين المقدس كنزا ربا {لا أب لك ولا مولود كائن قبلك ولا أخ يقاسمك الملكوت ولا توأم يشاركك الملكوت ولا تمتزج ولا تتجزأ ولا انفصام في موطنك جميل وقوي العالم الذي تسكنه}.
- 2- التعميد أو الصباغة (مصبتا) : يعتبر من أهم أركان الديانة المندائية وهو فرض واجب ليكون الإنسان مندائياً ويهدف للخلاص والتوبة وغسل الذنوب والخطايا والتقرب من الله. ويجب أن يتم في المياه الجارية والحية لأنه يرمز للحياة والنور الرباني. وللإنسان حرية تكرار التعميد متى يشاء حيث يمارس في أيام الأحاد والمناسبات الدينية وعند الولادة والزواج أو عند تكريس رجل دين جديد. وقد حافظ طقس التعميد على أصوله القديمة حيث يعتقد بأنه هو نفسه الذي ناله عيسى بن مريم (المسيح) (ع) عند تعميده من قبل يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان).
- 3- الصلاة (براخا) : وهي فرض واجب على كل فرد مؤمن يؤدي ثلاث مرات يومياً (صباحاً وظهراً وعصراً) وغايته التقرب من الله. حيث ورد في كتابهم المقدس {وأمرناكم أن اسمعوا صوت الرب في قيامكم وقعودكم وذهابكم ومجيئكم وفي ضجعتكم وراحتكم وفي جميع الأعمال التي تعملون}. يتجهون في صلاتهم نحو جهة الشمال لاعتقادهم بأن عالم الأنوار (الجنة) يقع في ذلك المكان المقدس من الكون الذي تعرج إليه النفوس في النهاية لتنعم بالخلود إلى جوار ربها ، ويستدل على اتجاه الشمال بواسطة النجم القطبي. ويسبق الصلاة نوع من طقوس الاغتسال يدعى (الرشما) وهو مشابه للوضوء عند المسلمين حيث يتم غسل أعضاء الجسم الرئيسية في الماء الجاري ويرافق ذلك ترتيل بعض المقاطع

الدينية الصغيرة. فمثلاً عند غسل الفم يتم ترتيل (ليمتلئ فمي بالصلوات والتسبيحات) أو عند غسل الأذنين (أذناي تصغيان لأقوال الحي).

4- الصيام وله نوعان : الصيام الكبير (صوما ربا) وهو الامتناع عن كل الفواحش والمحرمات وكل ما يسيء إلى علاقة الإنسان بربه ويدوم طوال حياة الإنسان. حيث جاء في كتابهم {صوموا الصوم العظيم ولا تقطعوه إلى أن تغادر أجسادكم ، صوماً كثيراً لا عن مأكّل ومشرب هذه الدنيا .. صوموا صوم العقل والقلب والضمير}. ثم الصيام الصغير وهو الامتناع عن تناول لحوم الحيوانات وذبحها خلال أيام محددة من السنة تصل إلى 36 يوماً لاعتقادهم بأن أبواب الشر مفتوحة تكون عندها مفتوحة على مصراعيها فتقوى فيها الشياطين وقوى الشر لذلك يسمونها بـ (الأيام المبجلة).

5- الصدقة (زدقا) : ويشترط فيها السر وعدم الإعلان عنها لأن في ذلك إفساد لثوابها وهي من أخلاق المؤمن وواجباته تجاه أخيه الإنسان. حيث جاء في كتابهم {أعطوا الصدقات للفقراء واشبعوا الجائعين واسقوا الظمآن واكسوا العراة لأن من يعطي يستلم ومن يقرض يرجع له القرض} كما جاء أيضاً {إن وهبتم صدقة أيها المؤمنون ، فلا تجاهروا إن وهبتم بيمينكم فلا تجبروا شمالكم ، وإن وهبتم بشمالكم فلا تجبروا يمينكم كل من وهب صدقة وتحدث عنها كافر لا ثواب له}.

بعض معتقداتهم

- مثل كل الأديان ، فإن للمندائية معتقدات وطقوس خاصة بها ، منها :
- الإيمان بعدد من الأنبياء وأن الله قد أوحى لهم بتعاليم المندائية وهم : آدم ، شيت بن آدم (شيتل) ، سام بن نوح ، يحيى بن زكريا (يهيا يوهنا). ولكن اسمهم ارتبط بالنبي (إبراهيم الخليل) الذي عاش في مدينة أور السومرية - مدينة الهة القمر نانا - منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.
- الماء هو مصدر الحياة ذاتها. ففي الوضوء أو ما يسمونه بـ (الرشامة) التي تجري عند النهر الجاري يقول المندائيين (أبرخ يرد نه آدميه هبي مشبه ماري كشطة سنخون). وتعني (تبارك الماء العظيم ماء الحياة سبحان الهي احفظ عهده) كذلك يقولون في الوضوء (مللين ابلالي اد زيوه وازهي طن بصري دنهور) وتعني (لينطقا بكلام النور وليكن ضميري نقياً مؤمناً بالصالح). وكذلك يطهر المندي سنوياً وفق طقوس خاصة بالماء.
- ارتبطت طقوسهم وبخاصة طقوس التعميد ، بمياه النهرين فاعتبروا نهريها (الدكلات وپورانون - دجلة والفرات) أنهاراً مقدسة تطهر الأرواح والأجساد فاصطبغوا في مياهها كي تنال نفوسهم النقاء والبهاء الذي يغمر آلاماً د نهورا (عالم النور) الذي إليه يعودون.
- الصوم 36 يوماً متفرقة في السنة عن الروح أي (اللحوم).
- لهم نوع من أماكن العبادة تسمى (بيت مندا - بيت المعرفة) وهي على ضفاف الانهار لعبادة (ماراد ربوثا - السيد الرب).
- اتخذوا من الشمال (باثر) قبلة لهم لوجود عالم النور (الجنة).
- لهم لباس التعميد الأبيض (الرسته).

- يحرم على رجال الدين المندائيون حلق لحاهم وشعر رؤوسهم.

أعيادهم

- السنة المندائية تنقسم إلى 360 يوماً، تضاف خمسة أيام نهاية السنة تكون عيد الخليقة.
- البرونايا، وهو عيد الربيع : ويسمى باللهجة العامية (البنجه) وهي خمسة بالفارسي وفي هذه الأيام المقدسة تجري الطقوس ليلاً ونهاراً. وهو يعتبر العيد الأول في (22 - 23) آذار، وهناك العيد الصغير وهو يوم واحد ويصادف في شهر (تشرين الثاني).
- العيد الكبير : ويسمى عيد (الكرصه) أي الاختباء في البيوت، حيث يبدأ العيد مع اختفاء ضياء اليوم الأخير من السنة وبداية نهار اليوم الأول من السنة الجديدة. وفي اليوم الثاني يخرج الناس لمعايدة بعضهم بعضاً.
- يوم الأحد : هو اليوم المقدس لدى الصابئة.
- هناك أيام محددة تجري فيها طقوس التعميد (يوم التعميد الذهبي) دهفه ديمانا - ويوم كنشيوزهلي، وهو يسبق مساء العيد الكبير.

الهوامش

- (1) قاموس اللاتين - سرياني عربي - جوزيف الاسمر / ص 113
- (2) عن علاقة المندائية بالعرفانية راجع : عزيز - سباهي - أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية - المدى - دمشق 1996، ص 170 كذلك الحوار مع المؤرخ السوري فراس السواح - موقع إيلاف 2008/11/30
- (3) (G) Gnosticisim Catholic Encyclopedia
- (4) من الذين ناقشوا أصل العرفانية بصورة واضحة ودافعوا عن أصلها المشرقي، المفكر السوري : جورج طرايبشي / مذبحه التراث / دار الساقبي / بيروت 1993 / ص 73 - 129 / في هذا الكتاب رد طرايبشي بصورة مفصلة وناجحة على المفكر الجابري الذي نصح كثيراً بتفصيل العرفانية، لكنه احتقرها واعتبرها يونانية فارسية. طالع : محمد عابد الجابري / بنية العقل العربي / المركز الثقافي / الدار البيضاء 1986 - القسم الثاني فصل خاص بالعرفانية.
- (5) آرام دمشق / فراس السواح / ص 276 - 278
- (6) غسان دمشقية / لاهوت التحرير / دار الأهالي / دمشق 1990.
- (7) لمزيد من المعلومات حول هذه الاشكالية راجع القسم الاول (ملف الأرامية اليهودية) من هذه الموسوعة.
- (8) الغنوصية في الاسلام / هاينس هالم / المانيا / دار الجمل 2003م.
- (9) فهرست ابن النديم / مادة الحرائية
- (10) يبدو ان هنالك شك بحقيقة وجود هذه الطائفة التي تم الاعتقاد بوجودها بعد اكتشاف وثائق كهف قمران في فلسطين قبل أكثر من ستين عام. فقد صرحت (رايتشل إليور)، أستاذة التصوف اليهودي في الجامعة العبرية بالقدس، إن هذه الطائفة التي تنسب اليها مخطوطات قمران، ما هي إلا تلفيق من قبل المؤرخ الروماني اليهودي، فالفيوس جوسفوس، خلال القرن الأول الميلادي. (مارس 2009 - وكالات انباء - تل ابيب).
- (11) أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية / عزيز اسباهي / ص 55
- (12) الليدي دراور / الصابئة المندائيين ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي ص 219
- (13) دراسة : حول أصل الصابئة المندائيين / حيدر رضا / مجلة ميزوبوتاميا / بغداد / نيسان 2006
- (14) بالنسبة للمعلومات عن كتب المندائية وأركان ديانتهم ومعتقداتهم، اعتمدنا أساساً على دراسة حيدر رضا / المصدر السابق

المصادر

- الغنوصية في الاسلام / هاينس هالم / المانيا / دار الجمل 2003
- محمد عابد الجابري / بنية العقل العربي / المركز الثقافي / الدار البيضاء 1986 - القسم الثاني فصل خاص بالعرفانية.
- طرايشي، جورج / مذبح التراث / دار الساقى / بيروت 1993
- دمشقية، غسان / لاهوت التحرير/ دار الأهالي / دمشق 1990
- عزيز سباهي / أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية / دار المدى / دمشق 1996
- حيدر رضا / حول أصل الصابئة المندائيين / دراسة في مجلة ميزوبوتاميا / بغداد نيسان 2006
- ابن النديم / الفهرست / مكتبة خياط / بيروت / ص 201 وبعدها.
- قاموس اللالئ / سرياني عربي / جوزيف الاسمر / سوريا 1991
- حوار مع المؤرخ السوري فراس السواح / موقع إيلاف 2008/11/30
- Catholic Encyclopedia (G) Gnosticism
- آرام دمشق / فراس السواح / منشورات علاء الدين / دمشق 1995

اللغة المندائية

تاريخها وحاضرها



اللغة المندائية هي اللغة الخاصة بالصابئة المندائيين، يصنفها اللغويون بأنها واحدة من عائلة اللغات السامية ويعودونها الفرع النقي للغة الآرامية الشرقية (العراقية). علماً بأن الآرامية الشرقية هي لغة بلاد النهرين التي تشتمل على اللهجتين (الشمالية الآشورية) و(الجنوبية البابلية). بهذه الآرامية تمت كتابة العديد من الكتب المقدسة، مثل التوراة والتلمود البابلي وكتاب المندائيين المقدس (كنزا ربا) و(أنجيل ماني البابلي). ويبدأ تاريخ هذه اللغة الى القرون الاخيرة السابقة للميلاد. ان الاصل الآرامي العراقي للغة المندائية يؤكد الأصل النهري للمندائيين، حيث تحتوي على كم كبير من المفردات الأكديّة التي مازالت باللفظ نفسه أو الأقرب له من سائر اللهجات الأخرى، بل وحتى في بعض الكلمات والألفاظ السومرية أيضاً.

أن معرفة الآرامية البابلية يتم من خلال وثائق الكتابات اليهودية

عَمَلِكَمَد - بَغْدَاد

والمندائية. بالنسبة للتوراة والتلمود البابلي، فقد اختلطت مع الكثير من المفردات العبرية. وأما اللهجة الآرامية الأكثر فائدة فهي المندائية، لأنها تقدم لنا لهجة آرامية خالصة، لم تتصل كلماتها وتراكيب جملها بسبب لا بالعبرية كما في اللهجات اليهودية، ولا بالإغريقية كما في اللهجات المسيحية. وإن طريقة المندائيين في الكتابة تمثل الأصوات الحقيقية للغة تمثيلاً صادقاً، ومن خصائصها اختفاء الحروف الحلقية منها كذلك. كما أنها تقدم تفرداً في التعبير عن الحركات بالحروف الأصلية في الوقت الذي لجأت أخواتها الساميات إلى التعبير عنها بالرموز (الحركات) التي توضع فوق الحرف أو تحته. ولا شك أن الأسباب التي أبقت اللغة المندائية بعيدة عن أي تأثير وبالتالي بقت محافظة على أصولها هو أن المندائيين قد وثقوا كتبهم الدينية ونسخوها بهذه اللغة وهم ينظرون إليها بقدسية تامة بحيث أن أي تحريف أو تغيير أو عدم التزام إنما يُخرج الناسخ عن المجموعة ويجعله بدرجة أدنى. وعلى هذا ترى اللغات تصب تحذيراً على كل من يخطئ أو يزل أو يحرف أو ما شابه ذلك في أصل النصوص الدينية وفي اللغة التي كتبت بها هذه النصوص حيث يثبت ذلك في نسخ الكتب الدينية ذاتها. وقد عدَّ الاعتداء على أي نص من المحرمات. ومن خلال هذا التقديس للنصوص الدينية قُدمت اللغة التي تكتب بها والكتب التي تحتويها حتى أن أي نص أو قطعة تحمل كتابة مندائية يجب أن لا ترمى على الأرض، وإن إقتضى الإتلاف فيجب أن ترمى في الماء. وقد أفاد التزمتم المندائي من هذه الناحية في أن تبقى لغة المندائيين محافظة على النسق الأول الذي ظهرت به. وبما أن هذا النسق هو الأقرب إلى الآرامية الشرقية وظل محفوظاً دون تأثر، فقد تمت المحافظة على سمة الآرامية الشرقية بمحافظتها المندائية عليها.

وحيث يرجع المندائيون أنفسهم إلى (آدم) وأن نصوصاً عديدة في كتبهم الدينية تتحدث عن كيفية الخلق العلوي والخلق السفلي لآدم وذريته وهم يؤسسون على النص الثابت : (وافرش مادا لآدم ولها زوا وشرباتا) وترجمته : وكشفت المعرفة لآدم ولحواء وزوجه وذريتهما، فإنهم يجادلون في أن آدم قد علّم المعرفة وأن اللغة التي تعلم بها هي اللغة المندائية، بحسب ما يتناقل بينهم في إشارة إلى أقدميتهم.

انتشرت اللغة المندائية في أماكن إنتشار الطائفة المندائية في بابل والمناطق الممتدة جنوباً إلى مملكة ميسان وبلاد عيلام (الاحواز) في القرن الأول الميلادي. ويرجح تبني العيلاميين والميشانيين الأجمدية المندائية في القرن الثاني الميلادي لمرونتها وقوة تعابيرها فصارت اللغة التي دونت بها الكثير من الوثائق ونقشت الكتابات بحروفها على العملات والمسكوكات المعدنية وكذلك في أواني الأحراز التي عثر عليها أثناء الحفريات في مناطق عديدة من العراق وبخاصة في مدينة (الطيب وبسماية ونفر). وهذه المكتشفات تعود إلى القرون الأخيرة السابقة للميلاد.

المندائيون في العراق والاحواز

إن امتداد الجنوب العراقي إلى (الاحواز) التابعة حالياً لإيران وتداخل المدن ضمن رقعة جغرافية واحدة جعل عيش وتواجد المندائيين موصولاً في هذه الرقعة على سعتها وانفتاحها يحكم أنهم قطنوا ومنذ أزمنة سحيقة مدناً مثل (المحمرة والأهواز وشوشتر وديزفول وسرييل زهاب وكل المنطقة التي يطلق عليها الاحواز). وهم بذلك يشكّلون إمتداداً للمندائيين الذين يقطنون منطقة ميسان ومنطقة المنتفك (الناصرية). ولا شك أن مثل ذلك الامتداد يشمل مدن البصرة

والقرنة وأبو الخصيب كما يشمل واسط والمسيب وبسماية. ولم يكن الأمر عصر ذاك يتحدد بأن هذه إيران وتلك هي العراق حتى في تعاقب حكم رؤوساء العشائر التي كانت ممتدة ضمن هذه الرقعة الجغرافية يوم لم تكن هنالك حدود. وكان امتداد العشيرة ضمن رقعة جغرافية معينة يمكن أن يشكل حدوداً لتلك العشيرة بحسب نفوذها السلطوي وقد تمتد بعض العشائر بين البلدين ولا ضير. وعلى هذا فحينما يُضام شخص أو أسرة أو مجموعة يمكن أن تطلب حمايتها ضمن عشيرة أخرى. وحين تعرض المندائيون الى حالات موثقة من اضطهاد بعض رؤوساء العشائر في الأحواز والمحمرة لجأوا الى إخوانهم في سوق الشيوخ والعمارة. وبعد تثبيت الحدود وترسيمها على مستوى العراق وإيران كدولتين سياديتين أصبح هنالك تقسيم جغرافي ملزم، وبه أصبح المندائيون الذين يقطنون في الاحواز إيراني الجنسية والآخرين في العراق عراقيي الجنسية. ويشير التاريخ المعاصر المدون في تذييلات الكتب الدينية المنسوخة من قبل المندائيين أو الروايات المحكية والمتناقلة جيلاً بعد جيل بين المندائيين أنفسهم الى أن حال المندائيين في كلتا البقعتين الجغرافيتين لم يكن بأحسن من بعض، بحكم الامتداد الواحد والتأثر القيمي السائد دينياً وسلطوياً.

النهضة التعليمية

حينما بدأت بوادر الحكم الوطني في العراق وما نجم عن ذلك من سعي لنشر التعليم وإشاعته قد فسح المجال أمام الجميع بمن فيهم المندائيين من أجل الانتظام دوماً تمييز عرقي أو ديني. وقد يعود ذلك الى التنوع العرقي والديني الكبير في العراق والوجود المؤصل للمندائيين واليهود والمسيحيين فيه. ولقد شجع ذلك المندائيين على الانخراط في التعليم لأنهم وجدوا فيه مجالاً مناسباً لتخليصهم من واقع صعب ومعاناة مستمرة من الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له بسبب إعتادهم المهن الحرفية وهي خدمية في الغالب. وربما أن خلفيتهم كديانة عرفانية مؤسسة على المعرفة، كانت من الدوافع التي ساهمت في ذلك الإقدام الواسع والجريء على الانتظام في المدارس والتفوق فيها. وقد شجعت قيمة التعليم في التمايز وضمان الحصول على وظيفة محترمة ومقدّرة من قبل المجتمع لارتباطها بالشكل الرسمي من جهة ولأن مرتبتها الشهري كان يوفر مستوى معاشي يفوق في رفايته ما كانت تعود به المهن الحرفية التي يمتنعونها عامة. وكانت معاناة المندائيين الآباء السابقة والموروثة وراء دفع الأبناء الى النجاح والتفوق، وكان هذا وراء أن سجل الأبناء إقبالاً وأقداماً وتفوقاً كفل للعديد منهم التنافس على احتلال مواقع في التعليم والطب والهندسة والوظائف في دوائر الدولة الأخرى. وقد شهد سلك التعليم إقبالاً أكثر تميزاً في المراحل الأولى ذلك أن توجه الدولة كان واضحاً نحو هذا الميدان الذي يساهم في القضاء على الأمية وتطوير القدرات البشرية. ولأن ذلك يتطلب فتح مدارس عديدة وأن هذه المدارس ستحتاج الى ملاكات تعليمية كثيرة فقد وجد المندائيون أن التخرج في سلك التعليم يعني الحصول على فرصة عمل قائمة ومضمونة. ثم أن مثل هذا العمل الشريف والراقي سيضع الفرد المندائي بالمنزلة التي توفر الإحترام من خلال قيامهم بتعليم أبناء المجتمع عامة وما سيحفظه المتعلمون لمعلميهم من باب العرفان ورد الإحسان. وهذا ما حصل فعلاً، حيث غدا حرص المندائيين في عملهم وراء أن يُذكروا كمعلمين والى الآن بكل الخير والتقدير والإحترام. وانسحب هذا التقدير بشكل عام على احترام المندائيين عامة فوق ما كان لهم من سمعة طيبة في أداء أعمالهم في مجال الصناعات التي كانوا يقومون بها والخدمات التي يؤدونها للمجتمع.

وضع اللغة المندائية في العراق

وبمقدار ما تحقق للمندائيين من تحسن في المستوى التعليمي وما يرتبط به من تحسن للمستوى المعاشي والاجتماعي والقيمي، فإن هذا الأمر قد أدى الى مردودات سلبية مباشرة على صعيد تعلم اللغة المندائية واستمرار التحدث بها. كما أنه أوقف الدرس الديني للعقيدة الدينية والحصول على المعلومات والمعارف التي تبصّر بالدين وتكون كفيلاً بنقله للآخرين. وقد خسر المندائيون خسارة كبيرة يوم أوقفوا تعليم أبنائهم اللغة المندائية والمعرفة الدينية. فلو قيض لهم أن يواكبوا مع تعليم الأبناء في المدارس النظامية لتعليم لغتهم المندائية أيضاً لأصبح لدينا اليوم جيلاً مهماً من المعلمين للغة المندائية، ولبرعوا فيها كما عهدت منهم البراعة في التخصصات التي قاموا بتعليمها وكانوا فيها معلمين أكفاء. ولكن ضرورات التفوق في ميدان التعليم النظامي بغية الحصول على فرص العمل قد أوقفت أي اهتمام آخر، بل حتى أن أبناء علماء الدين، وهم الذين ورثوا الانتساب للسلك الديني، رغم أن هذا الأمر ليس وراثياً، حين انتسبوا الى التعليم النظامي قد توقف أغلبهم عن الانتساب للسلك الديني مما حدّد عدد المنتسبين لهذا السلك في فترات ما بين عشرينيات القرن الماضي وحتى الثمانينات منه. وحتى أولئك الذين انتسبوا للسلك الديني جاءوا بعد أن أنهوا مراحل دراسية نظامية ولم ينشغلوا تماماً في اكتساب اللغة المندائية منذ وقت مبكر وربما تركزت معرفتهم على حفظ نصوص مندائية. كما أن عدم توفر مدرسة إعداد لغوي وكهنوتي للمنتسب للسلك الديني قد جعل مستوى التعلم للغة ولفقه الديني بحدود ضيقة لا ترقى الى أكثر من الحفظ والالتزامات العامة. وحين تمكّن المندائيون في مجالات التعليم والتخصص والعمل وصحوا على لغتهم كان قد مر أكثر من جيل على ذلك. ويتوقف الدرس فيها لم يعد بالإمكان التعلم عن كبر. ثم أن توزع المندائيين بين المدن في العراق قلل من فرص التجمع والالتقاء والاحتكاك من أجل التخاطب. إضافة الى تباهي الأبناء بالتحدث الفصيح باللغة العربية والتميز في كتابتها وإجادتها مقارنة بالأباء الذين غدوا ينظرون الى أبنائهم نظرة احترام من هذا المنظار، ناهيك عن اللغة الإنكليزية التي تمكّنوا منها أيضاً وشكلت أشغالاً لهم. لقد أتى ذلك على أية فرصة ممكنة لتعلم اللغة المندائية والتي توقف التحدث والتخاطب بها داخل الأسرة الواحدة بأسباب سبق وأشرنا إليها.

وضع اللغة المندائية في الاحواز

أما على مستوى المندائيين الذين ظلوا في الاحواز التي غدت ضمن حدود إيران، فإن عدم إتاحة الفرص التعليمية لهم كما حصل مع إخوانهم في العراق أبقاهم كما عاش أجدادهم أكثر تجمّعاً في مناطق السكن وقد ساعد ذلك على توجيههم نحو الدراسة الدينية وتعلم اللغة المندائية من هذه الناحية، بل أن شدة الإضطهادات التي عانوا منها كانت سبباً في تقوقعهم على أنفسهم وفي نضالهم بعدم التسليم للآخر. وكان من ذلك أن ظل الدرس الديني شائعاً بين المندائيين ولو بشكل محدود. وظلوا ملتزمين بدرجة أشد بممارسة طقوسهم الدينية بحسب أصولها بل وربما تزموا بتلك الأصول خشية وتحسباً وبدرجة أكبر مما لدى المندائيين في العراق.

ومن الأمور التي ظل المندائيون في الاحواز محافظين عليها الى حد ما هو موضوع اللغة المندائية والتخاطب بها تواصلًا مع الموروث، وربما لجعل الآخرين من المحيطين غير عارفين بما يدور بين المندائيين أنفسهم بحكم المعاناة والاضطهاد. ولكن هذه اللغة لم تعد اللغة القديمة التي دونتها الكتب الدينية والتي أصبح يطلق عليها اللغة الكلاسيكية سواء من حيث مفرداتها أو طريقة التحدث بها، بل وحتى تبادل لفظ بعض الحروف تأثراً باللغة الفارسية خاصة وأن الجميع لم يرث

بشكل منطوق تلك اللغة القديمة رغم أنهم ورثوا مفرداتها ونصوصها في كتبهم الدينية ورغم أنهم ظلوا يقرأون نصوص الطقوس الدينية التي يؤدونها كما وردت في كتبهم الدينية وهي مكتوبة بلغة قديمة. ومع ذلك فإن القراءة في الكتب الدينية لا تعني بالضرورة التحدث بها لغة مخاطبة. وباستسهال إدخال المصطلحات العربية والفارسية المستحدثة للتعبير عن متطلبات الحياة الجديدة والتطورات والمسميات التي ترتبط بها فقد دخل العديد من الكلمات والمفردات وشيئا فشيئا اختلطت باللغة المندائية الأساس مشكّلة ما أطلق عليه باللغة الحديثة أو (الرطنة).

وأول من نبّه إلى هذه اللهجة على مستوى دراسة اللغة المندائية بشكل أكاديمي من قبل الباحثين هو البروفسور (ماتسوخ) الذي تفاجأ حينما قام بزيارة إلى الأهواز عام 1953 بإطلاعه على لهجة غير معروفة في المندائية وهي اللهجة التي يتخاطب بها المندائيون فيما بينهم والتي يمكن من خلالها اعتبار أن اللغة المندائية مازالت لغة حية ولم تمت وذلك لتأسس اللهجة المحكية على اللغة الكلاسيكية وبالتالي فقد عدت اللهجة المحكية بمثابة اللغة المندائية الحديثة وإطلق عليها . Neo Mandaic

مستقبل اللغة المندائية

إن هذه اللغة التي تعتبر من مقومات كيان الصابئة المندائيين ، والتي توثق جانباً أساسياً من تراثهم وأدبهم وطقوسهم ، بل ومن تراث العراق بحكم الإشتراك الذي أشرنا إليه ، هذه اللغة اليوم تعد بكل المقاييس لغة مهددة بالإنقراض. وإنه من المؤسف حقاً أن تكون هذه النتيجة بأسباب الإهمال التام الذي أصابها في وطنها الأم العراق. لا يتحدث اللغة المندائية من المندائيين البالغ عددهم في جميع أنحاء العالم حوالي 60000 نسمة أكثر من 100 شخص. يشكل رجال الدين نسبة 40% تقريباً منهم بحكم أن الطقوس الدينية المندائية التي يجربها رجال الدين تتم باللغة المندائية. لكن هؤلاء أنفسهم لا يتحدثون اللغة المندائية في بيوتهم ولا حتى فيما بينهم أثناء تلاقحهم. ومن عامة المندائيين في العراق لا يتحدثها أكثر من 10 أشخاص. والعدد الآخر هو من المندائيين المتواجدين في جنوب إيران الذين يتحدثون المندائية الشعبية (الرطنة).

بالتعاون مع الباحث د. قيس مغشغش السعدي

* * *

الكتابة المندائية ونصوصها

من الأمور التي تميزت بها اللغة المندائية هي وضع أشكال رمزية خاصة بالأبجدية ، ويعد هذا من المؤشرات المهمة لقدرة المندائيين من جهة وحرصهم على تميزهم بهذه الأبجدية التي تقدم خصوصية في اللغة ودليلاً على قدرة الإبتكار والحاجة إلى التدوين والكتابة الخاصة.

الأبجدية المندائية

تتكون الأبجدية المندائية ، شأن جميع أبجديات لهجات اللغة الآرامية ، من اثنين وعشرين حرفاً. وهي تحتفظ بالتسلسل الأساس لصيغة أبجد هوز ، ولذلك فإن حروفها تتسلسل : (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت). وربما من أجل أن يستكمل عدد الحروف ليكون العدد الفلكي (24) كونه من مضاعفات العدد (12) ، فقد عمد المندائيون إلى

حساب أداة التعريف (إد) حرفاً. كما كرروا حرف الألف في آخر الأبجدية إنطلاقاً من نظرة تكاملية بحسب فلسفة العقيدة المندائية من أن جميع الأشياء تعود في منتهاها الى مبتدأها. هكذا صار عدد حروف الأبجدية المندائية أربعاً وعشرين حرفاً، الحروف العاملة فيها إثنان وعشرون حرفاً.

أما أصوات الحروف فإن لفظها يكون في لفظ ما يقابلها من حروف مناظرة في اللغة العربية تقريباً عدا أن صوت حرف الجيم لا يلفظ جيماً بل (ك) أي كافاً ثقيلاً كما في اللغة الفارسية واللهجة المصرية. ويظهر أن حرف الحاء قد ضمير استخدامه وتحول تدريجياً ليصير إشارة الى ضمير الشخص الثالث المفرد الغائب ويلفظ في الغالب كما يلفظ حرف الياء. وقد تحول صوت حرف الحاء الذي يرد في الكلمات الى صوت حرف الهاء كما فقد العين صوته وتحول الى صوت نطق الهمزة.

ولا تحتوي اللغة المندائية أصوات أحرف ما يطلق عليه (الروادف) وهي (ثخذ ، ضنغ). وبحسب قواعد التليين في لفظ بعض الحروف فإن حرف الكاف يمكن أن يلفظ خاءً كما في الضمير لك : لك حيث يلفظ مندائياً : إلخ. كما أن حرف الجيم أو الكاف الثقيلة يمكن أن يلفظ غيناً بحسب وروده في الكلمة كما في كلمة (تاجا) : التاج حيث تلفظ مندائياً (تاغا). ويلفظ حرف الدال ذالاً بحسب وروده في بعض المواقع من الكلمة كما في كلمة (ترميدا) التي تلفظ (ترميدا) وتعني : التلميذ. وهكذا في حرف التاء الذي يمكن أن يلفظ تاء كما في كلمة (بت) التي تلفظ (بث) والتي تعني : بنت. ويظهر لنا بأن أساس اللفظ في اللغة المندائية إنما كان متحدداً بأصوات (الأبجد هوز)، ولتوسع إستيعابات اللغات وبخاصة في مراحل تطورها المتقدمة وبظهور الاستخدامات الواسعة التي اعتمدها اللغة العربية وألفاظ اللغات الأخرى برزت الحاجة الى مجازاة أصوات الحروف غير الموجودة في عائلة اللغة الآرامية والتي أطلق عليها ابن النديم تسمية حروف (الروادف). فقد عمدت الى استخدام هذه الحروف ولكنها لم تضع أشكالاً جديدة لها بل اكتفت بأشكال الحروف الأقرب لها. كما ذهب البعض الآخر الى وضع نقطة أو أكثر فوق أو تحت بعض الحروف كما في الأبجدية العربية والسريانية ليميز هذه الحروف من حيث اللفظ ودونما حاجة لوضع أشكال جديدة لها.

تهجئة حروف الأبجدية المندائية

أما طريقة تهجئة الحروف في اللغة المندائية فيكون مطابقاً تماماً للطريقة المعروفة في اللهجة العراقية ، أي بإعتماد الهمزة المكسورة قبل صوت الحرف وتسكين آخره. فحرف الباء مثلاً لا يلفظ باءً بل (إب).... وهكذا. ويعد هذا التطابق أول وأبرز تطابق بين الإثنين.

جلول ا حروف المندائية وما يقابلها في اللغتين العربية واللاتينية

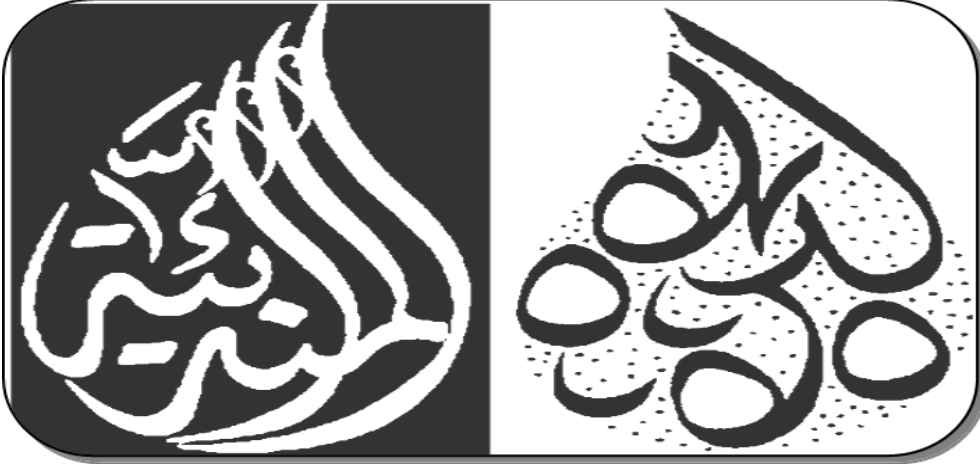
بشْمِيهون إد هِيي ربي

مُشْبِيْتْ مَارِي بَلْبَا دَخِيَا مَارِيهون
إد كَلْهون أَلْمِي، مُشْبِيْتْ وَاِبْرُخْ
وَمُشْبَا وَمُرُورَبْ وَمُيَقَرْ وَمَقِيمْ
أَلْهَا رَبَا رَامَا وَشَبِيهَا مَلْكََا رَامَا
إد نَهورَا، أَلْهَا إد شَرَارَا إد إِنْفَشْ
هَيْلَا وَسَاخَا لِيْتَلِي، زِيوَا دَخِيَا
وَنَهورَا رَبَا إد لَا بَاطِلْ، هَيْسَا
وَتَيَابَا وَرِيوَانَا وَمُرْهَمَانَا،
وَفَارُوقَا إد لُكَلْهون مُهِيْمَانَا،
وَيَادُويَا هَزُوي وَيَا رُوشَا وَشَلِيْطَا
إد إِنْ كَلْ إَصْبُو، مَارِيهون إد
كَلْهون أَلْمِي إد نَهورَا: إِيْلَايِي
وَمِيصَايِي وَتِيْتَايِي، فَرُصُوفَا رَبَا
إد إِقَارَا إد لَا مَتَهْزِي وَلَا مُسْتِيخْ،
إد لِيْتَلِي هَبْرَا بَتَاغِي وَلَا شُوتَاْفَا
بُشَلْطَانِي، مَنْ إد تَاكَلْبِي لَا
بَاهِتْ، وإد مُشْبَا شُومِي بُكْشَطَا
لَا نَافِلْ وإد قَايِمْ إِنْ تَكَلَانِي لَا
مُشْتَفِيلْ، مَارَا رَبَا إد كَلْهون
مَلْكَِي، إد لَا هُوَ كَدْ إد لَا هُوَ، وَلَا
هَآوِي كَدْ إد لَا هَآوِي. آمِيْن

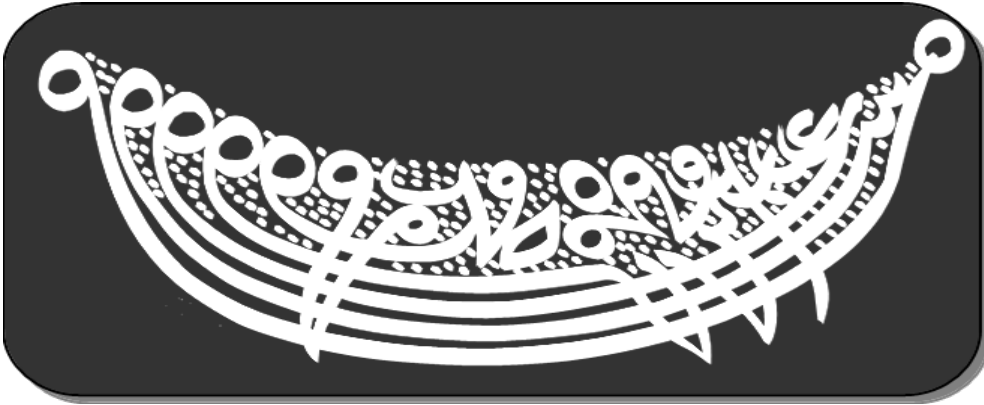
بسم الحي العظيم

أَسْبِحْكَ رَبِي بِقَلْبِ طَاهِرْ، رَبِ
العوالم كلها، مَسْبِحْ مَبَارَكْ
وَمَسْبِحْ مَعْظَمْ، ذُو الوَقَارِ القِيومِ
الله الرب العلي وسبحانه ملك
الأنوار العلي، الله الحق القوي
العظيم الذي لا يُحد، الضياء
البهي، والنور العظيم الخالد،
الغفور التواب ذو الرأى
والرحمة، مَخْلَصْ كل المؤمنين
ومقوم كل الطيبين، العزيز
الحكيم العليم البصير، ورب
عوالم النور جميعها: العليَا
والوسطى والدنيا، ذُو السِيْمَاءِ
العظيم الذي لا يُرى ولا يُحد،
الذي لا كفو له بعظمته ولا شريك
له بسلطانه، من يتكل عليه فلن
يخيب، ومن يسبح إسمه بالحق
فلن يستريب، ومن يسأله فهو
السميع المجيب. الرب العظيم
لجميع الملائكة. ما كان لولا كان،
ولن يكن لولا يَكُنْ. آمِيْن

من جماليات الخط المندائي



«المندائية»



ألاها ربا إد من نفشي
إفرش
الله العظيم الذي إنبعث
من ذاته

تماماً كما في الكتابة
العربية، فإن قابلية مد
الحروف في الكتابة

المندائية يمكن أن تتيح فرصاً للتشكيل في الكتابة. وتأسيساً على ذلك نجد أن الناسخين المندائيين قد اعتمدوا إنهاء كل نص آية (بوتا) بوضع مقطع (صه) وهو مختصر كلمة (ساكا) أي نهاية. وقد أصبح مدلول هذا المقطع كمدلول كلمة أمين. المراجع

هذه بعض المراجع الاساسية التي تم اعتمادها عن اللغة المندائية :

- كارل بروكلمان / فقه اللغات السامية / ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب / الرياض 1997

- الدكتور قيس مغشغش السعدي / معجم المفردات المندائية في العامية العراقية / درابشا للنشر / ألمانيا 2008

- E.S. Drower & R. Nacuch, Mandaic Dictionary. Oxford 1963

- . Caxon, P.W., Analysis and Mandaean Origins. Journal of Semitic Studies, Vol. xv, Jan.1970.
- Macuch, R., The Origins of the Mandaeans and their script. Journal of Semitic Studies. Vo 16, No. 2, 1971.
- . Matcuch, R., Handbook of Classical and Modern Mandaic. Berlin 1963.
- The Thousand and Twelve Questions: Translated by E., S., Drower. Akademie-Verlag, Berlin 1960.
- . Mark Lidzbarski. Ginza. Der Schatz oder Das große Buch der Mandäer, Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht/Leipzig: J.C. Hinrichs'sche Buchhandlung 1925.
- Mark Lidzbarski Das Johannesbuch der Mandäer. Einleitung, Übersetzung, Kommentar, Gießen: Alfred Töpelmann 1915.

ملف باقي الثقافات العراقية

العامية واليزيدية والشبكية والسوداء والارمنية والشيشانية...



❖ العامية العراقية خصوصياتها وتفرعاتها

❖ ملحق: العامي الفصيح - علاء اللامي // الاب الكرمللي وعنايته بالعامية - صلاح نيازي

❖ القومية اليزيدية عقيدتهم وثقافتهم!

❖ الشبك لغة وعقيدة

❖ سود العراق وثقافتهم المجهولة!

❖ أرمن العراق تار يخهم وثقافتهم

❖ الشيشان فئة عراقية جديدة!

هذا الملف

كان يودنا تخصيص ملفات مستقلة لكل لغة من هذه اللغات أو الثقافات العراقية المتميزة :

- العامية واليزيدية والشبكية والسوداء والارمنية والشيشانية..

لكن هنالك أسباب مختلفة منعنا :

- بالنسبة للهجة العراقية بمختلف تفرعاتها، فأنا تركنا التفاصيل لمشروعنا القادم بتخصيص موسوعة كاملها للهجات الشعبية وخصوصياتها ومفرداتها. أما بالنسبة للأرمن، فإن عددهم القليل (بحدود 20 ألف) ومحدودية شيوع الارمنية في العراق، جعلنا مؤقتاً نؤجل تفصيل ثقافتهم الخاصة، نفس الحال بالنسبة للشيشان. أما بالنسبة للشبك واليزيدية فلأسف الشديد إننا لا نمتلك أية مصادر وبحوث تفصيلية حول ثقافتهم ولغاتهم، فكل الذي كتب عنهم يتعلق بخصوصياتهم التاريخية والدينية والسكنية. ونحن لا نمتلك الوقت ولا الامكانيات المادية التي تسمح لنا بإنجاز مثل هذه البحوث على الارض. أما السود فهنالك غياب كلي لأي موضوع أو كتاب عنهم، وكان ليس لهم أي وجود في العراق! ونتمنى من الباحثين العراقيين والمؤسسات الجامعية العراقية أن تقوم بتخصيص بعضاً من بحوثها في الاهتمام بهذه التنوعات العراقية الأصيلة والغنية، بدلا من انتظار أن يأتي الباحث الغربي للقيام بها عوضاً عنهم!؟



العامية العراقية خصوصياتها وتفرعاتها



بالنسبة للناطقين
العراقية). وهي
أخرى غير

عموماً هنالك لهجة عراقية واحدة
بالعربية في العراق، وهي (اللهجة
سائدة بين العراقيين حتى لمن يتكلم بلغة

العربية. وهي مثل كل لهجات العالم، متداولة عادة كلغة شفاهية في الحياة اليومية بين الناس، وفي وسائل الاعلام والسينما والمسرح والبرامج الاذاعية والتلفزيونية، وفي محاضرات المعلمين وأساتذة الجامعات، وفي حوارات البرلمان والحكومة ودوائر الدولة. كذلك تستخدم اللهجة العراقية أحياناً في النصوص الكتابية، وبالذات في الشعر الشعبي، والحكايات الشعبية، وأحياناً في حوارات النصوص الروائية والمسرحية، وكذلك في بعض رسائل الناس الشخصية.

من الخطأ الكبير محاولة بعض الباحثين العروبيين بإرجاع اللهجة العراقية الى واحدة من لهجات القبائل العربية، مثل (لهجة بني تميم) واعتبار الأصل هي اللهجات الخليجية. ان اللهجة العراقية تشكل عراقياً بحت نابع من التاريخ اللغوي العراقي، وقد امتد تأثيرها الى بلدان الخليج بحكم التمازج الأخوي والثقافي بين العراقيين وسكان الخليج الممتد الى آلاف السنين قبل ظهور العرب والعربية. وتذكر المصادر التاريخية، مثلاً إن أثر اللهجة كان واضحاً لدى (الجاحظ) وقد قام النساخ فيما بعد بالغاء هذا الأثر من كتبه. وتجلّى أثر اللهجة العراقية بوضوح في (ألف ليلة وليلة). إن اللهجة العراقية وريثة تراكم عدة طبقات لغوية مرّت في تاريخ العراق: السومرية والاكديّة بلهجاتها الجنوبية البابلية والشمالية الآشورية، ثم الآرامية، ثم العربية. بالإضافة الى اكتساب مفردات اللغات الكردية والفارسية والتركية والانكليزية.

ان هذه اللهجة تتميز عن العربية الفصحى، بالقواعد والبلاغة وقاموس المفردات:

- القواعد: من أمثلة بعض التمايز في قواعد العامية استخدام كلمة (اللي) وحدها بدلاً من (الذي والتي واللذين.. الخ)، وهي حالة سائدة في جميع اللهجات العربية. كذلك استخدام النصب دائماً في المثني، مثل (فلاحين) والجمع (فلاحين).

- البلاغة: أما الناحية البلاغية والتعبيرية، فهناك صور خاصة بالعامية العراقية لا يمكن أن تفهم لو ترجمت الى الفصحى، مثلاً: (أخليك على عيني ورأسي، بمعنى الاعتزاز والتقدير). (إتسخم وجهه / إسود وجهه وهبطت قيمته). (الله بالخير / عبارة ترحاب ضرورية بالضيف بعد جلوسه). (وريني ظهرك / اترك المكان). (بعد روجي / أنت أغلى مثل روجي). (سوده عليه / للحزن على شخص). (طاح صبغه / فقد قيمته). لهذا فإنه من الاخطاء الكبرى لدى مترجمي النصوص العراقية القديمة (السومرية والاكديّة)، انهم لم يعتمدوا على بلاغة العامية العراقية في فهم النصوص القديمة. مثلاً، عندما تقول عشتار (أصبحت أيا من طين)، فان هذه الترجمة تمت بصورة حرفية ومعناها يبدو مبهماً. بينما لا زالت العامية العراقية تقول عن شخص (مطين)، بمعنى انه (وضعه سيء). إذن كان من المفروض أن تترجم العبارة بـ (تطينت أيا من طين، أي أصبحت تعيسة).

- المفردات وتلفظها: ان من خصوصيات اللهجة العراقية، ان كلماتها تحتوي على حروف لم توجد في العربية، هي: (گ) أي (ج المصرية) إذ يحول حرف (ق)، مثل: (قال) تتحول الى (گال). كذلك حرف (چ) أي حرف (H) الانكليزي. وعادة يحوّل اليه حرف التملك المؤنث (ك) بالعربي، مثل: (كتابك) للمؤنث، تحول الى (كتابچ).

تفرعات اللهجة العراقية

يمكن تقسيم اللهجة العراقية الى ثلاثة فروع:

1- اللهجة البغدادية، وهي اللهجة الوسيطة التي تلتقي عندها مختلف اللهجات العراقية المتفرعة، وهي السائدة والمعروفة بين جميع العراقيين، وتنتشر في كل وسط العراق، أي في المناطق المجاورة لبغداد، مثل ديالى وبعض نواحي تكريت وسامراء والانبار، وفي بابل وواسط. إن هذه اللهجة هي المعروفة في الخارج باعتبارها اللهجة العراقية. ومن

مميزات هذه اللهجة إنها تميل الى تفخيم الصوت والضم (شونوا : ماذا). كذلك ان حرف ال (ق)، لا يحوّل دائماً الى (ك) كما في لهجة الجنوب، بل في كثير من الاحيان يلفظ كما هو (ق)، مثل (قابل آني - أيمن أن أكون أنا) و(قريب وأقاربي). ويعتقد ان اللهجة البغدادية أيام العباسيين، كانت شبيهة باللهجة الموصلية، يلفظ ال (ق)، وتحول ال (ر) الى (غ). لكن نهاية الحضارة ونزوح أهل الريف والبوادي على بغداد، جعلها تفقد هذه الخواص. ولكن هذه اللهجة العباسية الأصلية بقيت لدى (مسيحيي ويهود) بغداد، لأنهم لم يختلطوا ويتزاوجوا مع المهاجرين الجدد.

2- اللهجة الجنوبية، وتسمى أحياناً باللهجة (الشركاوية) أي لهجة (شرق العراق). وهي سائدة في المحافظات الجنوبية، مثل ميسان والبصرة وذي قار والقادسية وكربلاء والنجف وبابل. وتتميز هذه اللهجة بالتصغير والاكثار من تحويل ال (ك) الى (ج)، مثل (النتيجة : التنكة)، وكذلك الكسر (شيني : ماذا). والاكثار من تحويل ال (ق) الى (ك) في كل الاحوال، بل إنها تميل أحياناً الى تحويلها الى حرف ال (ج) مثل (جريب : قريب). وتميل أحياناً الى تحويل ال (ج) الى (ي) (ريال : رجال أي رجل). وأحياناً يصعب على الفلاح الجنوبي لفظ حرف (ق) فيحوّله الى (غ) مثل (رفيغ : رفيق). وأول ما يجلب الانتباه في هذه اللهجة الاكثار من استخدام كلمة (چا) في أول الجملة بمعنى (إذن)، وهي من (كا) الأرامية بنفس المعنى.

3- اللهجة الموصلية، وهي اللهجة السائدة في الموصل، والمناطق المجاورة لها، في بعض نواحي أربيل وكركوك وتكريت والانبار. ومن أهم ميزاتهما، الابقاء على لفظ حرف (ق) كما هو، مثل (قلي : قل لي / قتلته : قلت له). وكذلك قلب (الراء) إلى (غين)، مثل (راح - رماد - رجل) تلفظ (غاح - غماد - غجل) ولكن يوجد إستثناءات، مثل : (يقرأ - يرحم - يريح). وهناك بعض الكلمات تقلب فيها (الراء) إلى (واو) مثل (عوق - خوقه) ويعني (عرق - خرقة). وهي تميل الى كسر نهاية الاسم المؤنث، مثل (طويلة - فاطمة - طحينيه - كلمة - كنه - سنة - سمينة) تصبح (طويلي - فاطمي - طحينيي - كني - سني - سميني). وضم الضمير الغائب، مثل (أصله - قلمة - بيته) تصبح (أصلو - قلمو - بيتو).

كلمات مصلاوية خاصة : فغيغ : صحون الفروري // برت بلاو : رزوتين مجفف // برداغ : كوب ماء // انجغ : بالكاد تكفي // لا تزومني : لا تزعجني // لا ينغشق الماي : لا ينسكب الماء // الدبكي : السرداب // فرنجي : الطمطة // لا تخفج : لا تصرف // انجاني : صحن كبير // يينغ : دولة // مريغ : انبوب // جارك : ربع // كزدغان : بخشيش // ستا : الجدة // سيدا : الجد // نسيغ : نطلع // غجيل : رجال // ثاني : ثلاثة // اوبعة : اربعة // فغيش : فراش // كغسي : كرسي // قفقوعة : برق // عصفوغ : عصفور // جيغي : دجاجة.

مفردات عامية عراقية عامة

شكوماكو : ماذا يجري // اشصار : ماذا حدث // اشبيك : ماذا بك // عباللي : اعتقدت // هماتين : كذلك // بكيفي : بمزاجي // فد : فرد واحد // أهوايه : كثير // أشوية : قليل // أبو اسماعيل : الشرطي // أبو خليل : الجندي // أريحي : المحب للنكته // أروحلك فدوة : فداء الروح // إشبيج وللمذكر إشبيك : ماذا بك // إشلونج : وللمذكر إشلونك : كيف الحال // إشدها اسوي : ماذا تفعل // إهوايه : الشئ الكثير // أبو الحصين : الثعلب // أبو سرحان : الذئب // أبو خميس : الاسد // براحتك : كيف ماتريد // بعد روجي : أنت بقيمة روجي // بعد عيني : بقيمة عيني // بنچرچي : العامل الذي يصلح عجلات السيارة // بابوج : نعال الجلد // باوعيلي : انظر

الي // تمن : رز // ثبرني : دوخني // جلبت : تمسكت // چرچف : شرف // چفچير : المعلقة الكبيرة //
 حلاوه : الاكل الحلو // مطيرچي أو حمامچي : صاحب الحمام // حرامي : السارق // خوش : جيد أو طيب //
 خشم : أنف // السيان : الطين // شقندحي : المحب للنكته // شصار : ماذا جرى // شربت : عصير // صرمايه
 : الذخير // صوچ : الذنب // صوبه : المدفئه // طابوگه : طابوقة أي حجر البناء // طلي : خروف //
 طرگاعة : مصيبه // قمچي : سوط // قبانچي : الوزان // قندرچي : الاسكافي // عرقچين : الطاقة //
 اليشمغ أو الغتره : الكوفية // كرش : البطن الكبيره // كلاوچي : الطريف واللعب // كولچي : حارس المرمى //
 لوتي : مخادع // نزل : مستأجر جديد // هسه : حالاً / هوسه : ضجيج // هيچ : هكذا // واشي : النمام //
 ولي : اذهب // الاطرچي : بائع السجاد والبسط // مغازچي : صاحب الدكان الكبير // العبايچي : بائع العبي
 علوچي : بائع الحبوب والطحين // العربنچي : صاحب العربة // قلمچي : تاجر التبغ // الفروچي : خياط العبي
 (الفرو) // شابندر : رئيس التجار // الاسطة : كلمة تحوير لكلمة استاذ // البزاز : بائع القماش // مزين : حلاق
 // آغاتي : سيدي من كلمة آغا // الكعاع : القاع الأرض // شمدريني : لأعلم // شمعرفني : لأعرف شيء //
 شقه : ضحك أو لهو // مقهور : حزين // ملتهي : مشغول // منجل : مجنون // عزا : ماتم // ريوگ : فطور
 الصباح // خاتون : سيدة // چنبر : صندوق لبيع الحاجات // سنطة : هدوء // قلبانغ : ازدحام ومشاكل.

* * *

مراجع عامة عن العامية العراقية :

- القاموس الوجيز في العامية العراقية / محمد شراد حساني / دار الآداب 2007
- بين الفصحى ولهجاتها / محمد رضا الشبيبي / مجلة المجمع العلمي العربي - ج 9
- أصول الفاظ اللهجة العراقية / محمد رضا الشبيبي / مجلة المجمع - ج 13
- قصة العامية في العراق / ابراهيم السامرائي / مجلة المجمع / ج 41
- الامثال العامية / عباس العزاوي / مجلة المجمع / ج 21
- بين العامية والفصحى / عبد الرزاق البصير / مجلة المجمع / ج 14
- مجمع الأمثال العامية البغدادية وقصصها / محمد صادق زلزلة / دار الارشاد / بيروت 2006
- كلمات آرامية مازالت حية في العامية العراقية / صباح مال الله / دراسة منشورة في عدة مجلات ومواقع
- بالاضافة الى دراسات ومقالة مختلفة حول اللهجة العراقية.

* * *

العامية العراقية واصولها السومرية والاكديّة والآرامية

اللغة العربية في العراق اكتسبت مؤثرات من التراث اللغوي العراقي الذي كان ساندا في العراق طيلة آلاف السنين، وخصوصة اللغة الآرامية - السريانية التي كانت سائدة مباشرة وطيلة الف عام قبل الفتح العربي الاسلامي. وكان حتى العرب القاطنين في العراق وبلدان الشام مثل الحيرة وبصرى وتدمر، لغتها الفصحى والكتابية هي الآرامية. ولم تصبح العربية لغى فصحة الا بعد انتشار الاسلام والنص القرآني.

هنا نسجل بعض الكلمات العامية واصولها العراقية القديمة:

كلمات سومرية:

* أبا (الماء): أباو.

* أتون. أتونو: سومرية.

* أجر. أجورو.

* أرجوان. أرجوانو.

* إقليم. كالام: سومرية.

* بطة أو بشة. بشو.

* بلور. بلورو.

* دُكان. دُكانو: سومرية.

* تنور. تنورو.

* صنم. سلمو.

* سوسن. سوسونو.

* كُبة. كُباتو.

* هيكل. إيكالو: سومرية.

* سفرجل. سبرجيلو

* * *

شكوماكو: وتعني ماهي آخر الأخبار؟ أو ما آخر التطورات في حياتك؟ وتقال عندما يلتقي اثنان من المعارف، مأخوذة من الأكديّة "أكاماكو"، وتعني الرب موجود أو الحي موجود، وكانت تستخدم كتحية بين سكان العراق في الحضارات الغابرة.

تمبل: البليد الكسول، كلمة سومرية وتعني العاطلين عن العمل.

بوش: وتعني الفارغ، كلمة أكديّة قديمة.

زقنبوت: وتقال على صيغة الدعاء السيئ على الشخص، وتعني بالأكديّة السم.
شرم: وهي كلمة آرامية، وتعني الشق في الشيء كالثوب أو الوجه، وبالعراق يقال اليوم "ثوبي مشروم".

شعواط: كلمة آرامية تعني احترق حرقاً خفيفاً، ويقال شعوط الأكل، أي قارب على الاحتراق".

شقلب: كلمة آرامية وتعني عكس الشيء وقَلْبَهُ رأساً على عقب، ويقال "تشقلب على رأسه".

صمخ: كلمة بابلية تعني تحمل وصبر على مضمض، وتستخدم في العراق بالقول "فلان صمخ في عمله" أو "اصمخ في مكانك" أي كن صبوراً.

صنطة: كلمة آرامية وتعني الهدوء والسكينة.

عُكرگة: وهي كلمة أكديّة وتعني الضفدع.

هرفي: بمعنى مبكر، ويقال للضيف "هرفي وين رايح؟" بمعنى ابق، ويقال "خروف هرفي" بمعنى صغير لا يصلح للذبح، وهي كلمة أكديّة.

مسكوف: كلمة آرامية وتعني السبخ الذي يوضع فيه اللحم، وتستخدم في وصف السمك المسكوف، وهي أكلة عراقية.

طعروزي: كلمة بابلية حافظت على معناها وتعني خيار القثاء.

عزه: تقول النساء العراقيات عزا بمعنى - المصيبة - وتعني بالآرامية النار المتقدة، أو الكارثة التي تنجم عنه.
ومنها الكلمة الفصحى عزاء.

طرگاعه: هيجان عظيم، واضطراب شديد أو مصيبة حلت وتعود جذورها إلى البابليين.

بوشي: النقاب، كلمة أكديّة وتعني غطاء.

إسليمة: تعبير يطلقه العراقي على من لا يطيقه، و(سليمه) بالبابلية تعني الموت أو شبح الموت.

بوري: يستخدم العراقيون كلمة بوري للدلالة على الأنبوب، وهي كلمة أكديّة قديمة، تعني قصبه البردي المجوفة، وهو نبات مشهور وشائع في أهوار العراق جنوب البلاد.

صريفة: وتعني كوخ، كلمة سومرية تطلق على كوخ القصب آنذاك.

صكله: لعبة يمارسها الأطفال في العراق، وهي كلمة آرامية تعني تكويم الحصى.

عود أو عودين: على وزن بعدين، ظرف زمان آرامي بمعنى عندئذ، مثلاً يقال "عود ربك بيفرجها".

ماطول: بمعنى ما دام، ويقال "ماطول كذا" أو "ماطول جيت"، وهي كلمة آرامية وردت في المخطوطات السومرية كثيراً.

إلح: يقول العراقيون "أخوي إلح" أو "إبن عمي إلح" بمعنى أخي من أمي وأبي، وعمي أخ والدي، وهي كلمة آرامية/عبرية، تعني القريب جداً.

بوجي: بعض العراقيين يسمون الكلب الأبيض الصغير (بوجي)، والبوجي في البابلية تعني الشبح.

ماشه: وهي من الإكسسوارات النسائية التي تربط بها خصل الشعر، والكلمة سومرية الأصل وتعني عصابة الرأس، ماش.

منجل: الأداة التي يستخدمها الحصادون، وهي كلمة أكديّة.

جرخ: وتعني أسطوانة أو عجلة أو شكل مدور، وهي سومرية الأصل، ومنها اشتقت كلمة الكرخ للتعبير عن بغداد المدورة.

جَنَّة: زوجة الابن، وهي مفردة سومرية، أصلها (كَن) وتطلق على الجارية.

كفة: (القفة) تسمية سومرية أكديّة، وكانت تستخدم كوسيلة نقل منذ ذلك العصر السومري.

كنبار: أصلها في السومرية كيبّار، وتعني الرجل الكبير أو كبير القوم.

سنسول: وتعني العمود الفقري، وغالب يطلق على عمود السمك، وأصل الكلمة بابلي.

سكّان: دفة السفينة وتلفظ في الأكديّة (سكّانو) وفي السومرية (زي – كان).

إسكاف: وتعني إسكافي أو صانع الأحذية، وفي الأكديّة (اسكابو).

كباب: لحم مشوي، وفي الأكديّة (كبابو).

سرصري: كلمة آرامية تعني ذو الأخلاق السيئة.

بلا بوش: بلا تعني من دون و (بوش) كلمة آرامية قديمة تعني الحياء، وبلا بوش تقال للشخص الذي لا يستحي.

* كزكز عليه: تعني كثرَ عن أنيابه، وأطبق فكّيه، وإرتعش غضباً. أصلها آرامي بمعنى: تبسّل وحارب باستماتة.

* كَلَك: آرامية (كلكا)، بمعنى قريبة منفوخة، وهي من وسائط النقل المائي البدائية، تُتخذ من أقربة (جمع قربة أو جراب) منفوخة، تُشدّ إلى بعضها، وتُصَف فوقها أخشاب تُربط ربطاً مُحكماً، وتُحمَلُ عليها أو فوقها البضائع والناس، والكلك لا زال مُستعملاً لحد اليوم في العراق.

* يُقرقش: من القرقشة، وهي كلمة عامية سريانية، وتعني: الصوت الناتج عن مضغ الطعام الصلب الجاف crisby، وهي مُفردة مستعملة في الشام بكثرة، وفي العراق يقولون (مُقسب - إمقسب) أو (جسب) لوصف الطعام الصلب الذي يتقرط بين الأسنان.

* الأجر: (أجورو): وتعني (الطوب، الطابوق)، كلمة مُستعملة في اللغات الآرامية والفارسية واليونانية، وكلها مُقتبسة من البابلية لورودها في النصوص المسمارية منذ منتصف الألف الثالث ق.م .

* شَلَع: آرامية بمعنى (قَلَع) ويستعملها العراقيون كلما حاولوا قلع أو إستنصال شيء، وأحياناً يقولون (شَلَع) لمن ولى وهرب وأطلق ساقية للريح.

* شَمَط: آرامية (أشمط) بمعنى: إستل الشيء. وشَمَطَ السيف تعني إستلَّهُ أو إنتضاه من قِرابه.

* لَطَشَ: آرامية بمعنى (أَلصَقَ)، كقولنا في العراقية: لَطَشِتْ خوماً لَطَشِتْ !، كذلك تُستعمل في العراق وبعض الدول العربية بمعنى (سَرَقَ) و (نَهَبَ).

* مجردم: آرامية أصلها (مكردم) بمعنى سَحَقَ أو جَزَعَ، والعراقيين يستعملونها لمن أصابه الجُذام فيقولون: إمجدرم !.

* طيز: كناية عراقية تعني الأست حصراً، وتُستعمل أيضاً في أغلب الدول العربية بنفس المعنى، وهي من أصل آرامي: (طيزا) وتعني الأست، المؤخرة، العجيزة، والدبر.

* تشطف: آرامية بمعنى (شَطَفَ أو غَسَلَ الشيء) ويستعملها العراقي والمصري وغالبية العرب!. والتشطيف يعني أكثر ما يعني غسل مقعد أو أَسْتِ الطفل أو الشخص، كذلك تستعمل في عملية غسل فناء الدار وما نحوه بالماء.

* غشيم: لفظة آرامية (كشيم) بالكاف الفارسية، وتعني: الجاهل، الغر، عديم الخبرة والدراية في الأمور الحياتية. والكلمة هذه ليس لها أية علاقة بالغاشم أو الغشوم.

* فَحَطَ: كقولنا في العامية العراقية "كُمت أفحط من التعب". وهي مُفردة آرامية بمعنى أنهكه التعب لدرجة لم يعد يقوى على التحرك.

* فَرُوج: جمعها (فراريج) كلمة آرامية تعني (صغار الدجاج) كما هي في العامية العراقية اليوم.

* كُماخ: لفظة آكدية (كوماخ) وتعني الثور الضخم، حيث كان رمزاً للقوة والعظمة، وقد أُطلقت هذه الكلمة بالعامية العراقية -مجازاً- على ذوي النفوذ والسلطة، جمعها (كُماخات).

* لَبَطَ: آرامية بمعنى اضطرب وتحرك بعنف، وفي العامية العراقية تُستعمل في وصف السمكة بعد إخراجها من الماء، فهي تلبط بقوة وعنف كونها لا تزال على قيد الحياة. كذلك تُستعمل هذه الكلمة للجنين حين يتحرك داخل أحشاء المرأة الحامل.

* لَطَعَ ... يَلطَعُ: مُفردة آرامية بمعنى: لَحَسَ، لَعَقَ بلسانه، ويقال (لَطاع) لمن يلحس أصابعه ويُمصصها بعد أكل الطعام بيديه. ويُقال (لَحاس) لكل من يلحس بلسانه أي شيء.

* نَبَصَ: كلمة آرامية تعني: بَرَزَ وظهر فجأةً دون مقدمات أو معرفة أحد. ونجد هذه الكلمة في المثل الشعبي العراقي: "حُمص بالجدر يُنبص".

* السَطْرَة: كقول المثل العراقي: "شوف العلبة وإضرب السَطْرَة". والعلبة هنا تعني الرقبة من الخلف، أما السَطْرَة فتعني الضرب براحة اليد، والمثل هنا يعني: نوع العلبة يُحدد نوعية السَطْرَة!. وهي مُفردة آرامية بمعنى: الصفحة.

* ناطور: آرامية (ناطورا) وتعني: حافظ أو حارس بستان النخيل والزرور والكروم، ولا زالت تستعمل بكثرة لحد اليوم وأكثر من كلمة الحارس.

* اللُقاحية: سريانية (لُقحا)، وتعني في العربية "رفض الإذعان للسلطة"، ويقول هادي العلوي: أنها مُفردة جاهلية قديمة، وتعني: أطراف المدينة من الريف والضاحية، وأخذت في العربية معنى "الرفض للسلطة" لأن السلطة عادةً تكون ضعيفة خارج المدينة.

* دَجَل: وللمفرد: دَجال، وتعني المَمّوه الكاذب لأنه يُدجّل الحق بالباطل. وهي مُفردة آرامية بمعنى: كذاب. ولا زلنا نقول في لهجتنا الكلدانية (السورث): دكالة: بمعنى: كذاب.

* تالة: التال هو صِغار النخل وفسيله (الفسيل)، وهذه المفردة مأخوذة من الأكادية talu تالو. وكذلك من الآرامية (تالا)، ويقول د. طه باقر: "المَرَجَح أن لفظة (تالو أو تالا) مُشتقة من مادة (تلا .. يتلو)، أي إنها تعني (التابع أو التالي) كونها تالية وتابعة للنخلة الأم التي جاءت منها التالة أو الفسيل الذي يطلع وينمو على جانب النخلة.

* تَبْلِيَّة: وهو الحبل الذي يُحَاك من ليف النخيل ويُستعمل كأداة في إرتقاء (صعود) النخلة لغرض التلقيح أو التزبير أو القِطاف، كذلك يُسمى الرجل الذي يصعد النخلة بالتبليّة (صاعود). ونجد هنا أن تسمية (التبليّة) مأخوذة من المصادر المسمارية وكذلك الأكادية: (توبالو). وقد عُثِر على نقش جميل في واحدة من منحوتات (تل خلف) الآثارية مرسومٌ عليه صورة للتبليّة واردة الذكر.

* شيص: هي تسمية في العراقية الدارجة لنوعية من التمر الذي لا يحتوي على أي نواة في داخله، والكلمة هذه مُشتقة من الأكادية: (شوصو) وكذلك من الآرامية (صيصن).

* خُلال: بتضخيم حرفي اللام. وهي مفردة تُطلق على (البَلَح الذي لم ينضج بعد) في العامية العراقية، بل هو على وشك النضوج، ويُرجح كثيراً أن هذا المُصطلح المقتصر على عامية العراق تقريباً قد وصلنا من الكلمة الآكادية (تُخَلُو) مع شيء من التحوير.

* جُمَار: جُمار وجامور النخلة في المعاجم العربية يعني: ألبها أو شحمها ويُسمى في العامية العربية (جُمار) وهو الأبيض اللون الطيب الطعم والذي يُباع على شكل شرائح. ويُرجح أن أصل هذه اللفظة من الكلمة السومرية (كشمارو) بالكاف الفارسية، التي تُطلق على النخيل بوجه عام. حيث أن الآكادية (البابلية والآشورية) لم تستعمل الكلمة الشائعة التي تُطلق على النخل في اللغات السامية القديمة، مثل كلمة (تمر) الحبشية و(دقلا) الآرامية.

* سَعَف: وواحدته (سعة) هو جريد النخيل أو أطرافه، ولا سيما الأطراف اليابسة مع الخوص، وقد ورد في الآكادية ما يُضاهيها بهينة (سعباتو) أو (سأباتو) وكلاهما بالباء الباريسية. ووردت مُضافة إلى النخيل.

* الكرخ: وكما نعرف فالكرخ والرصافة يُكونان مدينة بغداد حيث يفصلهما نهر دجلة، والكرخ إسم آرامي (كرخا) والتي تعني: المُحاطة بالأسوار المنيعة (فعل كَرَحَ)، يعني: أحاط، سَوَّرَ، لَفَّ، كذلك تعني كل شيءٍ مُدور. وهناك منعطف للنهر يُدعى كرخايا.

* طوبى: كقول المسيح في الإنجيل: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا"، وهي مُفردة آرامية مأخوذة بدورها من جذر "طيب" السامي القديم، وللعلم فإن كلمة Utopia في اللغة الأنكليزية مأخوذة من مُفردة (طوبى) الآرامية.

* جوعر.. يجعر: كقولنا في العامية العراقية (جوعر الزمال) أو (جوعر الحمار) أو (كام يجوعر)، وكلها تعني صوت الحمار وهو ينهق، وهي مأخوذة من المُفردة السريانية: (جَعَر) بمعنى: صاح ، وفي الفصحح العربي يُقال: جَأر.

* صَمَدَ: كقولنا في العامية العراقية: "صَمَد فلوسه"، أي جمع فلوسه أو أي شيء آخر شيئاً فشيئاً. وهي مأخوذة من كلمة (صميد) الآرامية والتي تعني: مجموع أو مخزون، وجمعها (صميذا) بمعنى: مجموع أو مخزون.

* بَلَش: ويستعملها أهل العراق والشام كقولهم: بَلَشنا ناكل، أو كما في المثل العراقي: بيش إبَلَشت يا بو بَشِت!، وهي في أصلها مُفردة آرامية بمعنى: إبتلى أو حارب.

* زراب: وفي العامية العراقية تعني الخراة، مُفردة آرامية تعني الإسهال، والإسهال في اللغة العربية يُقال له: الذرب !.

* بَجَجَ: (بالباء الباريسية) مُفردة آرامية (بَشَخ) وتعني: الصَقَّ آيته على الأرض وبعادَ رجليه كي يَزْرِب !.

* العُكْرُك أو العكروك أو العُكْرُكة: وهو إسم الضفدعة في اللغة الآرامية: "عقروقا"، "عقوقا".

* زعطوط: تسمية عامية عراقية للطفل، وجمعها: "زعاطيط"، وهي كلمة إحتقار حين تُقال للرجل البالغ. آرامية الأصل: (سوطا) وتعني: الطفل غير البالغ.

* فَلَشَ: وتعني في العامية العراقية جَزَّء أو هَشَمَ أو حَرَبَ، كقولنا: (فَلَشَ الحائط) أي هدمه، أو قولنا: (فَلَشَ البيت على راسهم). وتقول المعاجم العربية أنها من العامية السريانية، لكنها وردت في النصوص المسمارية الأكديّة في أدوار قديمة من أدوار هذه اللغة بهينة (بلاشو) بالباء الباريسية، وبمعنى نقض الحائط وتخلل منه. كذلك نرى ورود هذه اللفظة في الأغنية أو المثل البغدادي القائل: بغداد مَينية بتمر .. فَلَشَ وحُل خستاوي.

* كَيْشُنْ: (بالكاف الفارسية)، مُفردة آرامية (كاوشا). وتعني: الماء الضحل الذي لا يُغرق. كسؤالنا في العامية: هذا النهر كيش لو عميق؟. وفي العربية الفصحى هي (المخاضة).

* كُفَّة، قُفَّة: جاء في المصادر المسمارية الآكدية لفظة مُضاهية لكلمة (القفة) أو (الكُفة) المستعملة في العامية العراقية، وهي بهيئة (قُفُو Quppu)، وقد وردت في أسطورة (سرجون الآكدي) الذي وضعتُه أمه في (قُفَّة) صغيرة ورمتهُ في النهر وانتشلهُ (أكي) وهو ساقِي الخمر في البيت الملكي. ومن هذه القصة تم إقتباس قصة "النبِي موسى" بصورة كاربونية!.

* جنابة: مُفردة من جذر عبري وسرياني، وتعني: جملة من الآثام كالنجاسة والأثم والذنس، وإغتسال الطرفين بعد الجماع يُرادُ به تطهير الروح من نجاسة الجسد، والعقيدة الإسلامية تشددت دائماً في قضية "نجاسة الفعل الجنسي"!!، ولذلك شَرَعَتْ وأمرت بضرورة غسل الجنابة بعد المضاجعة وإعتبرتها من كبائر الأمور!.

* الرشمة: وهي المِقْوَد أو الرسن، وجاء في كتاب التاج: الرشمة بالفتح هو ما يوضع في فم الفرس، وهي كلمة آرامية (رشما) وتعني: رسن الدابة.

* النير: الرباط الذي يكون في رقبة ثور الحراثة، مُفردة آرامية (نيرا)، طوق على شكل قطع ناقص من جلد محشو بالقش يوضع في عنق الدابة حين تُسَخَّر للحراثة. ومنها تم إقتباس مُصطلح (نير الإستعمار).

* اليشماغ: هو الكوفية البيضاء (كوشماقا) المرقطة بالأسود والأزرق والأحمر، وهي من التراث السومري العراقي الأصيل، ومنه إنتقلت إلى بقية شعوب الشرق الأوسط. وفي قواميس اللغة المسمارية نجد أن كلمة (يشماغ) مكونة من مقطعين: (أش ماخ) وتعني: غطاء الرأس العظيم. أو (أش ساخ) وتعني: غطاء رأس الكاهن العظيم. أما البقع والعلامات السوداء في اليشماغ فكانت تعويذة لها معاني مُختلفة.

* تنور: وهو الفرن الكنزاي خارج أو داخل الدار، الذي يتم شي الخبز في داخله، وهي لفظة سريانية (تانور)، كذلك أكديّة (تنورو)، وآرامية (تنورا)، وفارسية (تنور) كذلك وردت في العبرية القديمة وفي المصرية الفرعونية، ويقول د. علي الشوك في كتابه (كيمياة الكلمات) بأنه يُرجح أن يكون مصدرها الأول هو العراق القديم للتوسع في استخدام النار قديماً هناك، وخاصةً في الأغراض الصناعية، كعمل الفخار الذي بدأ في العراق مُبكراً جداً. أما د. طه باقر فيقول: [وللتأصيل الصحيح لهذه الكلمة نذكر بأنها وردت في اللغة الآكدية بصيغة مُضاهية للعربية بهيئة (تنورو tinuru).

وتشتقها المعاجم الآكديّة الحديثة من المادة الآكديّة "نار" و "نور" وتعني النار والنور، وأشتق منها الإسم بإضافة البادئة وهي حرف التاء إلى أول الجذر. وتكتب كلمة التنور بعلامات مسمارية سومرية تعني بالدرجة الأولى (النار والخبز والأتون)، ويرى بعض الباحثون بأن كلمة (تنور) الآكديّة مقلوبة من الكلمة السومرية (ترون) والتي تعني الموقد. والجدير ذكره بهذا الصدد أن عدة نماذج من التناير الطينية عُثِرَ عليها في أثناء التنقيبات الأثرية في العراق وهي تشبه بوجه أساسي التنور المُستعمل في العراق اليوم، ويرجع بعضها إلى أزمان قديمة جداً، مثل عصر العبيد (في حدود 4000 ق. م). الذي سبق السومريين وحضارتهم.

* يَشَجِر: نقول في العامية العراقية (يَشَجِرُ التنور)، بمعنى يضع داخله بعض الخشب أو الحطب ويُشعله ويحميه استعداداً لشوي الخبز. ويَشَجِرُ في الآرامية من (مشجور)، وهو شَجَرُ الطرفاء المعروف الذي يُحرقُ داخل التنور أو الآتون. وهناك واحدة من أغاني (البغداديات) التراثية الشهيرة تقول بعض أبياتها: ((جيت أشجر التنور والوردة طاحت ... هِدني يا بَعْد الروح جس أُمي صاحت)).

وللعلم .. كلمة (الوردة) هنا تعني الزهرة، بل ما يكون من ذهب أو فضة أو معدن رخيص في الثقب الأيمن لأرنبة أنف المرأة العراقية الريفية من حُلي، أما ما يكون في الثقب الأيسر لأرنبة الأنف فيُدعى أو يُسمى (خزامة) ... "كِتاب تاج العروس". أما مُفردة (طاحت) العراقية فتعني: سقطت، وطاحَ بمعنى: سَقَطَ.

* جبن: جاء في اللغة الآكديّة ما يُضاهي الكلمة العربية جبن بهيئة (كَبنتو) بالكاف الفارسية، والمُرجح أن منها الآرامية (كَبنتا)، والعبرانية (كَبينا)، وفي لغة كلدان وآشوريي اليوم في العراق (السورث) يُسمى الجبن (كَبتا أو كَبتة) بالكاف الفارسية.

وقد عُرف عمل الجبن في العراق القديم وغيره من صناعة الألبان منذ مطلع الألف الثالث ق. م، كما تشير إلى ذلك الصور الطريفة التي تمثل حلب الأبقار وتهيئة اللبن والخض وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى ذكر الجبن في المصادر المُدوَّنة.

* خَتَن: زوج البنت، وبالسريانية والبابلية: (خنتو)، وفي العبرية (حتن): زوج، كذلك نقول في لهجة (السورث) المتداولة اليوم بين الكلدان والآشوريين: (خنتة).

* دن: وهي جرة كبيرة تُركز في حفرة، من السريانية وكذلك البابلية: (دانو)، وربما هي مُشتركة بين الساميات.

* حُرْمَةٌ: هذه كلمة كبيرة وشائعة في كل الدول العربية تقريباً، وخاصةً في العراق والشام ودول الخليج، وتعني حصراً (المرأة)، وحين يقول الرجل: حُرْمَتِي، فهو يعني حصراً: زوجتي. ولهذه الكلمة اشتقاقات كثيرة جداً، وهي مُفردة أكديّة بصيغة (حُرْماتو) و (شمخاتو) وتعني: (بغى المعبد) أو (كاهنة الحب) والكلمتان في اللغة الأكديّة تُشيران إلى زمرتين من كاهنات معبد عشتار الموكلات بالبغاء المُقدس.

* بُهْلٌ: ومعناها: الأبله. مُفردة آرامية أصلها (بُهلا) بمعنى: جاهل أو غبي.

* حَلَّ.. حَلَّلَ .. حَلَّلًا: مُفردة آرامية لِمَنْ كان في كعب قدمه رخاوة، فهو أَحَلَّ وجمعها حُلٌّ.. الأَحَلَّ. وفي لهجة السورث لكلدان اليوم نقول: حَلَّلَة.

* صَنْطَةٌ: كقولنا: "صنطة سكوت محد يحجي"، ومعنى هذه المُفردة: (السكوت والصمت المُطبّق).

* صَمَخٌ: كقولنا: "إصمخ إلى أن ينتهي الدرس". وتُعطي معنى (صَبَرَ على مَضض).

* طَمَسَ: من (طمش) الآرامية. كقولنا في العامية العراقية: "طَمَسَ بالمي وغرّك"، أي: غطس أو غَطَّ أو غاصَ في الماء أو النهر وغرق، وكما نرى فهي تُعطي معنى أن يغوص الشيء في الماء أو التراب أو المستنقع .. الخ.

* شُرْمٌ: مُفردة آرامية تعني (الشق) ولهذا يستعملها أهل العراق في لغتهم المحكية بمعنى (ثقب الأست)، ويقولون مثلاً "أشرمك شُرْم" أو "شرموا شُرْم" أو "شرموني شُرْم".

* شِبوط: وهو نوع من الأسماك المعروفة في نهري دجلة والفرات، كبير الحجم مع رأس صغير، وأصلها آرامي: (شِبوطا). وهو نوع كبير ولذيذ من الأسماك النهريّة.

* شَوْشَةٌ: آرامية (شَيْشَا أو شِشْتَا) بمعنى: قارورة، زجاجة، ويُقال للقارورة (شيشة) بالفارسية والتركية أيضاً، ولكن .. لما كان تمدن الآراميين قد سبق تمدن الفرس والترک فقد حُكِمَ بأصالة الكلمة في الآرامية.

* شَلَحَ: وتعني: تعرى من ملابسه، نَزَعَ، خَلَعَ، تعرى، تجرد من ملابسه، و"شلحوه" تعني أيضاً أنهم سطوا عليه وأخذوا ما يملكه من نقود وملابس، وحين يقول الرجل في العراق مثلاً لإنتاه: "إشلحي" .. فمعناها حصراً أنه يطلب منها أن تنزع ملابسها وتتعرى.

كذلك أذكر أن بعض بيوت الأغنياء في العراق كان فيها غرفة صغيرة نسبياً تسبق الحمام، كانوا يطلقون عليها تسمية "المشلق"، حيث يتشلق فيها الناس من ملابسهم قبل الدخول لغرفة الحمام الحار.

* أرخ، يؤرخ: وهذه تُعطي معنى (عَيَّنَ الزمن وحددته) ومنها تأريخ وتاريخ، وهذه الكلمات موجودة في معظم اللغات السامية القديمة، ومنها الأكديّة التي يُطلقُ على الشهر فيها كلمة (ورخو) أو (أرخو)، ومن هذا تولدَ معنى التأريخ الذي يعني حرفياً (تحديد الزمن). كذلك (ورخ) و (أرخ) من أسماء الإله القمر في اللهجات العربية الجنوبية القديمة وأشهرها (ود) و(المقا) وفي العراق الإله (سين). وفي لغتنا الكلدانية (السورث) المتداولة اليوم تُسمى الشهر (يرخة).

* أذان: يذهب بعض اللغويين العرب في قواميسهم إلى أن كلمة "أذان" أي "النداء لمواعيد الصلاة" غير عربية، كما في كتاب (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين أحمد الخفاجي المصري. ونجد في اللغة الأكديّة كلمة "أدانو" بحرف ال (د) وليس ال (ذ) حيث لا وجود لحرف ال (ذ) في غير اللغة العربية، كذلك نلاحظ بأن هناك حرف ال (و) في نهاية هذه الكلمة، وهي الواو الأكديّة البابلية المعروفة التي تلحق بأواخر الكلمات في اللغة الأكديّة.

وتعني كلمة (أدانو) الأكديّة بالدرجة الأولى: (الموعد، مدة زمنية، وقت مُحدد، أو يوماً مُعيّناً)، ويضاهيها في الأرامية "عدان" و"عيدان". وفي لغة كلدان العراق (السورث) المستعملة اليوم نقول: (عدانة) والتي تعني: الوقت المُحدد.

* الأفكل : والتي تعني "الحكيم".

كلمة الأفكل في المعاجم العربية لها عدة معانٍ، منها: (الجماعة من الناس، الشجاعة، الرعدة)، فيقال مثلاً: (فلاناً أفكل) إذا أصابته رعدة فأرتعد من خوف أو برد. وجاء في حديث السيدة عائشة: "وأخذني أفكل وإرتعدت من شدة الغيرة". وجاءت كلمة (الأفكل) بمعانٍ مُختلفة عن العربية في المصادر المسمارية الأكديّة بهيئة: (أبكلو)، وفي السومرية (أبكال) بالكاف المصرية. وتعني (الحكيم) بوجه عام، ولا سيما الحكيم المُتبحر في الحكمة، وبهذا المعنى وردت في خاتمة شريعة حمورابي 1792-1750 ق.م في نعت إله الحكمة والمعرفة والماء آنذاك، وهو الإله (ايا) والذي يُقابله الإله (أنكي) عند السومريين. كذلك نُعتُ بصفة الحكمة إله بابل (مردوخ) ومن بعده ابنه الإله (نبو) الذي كان إله الحكمة والكتابة والقلم. وأضاف الأكديون لاحقاً (أوتو) إلى كلمة الأبكلو فصارت (أبكلوتو) والتي تعني الفائق الحكمة، وورد في النصوص المسمارية مرادفات لكلمة أبكلو منها (عمقو) أي التعمق، و(خاسيسو) أي الحكيم الحساس، ومنه جاء اسم بطل ملحمة الطوفان (أترا- حاسس) أي: المتناهي الحكمة. كذلك أطلق اسم الحكمة على

الحكماء السبعة الشهيرين في حضارة وادي الرافدين، (الأبكالو السبعة)، والتي نُسبت لهم أصل المعارف والحكمة التي علموها للبشر.

وقد شاعت فكرة (الحكماء السبعة) The Seven Sages في الكثير من الحضارات القديمة، ومنها الحضارة اليونانية التي إقتبست الفكرة لاحقاً بعد عدة قرون- من حضارة وادي الرافدين!.

* الحكيم: كلمة آرامية سريانية (حكيمو) وتعطي معنى (العالم) من العلم. كذلك موجودة في الآكادية (خاكامو) وبنفس المعنى، وفي الكنعانية الأوغاريتية (حكم)، والظاهر أنها مفردة سامية مُشتركة، وهي بالعبرية (حاخام) وهو الكاهن والرائد والمعلم الروحي الحكيم عند اليهود.

* أنثى: يرجح أن اشتقاق كلمة (أنثى) العربية من مادة (سامية) قديمة تعني: الضعف والضعيف وهي كلمة: (أنشو) الأكادية ومنها كلمة: (أنتو) الأكادية التي تعني بالدرجة الأولى الزوجة، وهي بلا شك من الجذر نفسه، حيث يُقابل حرف الشين في البابلية حرف الثاء في العربية، وعلى ما مألوف في تبادل الأصوات في اللغات السامية القديمة، وهنا ستتحول (أنشو) إلى (أنثو) في العربية.

* بارية: كلمة (بارية) في العامية العراقية والتي تعني: نوع من أنواع الحصر (جمع حصير) وهي كثيرة الإستعمال في العراق، وتذكر بعض المعاجم العربية -كالعادة- على أنها مُعربة من الفارسية، في الوقت الذي نجد هذه المفردة في النصوص المسمارية منذ زمن قديم، وتم نكرها بصيغة: (بورو)، وفي الآرامية (بوريا) والفارسية أيضاً (بوريا)، وكانت صناعة (البواري - جمع بارية) منتشرة -ولا زالت- في جنوب العراق حيث يكثر القصب في الأهوار العراقية الكثيرة كما كان دائماً منذ أزمنة السومريين، وكما تُشير إلى ذلك النصوص المسمارية الخاصة بصنع البواري وتعدادها وأنواعها وأشكالها.

* بوري: في العامية العراقية يتم إستعمال كلمة (بوري) للدلالة على الأنبوب، وخاصةً أنابيب الماء والكهرباء. وهي لفظة آكادية تعني قسبة البردي المُجوفة، والقصب هذا من أشهر نباتات الأهوار العراقية، ومنها جاءت كلمة (بارية وجمعها بواري) التي تم شرحها أعلاه.

* برغوث: وردت كلمة البرغوث في الآكادية بفرعيها البابلي والآشوري بصيغة: (برشوع) و (برسوع)، وفي الكنعانية الأوغاريتية (ب ر غ ت)، وفي العبرانية (برعوش)، والآرامية (برغت) و (برطعتا) بالباء الباريسية، ويُحتمل تعيين الكلمة الآكادية بأنها البرغش، وهو نوع من البعوض.

* بتول: كلمة "بتول" العربية بمعنى العذراء تُطابقها لفظاً ومعنى الكلمة الآكادية (البابلية الآشورية): (بتولتو)، والآرامية: (بتولا)، والكنعانية الأوغاريتية (ب ت ل ت). أما مُذكر (بتولتو) في الآكادية فهو (بتولو) وهي تُطلق على الشاب الذي لم يُمارس الجنس بعد!.

* بستوكة: بالكاف الفارسية.

البستوكة عند العراقيين هي وعاء (برينة) من الفخار، مُزججة في الغالب أما باللون الأزرق أو الأخضر أو (الشذري-التركواز)، وتُحفظ فيها السوائل مثل الدبس والخل والدهن وبعض الخمور وما شاكل ذلك، ويوصلها المُعجم (العربي الفارسي الإنكليزي) على كونها مُعربة من الفارسية (بستك). ورغم أن هذا التأسيس صحيح ولكن يُرجح كذلك أن الأصل البعيد لهذه اللفظة هو من الكلمة السومرية (بسان-دُكا) أو (بسان-دُك)، وكذلك في الآكادية: (بسان-تكو)، ومعناها الأساسي: وعاء من الفخار لحفظ الأشياء ومنها الواح الطين، وأُشتق من هذا الإستعمال مُصطلح (حفظ السجلات-الألواح) وحافظ السجلات، أي: الوثائقي.

* زُق: وجمعه زقاق وأزقاق، ويعني في العربية وعاء من جلد الحيوانات يُستعمل لحفظ الماء والخمر ونحوهما، وبصفته وعاء للخمر فقد ورد ذكره في المصادر المسمارية بلفظة (زُقو). فقد جاء ذكره مثلاً في الكتابة المنقوشة على مسلة الملك الآشوري (آشور-ناصر بال) (القرن التاسع ق.م)، المُكتشفة في نمرود في مدينة كالح القديمة بالقرب من الموصل. في المسلة التي تروي خبراً عن الولايم العظيمة التي أقامها ذلك الملك بعد إنتهائه من تجديد المدينة، وما هياًة من المآكل والمشارب للضيوف الذين بلغ عددهم 96,000 الف شخص وأنه أحضر من الخمور 10,000 زق من الخمر. كذلك تم ذكر (الكُبة) من بين الأكلات التي قُدِّمت للضيوف!، وكانت تُسمى (كُباتو).

* بَقَّة-بِق: تُطابق كلمة (البق) في العربية الكلمة الآكادية (بَقو) التي وردت في المصادر المسمارية، ومنها الإثبات الخاصة بالحيوانات والنباتات.

* ترجمان: كلمة الترجمان من الألفاظ التي عُدَّت في المعاجم العربية من الدخيل المُعَرَّب. بيد أنها وردت في المُدونات المسمارية في اللغة الآكادية بهيئة (تُرْكمانو) بالكاف الفارسية. ومنها الكلمة الآرامية (تُرْكميننا)، والعبرانية (تركوم)، وانتقلت هذه الكلمة إلى اللغات الأوربية بهيئة (دراكومان) Dragoman.

* تُكان - دُكان: تُرجع المعاجم الحديثة مثل المعجم العربي- الفارسي الإنكليزي Richardson, 1829 كلمة تُكان إلى أصل فارسي، على أنه يرجح كثيراً أن كلمة التكان المستعملة في عامية العراق بالدرجة الأولى أصلها من الكلمة

السومرية (تُكانو) Tukkanu التي تُطلق بالدرجة الأولى على الكيس، ولا سيما كيس النقود، وأنها نُقلت عن طريق الإستعمال المجازي إلى موضع البيع والتعامل بالنقود.

* جسر: وردت هذه المفردة في اللغة الآكدية بهيئة (كشرو) بالكاف الفارسية (Gishru) ومنها الآرامية (كشرا) ولا يُعلم بوجه التأكيد هل أن هذا اللفظ سومري أو آكدي صرف.

* جص: كلمة جص في المعاجم العربية من الأعجمي الدخيل، وكثيراً ما تذكر كتب اللغة كلمة (جص) على أنها غير عربية، على قاعدة أن حرفي الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية أصيلة. أما في اللغة الآكدية فقد وردت كلمة (كصو) وتعني الجص، وتُكتب في نظام الخط المسماري بالعلامتين المسماريتين السومريتين (أم-بار) ومعناها (الطين الأبيض). والمُرجح أن الكلمة الآكدية (كصو) هي أصل معظم المفردات المُضاهية لها في اللغات السامية مثل الآرامية (كصا) وانتقلت الكلمة أيضاً إلى الإغريقية بهيئة (كبوس Gupos) ثم منها إلى اللاتينية واللغات الأوربية (Gypsum).

* خر: في العامية العراقية تعني كلمة (خر) مجرى لتصريف المياه ولا سيما المياه الآسنة. وهناك نهر صغير في بغداد جانب الكرخ قرب قصر النهاية الملكي ويقع أيضاً بين مدينة الحارثية ومدينة المأمون الأولى، وتم تبديل اسمه إلى نهر (الخير).

وقد وردت في الآكدية كلمة (خرو) و (خريتو) وتعني المجرى المائي والجدول في المادة الآكدية (خيرو) Kheru ومعناها الأساسي (حفر وكري) بالنسبة إلى الجداول والأنهار. وربما يكون الإصطلاح الشعبي العراقي (خري مري) مأخوذاً من هذه الكلمة!، ربما.

* خُش، يخش: يُستعمل فعل (خُش) في العامية العراقية وفي بعض الأقطار العربية بمعنى دَخَلَ، كقولنا: خُش إلى داخل البيت، أو كقولنا: خُشِشَة بمعنى: أدخله!، وتضاهيه المادة الآكدية (خاشو) التي تعني: تحرك بسرعة ودَخَلَ أيضاً.

* خَمَط: بمعنى أَخَذَ بسرعة، وهي كلمة تُعطي نفس معنى كلمة عامية عراقية أخرى (نَتَشَن) أو الفصحى (خَطَفَ)، ويوجد ما يُرادفها في البابلية وهو جذر (خماطو) بالمعنى نفسه تقريباً. والجدير بالذكر هنا أن اسم ملاح العالم الأسفل المُؤكَل بنقل أرواح الموتى في نهر ذلك العالم في الأساطير العراقية هو: (خَمَط تبال) وتعني: (خُذ على عَجَل، أو: إحمل بسرعة). وعلى نفس المنوال نجد أن الأساطير اليونانية أعطت اسماً لملاح عالمها الأسفل وهو (شارون أو خارون)، وهو إقتباس كاربوني آخر من أساطير ما بين النهرين.

* خَمَشَ: وهي مُفردة مستعملة في العامية العراقية وتعني: إستعمال أضافر اليد في خرمشة الوجه أو الجسد، وهي تُضاهي الكلمة البابلية: (خماشو) وتُعطي نفس المعنى والمفهوم.

* سفينة: وردت كلمة سفينة في البابلية المتأخرة بصيغة تُطابق العربية، بإبدال الفاء العربية بباء ثلاث نقاط البابلية وهي: (سبينتو Sapinatu)، كذلك وردت مكتوبة بهيئة (Sapintu).

* سُكَّان: ومعناه في العامية العراقية: المقود. كمقود السيارة أو السفينة مثلاً. أو كما وردت هذه اللفظة في الأغنية الشعبية التراثية العراقية القديمة التي تقول: (جريدي شيخ الجردان بطنة سفينة وذيلة سُكَّان). وقد وردت في المصادر المسمارية باللفظ البابلي المُضاهي للعربي وهو (سكانو).

* سُلطان: وجمعها (سلاطين)، وفي المعجمات العربية تعني هذه اللفظة: القوة والشدة والأمرة، وهي من مادة (سلط)، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن بمعنى: الحجّة. ويوجد في الآكدية (البابلية والآشورية) مادة (شلاطو)، وتعني تقريباً المعاني الأساسية نفسها، ومنها الكلمة (شلطو) أي السلطان وجمعه بالبابلية (سلطو) و (شلطي)، والمثال على ذلك إسم ابنة الملك البابلي (نبونيدس) آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة، وكانت الكاهنة العليا (ننا) في معبد الإله القمر (سين) وهي: (بيل-شلطي-ننا) أي: إن الإله ننا سيد السلاطين.

* شريان: الشريان هو أحد أوعية الدم في الجسم، ويُسمى في اللغة الآكدية (البابلية والآشورية) بلفظ مُطابق للعربية وهو: (شريانو).

* صرصر، صرصور: الصُرُصُر وجمعه (صراصر)، وصرصور وجمعه (صراصير) حشرة مشهورة بصوتها في الليل، ولذلك يُسمى أحياناً بصرصار الليل. وقد ورد ذكره في المصادر المسمارية بلفظ يُطابق العربية تقريباً بصيغة (صرصورو)، وفي السريانية (صرصيرا وصرصيرا) وفي العبرانية (صلوصال). ويُسمى كلدان العراق اليوم (صصرا أو صصرة).

* صلوة، صلاة: من معاني الصلوة الأساسية: الدعاء والإستغفار وطلب البركة، وجذرها(صل) الذي يعني: الميل والإتحناء ثم الركوع والسجود. ووردت كلمة (صلوتا) في الكُتب العبرانية المتأخرة ولا سيما المُدونة بالآرامية مثل: (التركوم، الجمارا، والتلمود).

وليس هناك ما يُبرر عدّ هذه الكلمة العربية من المُعرب، لأنها موجودة في معظم اللغات السامية القديمة ومنها الأكديّة بهيئة (صلو) (Salu) و (صليتو) (Salitu) بمعنى الدعاء والإستغفار، ولكن لم تُستعمل بحسب معرفتنا الراهنة بمعنى سجد وركع. أما في اللغة المحكية اليوم لكلدان العراق فكلمة الصلاة تُلفظ (صلوآثة).

* عقرب: ورد إسم العقرب في المصادر المسمارية بالكلمة البابلية (عقربو) Agrabu مع ضياع حرف العين في أول الكلمة لأنه من الحروف الحلقية التي لا يُمكن نطقها أو رسمها بالخط المسماري. وفي البابلية مُرادف آخر لكلمة العقرب وهو (زقاقيبو) بالباء الباريسية. وكان العقرب هو شعار الملك السومري (مينا) الذي غزا مصر.

* عدن: تُطلق كلمة عدن في الكُتب "المقدسة" مثل التوراة وغيرها على الموضع الذي وضع فيه الله آدم ليُخَلد في الجنة!. ومنه (جنات عدن) في القرآن، وجعلت بعض المعاجم العربية مادة (عدن) بالمكان، أي: قطنه وأقام فيه!. والواقع أن هذا وغيره أقرب ما يكون إلى التعليل اللغوي الإصطناعي. كما أنه ليس من الصحيح إطلاقاً إرجاع أصل كلمة عدن النهائي إلى العبرية ثم السريانية، بل الأرجح أنها ترجع في أصلها البعيد إلى الكلمة الأكديّة (عدنو- أدنو) Edinnu المُشتقة بدورها من اللغة السومرية (أدن Edin) التي تعني: السهل أو الأرض السهلة الخصبة. وقد تكرر ورودها في النصوص السومرية القديمة منذُ منتصف الألف الثالث ق.م. ولا تخفى المُلابسة اللغوية بين هذا المعنى الأصلي وبين إستعمالها في العبرية للجنة والرغد والنعيم!.

* كُبّة: يُرجع بعض الباحثين أصل كلمة (الكُبّة) إلى أنها مُعربة من الفارسية، وأن أصل معناها (كأس الحجامّة- فصد الدم) ، وتُطلق على كل شيء مُنتفخ كالكُبّة ونحوها. ولكن الصحيح في تأصيل هذه الكلمة إرجاعها إلى الكلمة الأكديّة الواردة في النصوص المسمارية بهيئة (كِبْتُو) (Kippatu) التي تُطلق على الشيء المُدور كالدائرة، حيث أُطلقت على الدائرة في الرياضيات البابلية. ووردت كذلك كلمة (كَبِي) و (كُبُو) وجمعها (كوبيباتي) -وكلهم بالباء الباريسية- لإطلاقها على الكُبّة، وهي الأكلة المشهورة في العراق وفي بعض أقطار الشرق الأدنى.

* كورة -كير: تُطلق كلمة (كورو Kuru) و(كير) البابلية والآشورية على الفرن أي (الكورة) في عملية إذابة القير بالدرجة الأولى. ويُرجح أن هذه الكلمة هي الأصل في إسم (القير والقار) في اللغة العربية. وتُلفظ بالسريانية (قيرا) وبالعبرانية (كور).

* كفارة، تكفير: الكفارة من مادة (كفر)، وهي ما يُدفع به الإثم والذنب من مال وغيره. وقد عثر المنقبون على لوح مسماري في تل حرمل من زمن (مطلع الألف الثاني ق.م) هو عبارة عن رسالة جاء فيها مُصطلح الكفارة

بصيغة (كبرو Kipru) من مادة (كبارو Kaparu)، وتعني المعنى نفسه. أي (Expiatory gift, expiation). ملاحظة: انظر مجلة سومر 1958 الرقم 7 ، وسجل اللوح في المتحف العراقي تحت الرقم 51184.

* مرجان: كلمة المرجان العربية أو المُعربة ورد ما يُطابقها في المصادر المسمارية في الكلمة الآكديّة المُطابقة للعربية تقريباً وهي: (مركانو) وكذلك (مَر كونو) وأيضاً (مَر كولو). وكلها بالباء الباريسية.

* مُشط: تُطابق كلمة المشط العربية اللفظة الآكديّة (مُشطو) وقد تبدل الشين لاماً أي بصيغة (ملطو). وقد كان المشط يُصنع من الخشب، وعُثر في بقايا حضارة وادي الرافدين على نماذج من الأمشاط وبعضها من العاج، وقد وردت عبارة (مشط الرأس) في بعض النصوص البابلية اللغوية، وباللفظ البابلي (مشطوشا ققادي).

* مهر: المهر والمهرة ولد الفرس. وورد ما يُضاهي هذه الكلمة لفظاً ومعنى في اللغة الآكديّة بهينة (مُهرو Muru)، ويوجد في المعاجم المسمارية بالكلمة البابلية (مو-أورو).

* مكس: كلمة المكس والمكوس بمعنى الضريبة، جاء ذكرها بالنصوص المسمارية بالصيغة الآكديّة (مكسو) و (مكاسو) .

* نبي: تزعم طانفة من اللغويين والمُفسرين أن كلمة (نبي) بمعنى الرسول المُرسَل من الله من أصل سرياني أو عبراني. ولكن الأصح أن يُقال إنها من مادة مُشتركة في معظم اللغات السامية القديمة، ففي الآكديّة يوجد جذر (نبو) (نباء) Nabu بمعنى (دعا) يدعو وأعلن وسمى وتنبأ ... الخ. وصيغة (نبي) العربية وكذلك (نبو) الآكديّة وتعني الذي يُعلن ويُنبئ، ومنه المعنى الديني، أي الشخص الذي يُنبئ عن الله.

* نبط: عُرف النفط الخام في العراق القديم منذ أقدم الأزمان، ولكن لا يُمكن البت في هل أُستعمل في الإنارة؟، بإستثناء بعض الإشارات التي وردت في النصوص المسمارية إلى إستعماله في المشاعل التي يُرجح أن يكون النفط الخام أو النفط الأسود قد أُستعمل فيها. وردت كلمة (نبطو) في اللغة الآكديّة، وتُكتب كلمة نبط في البابلية (شمن-أتي) أي سمن أو زيت القير.

* هيكل: كلمة الهيكل من المفردات المشهورة المستعملة في معظم اللغات السامية القديمة ومنها (العبرانية والآرامية)، وبعض اللغات الأوربية حيث يُطلق مُصطلح الهيكل على المعبد الكبير أو البناء العظيم كالقصر ونحوه، مثل هيكل سليمان.

وجاء في المعاجم العربية بأن كلمة الهيكل من أصل يوناني (أنظر المُنجد مثلاً). ولكن ثبت الآن بوجه قاطع، أن الكلمة من أصل عراقي قديم، فقد شاع استعمال كلمة (إيكُلو Ekallu) في البابلية والآشورية بمعنى القصر، وقد تُطلق مجازاً على السلطة الرسمية أي (القصر) أو (البلاط)، وكذلك على البناء العظيم بوجه عام. ويُرجع أصل هذه الكلمة الأكديّة إلى الكلمة السومرية المركبة من كلمتين هما (اي- كال E - Gal) أي البيت العظيم، ومنها القصر، وقد إرتأى بعض الباحثين حديثاً أن الكلمة البابلية هي أصل الكلمة السومرية وليس العكس. أنظر معجم جامعة شيكاغو المرموز له ب (CAD).

* طر كاعة: لفظة في العامية العراقية يُكنى بها للمصيبة الكبيرة والإضطراب الشديد، وهي مُشتقة من الجذر الثلاثي الآرامي (ط ر ق) بمعنى: يَخْفُقُ، يَخِلْطُ، يُقَلِّقُ السكينة والهدوء، فنقول: طَرَقَ البيض، أو طَرَقَ اللبن، بمعنى خَفَّفَهُ وحَرَكَهُ ومزجَهُ، وتتحول القاف هنا إلى كاف فارسية فتتحول كلمة (طرقه) إلى (طركه) ومنها: (طر كاعة) التي أخذت معنى (المصيبة، الإضطراب، التشويش، القلق والإزعاج، الحدث الجلل) في العامية العراقية.

نماذج من الكلمات العامية الفصيحة والمعجمة :

برطيل : رشوة // مدردحة : المرأة طولها وعرضها سواء // بزر : بذر // أيس : يئس // دبش : أثاث الدار // الحيل : القوة // أريحي : واسع الخلق // برطمَ : غضبَ من كلامٍ وانتفخ // ترف : ناعم، متنعم، الشيء الظريف تخص به صاحبك وهي كثيرة الاستعمال في وصف ومناداة الحبيبة في أشعار وأغاني الريف العراقي كما في قول الشاعر (يا ترف هجرك عليّ مُر.. مُر ما تطيقه الروح..) // خبن الثوب : عطفه // ماذر : فاسد // دحسَ : حشر // الهندس، والهندس : الظلام الشديد // دفر.. دفرا : دفعه في صدره دفعا // ملخ.. ملخا: انتزع. جذب // خزر، خزرة : نظر بلحظ العين // نَمَرٌ : الشخص الواحد // للموم : الجماعة من الناس غير المتجانسة أي المختلطة // الحوبة : الإثم والذنب. وقد تعني في اللهجة البغدادية المغفل والمسكين كما في قولهم : هذا واحد حوبة // أثرم : من سقطت أسنانه // أجلح : أصلح من جانبي رأسه // ثخين : سميك // بَسْ : اكتف. وقد قعدّها صاحب كتاب (المنهاج / حمد الأنطاكي) وعرفها بأنها اسم فعل (أمر) فاعله ضمير مستتر تقديره أنت. وهذا يدل على كونها من الفصيح، وفي (اللسان) يعجمها ابن منظور مرتين : بس : صوت زجر الدابة عند السّوق وهي من كلام أهل اليمن، ومرة بمعنى (حَسَب) القريبة من (كفى واكتف) ويقول بأنها فارسية وقد تكون أخذت عن العربية فتفرست.

خبص : خلط // لاص : خلط الزيت بالعسل // ختل : تخفى // النغل : اللقيط // أجاويد : الأخيار والوسطاء لإصلاح ذات البين وهي مستعملة في صعيد مصر والسودان أيضاً بذات المعنى // ثول : أثول الأحمق وقليل الخير // المجنون، الهتر : الكاذب الأحمق. وهي من ألفاظ القرآن بصيغة المبالغة (هتور) // طرطور : الوغد، الضعيف، ومن العصر الجاهلي نقرأ البيت التالي : قد علمتُ يشكرُ من غلامها... إذا الطرايطرُ اقشعرَ هامُها.

إي (بكسر الهمزة وياء مشبعة / ممدودة) : بمعنى نعم ، في لهجة عرب العراق وبعض أقطار المغرب العربي كالجزائر الوسطى وتونس وتقابلها في اللهجة المصرية والشامية كلمة (أيوه) التي يعتقد (أنيس فريجة) كما ينقل العلوي أنها مركبة من (أي + والله) أو أنها مأخوذة من كلمة (أوه) السامية القديمة. وكلمة (إي) من ألفاظ القرآن وردت بمعنى نعم في الآية التي تقول (قُلْ إِي رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ..) {يونس/53}.

(وهذه مجرد أمثلة قليلة استقينها من معجم مختار القاموس / الطبعة التونسية الليبية ، ومن المعجم العربي المعاصر للعلوي) ولو أخذنا كلمة (أجلح) كمثال فسنجد أن الكتاب المعاصر ينستعوضون عنها بعبارة ثقيلة وطويلة هي (أصلح الرأس من الجانبين فقط) ويعافون هذه الكلمة الواحدة التي توفر البعد البلاغي والمعنى الدقيق تماماً.

مصادر:

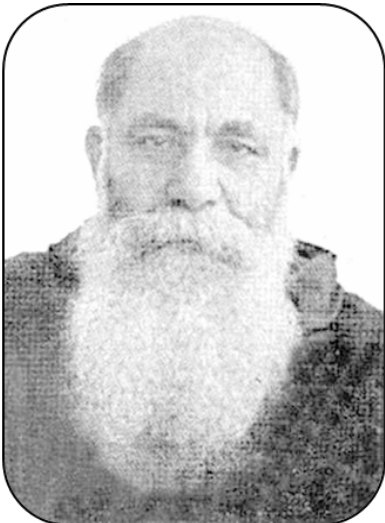
- الذات الجريجةسليم مطر
- طلعت ميشوالحكيم البابلي
- من ثرائنا اللغوي القديم..... د. طه باقر.
- الألسنة العراقية د. علي ثويني.
- كيمياء الكلمات د. علي الشوك.
- جولة في أقاليم اللغة والأسطورة د. علي الشوك.
- مقدمة في أدب العراق القديم د. طه باقر.
- معجم اللغة العامية البغدادية الشيخ جلال الحنفي البغدادي.
- معجم الألفاظ الدخيلة في اللهجة العراقية الدارجة..... رفعت البزركان.
- علاء اللامي..... مقالة عن العامية العراقية
- مختلف المقالات والبحوث

* * *

ملحق

الاب الكرمللي وعنايته بالعامية

يعتبر الاب انستاس ماري الكرمللي من مؤسسي الثقافة العراقية في العصر الحديث ومن رواد الدراسات الخاصة بالعامية العراقية. ولد في بغداد عام 1866



من أب لبناني (جبرائيل يوسف عواد)، وأم بغدادية (مرغريت)، وتوفي في بغداد عام 1947. من أهم سمات مدرسة الكرملية، عنايتها الشديدة باللهجة العامية الدارجة، ربما بتأثير محمود شكري الألوسي الذي انتبه إلى ما في اللغة الدارجة من فوائد تعين على فهم التاريخ اللغوي، لاسيماً فهم اللغة الفصيحة. ولا يفوتني أن أذكر إن معروف الرصافي كتب موضوعين متسلسلين عن العامية هما: (دفع المراق في كلام أهل العراق) (مجلة لغة العرب 1926، 1928) و(دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة). وكان قبل ذلك في العام 1901 نشر القس جبرائيل الكلداني كتاباً بعنوان (اللغة العامية البغدادية)، كما نشر داود فتو البغدادي كتاباً بعنوان (بغية المشتاق إلى لغة العراق). إلا أن للكرملية ولعاً خاصاً باللهجة الدارجة وبالأغاني الشعبية العراقية. فإذا ما سمع حكاية أو مثلاً شعبياً يستهويه، يسجله على ما هو بعاميته بغير تغيير. ومن الموضوعات التي كتب فيها في هذا الموضوع:

(اللغة العامية توأمة اللغة الفصحى) (المقتطف) (1912) // (اللغة العربية في العراق لاسيماً في بغداد) (مجلة دار السلام 1918) // (الأمثال العامية البغدادية) (لغة العرب 1927) // (الألفاظ النصرانية في لغة العرب) (لغة العرب 1930).

أما كتبه في هذا الباب فشملت: (أغان بغدادية عامية) جمعها من أفواه الناس (1896) // (أمثال بغداد والموصل العامية والنصرانية) مع حكايات عامية جمعها عام 1932 // (مجموعة من الأغاني العامية) أتمها في العام 1934 وقد جمعها من مختلف أنحاء العراق.

صلاح نيازي: (مقطع من دراسة مطولة بعنوان: إبراهيم السامرائي والمدرسة الكرملية في اللغة)

القومية اليزيدية، عقيدتهم وثقافتهم!



للتوضيح نقول ان مفهوم (القومية - العرق - الاثنية - Ethnic group) يختلف عن (الجنس - race) و(الامة - Nation). ونعني به : ((مجموعة من السكان لهم خصوصيات تاريخية وثقافية ومشاعرية تميزهم عن باقي الجماعات وتشدهم الى بعضهم)). فليس كل الجماعات التي تشترك باللغة الواحدة، بالضرورة تنتمي لنفس (القومية). مثلاً ان الصرب والكروات والبوسنيك، يتكلمون بنفس اللغة ويتفاهمون بينهم بسهولة، ولكنهم تمايزوا عن بعضهم بالتاريخ والمشاعر والعقيدة الدينية: الارثوذكسية، والكاثوليكية والاسلام. كذلك الشعوب العربية التي تشترك بنفس اللغة العربية لكنها تختلف بالانتماء الاقوامي التاريخي الوطني. من هذا نقول، ان تشابه لغة اليزيدية مع (اللغة الكرمنية) الكردية، لايعني بالضرورة انهم ينتمون الى (القومية الكردية). ان تاريخ اليزيدية الخاص وتمايز عقيدتهم ومعاناة طائفتهم من اضطهاد ومذابح الاغوات الاكراذ على مر التاريخ، يجعلهم يمتلكون كل الشروط الروحية والميراثية والتاريخية، لأن يكونوا قومية عراقية خاصة ومتميزة. وان مجموعة (قوميات) يمكن أن تشكل (امة) أي (شعب ووطن). فنقول (الامة المصرية) و (الامة الفرنسية) و (الامة الامريكية) و (الامة الفلسطينية) و (الامة العراقية)، رغم ان كل واحدة من هذه الامم تتكون من جماعات دينية وأقوامية مختلفة.

تاريخهم

إن تاريخ اليزيدية يكتنفه الكثير من الغموض، لأنهم طائفة صوفية منغلقة على ذاتها لم يحتك بها الباحثون والمؤرخون إلا في القرن التاسع عشر. ان اليزيدية ليس لهم تاريخ مكتوب ومصادر تاريخية واضحة ومؤكدة، لهذا فإن تاريخها وأصولها تعتمد على التقديرات. كما يبدو ان أصول الطائفة تعود الى فترة بعد سقوط الدولة الأموية في القرن الثامن م. وان الجيل الاول للطائفة هو من بقايا الجيش الأموي الذي بقي في شمال العراق بعد هزيمة الأمويين في (معركة الزاب الكبرى) شمال العراق سنة 132هـ. ثم هرب (الأمير إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد) الى الجبال وأدعى انه (السفياي المنتظر). وقد حصل تزواج بين هؤلاء الأمويين السوريين وبعض العشائر الكردية الرعوية القادمة من الجبال. وفي القرن الحادي عشر أتى الصوفي اللبناني البعلبكي (عدي بن مسافر)، وهو من أصل أموي، هارباً من مطاردة العباسيين، ليؤسس الجانب الروحي للطائفة. وقد دفن في (لالش) في منطقة الشيخان (عين سفني) شمال الموصل، وأصبح قبره أقدس مكان لدى اليزيدية. وقد خلفه ابنه (عدي بن أبي البركات)، الملقب بـ (أبي الفاخر) المشهور بالكردية بسبب أمه، وقد توفي سنة 1217. ثم خلفه ابنه (شمس الدين أبو محمد المعروف بالشيخ حسن)، وقد توفي سنة 1246م بعد أن ألف كتاب (الجلوة لأصحاب الخلوة) وكتاب (محك الإيمان) وكتاب (هداية الأصحاب). ويقال انه قد أدخل اسمه في الشهادة عند بعض اليزيدية. ثم الشيخ (فخر الدين أخو الشيخ حسن) الذي أنحصرت في ذريته الرئاسة الدينية والفتوى. رغم تكتم اليزيدية ومحاولة ابتعادهم عن إثارة الطوائف الإسلامية والمسيحية المحيطة بهم، فإنهم تعرضوا لحقبات من الاضطهاد والمذابح المعروفة خصوصاً في زمن الدولة العثمانية وعلى يد الاغوات الاكراذ بأسم الدفاع عن الاسلام ولكن

من أجل الاستيلاء على أملاكهم. في القرن التاسع عشر جرت مذابح في جزيرة ابن عمر في منطقة الجزيرة، وكذلك في عام 1847 تم ذبح الآلاف في جبل سنجار لأجبارهم على التخلي عن دينهم.. وقد أضطر الكثير منهم للجوء الى الكنائس وإعلان مسيحيتهم للتخلص من الاضطهاد. وتكررت المذابح كذلك في عام 1872 لنفس السبب. حاولت البعثات التبشيرية الأوربية كسبهم الى المسيحية دون أن تحقق نجاحاً ملحوظاً. وفي أوائل القرن العشرين قام الأغوات الأكراد بتكوين ميليشيات مسنودة عثمانياً عرفت بأسم (الفرق الحميدية) لشن حروب إبادة ضد غير المسلمين: أرمن وسريان ويزيدية. من أشهر المذابح ما قام به الأمير الكردي (بدرخان) في منطقة بوتان وحكاري وشمال الموصل، كذلك مذابح أمير سوران الكردي (محمد باشا الراوندوزي).

يسجل لليزيدية دورهم بالتحالف مع السريان بضم الموصل الى العراق في عام 1925. وعدد اليزيدية الحالي ربما يبلغ في أعلى التقديرات 500 ألف في العراق، 85% منهم يقطنون في جبل (سنجار) غرب الموصل، والباقيون في قريتي (الشيخان) و (باعذرى) شرق الموصل. وهناك آلاف عدة في سوريا وفي تركيا وفي أرمينيا، وفي المهاجر.

إشكالية التسمية

برزت هذه الإشكالية في أعوام التسعينات من القرن الماضي، مع استفحال ضعف الدولة العراقية وتنامي دور القوى القومية العنصرية الكردية ومحاولتهم تكريد كل شمال العراق بتاريخه وجغرافيته وطوائفه. وقد أصر الكردويون على رفض تسمية (اليزيدية) السائدة شعبياً وكتابياً لدى اليزيدية أنفسهم، باعتبارها تسمية (عربية)!! وهم يصرون على فرض تسمية (اليزيدية) باعتبارها تتقبل التفسير العنصري القائل بأنها تعود الى أحد آلهة الديانة الفارسية!!* ان اليزيدية يعتقدون إن إسمهم (اليزيدية) يعود الى (يزيد بن معاوية) الخليفة الاموي، الذي ربما تم تقديسه بعد سقوط الدولة الاموية كرد فعل على تقديس الامام (علي) من قبل (العلوية) أنصار العباسيين الذين أسقطوا الدولة الاموية. ثم انهم يقدسون متصوفاً عراقياً معروفاً هو (الحسن البصري). ان سلالة جميع شيوخ اليزيدية يجب أن يكونوا منحدرين من هذين الامامين (عدي بن مسافر البعلبكي، والحسن البصري). من الناحية المعتقدية فيعتقد بأن اليزيدية من بقايا طائفة (الكلدان الحرانيين) الذين بقوا على ديانتهم الآشورية، والذين تحدث عنهم المؤرخ العراقي (ابن النديم) في كتابه الشهير (الفهرست). من دلائل أصالتهم السريانية، مثلاً إنهم في سنجار يقدسون دير (مار عدي) أحد حوارى السيد المسيح، ويحتفظون فيه بأقدم مكتبة كلدانية مكتوبة على رق الغزال باعتبارها مكتبتهم المقدسة.

عقيدتهم وميراثهم

لقد أسيء فهم الفكرة السائدة عنهم بأنهم يعبدون الشيطان : إنهم يهابون (الملاك طاووس) رمز قوة الشر (الشيطان) لا حباً به ولكن تجنباً لشره. يشبهون معظم الطوائف (المغالية) التي حاولت أن تغطي معتقداتها العراقية - الشامية الأصلية بتلاوين مسيحية وأسلامية، مثلما فعل العلوية والدرزية والاسماعيلية والشبكية وغيرهم.

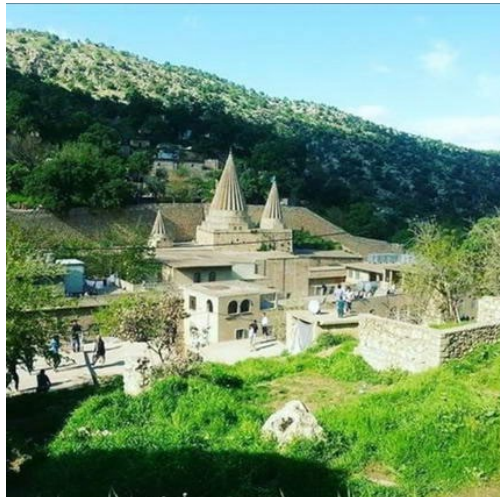
* (وقد اشترك بحملة التكريد هذه باحثون عراقيون من العرب لأسباب مصلحية، من أمثال الباحث (زهير كاظم عبود)، الذي تنكر حتى لمضمون كتابه المعنون ((لمحات عن اليزيدية / بغداد 1994)، ويصر منذ سنوات على ابداله بتسمية (إيزيدية)!

ان اليزيدية تمثل خلاصة الدين العراقي القديم القائم على تقديس الكواكب السبعة المعروفة، والذي تأثر واضطر لتقبل المعتقدات السامية الجديدة التي انبثقت في المنطقة بعد سقوط بابل: المسيحية ثم المانوية البابلية ثم الاسلام. أي ان اليزيدية هم من بقايا المجاميع العراقية السريانية التي فرض عليها التاريخ، للحفاظ على دينها الأصلي، أن تتقبل بعضاً من معتقدات الأديان الجديدة. بل ان ديناميكية اليزيدية اضطرت كذلك لتقبل ثقافات الأقوام الجديدة التي فرضت نفسها على المنطقة، أي ثقافة العنصر العربي أولاً ثم ثقافة العنصر الكردي الذي هيمن في القرون الأخيرة.

يمكن ملاحظة الاصول العراقية القديمة لليزيدية من خلال الأمور التالية:

- إعتقادهم بأنهم من نسل آدم وليسوا من نسل حواء، وإنهم أتوا بعد الطوفان.
- إعتقادهم بالكواكب السبعة المقدسة لدى العراقيين، لكنهم غيروا أسماء الآلهة البابلية بأسماء الملائكة السريانية المسيحية: يودائيل وإسرافيل وميكائيل وجبرائيل وشمنائيل ونورائيل، أما زعيم الملائكة الاكثر قدسية فهو عزرائيل (الملك الطاووس)، الذي تصوره البعض على أنه (الشيطان). ويمثل هؤلاء الملائكة سبعة شيوخ مقدسين مثل الشيخ عدي والشيخ حسن وأبو بكر.
- استخدامهم لمسميات متداولة في التراث الديني العراقي القديم، مثل (شيوخ سن، وشيوخ شمس) وكلمة (سن) في الاكديّة تعني (القمر).
- يحتفلون بأول أربعاء من شهر نيسان بهبوط الملاك (طاووس) الى الأرض، مثلما كان يحتفل العراقيون في بابل وآشور بشهر نيسان أول أشهر السنة حسب التقويم البابلي، لأنه شهر الربيع والخصب والميلاد والبداية. وهو عيد الاله (تموز). ويبدو جلياً ان هناك تشابهاً بين إسمي (طاووس وتموز). نفس هذا الشهر أيضاً كان يحتفل المانوية البابليون بيوم صلب (ماني البابلي) وخلوده في الأبدية، وكذلك هو عيد الفصح وعودة المسيح للحياة.
- إنهم اقتبسوا من المانوية مسألة تناسخ الأرواح وانتقال البشر بين حيوات عدة.
- إنهم يشتركون مع المسيحيين في الكثير من المناسبات والأعياد مثل عيد الفصح والقيامة وكذلك التعميد بالماء وقطع الخبز، ثم زيارة الكنائس والحج لمزار الشيخ عدي المقدس أيضاً لدى المسيحيين في العراق.
- إنهم يشتركون مع المسلمين بالصيام والختان وتقديس القرآن وبعض رجالات الدين. كذلك هم يحملون الشيخ (عبد القادر الكيلاني) و (الشيخ أحمد الرفاعي).
- إنهم يحتفلون بعيد (القربان) أي عيد الاضحى حيث ضحى النبي إبراهيم بولده إسماعيل.
- إنهم يعتمدون التقويم الشمسي الشرقي الذي كان يعتمد من قبلهم أهل النهرين في بابل وآشور.
- إنهم يمتلكون تنظيماً دينياً هرمياً مثل نظام الكنيسة المسيحية والمانوية وكذلك الشيعة الجعفرية.

ثقافتهم



معبد لالش المقدس في نينوى

ان الناحية الثقافية المهمة ، تتمثل بمنع هذه الطائفة على أبنائها تعلم القراءة والكتابة مما جعل كتبهم المقدسة غير مكتوبة بل محفوظة عن ظهر قلب. علماً بأن هذا المنع قد تم تجاوزه في الاجيال الاخيرة وانتشر المتعلمون بين أبناء الطائفة. بعض المؤرخين والباحثين اعتبروهم من الاكراد بسبب تداولهم للغة الكردية بجانب العربية مع بعض السريانية. مهما كانت لغتهم فإنهم بالحقيقة (عراقيون) بكل معنى الكلمة. بصورة أدق إنهم يمثلون أفضل نموذج للجماعات العراقية الاصلية التي تطبعت مع الثقافة المهيمنة في كل حقبة جديدة ، إبتداءً بالاكديّة الآشورية ثم السريانية ثم العربية وأخيراً الكردية التي تسربت اليها في القرون الأخيرة بحكم التزاوج الذي حدث مع بعض العشائر الكردية النازحة من جبال زاغاروس والتي اعتنقت اليزيدية وتزاوجت معهم. ان اليزيدية يشبهون في وضعهم هذا بعض القبائل الممتزجة بين العرب والاكراد الموجودة في شمال العراق ، مثل بعض أفخاذ الجبور وربيعة والبيات وغيرهم ، إذ يحملون الثقافتين والانتمائين العربي – الكردي وكذلك التركماني ، بأن واحد. يتكلم اليزيديون العربية والكردية ويرتدون الأزياء الرجالية العربية والازياء النسائية السريانية. لهم كتابان مقدسان لم يتم تداولهما أو اطلاع الباحثين عليهما ، بل يقال إنهم يتداولوهما شفاهياً ، بسبب تحريم الكتابة لديهم في المراحل السابقة. الكتاب الاول هو (كتاب الجلوة) يعود الى المتصوف الشامي (عدي بن مسافر) أو لأحد أحفاده. وكتاب حديث اسمه (مصحف رش) أي (الكتاب الاسود). انهم يحملون ثقافات البيئة التي يعيشون فيها سواء في سنجار وأطرافها الممتدة نحو بادية الجزيرة أو نحو زمار أو تلعفر أو الشيخان وأطرافها الممتدة نحو باعدرا ولالش في الجبال أو نحو بعشيقة وبخزاني والعشائر السبعة في سهول الموصل. وتعتبر منطقة (سنجار) مركزهم السكاني الأكبر. وهم يجاورون العرب والاكراد والتركمان والسريان. لكنهم لا يقطنون مدينة سنجار باستثناء عوائل قليلة ، بل يعيشون في عشرات القرى المنتشرة في أعالي الجبال وفي سفوحه وفي ضواحي سنجار! ان يزيديّة سنجار يلتزمون بتقاليدهم وأزيائهم الخاصة المتميزة ، ويرتدون الزي حسب البيئة التي يعيشون فيها ، أما عربياً أو كردياً أو سريانياً. وكذلك هم يجيدون الزراعة وتصنيع الالبان والاجبان والفواكه المجففة.

القوال حامل الثقافة اليزيدية

ان دور (القوال) لدى اليزيدية مثل دور (الملا) لدى المسلمين والقسيس لدى المسيحيين. أي انه حامل الثقافة الدينية والشعبية والوسيط بين الشعب والقيادات



الدينية والدينية. علماً أن تسمية (القوال) كانت شائعة لدى العراقيين القدماء بمعنى (الكاهن). وهي قد تعود بأصلها، أما الى كلمة (كال) السومرية بمعنى (السيد)، أو كلمة (قال) السامية بمعنى من يردد (الاقوال) والشعائر الدينية. ولا زال العراقيون يطلقون على المرأة التي تقرأ المراثي في المآتم تسمية (الكوالة - القوالة). وان دور (القوال) اليزيدي هام وحاسم لأنه يقوم عملياً بالحفاظ على الذاكرة اليزيدية وتاريخهم الشفاهي، وخصوصاً إنها طائفة تعتمد أساساً على التاريخ الشفاهي (علم الصدر) ولا تميل الى الكتابة خوفاً من انكشاف أسرار العقيدة للخصوم.

يستخدم (القوالون) مثل باقي اليزيدية، اللغة العربية وأحياناً اللغة البهذانية (الكردية). وتعود التواشيح المستخدمة الى فترة الشيخ (عدي بن مسافر). ويجيدون التراتيل والانايد الدينية والضرب على الدف والعزف على الناي، ويقومون بتعميد الاطفال بالماء المقدس في المناطق البعيدة عن منطقة (لالش) المقدسة التي فيها مرقد الشيخ عدي بن مسافر. ويقومون بمرافقة (السنجق - الرمز المقدس) عند خروجه من مدينة (لالش) وحتى بلوغ بيت الشخص الذي اتفق عليه. ويقومون خصوصاً بمهمة نشر تعاليم العقيدة بين أبناء الطائفة وتوضيح الطقوس والواجبات. يلعبون دور الوسيط في حل الخلافات بين أبناء الطائفة والتقريب بينهم. وهم يتغنون بفضائل الشخصيات الدينية وسرد القصص عنهم. وهم مشهورون بمعرفتهم بأنساب العشائر اليزيدية. ويمارسون أيضاً دور الوسيط وحامل الرسائل والثقافات بين الجاليات اليزيدية المنتشرة في شمال العراق وسوريا وتركيا وباقي العالم. ويتوجب على (القوال) أن لا يخلق لحيته ولا شاربه. وهم يشرفون على المآتم والصلاة على الميت وعند دفنه وفي أثناء المآتم وكذلك عند زيارة القبور. ويعيش (القوالون) على المعونات التي يمنحها لهم أبناء الطائفة، لقاء خدماتهم الروحية، وكذلك من النذور. ويقومون مع عوائلهم بقطف الزيتون من البساتين العائدة للمعبد في (وادي لالش)، حيث يستخدم زيت في شعلات المصابيح. ويرث (القوال) أولاده في عمله، لأنها مهمة وراثية خاصة بسلالة (القوالين) من عشيرتي (الهكاري) و(الدوملي). وهم مثل باقي طبقات اليزيدية، لا يتزوجون من خارج الطبقة وخصوصاً من الطبقات العليا، بل يقعون فيما بينهم أو مع باقي الشعب. ويتركزون خصوصاً في نواحي (بعشيقه) و(بجزاني) في الموصل. وبعضهم يسكنون في (سنجار) و(الشيخان)، حيث يكثر اليزيدية. وهم يوزعون (البراة) وهي حجرة صغيرة مصنوعة من طين (لالش) المقدسة، وتكون أشبه بالحرز الذي يحمي اليزيدي وتدفن معه.

المصادر

- هذه المصادر اعتمدنا عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة
- تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم / عباس العزاوي / بغداد 1935
 - اليزيدية / الامير انور معاوية / السويد 2001.
 - اليزيدية في ما بين النهرين / آشور نصيبينويو / دار سركون / السويد 2002.
 - اليزيديون / هاشم البنا / مطبعة الامة / بغداد 1964.
 - اليزيديون في حاضرهم وماضيهم / عبدالرزاق الحسني / المطبعة العصرية / صيدا 1967.

- الزيدية قديماً وحديثاً / اسماعيل جول / المطبعة الاميركانية / بيروت 1934.
- الزيدية ومنشأ مآلتهم / احمد تيمور / المطبعة السلفية / القاهرة 1928
- الزيدية بقايا دين قديم / جورج حبيب / دمشق 1996.
- الزيدية / صديق الدمولوجي / مطبعة الاتحاد / الموصل 1949
- الزيدية / سعيد الديوه جي / مطبعة الجامعة بالموصل 1973
- الزيدية قديماً وحديثاً / اسماعيل بك جول / بيروت 1934
- تاريخ الزيدية / محمد الناصر صديقي / دار الحوار 2008

الشبك، لغة وعقيدة



الشبك فئة أقوامية مذهبية عراقية (بالنسبة لتعريفنا للقومية نرجوا العودة الى مقدمة موضوع اليزيدية). من الناحية الدينية جميعهم مسلمون، حوالي 70% منهم شيعة جعفرية والباقون سنة. ولكن رغم انقسامهم المذهبي (الشيعة - السني)، فإنهم يشتركون بميراث عقائدي طقوسي خاص من (ميراث العرفان والتصوف). أما بالنسبة للغة، فإنهم الى جانب العربية التي يتقنونها ويتداولوها في حياتهم اليومية، والتركية التي لهم بها عدة كتب، فإنهم أيضاً يمتلكون لغة خاصة (الشبكية) تعتبر من ضمن اللغات (الآرية) التي تتشابه في بنيتها العامة مع اللغات الكردية واللغات الإيرانية، ولكنها تحتوي على الكثير من المفردات والصيغ العربية والتركمانية.

تقدر أعدادهم بأكثر من 200 ألفاً يتوزعون على أكثر من ستين قرية في شمال العراق يتركزون خصوصاً في شرق الموصل على الضفة الغربية لنهر الزاب الكبير، كذلك وفي المناطق الممتدة من تلعفر مروراً بكركوك وصولاً الى خانقين. وقد جاؤوا بشكل مباشر قرى مسيحية، وكذلك جاؤوا التركمان والعرب، وقليلاً اليزيدية. وهناك أيضاً بضعة آلاف يسكنون مدينة الموصل نفسها.. الى جانب تسمية (الشبك) هنالك تسمية (الباجلان)، والذين يُسمون أحياناً (البيجوان)، وهم نفس (الشبك) ويتعايشون معاً، ولكنهم يتميزون بتنظيمهم العشائري الخاص، وكذلك بأنهم لم يتبنوا التشيع الجعفري بل هم من المذهب السني.

تاريخهم وأصولهم

عانى الشبك، مثل كل الفئات العراقية، من هذه الاشكالية المفتعلة التي لا تطبق إلا على أهل العراق :

البحث عن أصل خارجي مفترض!! فلا يكفي للشبك أن يثبتوا انهم في شمال العراق منذ قرون طويلة، بل عليهم أن يثبتوا أصل ما خارجي قدموا منه. لهذا فقد انهالت الفرضيات حول أصولهم : ميديين، ساسانيين، صفويين، تركمان، أتراك قزلباشية، الخ..

وهم في الحقيقة مثل غالبية الطوائف العراقية المنتشرة خصوصاً في الشمال، مثل اليزيدية والكاكائية والصارلية وأهل الحق، من الجماعات الروحانية (العرفانية الغنوصية) القديمة مثل الصابئة والمناوية، التي تأثرت بالاسلام بعد أنتشاره في المنطقة، فتبنت رموزاً صوفية اسلامية خاصة بها. بالنسبة للشبك، فأنهم تأثروا في البداية بالطريقة الصوفية البكتاشية التي كانت منتشرة بين العثمانيين، والتي تقدر الامام علي. ثم في الاجيال الاخيرة، بدأوا يتحولون الى التشيع الجعفري حتى أصبحوا كذلك بغالبيتهم الساحقة، مع الحفاظ على بعض طقوسهم العرفانية القديمة والبكتاشية. وثلاثهم تبناوا المذهب السني. طبعاً هذا لا يمنع من الاعتقاد بأنهم مثل كل الجماعات الكبيرة، لا بد أنهم ضموا مع الزمن في داخلهم عشائر وجماعات عراقية من مختلف الاصول: عرب و تركمان وأكراد وسريان، وغيرهم من الجماعات المنتشرة في شمال العراق وكذلك من المناطق المجاورة في تركيا وإيران والقفقاس. فبينهم تجد عشائر كردية مثل (زنكنة) وعشائر عربية مثل (العبيد). بل هناك قرى كانت سريانية مسيحية تحولت شبكية، مثل (الموقية وطهراوه ومنارة الشبك، يا سبيثة). كذلك فأن أغلب قراهم تحمل أسماء تركمانية. كل هذا يتفق مع الفكرة الشائعة عنهم بأن تسميتهم (شبك) من العربي، وتعني (تشابك) الناس واختلاطهم.

الحالة السياسية



ممثل الشبك في البرلمان العراقي
الدكتور حنين قدو

بسبب تمايز (الشبك) المذهبي والاقوامي، فأنهم تعرضوا دائماً الى ضغوطات الاطراف القومية العنصرية، كردية وعروبية بعثية، من أجل ضمهم بالقوة الى انتماء قومي معين. لأن القوميون من مختلف الاتجاهات في العراق، لا يعترفون بالانتماء الى الوطن بل الأهم هو الانتماء الى القومية والعرق والامة الكبرى! فبعد ضغوطات الحكومة البعثية السابقة، بدأت منذ أعوام ضغوطات القيادات القومية الكردية من أجل ضمهم بالقوة الى مشروع (كردستان الكبرى) العنصري التوسعي.

لم يكن للشبك سابقاً قيادة سياسية توحدهم ضد هذه الضغوطات القومية العنصرية، لكنهم بعد عام 2003 ظهرت بينهم نخبة نشطة شكلوا تنظيمهم السياسي الخاص بأسم (تجمع الشبك الديمقراطي) برئاسة (حنين قدو) وهو أستاذ جامعي من الموصل، تمكن من توحيد الشبك حول برنامج الوطني. فهو رغم انتمائه المذهبي الشيعي المعلن، إلا أن قائمته فازت حتى في القرى الشبكية السنية مثل (كلياره) و(الفاضلية) و(العباسية) وغيرها، وهذه قرى (سنية) لكنها صوتت لمصلحة القيادة الشبكية (الشيعية) ضاربة مثلاً على تقديم الولاء العام على الولاء الطائفي.

عقيدتهم



مثل كل الطوائف العرفانية الصوفية ، فإن للشبكي تنظيم اجتماعي ديني هرمي خاص. يسمى رجل الدين الناشئ (المريد) ، ويرتبط روحياً بشخص أعلى منه مرتبة يسمى (المُرشد) وهناك عدة مراتب للمرشدين وهم جميعاً يرتبطون بمراجع أعلى يسمى (البابا أو البير). أما في عباداتهم ، فهم بغالبيتهم من الشيعة الاثني عشرية متمسكون بتعاليم الدين الاسلامي وفق المذهب الجعفري ، ويؤدون طقوس (عاشوراء) ويدفعون الخمس من أموالهم ووارداتهم الى ساداتهم الذين يعترفون بصحة انتسابهم الى آل

البيت ، ويؤدون فريضة الحج الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، كما يزورون العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وسامراء وبغداد وكل أضرحة الأئمة وأولياء آل البيت على امتداد العراق. أما السنة منهم فهم أيضاً يشتركون مع باقي السنة في تقديس المقامات المعروفة. ومن تقاليدهم الخاصة التي لا تخلوا من بقايا الميراث المسيحي والعرفاني ، انهم يحتفلون ببعض الليالي المقدسة ، مثل : (ليلة رأس السنة الميلادية) ، كذلك (ليلة التعاذر أو ليلة التواضع) وهي للتصالح بين الناس. و(ليلة الاعتراف) وهي لطلب الغفران عن الذنوب. أما باقي عاداتهم الاجتماعية فهي لا تختلف عن باقي عادات العراقيين خصوصاً والمسلمين عموماً.

لغتهم وثقافتهم وكتبهم

للشبكي كتابين مقدسين : (القمرى) وهو أشعار تتغنى بأئمة الشيعة ، و(البيرق ، البيروق) وهو عن سفر الامام الحسين من المدينة الى كربلاء. والكتابان بالتركية ومن تراث الطريقة البكتاشية. ولهم كتب دينية أخرى غالبيتها مكتوبة بالتركية الأذرية ، مثل (تجري) و(مرآة المقاصد) ، كذلك ان المناقب التي يقرأونها مكتوبة باللغة التركية ، وهي لشعراء متصوفة ناطقين بالتركية مثل (خطائي) و(نسيمي البغدادي) و(حلمي ده ده) و(فضولي البغدادي) و(سيد نظام) ، وغيرهم. ولهم كتاب (الكلمك) وهو بالتركماني والشبكي. وان معظم الشبكي يتقنون اللغة التركية كتابة وقراءة وتخطباً الى جانب العربية ولغتهم (الشبكية) الخاصة. هناك محاولات جادة بوضع دواوين وهناك مطربين ينشدون باللغة الشبكية ، وهناك رقصاتهم الخاصة (الجوبية أي الدبكة) ، كذلك لهم أزيائهم القديمة ، رغم انهم منذ أجيال يرتدون جميعهم الثياب العربية الموصلية. وفي السنوات الاخيرة تبنى الشبكي أبجدية خاصة بهم لكتابة لغتهم المتميزة باستعمال (حركات الاعراب) العربية بدلاً من تقطيع الحروف العربية المعتمدة في اللغات الايرانية والكردية والتركمانية.

* * *

ملحق لغوي

با چي بڻت أقول لك

شعر: عباس آغي

الجملة الشبكية	معناها بالعربية
يارم بسيارم مَکرو جوائني؟	حيبتي تسألني أنا جميلة؟
چني متيم بشعري عشقيو؟	كيف تراني بشعر من العشق؟
باچي بڻت هورني	أقول لك أنت شمس
هورچي وختي مرشيو	الشمس حيناً تزول
باچي بڻت كولني	أقول لك وردة
كول چي چدارو متكيو	الورد من الشجر يتساقط
باچي بڻت أستارني	اقول لك نجمة
أستارچي فران چمانشا مهليو	النجوم كثيرة فيها تضيعين
باچي بڻت روحمني	أقول لك روحي
روحچي أمائتا موركيلو	الروح امانة ترجع
باچي بڻت دل مني	اقول لك قلبي
دل چي روي مندرو	القلب يوماً يتوقف
وستا باچي بي آتي	كفاك قولاً بلاكي
رو قيامتم موززو	يوم قيامتي يقوم

كلمات شبكية

كائن حي : جانور // جمل : حَشتور // بغل : هَستراو باركيل // حصان : هَسب // ذئب :
وَرک // جاموس : کاميش // قرد : ميمون

المصادر

- دراسة: حقيقة (الشبكة).. لغتهم، ديانتهم، عددهم، المنطقة التي يسكنونها، نشاطهم الاقتصادي / صافي الياسري
- دراسة: آفاق استراتيجية: الشبكة أصلهم.. ثقافتهم.. الخصوصية والمشاركات / علي رضا

- خصوصية الشبك، الحقائق والأصول / حوار علي النشمي مع ممثل الشبك الدكتور حنين القدو / تحرير غانم الموسوي
- احمد حامد الصراف / الشبك / مطبعة المعارف / بغداد 1954
- أنستاس الكرملي / تفككة الاذهان في تعريف ثلاثة أديان / مجلة الشرق / العدد 5 ، 1902
- حبيب الهرمزي وأكرم باموقجي / العشائر التركمانية في العراق / كركوك 2004
- باسيل نيكيئين / الاكراد / دار الروائع / بيروت
- رشيد الخيون / الأديان والمذاهب في العراق / منشورات الجمل 2003
- سليمان الصائغ / تاريخ الموصل / ج1 المطبعة السلفية / مصر 1923
- عبد المنعم الغلامي / بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل / الموصل 1950
- الميجر سون رحلة متكرر الى بلاد ما بين النهرين / ج1 / بغداد 1970

سود العراق، وثقافتهم المجهولة!



قبل الحديث عن (تاريخ سود العراق) (الزنوج - ذوي البشرة السوداء) ، يتوجب التوضيح ان العبودية وجدت في تاريخ العالم أجمع ، ولم تكن مرتبطة أبداً بالجنس الاسود، بل شملت جميع الاجناس. منذ فجر التاريخ ظلت

الجماعات والشعوب عندما تنتصر على أعدائها، أما أن تقتلهم أو تجعلهم أسرى وعبيد لتستفيد من جهدهم. ولم يكن يهتم أصلهم ولون بشرتهم، حتى لو كانوا من أبناء العمومة المنافسين. كذلك كانت العبودية تحصل نتيجة الفقر والمجاعة، إذ أن الكثير من الجماعات والعوائل كانت تفضل أن تباع أبنائها لمن يمنحهم الحياة على أن يموتوا جوعاً.

السود في المجتمعات الإسلامية

إن وضع العبيد في العراق وفي عموم المجتمعات العربية الإسلامية، ظل مختلفاً تماماً عن وضعهم في أمريكا وعموم الغرب. فهناك عدة أسباب جعلت العبيد في المجتمعات الإسلامية بوضع محتمل نسبياً مقارنة بالقسوة والوحشية التي عوملوا بها في الغرب وفي أمريكا خصوصاً. فالاسلام والقرآن حث على عتقهم، كذلك كانت هنالك شخصيات سوداء إسلامية يجلبهم المسلمون. فهناك (بلال الحبشي) مؤذن الاسلام، و(سعيد بن جبير الحبشي) الصحابي، و(عطاء بن رباح النوبي) التابعي والفقير، و(مهجع) أول شهداء المسلمين، و(جليب) الذي قال عنه النبي (ص) بعد مقتله (هذا مني وأنا منه)، و(نابل الحبشي)، و(أبولغيط الحبشي). كذلك ينظر الميراث الإسلامي بعين التقدير الى (النجاشي المسيحي الاسود) ملك الحبشة الذي استقبل النبي (ص) وأصحابه في هجرتهم الاولى. يمكن ذكر نموذج البطل الاسود (عنترة بن شداد) الذي لعب أيضاً دوراً إيجابياً في الميراث العربي. ثم ان شعوب العالم العربي بتاريخها التمازجي العريق، كانت بطبعها سهلة بتقبل الغريب، فمن الشائع أن تحصل حالات تزواج مع النساء السوداوات ليلدن أبناء عرب ببشرة سوداء. والاهم من هذا، ان الاسلام فرض الايمان على العبيد، وبالتالي منحهم حقوق المسلم، مما سمح للكثير من السود أن يبرزوا في تاريخ الشعوب العربية، أمثال (الاشيدي) سلطان مصر، وأسماء أخرى سوف نتطرق لها.

تاريخهم العراقي

ان من يتمعن جيداً في العراقيين، يكتشف انهم مزيج متداخل من عدة أجناس ظلت تنصهر فيه منذ آلاف السنين: الجنس الابيض (القفقاسي - الآري - السامي البحر المتوسطي)، الجنس الاصفر (آسيا الوسطى)، والجنس الاسمر (سواحل المحيط الهندي والخليج)، والجنس الاسود (افريقيا). لهذا فإن دماء السود ظلت حاضرة ويمكن ملاحظتها بسهولة على بشرة الكثير من العراقيين وخصوصاً في الجنوب.

من الصعب تقدير عدد السود في العراق. ربما بضعة مئات من الآلاف. فليس هنالك أية دراسة عنهم ولا عن تاريخهم أو ثقافتهم. يتواجدون أساساً في المحافظات الجنوبية، ويكثرون في البصرة. إنهم موجودون في العراق منذ العصور الحضارية القديمة، فالمنحوتات الأثرية تظهر أشخاص سود بشعر أجعد. ربما تم جلبهم من خلال التجارة مع سواحل جنوب الجزيرة العربية وأفريقيا. ولكن وجود السود أصبح واضحاً في الفترة العباسية. فمع تحول العراق الى مركز للامبراطورية والحضارة العربية الإسلامية أدى الى جلب آلاف السود للعمل في مزارع الجنوب. واستمر جلبهم على شكل أفراد أو جماعات للخدمة. علماً انه كان نوعان من الرق في المجتمع العراقي أثناء الفترة العباسية :

- المماليك، وهم من البيض، من أصول قفقاسية وسلافية وأوربية، وقد تم بيعهم وهم أطفال من قبل أهاليهم بسبب الفقر، وعلى أمل أن يجدوا مستقبلاً لهم في بلاد غنية. وقد لعب المماليك والجواري دوراً مهماً في المجتمع العراقي في تلك الحقبة، سواء في الحياة الثقافية أم السياسية. ولقد تمكن المماليك من أصول تركية وقفقاسية من تكوين سلالات حاكمة في

مصر والشام والعراق. وقد برز ممالك العراق الجورجيين في الحقبة العثمانية من 1747 حتى 1831 وكان آخرهم الوالي المصلح الشهير (داود باشا).

- العبيد، وهم من السود الافارقة الذين كانوا يجلبون من شرق أفريقيا من أجل العمل في الزراعة خصوصاً منذ القرن الاول الهجري. وقد تكاثرت جلب الزنوج مع الازدهار في الفترة العباسية. وكانت المرأة السوداء مفضلة في الزواج بسبب وفائها وحنانها، فأن (الخيزرانة) أم الخليفة (هارون الرشيد) كانت سوداء من أصل مغربي أو يمني، كذلك كان هنالك تياراً ثقافياً نشيطاً يدافع عن السود، من أهم وأشهر رواه الاديب العراقي الكبير (الجاحظ) وهو من ذوي البشرة السوداء، والذي وضع رسالة بأسم (فخر السودان على البيضان)، أبرز فيها فضائل السود ومحاسنهم وصفاتهم الإيجابية، وكذلك (المرزبان) الذي كتب رسالة (فضل السودان على البيضان). كذلك الفقيه العراقي (ابن الجوزي) كتب في الدفاع السود، والعالم (السيوطي)، والعالم (البخاري).

لقد شهدت مدينة البصرة في منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ما عرف بـ (ثورة الزنج)، الذين ثاروا على الملاكين وسلطة الدولة. كان مقرها مدينة المختارة (جنوب البصرة)، وكانت أطول ثورات العصر العباسي وأخطرها، إذ دامت أكثر من عقدين.

ثقافة سود العراق



لم يترك السود تأثيراً لغوياً واديباً متميزاً إلا في بعض المفردات المنتشرة في اللهجة العراقية. ولكنهم أثروا كثيراً في مجالات الرقص والموسيقى والغناء، التي هي في أصلها طقوس دينية مزيجية من معتقدات أفريقيا وطرق المتصوفة المسلمين. مثلاً رقص (الهيوة) وبعض الايقاعات الجنوبية المعروفة، وما يسمى أيضاً بفنون الخشابة، من غناء ورقص وموسيقى. ومن آلات العزف الايقاعية (المسوندو) (الجكانكا).

وفي الفترة الاخيرة (2008) تكونت حركة سياسية تطالب بحقوق السود في العراق : (حركة العراقيين الحرة). ولكن السود خصوصاً بحاجة الى مؤسسات أكاديمية ومنظمات ثقافية واجتماعية تُعرف بهم وبتاريخهم وتراثهم الثقافي وتبث الوعي لدى العراقيين بحقوقهم وخصوصيتهم التاريخية.

المصادر

- التاريخ الكامل للعالم منذ ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا / جان كلود بارود، غيوم بيغو / دار الفارابي / بيروت 2009
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / طه باقر / بغداد 1973
- النظم الاسلامية / عبد العزيز الدوري / مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت 2008
- حضارة مصر والعراق / برهان الدين دلو / دار الفارابي / بيروت 1989
- دراسات في العصور العباسية / عبد العزيز الدوري / مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت 2008
- الدولة العثمانية في المجال العربي / فاضل بيات / مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت 2007

أرمن العراق، تار يخهم وثقافتهم



لقد سكنت أرض أرمينيا الكثير من الشعوب ومرت بها الكثير من الحضارات ، وأهمها الاراراتية. ان آارات دولة قامت إبان القرنين الـ 9 والـ 7 ق.م. بـجبال شرق تركيا حول بحيرة فان. وأهلها من الحوريين. وكانت العاصمة مدينة فان. وكانت ثقافتهم متأثرة بحضارتي العراق وسوريا ، وقد كتبوا لغتهم القديمة بالكتابة المسمارية العراقية. أما الارمن بتكوينهم القومي الحالي فقد ظهوروا في القرن الخامس ق.م. ويعتقد إنهم إستوطنوا آسيا الصغرى قبل إنهيار إمبراطورية الحيثيين. وفي عام 302 م أعلن الملك تريناد الثالث ، المسيحية ديناً للدولة. بعد إعتناق غريغوار الدين المسيحي بادر الى انشاء كنيسة جامعة في مدينة ايستمياديزين التي كانت تعتبر أكبر مدينة في أرمينيا. وكذلك كان غريغوار هو الذي وضع نظام الكهنوت للأرمن وبشر بالإنجيل ، وأخيراً إعتزل وإنصرف للعبادة في مغارة. وقد أطلقوا إسمه على الكنيسة الأرمنية المعروفة بإسم الكنيسة الغريغوارية. وتعرض الأرمن في تاريخهم للعديد من المذابح إمتدت ما بين القرن التاسع عشر والعشرين وجميعها تمت في تركيا ، إلا أن أشهرها مذبحه عام 1915 التي شملت أيضاً المسيحيين السريان. وتمت هذه المجازر على يد الأغوات الاكراد وميليشياتهم (الفرق الحميدية) ، إذ استولوا على قرى وممتلكات الارمن وذبحوا الرجال والاطفال واستولوا على النساء. وكلفت هذه المذابح حوالي المليونين بين قتيل ومشرّد ، حتى تحولت مناطق

الارمن والسريان الى مناطق كردية بالكامل. ويبلغ عدد الارمن الآن مايقارب الستة ملايين موزعين في دول أوروبا وأمريكا والشرق الاوسط.



خارطة منطقة القفقاس والشعوب التي تفتتنها:

ارمن

وجورجيون وشيشان وشرك وداغستان وغيرهم.. ان القفقاس هي سلسلة الجبال بين بحر قزوين والبحر الاسود.

أرمن العراق

الأرمن العراقيون ، هم الأرمن من حملة الجنسية العراقية أو أرمن المهجر الذين ينحدرون من أصول أرمنية عراقية. وجود الأرمن ليس بجديد في العراق لكنه ازداد في بداية القرن العشرين بعد مجازر الأرمن في أرمينيا. يتحدث معظم أرمن العراق اللهجة الأرمنية الغربية. تواجد الأرمن في العراق يعود لقرون عديدة حيث جاءت موجات من الأرمن من أرمينيا عبر إيران استوطنت جنوب العراق في بادئ الأمر حيث أنشأت أبرشية للأرمن في البصرة عام 1222 م. ثم بدأت هذه الموجات تتجه نحو بغداد في الفترة اللاحقة حيث سجلت طائفة الأرمن كطائفة تدين بالمسيحية في العراق عام 1638.

وتوجد أقدم كنيسة للأرمن في بغداد في منطقة الميدان وهي كنيسة مريم العذراء وقد بنيت عام 1639م خلال فترة حكم العثمانيين بناءً على طلب أحد القادة العسكريين والذي كان أرمني الأصل. لكن أكبر موجات الهجرة الأرمنية للعراق كانت في بدايات القرن العشرين بعد المذابح التي ارتكبت ضدهم. يبلغ التعداد الحالي للأرمن في العراق حوالي 20 ألف نسمة. هم في الغالب من أتباع الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية مع وجود أتباع لكنيسة الأرمن الكاثوليك. غالبية الأرمن في العراق يتواجدون في العاصمة بغداد حيث يقدر عدد الأرمن في بغداد ما بين 10 إلى 12 ألف في حين أن تعداد الأرمن في عموم العراق يقدر بـ 20 ألف نسمة. كما توجد تجمعات وكنائس أرمنية في مدن رئيسية أخرى مثل البصرة والموصل وكركوك بالإضافة إلى وجود تجمعات للأرمن في بلدات صغيرة في كردستان العراق مثل زاخو. وبالنسبة للأرمن في البصرة فإن كنيسة الأرمن الأرثوذكس في البصرة يعود تاريخ بناءها إلى عام 1870م ولا تزال عامرة بالمؤمنين. ولا يجب تناسي أن هناك العديد من ضحايا التهجير الأرمني هم الآن في غير ما ذكر أعلاه، وهم منتشرون في أكثر من مدينة عراقية، لأسباب شخصية أو إجتماعية أو إقتصادية أو سياسية ونحو ذلك. ومنهم من اعتنق الديانة الإسلامية. لقد تعرض الأرمن حالهم كحال العديد من فئات الشعب العراقي الأخرى إلى هجمات مسلحة حيث تعرضت عدد من كنائس الأرمن للتفجير بسيارات مفخخة في بغداد والموصل. كما ترك العراق حوالي 3000 أرمني عراقي في حين بقي حوالي 15 ألف آخرين داخل العراق حتى عام 2007م. حيث يقدر عدد الأرمن العراقيين الذين نزحوا إلى سورية بعد احتلال العراق عام 2003 بحوالي 1000 شخص بينما ترك العراق 1000 أرمني توجهوا إلى أرمينيا في حين أن حوالي 500 شخص ترك العراق إلى الأردن.

شخصيات أرمنية عراقية

فارتان مالاكيان: رسام عراقي أرمني مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية // شانت كندريان: كاتب أرمني عراقي // سيلفا شاكاكيان: ملكة جمال العراق (الشباب) عام 2006 وأول أرمنية عراقية تحمل هذا اللقب // سيتا هاكويان: مطربة عراقية معروفة // يعقوب سرقيس: كاتب عراقي أشهر مؤلفاته كتاب المباحث العراقية // جيرار كايان: رياضي عراقي حاصل على أول بطولة لكمال الأجسام في العراق عام 1949م // بياتريس اوهانسيان: فنانة عراقية من أصول أرمنية // آرام ارمينك بابوخيان: موسيقار عراقي أرمني شهير // آزادوهي صموئيل: ممثلة أرمنية عراقية // كالوست كولبنكيان: يعد واحد من أهم رجال الأعمال العراقيين في فترة الخمسينات والستينات وهو عراقي أرمني قام بإنشاء ملعب الشعب الدولي في العراق بالإضافة إلى مساهمته في بناء مدينة الطب أكبر الصروح الطبية في بغداد // اوهانيس مراديانكان: أول من أدخل تلقيح الجدري إلى بغداد // الدكتورة آنة ستيان: عراقية أرمنية كانت أول طبيبة عراقية عينتها وزارة الصحة // فوسكان مارديكيان (اوسكان أفندي): الذي كان وزيراً للبريد والبرق في الدولة العثمانية، وبناء على دعوة وجهت له من قبل الحكومة العراقية في عشرينيات القرن الماضي أصبح خبيراً مالياً في وزارة المالية العراقية وطوّر النظام المالي في العراق وترجمها من التركية إلى العربية // سارة اسكندريان: وهي من الشخصيات النسائية الأرمنية العامة التي عرفت من قبل أهل بغداد بأسم (سارة خاتون)، وسمي حي كمب سارة في بغداد بأسمها

// السير آرأ درزي : أحد مسؤولي وزارة الصحة البريطانية وأحد جراحي المملكة المتحدة المعروفين ، منح لقب سير من الملكة إليزابيث سنة 2002.

الوضع الثقافي للأرمن

منذ البداية سمحت مختلف الحكومات العراقية للأرمن بتدريس مادتين باللغة الارمنية، إضافة الى الدين المسيحي باللغة الارمنية في المدارس الحكومية، كمدرسة الظفار الابتدائية (عام 1845) وابن البيثم الثانوية، وروضة خمائل في بغداد، لكن هذه المدارس كانت بالأصل مدارس خاصة للأرمن وتم تأميمها عام 1974 على إثر قرارات التأميم التي أصدرها حزب البعث المنحل في العراق بعد تسلمه السلطة عام 1968. كما افتتحت مدرسة ابتدائية أرمنية في بغداد في تشرين الأول عام 2004 م.

وكان للأرمن 13 كنيسة في العراق، إثنان منها دمرتا لقدمهما، وأشهر تلك الكنائس هي (كنيسة مريم العذراء) في الميدان (بغداد) والتي تعد كمزار يؤمها العراقيون من كل الأديان ويعود تاريخ بنائها الى عام 1639 ميلادية، ويزورها في الاغلب نساء متزوجات من الديانتين المسيحية والاسلامية للطلب من مريم العذراء أن تشفع لهم وترزقهم بالابناء. وكانت هناك كنيسة جديدة للارمن (لم تفتتح بعد) راحت ضحية لسلسلة الهجمات المسلحة والتفجيرات التي طالت الكنائس في عام 2004.

ويتميز الارمن أيضاً بالاندية الرياضية والاجتماعية التي تلعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية وتشارك مع العائلة والكنيسة في بناء الاجيال الشابة. وأشهر الاندية الارمنية هي جمعية الشبيبة الارمنية، النادي الرياضي الأرمني (هومت من - عام 1918)، الجمعية الخيرية الأرمنية. نادي الشهيد أوهان، اتحاد النساء الأرمن، وتتنوع الأنشطة ما بين رياضية واجتماعية وثقافية وخيرية. وان معظم لاعبات المنتخب الوطني العراقي في السلة والطائرة هم عضوات في نادي (هومت من) الارمني.

اللغة الارمنية

اللغة الارمنية (հայերէն լեզու) تعتبر ضمن اللغات الهندو-أوربية. لكنها في أصولها تحمل مؤثرات عدة لغات بلاد ارمينيا القديمة (الآراراتية) وكذلك اللغات المجاورة قفقاسية وآرامية وتركية وروسية. ويبدو إنها قريبة من اللغتين اليونانية والفارسية. وكانت لغة محكية فقط دون كتابة، ولكن في القرن الخامس الميلادي كون آباء الكنيسة أبجدية خاصة مشتقة من الابجدية الآرامية العراقية. حيث ترجم إليها الكتاب المقدس على يد الراهب (ميسروب ماشدوتس) الذي قام بتكوين أبجدية أرمنية من 36 حرفاً، تسمى اليوم بالأرمنية الكلاسيكية حفظت منها حتى اليوم بشكل رئيسي ترجمات للعهد الجديد ومؤلفات أدبية مسيحية تعود للقرون الميلادية الأولى. بمحاذاة اللغة الكلاسيكية نمت وتطورت لغة أو لهجة شعبية إبتداءً من القرن العاشر حتى نهاية القرن التاسع عشر حيث استخدمها في أعماله الكاتب الأرمني خاتشاتور أبوفيان.

تستعمل اللغة المعاصرة اليوم من قبل قرابة الخمسة ملايين شخص في لهجتين أساسيتين :

Ա	Բ	Գ	Դ	Ե	Զ	Է	Ը	Թ
A	B	G	D	Ye	Z	E	U	T
Ճ	Ի	Լ	Խ	Տ	Կ	Հ	Ճ	Դ
Zh	I	L	Kh	Ts	K	H	Dz	Gh
Ճ	Մ	Ի	Ն	Շ	Վ	Օ	Չ	Պ
Dj	M	Y	N	Sh	V	O	Ch	P
Ր	Ս	Վ	Տ	Ր	Տ	Ս	Պ	Չ
R	S	V	T	R	Ts	U	P	Q
Ե	Օ	Ֆ						
yev	O	F						

• في شمال غرب إيران وأرمينيا تستعمل (الأرمنية الشرقية) وفي للنسخة الكلاسيكية نوعاً ما مع تبسيطها لنمط الكتابة.

• في منطقة الشرق الأوسط وفي المهجر تستعمل (الأرمنية الغربية) التي مع حفاظها على جذورها امتزج فيها الطابعين الكلاسيكي والشعبي .

وبشكل عام يتفق الخبراء على أن الأرمنية الحديثة لا تزال محافظةً بشكل نادر الوجود على أرمنية القرن الخامس الميلادي. خلال الحقبة السوفيتية كان تعليم اللغة الروسية إجبارياً في أرمينيا، فكانت الدروس تعطى باللغتين الروسية والأرمنية. ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ونيل أرمينيا لاستقلالها عام 1991، وبعد 110 سنة من الهيمنة الروسية وجد فقط 47.1 ٪ من الأرمن من المتمكنين من لغتهم الأم.

بعض العبارات الارمنية

باري لويس : صباح الخير // باري كيسور: مساء الخير // اشبيسيس : كيف الحال // لافيم: جيد // اينج كا جيكا: ماذا حصل // بامي جيكا: لا شيء حصل // اوريس : أين أنت.

المصادر

- الجاليات الارمنية في البلاد العربية / هوري عزازيان / دار حوار / سوريا 2000

- الأرمن عبر التاريخ / مروان المدور / دار مكتبة الحياة / 1982

- تحقيق عن أرمن العراق / هارو شكمكجيان / ميدل است اونلاين

- من البدايه حتي القرن الخامس الميلادي / موسيس خوريناتسي / نزار خليلي

الشيشان، فئة عراقية جديدة!



تعتبر جبال القفقاس (شمال شرق تركيا) والتي ينبع منها تقريباً نهري دجلة والفرات (بين بحيرة وان وجبل آرارات في أرمينيا)، أيضاً منبعاً للكثير من الهجرات السكانية الى العراق، منذ فجر التاريخ وحتى الى وقت قريب. وهذه المنطقة الجبلية الشاسعة التي تتوسط بحر الخزر والبحر الاسود (لاحظ الخارطة) والتي تسيطر روسيا على جزئها الأكبر منذ عدة قرون، هي مأوى للعديد من الشعوب المختلفة اللغات والاديان: آذربيجان وأرمن وشيشان وجورجيون وشيشان وشركس وداغستان، وغيرهم. ويعتبر (الارمن) من الجماعات القفقاسية التي لازالت محافظة على تمايزها في العراق. ولكن هنالك جماعة قفقاسية أخرى تعيش في العراق، ولم تكشف عن نفسها إلا بعد عام 2003!



شيشان العراق

ينتمي الشيشان الى بلاد الشيشان ، وهي إحدى جمهوريات الاتحاد الروسي ، ويحدها كل من داغستان وجورجيا وأوسيتا من الجنوب وداغستان وروسيا شمالاً ، وأوسيتا الشمالية وأنجوشيا غرباً. ويبلغ عدد السكان 1.5 مليون نسمة والأنجوش (جزء منهم ولكن متميز قليلاً) ربع مليون نسمة.

ظلت هذه المنطقة محط صراع بين الروس والعثمانيين ، وكل منهما يحاول دفع حلفائه من شعوب القفقاس للصورة ضد خصمه. وقد تحالف الروس مع الارمن والسريان وورطوهم في ثورات عديدة كلفتهم الخراب ، وكذلك قام العثمانيون بدفع الشركس والشيشان والداغستان ، للقيام بثورات فاشلة كلفتهم الخراب والتهجير. من أشهر الثورات الشيشانية ، ثورة الشيخ شامل عام 1859 وكذلك من عام 1859 وحتى عام 1865 ، قام الشيشان بعدة ثورات صغيرة مثل ثورة الأرغون عام 1860 - 1861 وفي عام 1865 صدرت أوامر الحكومة الروسية بترحيل أهالي القفقاس الشمالي. إن مجموع المهاجرين من شمال القفقاس بلغ حوالي مليون وأربعمائة ألف ، وصل منهم الى أراضي الدولة العثمانية بحدود مليون ومائة ألف ، وضمن هذه الأعداد كان هناك بحدود خمسة آلاف عائلة شيشانية. وتكررت نفس الحالة في ثورة عام 1877.

هجرتهم الى العراق

أن الهجرة الشيشانية الأولى بدأت فعلاً عام 1865 ثم تلتها هجرات أخرى عام 1867 وما بعدها ، ومن بعد عام 1878 كانت مراحل هجرتهم بعد دخول أراضي الدولة العثمانية هي مدينة سيواس التركية ، ولقد بقوا فيها بحدود عشر سنوات ، وخلال وجودهم في سيواس ولد هناك الرعيل الأول من المهاجرين. ومن سيواس ارتحلوا إلى رأس العين في سوريا وبقوا فيها فترة أخرى أيضاً ثم جرى توزيعهم على أراضي الدولة العثمانية فدخلوا عن طريق فيشخابور ، وحصلت بينهم وبين العشائر العربية عدة معارك. ومن منطقة فيشخابور دخلوا العراق مارّين بالموصل ثم نزولاً إلى الوسط. وعند دخولهم العراق توزعوا على عدة أماكن : منطقة اللكلك الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة مقابل مدينة تكريت ، ثم انتقلوا فيما بعد إلى قرية تشارشلو التابعة إلى ناحية العباسي ضمن قضاء الحويجة محافظة كركوك ،

وقسماً منهم سكنوا بغداد. وكانت هناك محلة تسمى محلة الججان حالياً في منطقة الميدان. وهم في العراق يسمون الججان وليس الشيشان. وقسماً آخر سكنوا قرية الزندان التي قاموا بتأسيسها والتي تقع ضمن قضاء المقدادية في محافظة ديالى. ويقال أنها كانت تضم الأكثرية وسكانها حوالي 200 عائلة، ولم يكن في تلك المنطقة قرية أخرى غيرها. وقد مات الكثيرون منهم بسبب الظروف الجوية السيئة من حرارة وجفاف وإصابة أعداد كبيرة منهم بأمراض التيفويد والملاريا والسل وغيرها. كما سكن القسم الآخر في (دلي عباس) وهي تقع أيضاً في محافظة ديالى، وقاموا هم بتأسيسها وكانت تضم أكثر من مائة عائلة. كما سكن قسماً آخر في منطقة الصقلاوية في محافظة الأنبار، وسكن قسماً آخر في مدينة تكريت، وقسماً في الموصل وفي مدينة كركوك، وفي السليمانية. ومن هذا فإن (الشيشان) يعيشون مع أخوتهم العرب والتركمان والاكرد في المناطق الشمالية من العراق. وحالياً يقدر عددهم بأكثر من ألف وخمسمائة نسمة، يضاف لهم أعداد قليلة من الشركس والداغستان ليصل عددهم التقريبي إلى 2000 نسمة في المناطق الناطقة بالعربي والتركمني. ولكن هناك نحو 41 قرية شيشانية في السليمانية وحدها يقطنها نحو 5000 شخص أشهرها قرية (بي وك) الى الشمال الغربي من السليمانية. وكذلك قرية (بردة رش).

وضعهم الاجتماعي والثقافي

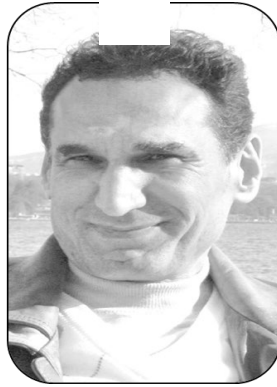
يستخدم قسماً من شيشان العراق لقب ججاني، وقسماً يستخدم لقب داغستاني. أغلب الشيشان الذين دخلوا العراق كانوا عسكريين، إما شرطة (جندرمة) أو جيش، وكان قسماً منهم يحملون رتب عسكرية عالية في الجيش العثماني عندما وصلوا العراق، وعهدت إليهم مسؤوليات في أماكن مختلفة. عند تشكيل الدولة العراقية عمل الكثيرين منهم في وظائف مختلفة، وهذا مما جعل العديد منهم يتبوؤن مناصب قيادية عليا في الجيش وفي كافة العهود، وعلى الرغم من قلة عددهم فإنهم معروفين في كافة المناطق بسبب ما اكتسبوه من سمعة طيبة. بعد 2003 أنشئت جمعيتان للشيشان في العراق للنشاط الاجتماعي والثقافي : جمعية التضامن وتضم الشيشان والشركس والداغستان ومقرها في كركوك، وجمعية الخير الشيشانية الأنكوشية ومقرها في محافظة ديالى.

لغتهم

اللغة الشيشانية معروفة بأسم (ناغ NAGH) وهي لغة قفقاسية قديمة، ولا تنتمي إلى اللغات الهندو -أوربية، ولا التركية. ولا يتحدث الشيشانية سوى أهلها فقط. وقد بقيت الشيشانية شفوية ولم يدوّن بها أدب مكتوب إلا بعد الثورة السوفيتية في أعوام العشرينات من القرن الماضي. وقد استخدم أولاً الحرف اللاتيني، ثم بعدها استخدم الحرف الروسي (السيريلي). وتتميز ألفاظها بعدد كبير من الألفاظ العربية والفارسية والتركية والروسية. وعدد الذين يتكلمونها أكثر من مليون ونصف، أكثر من يتكلمها بأقنات هم شيشان الأردن. أكثر كلمات اللغة عدد أحرفها من 2 إلى 3 أحرف وعدد أحرف اللغة 49 حرفاً. الأرقام هي نظام العشرين مثال : 34 عشرين أربعة عشر // 75 ثلاث عشرينات خمسة عشر. بعض الكلمات الشيشانية : أنا: سو // أنت: حو // ذاهب: غوش // اذهب: دغو // أب: دا // أم: نان // أخ: وش // أخت: يش // معلم: مول // بيت: تسا // أرض: لت، تأتي بمعنى التراب // شمس: ملخ // رائحة: حج.

المصادر

- محاضرة ألقاها (الفريق الركن المتقاعد محمد عبد القادر عبد الرحمن الداغستاني) في عمان في 2006/2/23
- تحقيق: مشرق عباس مع شيشان العراق / جريدة الحياة اللندنية 2008/12/5
- تحقيق: شامل عبدالقادر / الشيشان والداغستان والشركس بين تأملات الماضي البعيد واشراقات المستقبل العراقي
- كذلك موسوعي بوكويديا والمعرفة



المؤلف سليم مطر

www.salim.mesopot.com

-
- رواية (امرأة القارورة)، عدة طبعات: 1990 - 2005 / الترجمة الفرنسية 1993 / الترجمة الانكليزية 2004
 - بحث وفكر (الذات الجريحة)، عدة طبعات 1996 - 2008
 - رواية (التوأم المفقود) 2001
 - بحث وفكر (جدل الهويات) عدة طبعات 2003 - 2004

- سيرة روائية (اعترافات رجل لا يستحي) 2008
- الاشراف على (ميزوبوتاميا) وهي دورية موسوعية خاصة بالهوية العراقية تصدر في بغداد، منذ عام 2004

موسوعات أشرف على إصدارها

- (خمسة آلاف عام من الانوثة العراقية) 2004
- (موسوعة المدائن العراقية) 2005
- (خمسة آلاف عام من التدين العراقي) 2006
- (موسوعة كركوك قلب العراق) 2008
- (خمسة آلاف عام من الكتابة العراقية) 2008
- (موسوعة اللغات العراقية) 2009